الدرة الخريدة

شرح

الياقوتة الفريدة

للمذنب الضعيف الراجي سعة عفو مولاه اللطيف
محمد فتحا بن عبد الواحد السوسي النظيفي
عامله الله وأهل الإيمان بالعفو والغفران
بجاه سيد الأكوان صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ما اختلف الملوان آمين

الجزء الثاني

الطبعة الأخيرة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الفكر

أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده

(قرآن كريم)



[فصل فى بعض الآداب المطلوبة من الإخوان]

وفى البغية : لا ريب أن حقوق الصحبة والأخوة وآدابها من أعظم الحقوق وآكد الآداب إذ هى العصمة فى مدارج السير والسلوك إلى حضرة رب الأرباب ، وخصوصا فى طريقتنا هذه الأحمدية التجانية لقول سيدنا رضى الله عنه : من ابتلى بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله تعالى بتضييع الحقوق الإلهية . وقد سمعت بعض أصحابه رضى الله عنه يقول : سمعت سيدنا ومولانا الشيخ رضى الله عنه يقول إنى لكثيرا ما أهم بوضع مؤلف فى آداب الطريق تنبيها منه رضى الله عنه على أن الآداب من أهم المهمات وآكدها فى الطريق وأن من تمسك بها فيها فقد تمسك بالسبب الأقوى والحبل الوثيق انتهى :

وفى [شب] قال ابن القاسم : خدمت مالكا عشرين سنة فكانت ثمانية عشر منها فى تعليم الأدب وسنتان منها فى تعليم العلم فليتنى جعلت المدة كلها فى الأدب ، ورحم الله من قال :

لجلسة مع أديب فى مذاكرة ... أنفى بها الهم أو استجلب الطربا

أشهى إلىَّ من الدنيا وزخرفها ... وملئها فضة وملئها ذهبا انتهى

وأخبرنى من أثق به أنه لما وصل هنا فى نسخ المبيضة ألقى فى روعه[1] أن منبع الآداب كلها قوله تعالى - وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا - وقوله - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة - الآية ، فمن تمسك بهاتين الآيتين الشريفتين فقد حاز قصبة السبق فى الآداب ومن حاد عنهما فهو بمعزل عن ساحة الآداب ، وهما القسطاس المستقيم والمنهج القويم لكل أخ صادق وحبيب فائق : وعن محمد ابن أسلم رحمه الله أنه قال : أصل الإسلام فى هذه الفرائض ، وهذه الفرائض فى حرفين : ما قال الله ورسوله افعل ففعله فريضة ينبغى أن يفعل ، وما قال الله ورسوله لا تفعل فتركه فريضة ينبغى أن ينتهى عنه اهـ . فما أبيح افعل ودع مالم يبح . وفى [عف] روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » فالأدب تهذيب الظاهر والباطن ، فإذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أديبا ، وإنما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعها على أشياء ، ولا يتكامل الأدب فى العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق ، ثم قال : وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبنى ربى فأحسن تأديبى

---

(١) بضم راء كقول : القلب اهـ .

ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، قال يوسف ابن الحسين : بالأدب يفهم العلم ، وبالعلم يصح العمل ، وبالعمل تنال الحكمة ، وبالحكمة يقام الزهد ، وبالزهد تترك الدنيا ، وبترك الدنيا يرغب فى الآخرة وبالرغبة فى الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى اهـ. وفيه عن ابن المبارك : أدب الخدمة أعز من الخدمة قال تعالى - ليبلوكم أيكم أحسن عملا - وفيه عنه أيضا من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة . وفيه عنه : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم ؛ وقال أيضا : الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف : وفيه عنه : قد أكثر الناس فى الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس ، وهذه إشارة منه إلى أن النفس هى منبع الجهالات وترك الأدب من مخامرة الجهل ، فإذا عرف النفس - ادف نور العرفان على ما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وفيه قال ابن عطاء الله : النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب ، والنفس تجرى بطباعها فى ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده إلى حسن المطالبة ، فمن أعرض عن الجهد فقد أطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية مهما أعانها فهو شريكها . وقال الجنيد: من أعان نفسه على هواها فقد أشرك فى قتل نفسه ، لأن العبودية ملازمة الأدب، والطغيان سوء الأدب اهـ : وفى [غ] قال الشيخ أبو طالب المكى رضى الله عنه فى قوت القلوب: معناه أى معنى الحديث السابق وهو: « من عرف نفسه فقد عرف ربه» إذا عرفت صفاة نفسك فى معاملة الخلق وأنك تكره الاعتراض عليك فى أفعالك وأن يعاب عليك ما تصنع عرفت منه صفات خالقك ، وأنه يكره ذلك فارض بقضائه وعامله بما تحب أن تعامل به ؛ وفيها : وما أحسن قول بعضهم فى الأدب : الأدب أن يؤدب العبد ظاهره وباطنه ، أما ظاهره فبالشريعة بأن يتبع السنة قولا وفعلا ، وأما باطنه فبالحقيقة بأن يرضى بما يرد عليه من الله ويتلقاه بالقبول ، ويرى أن الكل نعمة عليه من الله تعالى إما عاجلة وإما آجلة ، فالعاجلة بلوغ النفس محبوبها عاجلا ، والآجلة كأنواع المضار والمكاره فإنه يثاب عليها آجلا ويحط بها عنه من خطيئاته ، فهى نعمة بهذا الاعتبار اهـ . وصاحب هذا الأدب هو المخصوص برؤية النعم فى طى النقم فيرى نعم الله تعالى عليه ظاهرة وباطنة اهـ . وفى [عف] أيضا عن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام « مانحل والد ولدا من نحلة أفضل من أدب حسن » وروت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه» اهـ أى بأن يعلمه الآداب الشرعية الواجبة والمندوبة ويحثه على مكارم الأخلاق ، وأما تحسين الموضع بأن تكون أمه ذات دين من أصل طيب وأن يكون موضع إقامته يسهل فيه تحصيل القرآن والعلم لكثرة القراء والعلماء : وفى [جص] « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيبا » وفيه « حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأن يزوجه إذا أدرك وأن يعلمه الكتابة » انظره. وفى [خل] وكتب عمر رضى الله عنه لأهل حمص «علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية والاحتفاء بين الأغراض ، وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا وتمعددوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الأغراض ، وإياكم ولباس العجم : البسوا الأزر والأردية وألقوا السراويلات واستقبلوا

حر الشمس بوجوهكم فإنها شامات العرب ، واطرحوا الخفاف والبسوا النعال اه . وروى « عليكم باللبسة المعدية » قال رحمه الله :

(وَعِنْدَ اللِّقَا تَصَافَحُوا دُونَ كُلْفَةٍ بِبَشٍّ وَرُحْبٍ دُونَ قَبْضِ عَبُوسَةٍ)

(وعند اللقا) بكسر اللام ممدود وقصره للوزن أو بضمها مع القصر كهدى كلاهما مصدران للتى (تصافحوا) وفى [س] المصافحة الأخذ باليد كالتصافح اه : وسئل أبو ذر رضى الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم ؟ قال ما لقيته قط إلا صافحنى ، وبعث إلىّ ذات يوم ولم أكن فى أهلى فلما جئت أخبرت أنه أرسل إلىّ فاتيته وهو على سريره فالتزمنى وكانت تلك أجود ؛ وأجود : وعن أنس رضى الله عنه « إن المؤمن إذا لقى المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده يصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر » وروى الطبرانى « إن المسلمين إذا التقيا وتصافحا وضحك كل واحد منهما فى وجه صاحبه لا يفعلان ذلك إلا لله لم يتفرقا حتى يغفر لهما » وفى [جص] « كان إذا لقى أصحابه لم يصافحهم حتى يسلم عليهم » أى فيندب تقديم السلام على المصافحة . وفيه « كان إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذى ينصرف عنه ، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذى ينزع يده منه ، وإذا لقى أحدا من أصحابه فتناول أذنه ناوله إياها ثم لم ينزعها عنه حتى يكون الرجل هو الذى ينزعها عنه » وفيه « إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفرا غفر لهما » وفى رواية « قبل أن يتفرقا » وفيه « إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا بصاحبه ؛ فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة للبادى تسعون وللمصافح عشرة » وفيه « إذا اصطحب رجلان مسلمان فحال بينهما شجر أو حجر أو مدر فليسلم أحدهما على الآخر ويتباداوا السلام » وفيه « تمام تحيتكم بينكم المصافحة » أى مع حمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم والدعاء له ولنفسه ولأخيه بالمغفرة لحديث « مامن مسلمين يلتقيان ويتصافحان ويصليان علىّ لا يفترقان حتى يغفر لهما ما تقدم من ذنوبهما وما تأخر » وفيه « تصافحوا يذهب الغل عن قلوبكم » وفيه « قبلة [١] المسلم أخاه المصافحة » أى فالمصافحة قائمة مقام القبلة لأن المصافحة مشروعة والقبلة غير مشروعة إلا لنحو والد وشيخ . وفيه « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان » وفى رواية ابن السنى « ويتكاثران بود ونصيحة إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » قال الحفنى : ويؤخذ من قوله « يلتقيان » أن المصافحة بعد صلاة الصبح أو العصر مثلا بدعة لكن لا بأس بها ؛ وكذا المعانقة مع تقبيل نحو الرأس بدعة لا بأس بها لأن ذلك أبلغ فى الود . وقد قال بعض الصحابة « أيضم أحدنا أخاه إذا لقيه ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا ، فقال أيعانقه ويقبله ؟ فقال : لا ، فقال أيصافحه ويسلم عليه ؟ فقال : نعم » وذكر الحديث . وأما الانحناء كالركوع فنهى عنه وإن قصد تعظيمه كتعظيم الله فهو كفر اه . وثبت أن سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين قال لمن قبل الأرض بين يديه كفرت قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأمره بتجديد النكاح ، لأن نكاحه فسخ بذلك لأنه ردة والعياذ بالله ، وأنه قال مثل ذلك لامرأة قبلت الأرض بين يديه .

---

(١) قبلة بضم قاف كغرفة : بمعنى التقبيل .

وفى غنية الأصحاب :

تقبيل قبر منبر ضريح يجوز أو يكره فى التصحيح
أما سجودهم على الجباه فى الأرض فالكفر بلا اشتباه

وفى [خل] وينبغى له : أى للعالم أن يمنع ما أحدثوه من المصافحة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة الجمعة بل زاد بعضهم فى هذا الوقت فعل ذلك بعد الصلوات الخمس وذلك كله من البدع ، وموضع المصافحة فى الشرع إنما هو عند لقاء المسلم لأخيه لا فى أدبار الصلوات الخمس ، وذلك كله من البدع فحيث وضعها الشرع نضعها فينهى عن ذلك ويزجر فاعله لما أتى من خلاف السنة انظره . ومحل النهى والزجر إن ظن الإفادة ولم يترتب على ذلك مفسدة أعظم وإلا فالحديث « إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون تغييره فاصبروا حتى يكون الله هو الذى يغيره » اه قال تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - .

[تنبيه] التسليم بالإشارة بالكف أو بالأصابع من تسليم أهل الكتاب . وفى [جص] « ليس منامن تشبه بغيرنا لاتشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف » وفيه « تسليم الرجل بأصبع واحدة يشير بها فعل اليهود » اه قال العزيزى : فيكره الاقتصار على الأشارة بالتسليم إذا لم يكن فى حالة تمنعه من التكلم اه يعنى كالصلاه وإن لا فلا كراهة . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصافح إخواننا عند اللقاء ولا نترك ذلك إلا لضرورة كأن لم يرض من نصافحه أن يصافحنا لفخامته كالباشات ثم قال : أو لجهل وغلظة كجند السلطان ثم قال وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : الحكمة فى المصافحة استجلاب الود والتعاهد كأن كلا منهما يقول لصاحبه أنا معك فى جميع ماتريد من الخير ، فإن صورة المصافحة صورة العهد ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يصافح أحدا إلا ويشد على يده فيشابكه إشارة لقوه التلازم ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك اه . وانظر ماعمت به البلوى والعياذ بالله جل طلبة العلم من حسم مادة المصافحة بينهم وبين أشياخهم جهلا منهم بالسنة وزعما منهم أن ذلك من حسن الأدب ، وقد تقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصافح كل من لتى من أصحابه قال تعالى - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة - الآية ، وروى ابن السنى عن أنس رضى الله عنه قال « ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد رجل ففارقه إلا قال اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » اه (دون) أى من غير (كلفه) بضم الكاف ماتكلفته من نائبة أو حق : أى من غير إظهار مافيه كلفة ومشقة من تملق وتصنع وتزكية فإن ذلك مذموم شرعا وطبعا . وفى [خل] سيما إن انضاف إلى ذلك : أى إلى القيام للغير مالا ينبغى من الكلام المعتاد فى سلام بعضنا على بعض من التملق والتزكية والإيهام بوجود المحبة وحلول البركة وإحناء الرأس وركوعه بل يقرب بعضهم من السجود ، بل يفعلونه لبعض كبرائهم ومشايخهم أعاذنا الله من بلائه بمنه . وقد روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : « سمعت رجلا يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله : الرجل منا يلقى أخاه وصديقه أينحنى له؟ قال لا قال : أفيلتزمه ويقبله؟ قال : لا . زاد ابن رزين إلا أن يأتى من سفره » انظره . روى الطبرانى عن أنس رضى الله عنه قال « كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إذا تلاقوا تصافحوا وإن قدموا من سفر تعانقوا » اه ثم قال : فإن وقع منا السلام أى عند القيام للغير كان قولنا صبحك الله بالخير . مساك الله بالخير . يوم مبارك ليلة مباركة . وذلك كله من البدع والحوادث . إن كان دعاء والدعاء كله حسن ، لكن إذا لم يصادم سنة كان مباحا أو مندوبا بحسب

الواقع والنية ، وأما إن صادم سنة فلا يختلفون فى منعه لأن علماءنا رضى الله عنهم قداختلفوا فى البدع هل تمنع مطلقا ؟ وهومذهب مالك وأكثر أهل العلم أولا تمنع إلا إذا عارضت السنن وهو مذهب الشافعى ومن تبعه ، وهذا من القسم الذى عارض سنة لأنه ترك السلام الشرعى وأحل القيام والدعـاء محله ولا قائل به من المسلمين ، فإن قال العالم مثلا أنا أفعل ذلك بعد السلام فجوابه أن العوام يقتدون به فى البدع وهم لا يعرفون السنة فيظنون أن تلك هى السنة التى ارتكبوها انظره ، بل صار السلام عند الملاقاة نسيا منسيا ونبذ وراء ظهريا وبقيت ألفاظ منمقة وأدعية مزوقة بالسنة ملقة[1] وأذهان حنقه — إنا لله وإنا إليه راجعون — ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا آمين .

وفى [جد] أوصانى شيخى رضى الله عنه وقال : لا تقم لأحد من الإخوان وغيرهم إلا أن لا تعلم من نفسه الميل إلى ذلك فإنك إذا قمت له حينئذ كبرت نفسه بغير حق وأسأت فى حقه من حيث لايشعر هو ، فقلت له ومن أين لى العلم بذلك وحسن الظن واجب بالمسلمين ؟ فقال رضى الله عنه عند حسن الظن لا علم فقم له إكراما ولو كان فى الباطن بخلاف ما ظننت وأمرك محمول عنك ، فقلت له فإن كان مشهدى أنى دون كل الخلق فى الرتبة ؟ فقال رضى الله عنه : صاحب هذا المشهد يقوم لكل وارد عليه من عصاة هذه الأمة لأن الناس كلهم عنده أهل فضل عليه والقيام لأهل الفضل مطلوب لاسيما إن حصل بذلك جبر خاطر أخيك المحجوب وقد بلغنا أن سيدى مدين رضى الله عنه امتحن مرة الشيخ عبادة وكان من أعيان المالكية وكان يحط على سيدى مدين ، فدعاه سيدى مدين فى يوم مجمع الناس ليحضر وقال للناس إذا جاء الشيخ عبادة لا أحد يقوم له فلما جاء فعل الناس معه ذلك ، فوقف عند النعال وضاقت على نفسه الدنيا بما رحبت ، ثم إن سيدى مدين رفع رأسه فرأى الشيخ عبادة واقفا فقام له وأجلسه بجنبه ، ثم قال ما عندكم من العلم فيمن يقوم للمشركين وهو آمن من شرهم ؟ فقال هو حرام ، فقال له سيدى مدين : الله عليك ما تكدرت لعدم قيامنا لك ؟ فقال نعم ، قال تريد أن نقوم لك كما نقوم لله فى الصلاة ، فتاب الشيخ عبادة ولزم الشيخ إلى أن مات وكان يقول : ما دخلت فى الإسلام حقيقة إلا من حين صحبت سيدى مدين رضى الله عنه اه (ببش) بفتح موحدة طلاقة الوجه والإقبال على الأخ والضحك إليه وفرح الصديق بالصديق . وفى (عف) ومن أخلاق الصوفية البشى وطلاقة الوجه، الصوفى بكاؤه فى خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس . وفيه عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلق أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك فى أناء أخيك » وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيرى : يعجبنى من القراء كل سهل طلق مضحاك فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر الله فى القراء مثله اه . وفى [جص] « إن الله يحب السهل الطلق » قال العزيزى : أى المتهلل الوجه البسام لأنه تعالى يحب من تخلق بشىء من أسمائه وصفاته ، ومنها السهولة والطلاقة لأنهما من الحلم والرحمة ، ورحم الله من قال :

وما اكتسب المحامد طالبوها ... بمثل البشر والوجه الطليق

وفيه « اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك فى أناء المستسق وأن تلق أخاك ووجهك إليه منبسط ، وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة ولا يحبها الله ، وإن

---

(١) بفتح ميم وكسر لام : من ملق الرجل أعطى بلسانه ماليس فى قلبه اه .

امرؤ شتمك وعيرك بأمر هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبن أحداً » وفيه « إن فى الجنة لعمدا من ياقوت عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضىء كما يضىء الكوكب الدرى يسكنها المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله والمتلاقون فى الله » قال الحفنى : أى تلاقى بشاشة وود ومصافحة ، وسلام لأجل الله تعالى اه. وفى [حى] وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين اه. وقال مجاهد: المتحابون فى الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعضهم تحاتت عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء إذا يبس اه وكشر كضرب تبسم (ورحب) بضم الراء من رحب ككرم وسمع اتسع ؛ والمراد اتساع الصدر وانشراحه عند ملاقاة أخيه ومصافحته ليوافق باطنه ظاهره فإن الإخلاص فى الأخوة استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة ، ومن لم يكن مخلصا فى إخوته فهو منافق فيها ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى من المؤاخاة ، ومن أراد أن يعرف محبة شخص له فلينظر إلى محبته هو له فى قلبه ، ورحم الله من قال :

سلوا عن مودة الرجال قلوبكم ... فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا
ولا تسئلوا عنها العيون فإنها ... أقرت بشىء لم يكن داخل الحشا[1]

وفى [شب] ومن جملة بر الإخوان المصافحة كلما لقيهم لما فى الحديث « إذا تصافح المسلمان لم تفترق أكفهما حتى يغفر لهما » ومن جملة برهم ملاقاتهم بالترحيب وطلاقة الوجه لما فى الحديث « إن للقادم دهشة فتلقوه بالترحيب » وفى آخر « إذا أتاكم الزائر فأكرموه » وفى آخر « أبد[2] المودة لمن وادك فإنه أثبت » وفى اخر « إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته فى منزله فليخبره أنه يحبه لله » أى فإنه أبقى للألفة وأزيد فى المودة وأدوم للصداقة (دون قبض) أى من غير وجود انقباض فى الباطن فضلا عن الظاهر ، وفى [حف] ومن أدبهم فى الصحبة رعاية الاعتدال بين الانقباض والانبساط: نقل عن الشافعى رحمه الله أنه قال : الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط اه : أى لأن خير الأمور أوساطها ومن غير وجود (عبوسة) من عبس وجهه كلح وتكشر . وفى [جص] « إن الله يبغض المعبس فى وجوه إخوانه » قال الحفنى : أى ويحب البشر من الإنسان فى وجوه إخوانه لأنه يورث التحبب بين الناس ، انظره . وفيه « من نظر إلى أخيه نظرة ود غفر الله له » وفيه « لنظرة الرجل لأخيه على شوق خير من اعتكاف سنة فى مسجدى هذا » اه ؛ وفى [نحى] قال الفضيل : نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة اه. وروى « من نظر إلى أخيه المسلم نظرة يخيفه بها فى غير حق أخافه الله يوم القيامة » اه . قال رحمه الله :

(وَعِنْدَ افتراقِ مجمعٍ كالوَظِيفَةِ ... وَلَابُدَّ مِنْ تَقْدِيمِ أَزْكَى تَحِيَّةٍ)

(و) تصافحوا أيضا (عند افتراق مجمع) كمقعد ومجلس موضع الجمع : أى أهله ؛ وفى نسخة : وعند انصراف الناس فى (كالوظيفه) ونحوها من كل محل يجتمع فيه الإخوان فكما يطلب منهم السلام والمصافحة عند الالتقاء والاجتماع فكذلك يطلبان منهم عند الافتراق بلا نزاع : وفى [جص] « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلم » وفى رواية أبى دواد

---

(١) فى نسخة « تشير لشىء ضد ما أضمرا الحشا » (٢) من الابداء كالإظهار وزنا ومعنى اه .

« فإذا أراد أن يقوم فليسلم وليست الأولى بأحق من الآخرة » قال الحفنى : ويجب عليهم الرد : أى لأن السلام الأول معناه أمنتكم من شرى حال حضورى فيسن السلام عند الانصراف ليؤمنهم من شره حال غيبته بل أولى ، انظره . وفيه « إذ ادخلتم بيتا فسلموا على أهله فإذا خرجتم فأودعوا أهله بسلام » قال العزيزى فيندب السلام عند ملاقاة المسلم وعند مفارقته بدلا للأمان وإقامة لشعائر أهل الإيمان اه.
وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه وأن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذ سلم سلم ثلاثا » . وفى إرشاد السارى معناه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أتى على قوم سلم عليهم تسليمة الاستئذان ، وإذا دخل سلم تسليمة التحية ، ثم إذا اقام من المجلس سلم تسليمة الوداع ، وكل سنة اه . وعليه فما يفعله الإخوان الأحمديون أصلح الله حالهم ومآلهم من المصافحة عند الانصراف من الوظيفة اه مستند وأصل فى السنة ، لكن ينبغى لهم رضى الله عنهم وعنا بهم آمين أن يفتتحوا المصافحة بالسلام ، لأنها من تمامه وهى فرع منه ، ولاينبغى الاقتصار على المصافحة دون السلام كما عمت البلوى بذلك اليوم فليتنبه لذلك بالقول أو بالفعل أو بهما معا ، ولذا قال رحمه الله (ولابد) أى لامندوحة ولا سعة (من تقديم أزكى تحية) على المصافحة عند الملاقاة وعند المفارقة قال تعالى - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - ومتى لقيت أخاك أو أردت مفارقته فقل : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ثم صافحه ، وقل : الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللهم اغفرلى ولأخى هذا وللمسلمين أجمعين ، أواختر أى صيغة شئت وإن زدت - ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار - وقراءة سورة العصر فإن السلف الصالح بها يختمون مفارقة الإخوان ومواداعتهم ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . قال رحمه الله :

(ولا تتدابروا ولا تتقاطعوا وكونوا عباد الله اخوان خرقة)

(ولا تتدابروا) من التدابر وهو التقاطع والتهاجر مأخوذ من تولية الرجل دبره : إذا أعرض عنه حين يراه . وفى الحديث « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » وفى رواية « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » وفى سنن أبى داود « فمن هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار » وفى مسلم « تعرض الأعمال فى كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل فى ذلك اليوم لكل امرىء لايشرك بالله شيئا ، إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول اتركوا هذين حتى يصطلحا » وروى الطبرانى رحمه الله « يطلع الله تعالى إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » اه (ولا تتقاطعوا) عطف تفسير : وفى [جص] « لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنافسوا ، وكونوا عباد الله إخوانا » أى لا تباغضوا إلى آخره بحذف إحدى التاءين ، وفيه « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك » قال العزيزى : ومعنى كونوا إخوانا اكتسبوا ماتصيرون به كإخوان النسب فى الشفقة والمحبة والرحمة والمواساة والمعاونة اه . وفيه « المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » اه . قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وفى [عف] وإذا وجد من أحدهما ما يوجب التقاطع فهل يبغضه أولا ؟ اختلف القول فى ذلك ، كان أبوذر يقول : إذا انقلب عما كان عليه أبغضته

من حيث أحببته . وقال غيره : لا يبغض الأخ بعد الصحبة . ولكن يبغض عمله قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم - فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون - ولم يقل إنى برىء منكم . وقيل : كان شاب يلازم مجلس أبى الدرداء وكان أبو الدرداء يميزه على غيره فابتلى الشاب بكبيرة من الكبائر وانتهى إلى أبى الدرداء ما كان منه . فقيل له لو أبعدته وهجرته فقال : سبحان الله لا يترك الصاحب بشىء كان منه ، انظره . وفى [غ] أثر هذا النقل والذى عليه المحققون ويمكن أن يكون كالجمع بين القولين السابقين التفصيل فيما يظهر من موجب البغض ، فإن كان الموجب فساد عقيدة وسوء ظن وفسخ عهد عمدا بانقلاب عن الحالة الأولى جهارا بإبداء العداوة والتجاهر بالمخالفة والعياذ بالله تعالى فإن صاحب هذا الحال يجب هجره وإبعاده موافقة للحق فيه لا احتقارا له وعليه يحمل قول أبى ذر رضى الله عنه أبغضته من حيث أحببته فلا خير فى موالاته إلا إذا تاب ورجع نادما مستغفرا مستقيلا معترفا منكسرا ، وإن كان الموجب ارتكاب ذنب لا يرضاه ربه والتلبس بشىء مما يشينه عند الناس ملابسته وقربه ، أو عثرة حدثت أو هفوة وقعت وكان بحيث ترجى توبته وتتوقع فيئته ، فهذا لا ينبغى أن يعامل بالبغض لذاته ولكن يبغض فعله وما تلبس به من عوارض هفواته ، ويلحظ مع ذلك بعين الوداد وينتظر له الفرج والعود إلى مواطن الصلح من مواطن الجفاء والبعاد ، وهذا هو الذى يجب على أخيه أن يعامله بجميع ما تقدم ذكره ، وأن يتحفظ غاية التحفظ من أن يتغير عليه باطنه وسره ، وأحرى أن لا يشتمه مشافهة أو يعيره بفعله مواجهة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن شتم الرجل الذى أتى بفاحشة « لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم » وقال إبراهيم النخعى : لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب الذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا ، وخصوصا إذا كان هذا الأخ الذى صدرت منه هذه العثرة أو دهمته هذه الفترة ممن تقدمت له ممارسة بالطريق وإشراف على مدارج الأذواق والتحقيق فإنه تجب معاملته بالإغضاء ومزيد البرور والإرضاء ، وفى الخبر « اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته » اهـ وما ذكره رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه هو المصير إليه عند كل لبيب ونبيه : وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نشاجر أحدا من المسلمين ولا نهجره ولا ندابره إلا بوجه شرعى ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى طول مجاهدة وسلوك على يد شيخ صادق ليخرج به من حضرات رعونات النفوس ويدخل به إلى حضرات الصفاء ، ثم قال : ولو لم يكن إلا أن من ارتكب شيئا من هذه الأمور لا يرفع له إلى السماء عمل لكان فيه كفاية فإن الشارع ألحق أعمالنا بأعمال الكفار فى عدم رفعها ما دمنا متشاحنين ، وقد عم هذا البلاء غالب الخلق حتى بعض العلماء ومشايخ الزوايا وصار أحدهم لا يحب لأخيه خيرا ويشمت بمصيبته ، انظره .

* وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تفرح بشماتة أخيك فيعافيه الله ويبتليك » وفيه أيضا أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نشمت قط بقتل عدو من المسلمين لا سيما إن قتل بغير حق ، وهذا العهد يقع فى خيانته كثير من المسلمين فيفرحون إذا قتل عدوهم من المسلمين ، ومن وقع له ذلك فلابد أن يقع فى مثل ذلك ويشمت فيه الناس كذلك ، وقد جرب أنه ما سعى أحد فى قتل عدو إلا وألقى الله تعالى عليه الهم والغم حتى إنه لا يتهنأ بعده بأكل ولا نوم حتى يموت بعده بقليل ، ثم قال : وقد رأينا جماعة من ملوك الجراكسة سعوا فى قتل عدوهم فقتلوا كلهم بعده بقليل ، فإياك يا أخى أن تسعى فى قتل نفس أو تشمت بقتلها والله غفور رحيم اهـ (وكونوا) أيها العصابة الأحمدية التجانية المحمدية جبر الله

حالنا وحالكم وأصلح مآلنا ومآلكم آمين (عباد الله) على حذف ياء النداء أى ياعباد الله (إخوان خرقة) بكسر معجمة فهى لحمة كلحمة النسب . وفى [عف] لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ فى نفسه ، والتحكيم سائغ فى الشرع لمصالح دنيوية فماذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق فى طلبه يقصد شيخا بحسن ظن وعقيدة يحكمه فى نفسه لمصالح دينه يرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجد ويبصره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو فيسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه واستصوابه فى جميع تصاريفه فيلبسه الخرقة إظهارا للتصرف فيه ، فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ، ودخوله فى حكم الشيخ دخوله فى حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : والخرقة عتبة الدخول فى الصحبة والمقصود الكلى هو الصحبة وبالصحبة يرجى للمريد كل خير ، ثم قال : اعلم أن الخرقة خرقتان خرقة الإرادة وخرقة التبرك ، والأصل الذى قصده المشايخ للمريدين خرقة الإرادة ، وخرقة التبرك تشبه بخرقة الإرادة فخرقة الإرادة للمريد الحقيقى ، وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم ، ومن الحرقة أن الطالب الصادق إذا دخل فى صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الوالد يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الإشراف على البواطن ، ثم قال : فأما خرقة التبرك فيطلبها من مقصوده التبرك بزى القوم ومثل هذا لايطالب بشرائط الصحبة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة ليعود عليه بركتهم ويتأدب بآدابهم ، فسوف يرقيه ذلك إلى الأهلية بخرقة الإرادة ، فعلى هذا خرقة التبرك مبذولة لكل طالب وخرقة الإرادة ممنوعة إلا من الصادق الراغب ، ثم قال : وقد كان طائفة من السلف الصالحين لايعرفون الخرقة ولا يلبسونها المريدين فمن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ، ومن لايلبسها فله رأيه وله فى ذلك مقصد صحيح ، وكل تصاريف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولاتخلو عن نية صالحة ، والله تعالى ينفع بهم وبآثارهم إن شاء الله تعالى اه . قال رحمه الله :

(كذاكَ تعاونوا على البرِّ والتقى وَلَا تتعاونوا علىَ فعلِ سوءة)

(كذاك تعاونوا) من التعاون وهو إعانة بعضهم بعضا لحديث « لأن أعين أخى المؤمن على حاجته أحب إلىّ من صيام شهر واعتكافه فى المسجد الحرام » ورحم الله من قال :

تعاون على الخيرات تظفر ولا تكن على الإثم والعدوان ممن يعاون
وداهن إذا ماخفت يوما مسلطا عليك ولا يحتال من لا يداهن
ولاتك ذالونين يبدى بشاشة وفى صدره ضب من الغل كامن اه

(على البر) بكسر موحدة اسم جامع لخصال الخير ، ويأتى بمعنى الصلة والصدق واللطف والمبرة وحسن الصلة والعشرة والطاعة : وفى [جص] « البر حسن الخلق ، والإثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » أى الذين يستحى منهم كالعلماء والصلحاء ، وفيه « البر ماسكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم مالم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المفتون » وفيه « البر لايبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ماشئت كماتدين تدان » ورضى الله عمن قال :

بنى إن البر شىء هين وجه طليق وكلام لين

(و) على (التقى) بالضم كهدى الوقاية وفى الحديث « من رزق تقى فقد رزق خير الدنيا والآخرة » قال تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا - ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا - ورحم الله من قال :

ومن يتق الله يجعل له كما قال من أمره مخرجا
ويرزقه من غير حسبانه وإن ضاق أمر به فرّجا

وذيلهما بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

ويجعل له اليسر من أمره ويعظم له الأجر فيما ارتجى

ورحم الله من قال :

ماضاق بالمرء حال فاستعد له تقوى المهيمن إلا جاءه الفرج
ولا أناخ بباب الله ذو ألم إلا تزحزح عنه الهم والحرج

ومن قال :

على قدر تقوى الله تأتى المواهب وتأتى على قدر الذنوب المصائب

وهى كلمة جامعة لسعادة خير الدارين ومن فاز بها صار أفضل الثقلين قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وعن ابن عمر رضى الله عنهما : التقوى أن لاترى نفسك خيراً من أحد . وقد بين الله تعالى أن التقوى خير لباس فقال - ولباس التقوى ذلك خير - ورحم الله من قال :

إذا المرء لم يلبس لباسا من التقى تجرد عريانا ولو كان كاسيا
فخير خصال المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ومن قال : ولا تمش إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى التقوى وترتاح للذكر

ومن قال : يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما أراده
يقول المرء فائدتى ومالى وتقوى الله أفضل ما استفاده

ومن قال : من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقى
ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كل العز للمتقى

وفى [جص] « أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس الأمر كله وعليك بتلاوة القرآن وذكر الله تعالى فإنه ذكر لك فى السماء ونور لك فى الأرض . عليك بطول الصمت إلا فى خير ، فإنه مطردة للشيطان عنك ، وعون لك على أمر دينك . وإياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتى ، أحب المساكين وجالسهم ، انظر إلى من تحتك ولاتنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لاتزدرى نعمة الله عندك ، صل قرابتك وإن قطعوك ، قل الحق وإن كان مراً ، لا تخف فى الله لومة لائم ليحجزك [1] عن الناس ما تعلم من نفسك ، ولاتجد عليهم فيما تأتى ، وكفى بالمرء عيبا أن يكون فيه ثلاث خصال : أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه ، ويستحيى لهم مما هو فيه ، وأن يؤذى جليسه . يا أبا ذر : لاعقل كالتدبير ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق » اه . ولها خمس مقامات : تقوى الكفر ، وهو مقام الإسلام . وتقوى الحرام : وهو مقام التوبة . وتقوى المباح : وهو مقام الزهد ، وتقوى حضور غير الله فى القلب : وهو مقام المشاهدة ، ورحم الله من قال :

---

(١) بفتح تحتية وضم جيم وكسرها . من حجزه كضربه ونصره : منعه اه .

مراتب التقوى لخمس قسمت   كفر حرام شبهة قد علمت
ثم مباح لحظ غير الله   فلا تكن من ذكره باللاهى
إسلامنا الأول ثم توبه   وورع زهد فشاهد قربه

والبواعث عليها عشرة : خوف العقاب الدنيوى ، والأخروى ، ورجاء الثواب الدنيوى والأخروى ، وخوف الحساب ، والحياء من نظر الله ، وهو مقام المراقبة ، والشكر على نعمه بطاعته ، والعلم لقوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة ، وصدق المحبة وحاصلها كما فى المرشد المعين :

وحاصل التقوى اجتناب وامتثال   فى ظاهر وباطن بذا تنال
فجاءت الأقسام حقا أربعه   وهى للسالك سبل المنفعه

وفى [جه] اعلم أن التقوى قد صعب مرامها وتناءت بعدا عن أن تمد بيد أحد خطامها واحتكامها ، وكلت الهمم دونها فلا يصل بيد أحد أماسها واحتكامها إلا الفرد الشاذ النادر لما طبعت عليه القلوب والنفوس من الإدبار عن الله وعن أمره بكل وجه واعتبار ، ووحلها فى رتع أحوال البشرية وحلا لا مطمع لها فى الانفكاك عنه ، وهذا حال أهل العصر وكل بلد من كل ما على الأرض إلا الشاذ النادر الذى عصمه الله تعالى ، وبسبب ما ذكرنا هاج بحر الأهوال والفتن وطمى بحر المصائب والمحن ، وغرق الناس فيه كل الغرق ، وصار العبد كلما سأل النجاة من مصيبة وعصم منها اكتنفته مصائب . وفى هذا قيل : سيأتى زمان تتراكم فيه بحور المحن والفتن فلا ينفع فيها إلا الدعاء كدعاء الغريق ، وليكن ملازمتكم الأمر المنجى لما ذكرنا أو مطفئ لأكثر نيرانه وهو كثرة الاستغفار ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر لا إله إلا الله مجردا ، وذكر لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، وقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، فإنه بقدر الإكثار من الأذكار تتناءى عن العبد كثرة المصائب وشرور الأوزار ، وبقدر تقليله منها يقل بعده عن المصائب والشرور ، وليكن لكل واحد منكم قدر من هذه الأذكار على قدر الطاقة اه (ولا تتعاونوا) أى لا يعن بعضكم بعضا (على فعل سوءة) بفتح مهملة : الفاحشة وكل خصلة ذميمة قال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان - قال بعضهم : « وتعاونوا على البر والتقوى » هو طاعة الأكابر من السادات والمشايخ ، ولا تضيعوا حظوظكم منهم ومن معاونتهم خدمتهم ، ولا تعاونوا على الإثم » وهو الاشتغال بالدنيا « والعدوان » موافقة النفس على هواها ومرادها اه ورد « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » وفى [جص] « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وفى رواية : ثم شبك بين أصابعه » وفيه « المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله » قال العزيزى : فيه تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد فى غير إثم ولا مكروه . وفيه « المؤمن منفعة إن ماشيته نفعك ، وإن شاورته نفعك . وإن شاركته نفعك ، وكل شئ من أمره منفعة » أى كل شؤونه وأحواله منفعة لإخوانه المؤمنين . وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن سبب تسليط العالم بعض على بعض فقال رضى الله عنه : سبب ذلك ما فى الأسماء الإلهية من التضاد وطلب كل اسم ظهور أهل حضرته وتنفيذ أحكامه فيهم ، فكل اسم يستعين بالمشارك له من الأسماء فلذلك خرج الخلق على صورة الأسماء الإلهية ، فمنهم المعان ومنهم المعين ، ولما كان الأمر فى الوجود واقعا هكذا

أمر عباده بالتعاون على البر والتقوى حتى يكون مافطروا عليه من هذا الوجه عبادة عن أمر إلهى لابتلك الحقيقة التى هم عليها، ونهاهم عن استعمال الحقيقة الأخرى التى هى التعاون على الإثم والعدوان فيعطلونها ولا يستعملونها فى شىء . قال الشيخ محيى الدين رضى الله عنه : ومما يخفى وجهه على غالب العلماء فضلا عن غيرهم تحريم إعانة الرجل أخاه على ظلم نفسه ، كما إذا ادعى إنسان عليك بشىء وهو كاذب فى دعواه عندك ولم يقم عليك بينة فيجب عليك حينئذ اليمين ، وليس لك أن تردها على المدعى ليحلف ويأخذ منك ذاك الشىء الذى ادعاه فإن رددت اليمين كنت معينا لأخيك على ظلم نفسه وعليك حينئذ إثم اليمين الفاجرة كما عليه للآخر كذلك فأنت الذى جعلته يحلف بردك اليمين عليه ، ولو كنت حلفت لأحرزت نفس صاحبك أن يتصرف فيما ظلمك فيه وقمت بواجب نصحه وإعانته على البر والتقوى، ثم لا يزال الإثم على المدعى مادام يتصرف فى ذلك المال ، ولا يزال الإثم على المدعى عليه كذلك من حيث أنه أعان أخاه على الظلم ومن حيث عصى أمر الله بترك اليمين ، فإنها كانت واجبة عليه، فلو كان حلف لفعل ما أوجب الله عليه وكان مأجورا وخلص صاحبه من التصرف بالظلم فى مال الغير فكان له أجر ذلك ، فلم يبق حينئذ على المدعى لو حلف المدعى عليه إلا إثم يمينه خاصة وهى يمين الغموس، وهذه مسألة لطيفة فى الشرع لا ينظر فيها بهذا النظر إلا من استبرأ لدينه ، فقلت له فهل على الحاكم إذا حلفه إثم فى اليمين المردودة ؟ فقال رضى الله عنه : إذا أدى اجتهاده إلى ذلك فلا إثم ، والله تعالى أعلم انتهى . قال رحمه الله :

(تَهَادَوْا تَحَابُّوا بَيْنَكُمْ دُونَ كُلْفَةٍ ... وَأَعْطُوا لِمُحْتَاجٍ وَلَوْ شِقَّ تَمْرَةِ)

(تهادوا) بفتح الدال من التهادى وهو التفاعل من الجانبين (تحابوا) بضم موحدة مشددة من التحابب وفى نسخة تحابوا بفتح موحدة مخففة من التحابى وهو المسامحة فى العطاء (بينكم) أى يحب بعضكم بعضا (دون كلفة) أى من غير تكلف لحديث « أنا وأتقياء أمتى برآء من التكلف » وفى [عف] عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة ، يضىء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس لأهل الدنيا . فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين فى الله عز وجل ، فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس لأهل الدنيا ، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل » انظره . وفى [جص] « تهادوا تحابوا وتصافحوا يذهب الغل عنكم » وفيه « تهادوا تزدادوا حبا » وفيه « تهادوا فإن الهدية تضعف الحب وتذهب بغوائل الصدر » وغوائله أحقاده وضغائنه وفيه « تهادوا الطعام بينكم فإن ذلك توسعة لأرزاقكم » وفيه « استعينوا على الرزق بالصدقة » وفيه « ماتحاب اثنان فى الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه » وفيه « ماتحاب رجلان فى الله تعالى إلا وضع الله لهما كرسيا فأجلسا عليه حتى يفرغ الله من الحساب » قال العزيزى : وعلامة الحب فى الله أن يحب كل للآخر مايحب لنفسه فمن لا يحب لأخيه مايحب لنفسه فأخوته ومحبته نفاق اهـ . وهذا ميزان يطيش على الدر، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » وفى [جه] وسئل يوما رضى الله عنه عن سبب عدم قبول الهدايا

مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ؟ قال : كانت الهدية هدية واليوم صارت رشوة فإن الناس إذا أهدى أحدهم شيئا لغيره أو قضى له حاجة لم يمكث إلا قليلا ثم يرجع إليه فى طلب بعض أغراضه، ولا يهدى فى الغالب إلا لذوى الجاه دينى أو دنيوى ، ومن لم يكن له جاه لايهدى له أبدا كما هو مشاهد من حال الناس فى زماننا ، ولا يعطون شيئا بقصد المحبة والمودة والإخاء فى الدين وإنما يعطون لتحصيل أغراضهم الفاسدة كما قدمناه حتى صارت ولائمهم من هذا المعنى الفاسد ، ولهذا تحرز سيدنا رضى الله عنه من مقاصد العامة لفسادها ولا يخالطهم على ماهم فيه من كثرة التخليط ، وفيه : وكان قبل هذا الوقت لا يأخذ من يد أحد ألبتة حتى وقع له الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يرد على أحد شيئا أصلا اه . وفى البخارى قال عمر بن عبد العزيز : كانت الهدية فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ، واليوم رشوة . ورحم الله من قال :

توق وحاذر من قبول هدية ... وإن جاء نافيها الحديث المرغب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث ... تحذرنا منها وعنها ترغب
فكانت هدايات الأوائل قبلنا ... تؤلف فيما بينهم وتحبب
فعادت بلايا يسرع المن نحوها ... تفرق فيما بيننا وتجنب

قال تعالى - وتلك نعمة تمنها على - وقال - لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - والله يبغض الرجل المنان . وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن قبول هدايا الناس الذين يعتقدون فىّ ، أهل أردها أم أقبلها وأعطيها لمستحقها ؟ فقال : السلامة فى هذا الزمان رد ذلك لغلبة الحرام والشبهات فى المكاسب ومن تعب فى تحصيل شىء فهو أحق بتفرقته ، ثم قال : يا أخى سمعت سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : كل لقمة نزلت فى جوف الفقير من غير كسبه الشرعى أخذت من عبوديته جانبا واسترقت منه خيراً لذلك المحسن قهرا عليه ، وإن كان لابد من الأكل من طعام الناس فكاف كل من أكلت عنده حتى ترى أنه استوفى حقه فى العادة ولو بالدعاء له فى أوقات الإجابة وغيرها ، والله تعالى أعلم ؛ وسألته رضى الله عنه مرة أخرى عن قول بعضهم : إن الفقير إذا عرف الله لا يؤثر فيه الأكل من طعام الناس نقصا ؟ فقال رضى الله عنه : اعلم أن المدد الذى لم يزل فياضا على قلب كل إنسان يتلون بحسب القلب ، والقلب يتلون بحسب إصلاح الطعمة وفسادها ، ثم قال : إن الله تعالى ينطق على لسان عبده بحسب مضغته فإن كان قلبه مطهرا من سائر الرذائل نطق بالكلام النفيس الذى يشبه الوحى ، وإن كان ملطخا بشىء من القاذورات نطق بما يشبه كلام الشياطين اه : وفى [جد] أوصانى شيخى رضى الله عنه أن لا أبدأ أحدا بهدية إلا إن كانت على سبيل تطييب خاطره لجناية سبقت منى عليه أو غير ذلك ، فقلت له لم ؟ فقال رضى الله عنه : لأنك تعرضه بالهدية لكلفة المكافأة ، فقلت له فإن كان يكافئ بالدعاء ؟ قال رضى الله عنه : مثل هذا يهدى إليه لأن وليه الله وهو تعالى يكافئ عنه ، والله أعلم اه . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نقبل لأنفسنا هدية أو صدقة من أحد ، ونحن نعلم أن فى بلدنا من هو أحوج إلى ذلك منا : وكذلك لا نقبل هدية ممن ترك جاره الأقرب أوقريبه وخصنا بالعطاء مع بعد دارنا عنه وعدم قرابتنا له إلا إن كنا أفقر من ذلك الجار أو ذلك القريب فلا نقبل من أحد شيئا إلا وقت الضرورة الشديدة ، وكذلك لا نقبل قط شيئا من أحد إلا بنية نفع ذلك الرجل بالثواب الأخروى لا بنية نفع أنفسنا ، وهذه العهود الثلاثة لا يقدر على العمل بها إلا من صح له مقام الزهد

فى الدنيا وكان دينه أعز عليه من دنياه والله غنى حميد . وفيه : أخذ علينا العهود أن نقدم فى التودد والزيارة والهدية وغيرها من يكرهنا ويحط علينا دون من يحبنا ويزورنا فنؤخره بعده ، لأن فى ذلك من رياضة النفس مالا يخفى وبه تخف كراهة من يكرهنا ويحط علينا ولو على طول فنستريح نحن من شره ويستريح هو من الإثم بوقوعه فى عرضنا ، وأما من يحبنا فلا يحتاج إلى مداراة لما عنده من ثبوت الود فالحمد لله رب العالمين اهـ . وفيه : أخذ علينا العهود إذا قضينا لمكروب حاجة أو حملنا عنه بلية أن لا نقبل منه فى نظير ذلك هدية ولو من حلال ، فإن ذلك حرام بنص الشريعة وبيع الدين بالدنيا ، وذلك أن الشفاعة عليك واجبة إن تعينت عليك ، وفعل الواجب لا يجوز أخذ العوض الدنيوى عليه ، وهذا العهد يقع فى خيانته كثير من أهل عصرنا هذا فإياك يا أخى ثم إياك ، وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول من شفع شفاعة فأهدى له هدية على ذلك فقبلها فقد أتى بابا من الكبائر اهـ . ثم إن كان ولا بد لنا من الترخص فى قبول الهدية وردها صاحبها ولم يأخذها قبلناها على اسم غيرنا من الفقراء والمساكين لا على اسم أحد من أولادنا وعيالنا ، وذلك لأن الصدقة تدفع البلاء عن صاحبها وأجر من يحمل الحملة على الله عز وجل فاعلم ذلك اهـ . وروى « إذا أقرض أحدكم أخاه قرضا فأهدى إليه طبقا فلا يحمله أو حمله على دابته فلا يركبها إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك » اهـ وق » [جمع] سئل سيدنا رضى الله عنه عن أخذ جوائز الملوك ، فأجاب رضى الله عنه : قال على كرم الله وجهه : السلطان يجمع حراما وحلالا فما أعطاك فخذه ، وأجمعت العلماء على أن أعطية الخليفة جائزة وأما نوابه الذين تحته فلا ، لكون الخليفة أجمعت عليه الناس فله التصرف فى أموالهم وأما غيره فهو ظالم . ويؤيد هذا حكاية مالك رضى الله عنه حين أعطاه السلطان ثلاثة آلاف دينار فأجاب حين سئل : إن السلطان لو أنصف وأعطى لذوى المروءة حقهم لكان لى مثل هذه مرتين ، لأنه من أكبر ذوى المروءات رضى الله عنه . وسئل مالك مرة أخرى عن الجوائز فقال : لا تجوز قيل له رأيناك تأخذها أنت قال أتريد أن تبوأ بإثمى وإثمك . وأما قبول أولياء الله للظلمة فإنه أمر متواتر وهو من معاملة خلق الله بالرحمة اهـ . وسئل أبو عبد الله الكنسوسى رضى الله عنه وعنا به آمين عن جائزة السلطان وصلته هل يحل أخذها أم لا ؟ فأجاب رضى الله عنه وعنا به آمين بما نصه : الحمد لله ذكر القرطبى صاحب التذكرة بأحوال الآخرة فى كتابه [قمع الحرص بالزهد والقناعة] ما نصه : روينا أن الإمام أبا عمرو بن عبد البر رضى الله عنه بلغه وهو بشاطبة أن أقواما عابوه بأكل طعام السلطان وقبول جوائزه فقال :

قل لمن ينكر أكلى لطعام الأمراء
أنت من جهلك هذا فى محل السفهاء

لأن الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين ملاك الدين ، فقد كان زيد بن ثابت رضى الله عنه وكان من الراسخين فى العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد ، وكان ابن عمر مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبى عبيد ويأكل طعامه ويقبل جوائزه ، وقال عبد الله بن مسعود وقد ملئ علما لرجل سأله فقال : إن لى جارا يعمل بالربى ولا يجتنب فى مكسبه الحرام يدعونى إلى طعامه أفأجيبه ؟ فقال نعم لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشىء بعينه حراما . وقال عثمان رضى الله عنه لما سئل عن جوائز السلطان : لحم ظبى ذكى . وكان الشعبى وهو من أكبر التابعين يعلم أولاد عبد الملك بن مروان ويقبل جوائزه ويأكل طعامه . وكان إبراهيم النخعى وسائر

علماء الكوفة والحسن البصرى مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة ماعدا سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان والأمراء ، وكان سفيان الثورى مع فضله وورعه يقول جوائز السلطان والأمراء أحب إلىّ من صلة الإخوان ، لأن الإخوان يمنون ، والأمراء لايمنون ، ومثل هذا عن فضلاء العلماء كثير قد جمع الناس فيه أبوابا . ولأحمد بن خالد فقيه الأندلس وعالمها كتاب حمله على وضعه طعن أهل بلده عليه فى قبوله جوائز الأمير عبد الرحمن الناصر ، ولا أعلم من علماء التابعين أحدا تورع عن جوائز السلطان إلا سعيد بن المسيب بالمدينة وابن سيرين بالبصرة ، وسلك سبيلهما فى ذلك الإمام أحمد رضى الله عنه وأهل الزهد والورع والتقشف رحمة الله عليهم أجمعين . والزهد فى الدنيا من أفضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله وزهده فيها أن يحرم ما أباح الله سبحانه ، والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات ويستحلون المحرمات كالذين سألوا عبدالله ابن عمر عن المحرم يقتل القراد ، فقال للسائل ممن أنتم ؟ فقالوا من أهل الكوفة فقال تسألون عن قتل القراد وأنتم قتلتم الحسين بن على رضى الله عنهما ، وهذا مبنى على ماتقدم من قول عبد الله بن مسعود لك المهنأ وعليه المأثم يعنى لك حق فى بيت المال ، والمسئول عن التخليط فيه هو السلطان بناء على أن الحرام لا يتعلق بذمتين ، وهى مسألة أصولية فيها خلاف معلوم ، ومحل ذلك كله مالم تعلم الحرام بعينه وإلا فلا يحل أخذه بحال ، هذا كله مالم يكن بيت المال ليس فيه إلا الحرام وإلا فلا يحل الأخذ منه إلا إذا بلغ الإنسان من الضرورة إلى المحل الذى يبيح له أكل الميتة ، فيكون النظر حينئذ فيما يقدم المضطر هل الميتة أوذلك الحرام ؟ والله يعاملنا جميعا بفضله ورحمته والسلام اهـ.

ومن خطه رضى الله عنه وعنا به آمين نقلت وعلى الخبير فى هذه القضية سقطت ولب اللباب فى هذا الجواب قوله رضى الله عنه وعنا به آمين : ومحل ذلك كله مالم تعلم الحرام بعينه وإلا فلا يحل أخذه بحال ، وهذا كله مالم يكن بيت المال ليس فيه إلا الحرام وإلا فلا يحل الأخذ منه الخ والإنسان على نفسه بصيرة وكل واحد أدرى بقوسه وأعلم بما يأتى وما يذر والخرقاء لا تعدم علة - ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير - واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا. آمين . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه الرضى الأبدى :

حمدا لمن يهدى إلى الصواب	ويلهم الرشاد للمتاب
ثم صلاته على محمد	والآل والصحب وكل مهتد
فهاك لب لباب الجواب	لمحض فضل الملك الوهاب
سميته تبصرة الإخوان	فى هبة العمال والسلطان
ياربنا بالصادق المصدوق	أسلك بنا مسالك التحقيق
نعم الجواب حبذا الصوّب	مانقل ابن أحمد الأواب
عن الإمام القرطبى فى التذكره	فيالها تذكرة للآخره
لب جوابه لدى الأعلام	ما لم يكن فيه سوى الحرام
أولم يك الشىء بعينه حرام	وإن يكن فاحذر وخف من الملام
إذ لا يحل الأخذ من محرم	إلا لمضطر لأكل الرمم
سيدنا عثمان قد أفتى بما	رأى ببيت مال وقته اعلما

فكل ما فيه من الحلال ... من مال أهل الكفر والضلال
أو ليس مماواً إذاً بالغصب ... والنهب والمكس وكل ريب
فقال إنه كلحم ظبي ... يباح أكله لكل حي
ككل من ذكر فى الجواب ... من الأئمة بلا ارتياب
فكلهم أفتى بما قد حققا ... فى بيت مال وقته فحققا
أما زماننا فبيت ماله ... من الحرام المحض دعه وانتهى
مافيه إلا درهم من غصب ... أو درهم من مكس أو من نهب
وذاك معلوم بلا خلاف ... لكنما الأهواء فى اختلاف
لو أدرك ابن ثابت وابن عمر ... كذا ابن مسعود وعثمان الأغر
والحسن البصرى والشعبى ... والعالم الكوفى والبصرى
والعالم المكى والطيبى ... والعالم الشرقى والغربى
زماننا فى قرن رابع عشر ... حارت به ألباب من قد اعتبر
من علماء الدين والإسلام ... لكثرة الفتن والآثام
فإنه صعب عظيم النكر ... لا سيما فيه ولاة الأمر
قد صارت الأحرار أسوا الأرقا ... ذكرا أو أنثى لشر يتقى
قد استبيح فيه مال الناس ... بالظلم والقهر وسوط الباس
وبدلت أحكام دين الله ... بحكم أهل الكفر والملاهى
فحكم من بدل فى الإسلام ... شيئا من الحدود والأحكام
يعلى على الألسن فى العقود ... ومن ومن ومن بلا تفنيد
نعوذ بالله من الكفران ... والظلم والفسق ومن خسران
لقال كل بيت مال ذا الزمان ... من الحرام المحض من غير توان
وقال بيت مال هذا الوقت ... كلحم خنزير فدع للمقت
وحرموا الأخذ لكل متق ... إلا لمضطر لسد رمق
وقل بهذا القول صاح أبدا ... من شا فليؤمن ومن شاء ألحدا
لكنما الأهواء أعمت الهدى، ... وقادت الناس جميعا للردى
كم فاضل وعالم وصالح ... قادت به الأهوا لأمر فاضح
فيستحل أخذ مال الناس ... مع علمه به بلا التباس
ويستبيحه بسيف القهر ... ممن له ولاية للأمر
فصار عنده كشهد النحل ... يزعم أنه أحل الحل
يعده كرامة من ربه ... مع أنه من سخطه ومقته
وأنه من أعظم العنايه ... مع أنه من أقبح الخيانه
وأنه من جملة السعاده ... مع أنه من أخبث الشقاوه

وربما اختاره للتعبد ... فبئسما (1) اصطفاه للتهجد
أوحبسا لما بنى على شفا ... من ربط (2) أو من زوايا قد عفا
أليس من غصب شبر الأرض ... يحمله فى العنق يوم العرض
أليس وارث وموهوب له ... كغاصب للعلم فاحذرنه
ومن يطيق حمل سبع الأرضين ... فى عنقه يوم حساب العالمين
نعوذ بالله من الضلال ... وكل ما يجر للنكال
وتب إلى الله برد كل ما ... أخذت من مال العباد ظلما
أليس من يغلل غدا يأتى بما ... غل بدون مرية واندما
ولاتقل إن فلانا أخذا ... من الأمير ماله قد نفذا
وربما له من الأعذار ... ما ليس يبديه ذوو الأبصار
فتلك أمة لها ما كسبت ... كما عليها يا أخى ما اكتسبت
وانظر إلى الحديث والقرآن ... واعمل بما فى ذين من برهان
هما أساس الدين والإيمان ... وما سواهما من البهتان
ودع فلانا وفلانا وفلان ... لاسيما لاسيما فى ما الزمان
تراكمت فيه بحور من فتن ... كما تلاطم به موج المحن
كل يميل فيه مع هواه ... بالرأى معجب ولو أرداه
ومؤثر لنفس مع دنياه ... على سواه وعلى أخراه
إذ لايحل أخذ مال الناس ... إلا بطيب النفس بالقسطاس
وليس تنفيذ من السلطان ... يحل مال الناس يا إخوانى
من قال لا إله إلا الله ... ماله معصوم فقل أواه
قد بين الحلال فى القرآن ... وفى حديث المصطفى العدنان
أما لنا الأسوة بالتجانى ... فى دار مرات بلا توان
أما أبى السكنى بها تحرجا ... حتى أزاله النبى حرجا
مع أن عدل وقته اشتراها ... بالإرث من موروثه حواها
ومع ذاك يتصدق بما ... ل له بال حذرا تأثما
تالله ما استكتب للسلطان ... ولا لعماله فى البلدان
يعطونه من مال خلق الله ... كلا وحاش ومعاذ الله
فتلك من شيم من لشيخنا ... أوقد تصلح ليجنى الوسخا
هلا سلكت مسلك التجانى ... نعم الإمام العارف الربانى
هلا نبذت سبل الشيطان ... فإنها توقع فى النيران
ولاتقل سمعت من فلان ... جميع مانفذ من سلطان
ومن ولاة الأمر خذه باليدين ... فإنه من الحلال دون مين
لأنهم مستغرقون للذمم ... بالغصب والنهب لأموال الأمم

---

(1) وبئسما قد اصطفى لمسجد
(2) ربط بضمتين: جمع رباط اه

لم يملكوا شيئا من الأموال ... ما عندهم فهو لبيت المال
فتلك زلة بدت من عالم ... وزلة غدت لهذا العالم
وإنها قويلة لا ترتضى ... عند جميع من أتى ومن مضى
أيحسب الإنسان ألا يسئلا ... أو كان يترك سدى وهملا
كلا غداً يسئل عما قد جنى ... من كل ما أسره أو أعلنا
أليست الذمة وصفا قاما ... بقبل الإلتزام والإلزاما
لو ألزم الإنسان أو التزما ... بالشرع مافوق الثرى لزما
وقولهم إنه ذو استغراق ... أى لا يعامل على الإطلاق
فى كل عقدة على التحقيق ... لفقد ما يعطى من الحقوق
وكل ما استهلك من أموال ... تبقى بذمته للفصال
يعطيهم يومئذ من حسنات ... أو يتحمل عليهم سيئات
أو الكريم عنه يرضى الخصما ... لأنه أرحم كل الرحما
وقل لهما نفذوا من الحلال ... خذه وإلا فاحذرن من الوبال
تالله ما عندهم من الحلال ... قيمة إبرة إياك والجدال
وكل ما بيدهم فى الوقت ... من الحرام المحض دع للمقت
لاسيما ماقد بقى بعينها ... من مال خلق الله لا تمسها
لاسيما ما كان لليتامى ... أو الأيامى فاحذرن آثاما
وماتشا عن مال خلق الله ... فإنه لهم بلا اشتباه
وقد أتى عن النبى ذى الصدق ... ليس لعرق ظالم من حق
ولا تكن إمعة الأقوام ... وقل بما ترى من الأفهام
فالحق يؤخذ من الصغير ... إن بان منه ومن الحقير
وذاك من خواص أمة النبى ... عليه والآل صلاة الرب
لكن زماننا أخى كما ترى ... بالظلم والجور فقد ولى ورا
واستحكمت فيه النفوس والهوى ... بشهوات البطن والفرج سوا
وبطواجن مزعفرات ... وبدوا جبن محمرات
وبالمذهبات والمزوقات ... وبالمفضضات والمرقشات
فكل ذا حقا من المكدرات ... يوم القيامة من المسعرات
يارب فارحمنا جميعا بالرضى ... واغفر لنا ولجميع من مضى
يارب بالصديق والفاروق ... نج جميعنا من الحريق
آمين آمين ختام الحق ... جعله على لسان الخلق اه

وللشيخ فتح بن على الدمياطى فى قصيدته اللامية رضى الله عنه :

أيها العالم إياك الزلل ... واحذر الهفوة فالخطب[1] جلل

(١) جلل بضم جيم وفتح لام جمع جلى: كربى، الأمر العظيم اه.

هفوة العالم مستعظمة إن هفا أصبح فى الخلق مثل[1]
وعلى زلته عمدتهم فبها يحتج من أخطا وزل
لاتقل يستر علمى زلتى بل بها يحصل فى العلم الخلل
إن تكن عنده مستحقره فهى عند الله والناس جبل
ليس من يتبعه العالم فى كل ما دق من الأمر وجل
مثل من يدفع عنه جهله إن أتى فاحشة قيل جهل
انظر الأنجم مهما سقطت من رآها وهى تهوى لم يبل
فإذا الشمس بدت كاسفة وجل[2] الخلق لها كل الوجل
وترامت نحوها أبصارهم فى انزعاج واضطراب وزجل
وسرى النقص لهم من نقصها فغدت مظلمة منها السبل
وكذا العالم فى زلته يفتن العالم طرا ويضل
يقتدى منه بما فيه هفا لا بما استعصم فيه واستقل
فهو ملح الأرض مايصلحه إن بدا فيه فساد أو خلل ؟ اه

وذكر فى [خل] أن العالم يجب عليه التستر أكثر من غيره لأن شره ومعصيته ومخالفته وبدعته إن ابتلى بشىء من ذلك يتعدى إلى غيره كما أن خيره كذلك متعد . وفى الحديث : «من ابتلى منكم من هذه القاذورات بشىء فليستتر بستر الله » الحديث . وفى كتاب [الأنوار] «ويلكم يامعاشر علماء السوء الجهلة بربهم ، جلستم على باب الجنة تدعون الناس إلى النار بأعمالكم ، فلا أنتم دخلتم الجنة بفضل أعمالكم ولا أنتم أدخلتم الناس بها بصالح أعمالكم ، قطعتم الطريق على المريد وصددتم الجاهل عن الحق فما ظنكم غدا عند ربكم إذا ذهب الباطل بأهله وقرب الحق واتباعه انتهى . ورحم الله من قال :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزكى بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور
أبنى إن من الرجال بهيمة فى صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة فى ماله فإذا أصيب بدينه لم يشعر[3]

فى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لانبادر للاعتراض على من يقبل من الظلمة مايعطونه من الدراهم والأطعمة والثياب وغيرها إذا كان فى ذلك شبهة ، بل نصبر حتى ننظر لماذا يصرفها وفيم يصرفها فقد يصرفها إلى من يستحقها من العميان والأرامل وأرباب الديون والعيال ، ومامن درهم ولا لقمة ولا خرقة من الشبهات إلا وفى الوجود من يستحق صرفها إليه ، وصاحب النور كالبناء يعرف مكان كل طوبة ويرزق الله الخلق بعضهم من بعض ، وكان على هذا القدم سيدى على الخواص أواخر عمره ، ثم قال : وكان سيدى محمد بن عراق ينكر على من يفعله ذلك ، ويقول : إن فيه شغل اللمم ، والسلامة مقدمة على الغنيمة .

قلت : وهو الذى نميل إليه والله أعلم اه [لطيفة] أخبرنى من أثق به أنه كان يقرأ العلم بفاس صانها

---

(١) جمع مثلة كغرفة . (٢) أى خاف اه .
(٣) وتمامها : فسل اللبيب تكن لبيبا مثله من يسعى فى علم باب يظفر

الله من كل باس ، وقد كان من أفقر الطلبة وأضعفهم ، فإذا سلطان الوقت أرسل للعلماء والطلبة رضى الله عنهم صلة عظيمة وجائزة جسيمة فنابه من بينهم نحو نصف ريال ، فاشترى رطل لحم ورطل سكر توسعة فلما نام رأى كأنه دخل كنيفا فأخذ يغتسل بالعذرة ، فانتبه مرعوبا فاستعاذ بالله مما رأى ، ثم نام فرأى أيضا كأنه يشرح الآجرومية فلما وصل وهى أخوك الخ عجز عن تفسير أخيك مع وضوح معناه ، فسمع قائلا يقول له تريد أن تفعل أفعال الرجال ولا تريد أن تعمل عملهم ، فلما انتبه تاب إلى الله وفرق مابقى عنده . وأخبرنى أيضا أنه يريد معاملة بعض ولاة الوقت بيعا وشراء فاستخار الله فرأى كأنه دخل بيت الكنيف فوجده مملوءا بعذرة وبول ممزوجين فأخذ عودا يحركهما به - إنا لله وإنا إليه راجعون - سبحان من جعل الأقذار المعنوية كالأقذار الحسية . وعن ابن عمر لايبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ماحاك فى الصدر . وروى « دع مايريبك إلى مالا يريبك » واستفت قلبك وإن أفتاك المفتون ، ودع كل مايعتذر منه ، واستعن بالله واحرص على نفعك فإنه خير معين جواد كريم رؤف رحيم ، وكن حذيفى [١] وقتك وقل لاأسئلهم دنيا ولا أستفتيهم دينا - ربنا اغفرلنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين (وأعطوا المحتاج) أى لكل أخ فى الله محتاج ماوجد وتيسر ولا تتكلف مافقد وتعسر (ولو) كان الشىء المعطى (شق) بكسر معجمة نصف الشىء (تمرة) وفى [حص] « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » وفيه « إن الله تعالى يدخل الجنة بلقمة الخبز وقبصة [٢] التمر » ومثله « مما ينفع المسكين ثلاثة : صاحب البيت الآمر به ، والزوجة المصلحة ، والخادم الذى يناول المسكين » وفى رواية « الحمد لله الذى لم ينس خدمنا » أى من الثواب ، وفيه « إذا أتاكم السائل فضعوا فى يده ولو ظلفا محرقا » وفيه « ردوا مذمة السائل ولو برأس الذباب » وفى رواية « برأس الدجاج » ورحم الله من قال :

السائلون عيال الله والما	ل لله فابذله فيهم خاب من لأما
فجد على ثقة بالله من خلف	ياويح من كان للرحمن متهما
واحذر من الرد إن الله يمقته	من غير عذر وشؤم الشح قد علما

وفيه « أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكينا من جوع أودفع عنه مغرما أو كشف عنه كربا » وفيه « من أطعم مسلما جائعا أطعمه الله من ثمار الجنة » وفى رواية « ومن كسى مؤمنا عاريا كساه الله من خضر الجنة وإستبرقها » وفيه « من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار » وروى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اهتم بجوعة أخيه المسلم فأطعمه حتى يشبع وسقاه حتى يروى ، غفر الله له » وفيه « هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه » أى فينبغى لمن وقف السائل على بابه أن يقبل هدية الله ويكرمه بما تيسر عنده ولو بقول حسن ، قال تعالى - قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى - وأن يتحمل جفوته وإلحاحه وأذاه قال تعالى - وأما السائل فلا تنهر - وفيه « إذا رددت على السائل ثلاثا فلم يذهب ، فلا بأس أن تزجره » أى لاحرج عليك أن تزجره وتنهره لتعديه إلى مالا يحل ، لكن الصبر واحتمال أذاه أفضل وأجمل قال تعالى - واصبر وما صبرك إلا بالله .

---

(١) قوله حذيفى : نسبة لسيدنا حذيفة رضى الله عنه اهـ .

(٢) قبصة : أى مايؤخذ بالأنامل بفتح القاف وضمها وبصاد مهملة .

[لطيفة] حكى أن رجلا جلس يأكل مع زوجته وبين يديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه ونهره فاتفق أن ذلك الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل ، فجلس يوما يأكل معها وبين يديهما دجاجة وإذا بسائل يطرق الباب فقال لزوجته ادفعى له هذه الدجاجة فخرجت بها إليه فإذا هو زوجها الأول ، فدفعت إليه الدجاجة ورجعت تبكى ، فقال لها مالك ؟ فقالت له إن السائل هو زوجها الأول ، وذكرت له قصته مع السائل الذى انتهره فقال لها أنا ذلك السائل اه ، وأنه تعالى هو أغنى وأقنى ـ كل يوم هو فى شأن ـ لا يسئل عما يفعل ـ سبحانه وتعالى إنه حكيم عليم ، وفيه « إذا دخل عليكم السائل بغير إذن فلا تطعموه » ، وفيه لاتطعموا المساكين مما لا تأكلون » قال تعالى ـ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ـ الآية ، وقال ـ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ـ ولذا كان ابن عمر رضى الله عنهما يتصدق بألف قنطار من السكر فى العام ، فسئل عن ذلك فقال إنى أحبه والله يقول ـ لن تنالوا البر ـ الآية ، وفيه « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين :

وفى [جه] وأعط لله بقدر اتساع مالك وقدر مصروفك على أهلك ونوائبك وعلى قدر ما يدخل يدك من التجارة والأسباب فى كل وقت ، ومن كان عنده خمسون قنطارا من المعهود عندكم وكان كثير الأهل والعيال وصرف فى كل يوم مثقالا أجزأه ولم يطالب بحقوق المال فى شىء ، فإن زاد وأعطى كل يوم مثقالين فقد أكثر العطاء ، وإن زاد على مثقالين كل يوم فقد خرج إلى التبذير ، وهذا فى غير سائل أتاك جائعا يطلب خبزة أوخبزتين يأكلهما من واحد إلى اثنين إلى ثلاثة فلا سبيل لردهم وإن زاد على ذلك ، فلا حرج عليك فيما تمنعه من الإعطاء وإن جاءك مايزيد على هذا فقل لهم يفتح الله علينا وعليكم ، فإن ذكر لك وجه الله تعالى ووجه رسوله صلى الله عليه وسلم فأعطه من أوقية إلى أوقيتين ولا عليك فيما وراء ذلك ، فاحفظ هذا القدر واعتن بتحصين مالك من التلف فإن مالك به يصان إيمانك بالله تعالى فإن أتلفته أتلفت إيمانك بالله تعالى : ثم قال : وإن للشيطان لعنه الله مكرا خفيا بصاحب المال تقيا مقيما لأمر ربه فيما يقدر ، عليه كافا كثيرا من شره ، منغمسا فى كثير من أمور التقوى . ويراه فى ذلك مطمئنا بماله لاينزعج فيأتيه اللعين بمكره الخفى ويسوق الناس إليه لطلب العطاء لله ، ويخوفه فى قلبه من منعهلم ، يقول له فى قلبه إن رددت هؤلاء سخط الله عليك أو سلبك نعمته ، ولا يزال يستدرجه فى مثل هذا وقصده أن يفرق عنه المال ليذهب دينه وإيمانه ، فلا يزال كذلك إن لم يكف عنه حتى يفرق جميع ماله فإذا فرقه وقع التشويش فى قلبه فيريد أن ينفق نفقته التى كان ينفقها فى سعة اتساع المال فلا يجد السبيل إليها فيقع التشويش والترويع له من أهله طلبا لما اعتادوه من اتساع النفقة : فإن لم يأت بها آل الأمر بينه وبين أهله إلى اتساع السخط والغضب والعدواة فيكثر عليه الضيق والغيظ فلا يجد فيه وقتا يذكر فيه ربه ولا يؤدى فيه أمرا من طاعة ربه ، وربما ضاع عليه فرض الصلاة فيحمله ذلك على أخذ الدين من الناس وإتلافه فى النفقة ، فعن قريب يحل به الوبال والويل من عدم وجوده ما يقضى به دين الناس ويصبح فى زمرة الهالكين : فقد تلف دينه وعقله ودنياه وآخرته فهذا مراد الشيطان منه فيما كان يرغب فيه من الإعطاء لله وعدم المنع واحذر هذا المكر اه .

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نرد قط سائلا محتاجا إلا إن سألنا شيئا نحن محتاجون إليه لنفسنا أولمن تلزمنا مؤنته سيما إن صار حالنا بعد إعطائه له كحاله هو فى الحاجة قال تعالى ـ ولا تجعل يدك

مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا - وقد باع الخضر عليه السلام نفسه فى حاجة سائل سأله بالله عز وجل أن يعطيه شيئا يتبلغ به، أنظره . وفيه : أخذ علينا العهود إذا مررنا على شريف أو شريفة على قوارع الطريق يسألان الناس أن ندفع لهما مانقدر عليه من الدراهم أو الطعام أو الثياب أو نعرض عليهم الإقامة عندنا لنقوم لهم بالكفاية الشرعية حيث استطعنا ذلك ، ويقبح على من يدعى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمر على أولاده وهم على قوارع الطرق يسألون الناس فلا يعطيهم شيئا، والله غفور رحيم اه . وفيه : ولا ينبغى لنا أن نتعلل فى منعنا لما طلبوه بقولنا حتى يثبت شرفهم فإن إعطاء نالمن لم يثبت شرفه ربما كان أوجه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : هذا كله إذا لم يقسم الشريف علينا بجده صلى الله عليه وسلم ، وكذلك إذا قال أعطونى نصفا لأجل جدى أو رغيفا أو فلسا فيشتد علينا إكرامه، أنظره. وفيه: أخذ علينا العهود أن لاندع أحدا من إخواننا ينكر على أحد من الفقراء الطوافين على الأبواب والدكاكين يسئلون الناس ولو ألحوا عليهم لأن الفقراء ربما يريدون أن يحملوا عنهم أنواعا من البلاء ويطفؤا عنهم بحارا من الخطايا ، وفى الحديث « هدية الله للمؤمن وقوف السائل على بابه » وكان محمدبن الحسين رضى الله عنه إذا رأى سائلا على بابه يتبسم فى وجهه ويقول له مرحبا بمن يحمل زادنا إلى الآخرة بغير أجرة ، وكذلك لانمكن أصحابنا من قولهم هؤلاء قادرون على الكسب فيحرم عليهم السؤال ، لأن ذلك حجة فى البخل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى السائل وإن كان غنيا ويقول : « للسائل حق وإن جاء على فرس » وربما كان هذا السائل ممن لم يقسم الله عز وجل له حرفة فى دار الدنيا غير السؤال لله تعالى أو لعباده انظره وفى [غص] وسألته رضى الله عنه هل أتكرم وأوثر أهل القلة أم أتأدب مع الله تعالى الذى أفقرهم ؟ فقال الأدب أرجح عندى فإنه ما أفقر غنيا إلا لحكمة أراد إظهارها ، فلا تجهل فإن كل مافى الوجود بمرأى من الله تعالى ومسمع فاصحبه تعالى بالأدب معه ومع مصنوعاته بماهى عليه فى تلك الحالة التى شهدتها ، ولا تطلب نقلها عن تلك الحالة بغير إذن صريح منه وربما خالفت الآداب وطلبت أن تغنى من أفقره الله فيحول تعالى ذلك الحال إليك وينقلك عما تحبه وترضاه إلى مالا تحبه ولا ترضاه كما طلبت أن تنقل ذلك العبد عما أحبه الله ورضيه ، ثم إن عفا عنك ولم يعاقبك فقد يكون ذلك العفو استدراجا من حيث لاتشعر فتهلك مع الهالكين اه . قال رحمه الله :

(دَعُوا الغِلَّ بينكم وَكُلَّ ضَغِينَةٍ ... ولا تُهْمِلوا حَقَّ الإِخاءِ بِضَيعةٍ
فمَنْ ضَيَّعَ الحُقُوقَ يُبلى بِضَيعةٍ ... وَذاكَ امتحانٌ من إلاهِ البَرِيةِ
لِذلكَ حُفَّتْ جَنةٌ بالمكارِهِ ... كما حُفَّتِ الجَحِيمُ أَيضاً بشَهوةِ)

(دعوا) أمر من ودعه تركه (الغل) بكسر معجمة كالحقد والضغن وزنا ومعنى ، وبضمها مايوضع فى العنق قال تعالى - إذ الأغلال فى أعناقهم - وفى الحديث « إنما النساء أغلال فلينظر العاقل أى غل يضع فى عنقه ويستعين الله على حمله » وفى [جص] « الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب » قال تعالى - ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - وفى [عف] قال أبو حفص : كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره ، فإن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطباع ، بل كحلت بنور التوفيق

فصارت إخوانا فهكذا قلوب أهل التقوى والمجتمعين على الكلمة الواحدة ، ومن التزم بشروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق ، والناس رجلان رجل طالب ماعند الله تعالى ويدعو إلى ما عندالله نفسه وغيره فما للمحق الصوفى مع هذا منافسة ومراءوغل فإن هذا معه فى طريق واحد ووجهة واحدة وأخوه ومعينه والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ورجل مفتتن بشىء من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما لصوفى مع هذا منافسة لأنه زهد فيما فيه رغب فمن شأن الصوفى أن ينظر إلى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجو بامفتتنا فلا ينطوى له على غل ولايماريه فى الظاهر على شىء لعلمه بظهور نفسه الأمارة بالسوء فى المراء والمجادلة ، أنظره . وفى [جع] وأوصيكم بطهارة القلب من الحقد على المسلمين فإن من تخلق به لايفلح ، وأوصيكم بالبعد عن سوء الظن بالله وبعباد الله فقد قال صلى الله عليه وسلم « خصلتان ليس فوقهما شىء من الشر : سوء الظن بالله وسوءالظن بعباد الله » اه ولعنترة الجاهلى :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الحسد

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم - وفى [غص] وسمعته يقول : عليكم بتطهير قلوبكم من الغل والحقد والحرص ونحو ذلك فإن الملك لا يرضى أن يسكن بجواركم وأنتم على هذا الحال فكيف بالحق تعالى ياداود طهرلى بيتا أسكنه انظره .

[فائدة] اعلم أن من فوائد وثمرات صيام ثلاثة أيام من كل شهر أنها تزيل من قلب من صامها الحقد والغش وسوء الظن و غيرها من الكبائر الباطنة ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يهدى من يشاء إلى إلى صراط مستقيم (بينكم) وبين إخوانكم المؤمنين (وكل ضغينة) كسفينة الحقد. وفى [جص] «تعافوا تسقط الضغائن بينكم» وفيه « تساقطوا الضغائن» قال الحفنى : أى تعاطوا أسباب محوها وإزالتها كالصفح والتخلق بالأخلاق الحسنة اه . وفيه «تهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة ولود عيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلىّ كراع لقبلت » والسخيمة كالضغينة وزنا ومعنى ، وكراع كغراب ذراع الشاة . وفيه تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر، ولاتحقرن جارة لجارتها ولوشق فرسن شاة» وفرسن بكسر أوله وثالثه كزبرج قطعة لحم بين ظلفى الشاة ؛ وينبغى لمن وجد فى قلبه ضغينة على مسلم أن يضع يده اليمنى على قلبه ويمسحه ، ويقول : باسم الله ألهم دَاونى بدوائك ، واشفنى بشفائك ، وأغننى بعطائك عمن سواك وأحذر عنى أذاك ثلاثا أو سبعا وإن زاد - إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز - فحسن . وفى [حى] ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى. قال بعض الحكماء : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقد إلا وحشة منه ، ومن فى قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله ، ومن نعت أمته صلى الله عليه وسلم كما فى التوراة أنه لايحل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفى قلبه سخيمة على أخيه المسلم ، انظره : وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول صلى الله عليه وسلم أن لانحسد أحدا من خلق الله ولانتمنى له زوال ما أعطاه الله تعالى له من علم أوجاه أو كثرة اعتقاد فيه أو نحو ذلك من الأمور الدينية أو الدنيوية هروبا من رائحة الاعتراض على الله تعالى وخوفا من مقتنا وطردنا ولعننا كما وقع لإبليس ، فإن جميع ماوقع له كان أصله الحسد لآدم عليه السلام ، كما صرحت به الآيات والأخبار ،

انظره . وقيل : الحاسد لاينال من المجالس إلامذمة وذلاولاينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا، ولاينال من الخلق إلاجزعاوغماً ولاينال عند النزع إلاشدة وهو لا ولاينال عند الموقف إلافضيحة وهوانا. وعن سيدنا زكريا على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه قال : قال الله سبحانه وتعالى : « الحاسد عدو لنعمتى مسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمتها بين عبادى » ورحم الله من قال :

ألا قل لمن بات لى حاسدا	أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعله	إذ أنت لم ترض لى ما وهب
فجازاك منه بأن زادنى	وسد عليك وجوه الطلب

ومن قال :

دع الحسود وما يلقاه من كمده	كفاك منه لهيب النار فى كبده
وإن لمت ذا حسد نفست كربته	وإن سكت فقد عذبته بيده

(ولا تهملوا) من الإهمال وهو الترك وعدم الاستعمال حق (الإخاء) بكسر الهمزة مصدر آخاه مؤاخاة وإخاء اتخاه أخا (بضيعة) من ضاع يضيع هلك وتلف (فمن ضيع) من التضييع الحقوق أى حقوق إخوانه الواجبة عليه (يبلى) أى يمتحن ويفتتن (بضيعة) جزاء وفاقا إذ الجزاء إنمايكون من جنس العمل : اللهم إنانسألك العفو والعافية والسلامة بمحض فضلك ورضاك آمين. وفى [عف] قال أبو عبد الله : لاتضيع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة والصداقة فإن الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقا لم يضيعها إلا من لم يراع حقوق الله عليه : ومن حقوق الصحبة أنه إذا وقع فرقة ومباينة لا يذكر أخاه إلا بخير اه. وفيه : فآداب الصحبة وحقوق الأخوة كثيرة، ثم قال : وحاصل الجميع أن العبد ينبغى له أن يكون لمولاه ويريد كل مايريد لمولاه لا لنفسه ، وإذا صاحب شخصا تكون صحبته إياه لله تعالى يجتهد له فى كل شيء يزيده عند الله زلفى ، وكل من قام بحقوق الله تعالى يرزقه الله تعالى علما بمعرفه النفس وعيوبها ويعرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب ، ويوفقه من أداء الحقوق على بصيرة ويفقهه فى ذلك كله ولا يفوته شيء مما يحتاج إليه فيما يرجع إلى حقوق الحق وفيما يرجع إلى حقوق الخلق فكل تقصير يوجد من خبث النفس وعدم تزكيتها وإبقاء صفاتها عليه فإن حجبت ظلمت بالإفراط تارة وبالتفريط أخرى وتعدت الواجب فيما يرجع إلى الحق والخلق والحكايات والمواعظ والآدب وسماعها لا يعمل فى النفس زيادة تأثير ويكون كبئر يقلب فيه الماء من فوق فلا يمكث فيه ولا ينتفع به وإذا أخذت بالتقوى وزهدت فى الدنيا نبع منها ماء الحياة وتفقهت وعلمت وأدت الحقوق وقامت بواجب الآداب بتوفيق الله سبحانه اه اللهم ملكنا أنفسنا ولا تكلنا إليها طرفة عين واغمسنا فى فضلك ورضاك آمين .
وفى [جع] وإياكم ثم إياكم أن يهمل أحدكم حقوق إخوانه مما هو جلب مودة أودفع مضرة أو إعانة على كربة فإن من ابتلى بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الألهية، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه اه . وفى [جه] وأما رحمه الدينى فإنه من أعظم الناس مواصلة له وأكثرهم برورا وإحسانا لأهل جانبه يواسى إخوانه وأصحابه وكل من له معرفة فى الله بأنواع المواساة ويحسن إليهم فيطعم جائعهم ويشمل ضائعهم ويكسو عاريهم ويرفد فقراءهم ويعين ضعفاءهم ، إذهو رضى الله عنه أشد اهتماما بأهل الأخوة الدينية يتألم لمصابهم أكثر مما يتألم لذوى نسبه ورحمه أعظم الناس عنده قربا أكثرهم فى الله حبا فيقرب الإنسان عنده من ذلك ولو كان من أبعد الأجانب ويبعد عنده البعيد

ولو كان من أقرب الأقارب تجده يستعظم حقوقهم ، ويرى أن القيام بها غير مستطاع سمعته غير ما مرة يقول : من ابتلى بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الإلهية ، نسأل الله السلامة والعافية من هذه البلية العظيمة التى عمت بها البلوى فى حال المدعين للأخوة فى هذا الزمان الرذيل اهـ - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - وفيه : استدراك ماذكرناه من مراعاة حقوق الإخوان فليكن ذلك من غير حرج ولا ثقل ولا كلفة بل بما تيسر وأمكن فى الوقت إلا أن يكون فى بعض العوارض يخاف من أخيه العداوة والقطيعة وإفساد القلب فليسرع لإصلاح قلبه فإن ذلك يستجلب الرضا من الله تعالى اهـ . وفيه : وعليكم بصلة الرحم من كل مايطيب القلب ويوجب المحبة ولو بتفقد الحال والقاء السلام ، وتجنبوا معاداة الأرحام وعقوق الوالدين وكل ما يوجب الضغينة فى قلوب الأشياخ اهـ - رب اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب - رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا - آمين وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نعلم كل من رأيناه فى بلاء فى هذا الزمان طريق الخلاص منه لاسيما أهل القرى من الفلاحين لغلبة الجهل عليهم - ومن أعظم طريق إلى دفع البلاء النازل على الناس فى حارة أو قرية أو زاوية مصالحة بعضهم بعضا حتى لايبقى بينهم شحناء ولاعداوة ، ثم التعطف على بعضهم بالبر والإكرام والهدايا ، فإذا حصل الائتلاف والمحبة ارتفع البلاء عنهم كالبرق الخاطف ، ثم قال : وذلك أن البلاء لاينزل قط على قوم وهم على قلب رجل واحد أبدا ، ولوقدر أن البلاء نزل يمكث بين السماء والأرض حتى يقع بينهم عداوة وتقاطع فينزل حينئذ : وقد قال شخص مرة لسيدى على الخواص : ياسيدى ما بقى قلب مع قلب فى هذا الزمان فما سبب ذلك ؟ فقال الشيخ سببه ذلك عدم برهم لبعضهم لأن الحسنة هى التى تربط القلوب بعضها مع بعض . وقال هذا الأمر قد أيسنا من وقوعه مابقيت الدنيا ، ثم قال : وانظر يا أخى إلى صاحبك وجارك الغنى كيف يمكث السنة والسنتين وأكثر لا تنظر منه قط لقمة ولا خرقة ولاحسنة من حسنات الدنيا إلى أن يموت ، وإن وقع ذلك من جار أو صاحب فهو من غلطات الزمان ، وقد صار الأمر روايات وأخبارا كأنه قط لم يكن فى الوجود : وقد سمعت سيدى عليا الخواص قبل موته بنحو ثلاثة أيام يقول : قد صار الخلق الآن كالسمك الذى كان فى بركة [1] ماء فنشف [2] عنه الماء فصارت الحدادى [3] والكلاب تفسخه بالنهار والثعالب والذئاب بالليل ومابقى يرجى عود الماء ليغمس فيه الذى هو كناية عن الرحمة ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اهـ : اللهم أغرقنا فى دائرة فضلك وإحسانك وجودك وكرمك وامتنانك ، وفى بحر محبتك ورضوانك وفى وسع رحمتك ، يا أرحم الراحمين ارحمنا وياعفو اعف عنا - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - آمين (وذاك امتحان) أى ابتلاء وافتتان قال تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - وقال - ليبلوكم أيكم أحسن عملا - (من إله البرية) سبحانه وتعالى لا يسئل عما يفعل - فعال لما يريد - يخلق مايشاء ويختار - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناهم لايفتنون - الآية - ليميز الله الخبيث من الطيب - الآية (لذلك) أى لأجل هذا الابتلاء والامتحان (حفت) أى أحدقت وأحيطت (جنة) رزقنا الله والمسلمين من أعلاها أو فرحظ ونصيب بمحض الفضل والتحبيب بجاه النبى الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفى [جص] ه الجنة بناؤها

---

(١) قوله بركة بكسر موحدة كسدرة : مجمع الماء اهـ . (٢) قوله فنشف بكسر معجمة : كيبس وزنا ومعنى اهـ .
(٣) الحداد كسحاب الحدية اهـ .

لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها [1] المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » أنظره (بالمكاره) جمع مكرهة كمقعدة وتضم الراء المشاق التكليفية (كما حفت الجحيم) وهى النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق بعض أجارنا الله والمسلمين منها آمين ، ولها أسماء سبعة بحسب طبقاتها ودركاتها وهى : جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية ؛ ورحم الله من قال :

جهنم لظى ثم الحطيم وبعدها ... سعير وكل الويل ياصاح فى سقر

ومن بعدها تأتى الجحيم بزفرة ... وهاوية تهوى وذا القول مختصر

وسكنت ميم جهنم للوزن . وفى [حى] قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب ، لا ينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله » وقال على كرم الله وجهه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعوّذوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن قيل يارسول الله وماوادى أوجب الحزن ؟ قال واد فى جهنم تتعوّذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين » فهذه سعة جهنم والشعاب أوديتها وهى بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها، وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التى بها يعصى العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ، فانظر الآن فى عمق الهاوية فإنه لاحد لعمقها كما لاحد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهى أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهى هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها . قال أبو هريره « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ماهذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها » انظره . وفى [جص] « أدنى أهل النار عذابا ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه » وفيه « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » انتهى . والشهوات : كل ما يستلذ به مما منعه وحرمه الشرع . والمكاره ما أمر به المكلف من مجاهدة النفس فعلا وتركا كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولا وفعلا وأطلق عليه مكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها ، ومن جملتها الصبر على المصيبة والتسليم لأمر الله فيها ، وهذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وبديع بلاغته فى ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشقت عليها فكأنه قال لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكاره ، ولا إلى النار إلا بتعاطى الشهوات وهما محجوبتان فمن خرق الحجاب دخل ، انظر العزيزى . وعن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين لما سئل عن هذا الحديث الشريف : اعلم أن الله تبارك وتعالى من محض فضله وجوده وكرمه يغفر من الذنوب العظام بالكرب والشدائد والمصائب مالا يغفره بكثرة الأعمال الصالحات حتى يتمنى العبد يوم القيمة أنه لم يصف له وقت من الأوقات ، فإن الله إذا عرض على العبد أعماله فى صحيفته يقرأ ما فيها من الذنوب فإذا وجد فى صحيفته كربا ألم به يقول الله له سبحانه وتعالى بهذا الكرب غفرنا لك ماتقدمه من ذنوبك وأعطيناك عليه كذا وكذا من الثواب إلى آخر صحيفته ، حتى يتمنى أنه ماصفاله

---

(١) قوله ملاطها، ككتاب: الطين اه .

وقت من الدنيا وهذا مظهر الحديث فى قوله صلى الله عليه وسلم «عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» أصحاب الكروب والشدائد وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم «حفت الجنة» الحديث، انظر [جه] وفى [جص] ليودن أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم قرضت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء » انتهى (أيضا بشهوة) وهى كل ماتستلذه النفس الأمارة بالسوء من كل ممنوع شرعا كما مر . قال رحمه الله :

(وَفِرُّوا مِنَ الدَّعْوَى وَلَا تَنتَمُوا لَهَا　　　وَقُولُوا عُبَيْدُ اللهِ أَدْنَى البَرِيَّةِ)

(وفروا) كل الفرار (من) قرب ساحة (الدعوى) للصلاح والفلاح فمن زعم أنه تقى أو صالح أو أنه أفضل من غيره فهو شيطان مريد وطريد عن رحمة الله المجيد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى - وقال - ولو لا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء وفى [جد] سألت أخى أفضل الدين رضى الله عنه عن تزكية الإنسان نفسه هل ذلك يدخل فى شهادة الزور بجهله بعاقبة أمره أم لا ؟ فقال رضى الله عنه : تزكية الإنسان لنفسه سم قاتل مطفىء لنور علمه ومعرفته وفتح لباب طرده عن حضرة ربه وعدم انتفاع الناس بعلمه ومعرفته، وربما يجعله الله تعالى ضررا صرفا لانفع فيه كما وقع لإبليس وهى من باب شهادة الزور الذى هو الميل ، لأنها قول مال بصاحبه عن طريق السعداء إلى طريق الأشقياء ، فقلت له فإن وقعت من إنسان تزكية نفسه لغرض صحيح ؟ فقال رضى الله عنه : لا بأس إذن فقد زكت الملائكة نفسها - ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك - وقال عيسى عليه السلام - إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت - وقال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » فإن الملائكة إنما مدحت نفسها لبيان شرف آدم عليه السلام فكان إعلامهم بشرفهم ثم سجودهم له أعلى فى كمال آدم من سجودهم له مع جهل الحاضرين بمقام الساجدين، وكذلك عيسى إنما قال ذلك محض عبودية وإظهاراً لنعم سيده ، كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ما قال « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » إلا ليعلم خواص أمته بأنه أول شافع يوم القيامة حتى يأتوه أولا ويستريحوا من طول الوقوف ومن إتيانهم إلى نبى بعدنبى فطلب بتلك التزكية تقريب الطريق عليهم فما ذهب إلى غيره إلا من لم يبلغه هذا الحديث فى دار الدنيا ، ثم قال وكذلك الحكم فى تزكية العلماء والعارفين نفوسهم عند تلامذتهم إنما يقصدون بذلك ضمهم إليهم وعدم تفرقهم فيضيع حالهم وتطول الطريق عليهم لاسيما إن كانوا محقين فى ذلك ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لانقر النفس قط على دعواها العلم والمعرفة فوق جميع أقرانها. وفى قصة موسى والخضر عليهما السلام كفاية لكل معتبر، وقد وقع للحسن البصرى رضى الله عنه أنه قال يوما لأهل مجلسه وكان فيه خمسمائة محبرة تكتب عنه : لا تسألونى عن علم نزل من السماء إلا أخبرتكم به فقام له شاب نحيف البدن يتوكأ على عصاه فقال : قد سمعت قولك آنفا ولكن ياسيدى هل للناموسة فى بطنها مصران والاكرش ؟ فادرى الحسن ما يقول فحمل مغشيا عليه فمات بعد ثلاثة أيام رحمه الله تعالى . ووقع للشيخ محيى الدين بن العربى أنه ركب البحر فهاجت ريح شديدة فقال : اسكن يابحر فإن عليك بحرا من بحار العلم ، فسكن البحر بمجرد قوله ، ثم إنه طلعت له هائشة فقالت : يامحيى الدين أسألك عن مسألة واحدة فإن أجبت عنها فأنت بحر العلم ، وإن لم تجب عنها فأنت جاهل لا ينبغى لك دعوى العلم ، فقال

لها وما هي ؟ فقالت إذا مسخ الله عز وجل زوج امرأة هل تعتد عدة الأحياء أم عدة الأموات ؟ فادرى الشيخ محيي الدين ما يقول ، فقالت له العائشة تعماني شيخة لك وأنا أقول لك عليها ، فقال نعم ، فقالت إن مسخ حيوانا اعتدت عدة الأحياء وإن مسخ جمادا اعتدت عدة الأموات ، فمن ذلك اليوم ماسمع من الشيخ محيي الدين دعوى العلم حتى مات ، أنظره (ولا تنتموا) أى لا تنتسبوا (لها) أى إلى الدعوى بحال من الأحوال إذ لا خير فيها ولا فيمن حل بساحتها ، وفى الحديث « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور » وذلك كمن يلبس ثياب الزهد ويظهر من التخشع والتزهد أكثر مما عنده فى قلبه ، ورحم الله من قال :

من تحلى بغير ما هو فيه ... فضحته شواهد الامتحان

ومن قال : كل امرئ راجع يوما لشيمته ... وإن تخلق أخلاقا إلى حين

وفى [جه] ويتبرأ من الدعوى أتم براءة ويتنصل منها غاية التنصل لا يقبل من أحد فعل ذلك ، وإذا حكى شيئا صدر عنه من محاسن الأعمال أو أشار إلى بعض ماله من سنى [1] الأحوال لغرض من الأغراض أسنده إلى مجهول فيقول وقع لبعض الناس أو لرجل كذا وكذا ولا يسمى نفسه بما نلتقى بمن حضر معه فى بعض تلك القضايا فيخبرنا بأنه هو فاعلها فصرنا نعلم ذلك من حاله ولا يحب من ينسب إليه شيئا ولا من يصرح له بسر من الأسرار ولا من يمدحه وإذا واجهه أحد يوما بثناء عليه لم يسامحه إلا إن كان غائبا أوغرا بمدارك الأمور ، ويشدد النكير فى دعوى الفقر وما يشار إليه ويقول إلى الآن ما حصلت لنا التوبة ولا الإيمان الكامل أو كلا ما هذا معناه تنبيها للسامعين وإرشادا للتابعين ، والتعليم بالفعل أبلغ نصحا وأتم نجحا فجزاه الله عنا خيرا وزاده منة وبرا ، وقد نجح والحمد لله ذلك وسرى للأصحاب ما هناك لا يحبون الدعوى ولا من يشتغل بها لما يعلمون من حاله ويسمعون من مقاله ويرون من فراره منها يقول : إن عقوبتها الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى يزجر السامعين بهذا الكلام ، وإنه لحقيق بمن ادعا بماليس فيه أن يجازى بسوء الخاتمة ونسأل الله السلامة والعافيه من هذه البلية العظيمة ، ويحب الخمول ولا يحب الظهور ولا يتعاطاه اه . وفى الحكم : أدفن وجودك فى أرض الخمول فانبت مما لم يدفن لايتم نتاجه اه. وعن بعضهم : ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح ، وعنه أيضا لايجد حلاوة الآخرة من أحب أن يعرفه الناس ، ورحم الله من قال :

عش خامل الذكر بين الناس وارض به ... فذاك أسلم فى الدنيا وفى الدين

من عاشر الناس لم تسلم ديانته ... ولم يزل بين تحريك وتسكين

(وقولوا) بألسنتكم وأفئدتكم نحن (عبيد) بفتح العين جمع عبد (الله) تعالى ونحن (أدنى) أى أحقر وأضعف (البرية) قدرا وعملا تواضعا لربكم وهضما لأنفسكم فإن من تواضع لله رفعه الله فى الدنيا والآخرة : وفى [جص] « تواضعوا وجالسو المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر » قال الحفنى إذ لا كبير إلا من كان كبيرا عندالله بالطاعة ؛ أما كبراء الدنيا العصاة فهم محتقرون عنده تعالى اه ورحم الله النابلسى إذ قال فى أغنياء الدنيا العصاة :

والنفض [2] القلب من غبار الترجى ... والتمنى لجاههم والعلاء

---

(١) سنى كغنى اه . (٢) قوله انفض بضم فاء من نفض كنصر اه .

إنما جاههم توهم عز في هوان وشهرة في خفاء
وعلاهم محض استفال وخفض واحتقار عند البصير الرائي

وقد قيل : نفس المؤمن عليلة وبعيبها مشغولة . وفي [جص] « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة فلم يعدل عنها إلى البدعة » ورحم الله من قال :

إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم ولا عيب إلا مثل ما فيك يذكر
وإن عبت قوما بالذي فيك مثله فكيف يعيب العور[1] من هو أعور

وفي [هب] عن ابن عتيق قال : رأيت الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن مفيد يوما وهو يمشي في يوم شات كثير المطر والطين ، فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان يمشي عليها ، قال : فرأيته قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز وحينئذ يمشي هو، فلما قرب منه الكلب رأيته قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشي فوقه . قال : فلما جاز الكلب وصلت إليه فوجدته عليه كآبة فقلت له : ياسيدي رأيتك الآن صنعت شيئا استغربته كيف رميت نفسك في الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي ؟ فقال لي : بعد أن عملت له طريقا تحقق تفكرت وقلت: ترفعت عن الكلب وجعلت نفسي أرفع منه، بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة لأني عصيت الله تعالى وأنا كثير الذنوب والكلب لاذنب له، فنزلت له من موضعي وتركته يمشي عليه، وأنا الآن أخاف المقت من الله إلا أن يعفو عني لأني رفعت نفسي على من هو خير مني اه . وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن نشهد مقامنا الحقيقي دائما كأنه دون مقام كل مؤمن عند الله تعالى ، فكأنه في التمثيل بالمحسوسات هو التراب الذي تطؤه الأقدام وتبول عليه الكلاب ولا نرفع نفوسنا عن الأرض ساعة من ليل أو نهار ، وذلك لأن الأرض أمنا التي خلقنا منها ولا ينبغي لعاقل أن يرى نفسه على أمه، ومن تحقق بهذا المقام لا يفارقه رضا الله عز وجل ولا رضا الخلق أبدا . ومن علامة تحقق العبد بهذا المقام أن لا يستبعد وقوعه فيما أضيف إليه من النقائص التي هي مفرقة في سائر الخلق ، وأنه إن لم يكن وقع فيها فربما يقع فيها في المستقبل أو يهم بها أو تخطر على باله لعدم العصمة ، ثم قال : ومن فوائد العمل بهذا العهد أن صاحبه إذا وقع لا ينكسر لأنه جالس على الأرض بخلاف من رفع نفسه فوقها فإنه ربما ينكسر إذا وقع بقدر مارفع نفسه فيادوام تكسير من رفع نفسه فوق جميع أقرانه، وكذلك من عمل بهذا العهد يأخذ الناس بيده إذا زلق ويتوجعون له بخلاف من رأى نفسه عليهم فلا يأخذون بيده بل يشمتون به . وكان من آخر وصية سيدي أحمد بن الرفاعي وهو في مرض الموت : كونوا ذنبا ولا تكونوا رأسا، فإن الضربة أول ما تقع في الرأس ، ثم أشار إلى نخلة وقال للحاضرين : انظروا إلى هذه النخلة لما قامت بصدرها جعل الله ثقل حملها عليها ولو حملت ماحملت لايساعدها أحد، بخلاف شجرة اليقطين لما مدت خدها على الأرض جعل الله ثقل حملها على غيرها ولو حملت ما حملت لاتحس به اه انظره . قال رحمه الله :

(وَلَا تَزْدَرُوا عَبْدًا عَلَى أَيِّ حَالَةٍ يَكُونُ عَلَيْهَا فَاشْغَلُوا بِخُوَيْصَةٍ)

(١) قوله العور بضم عين: جمع أعور اه .

(ولا تزدروا) من الازدراء وهو الاحتقار (عبدا) من عباد الله تعالى، قال تعالى - ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم إنى إذا لمن الظالمين - ومن وصايا النووى رضى الله عنه : إياك أن تحقر أحدا من إخوانك فإن العاقبة مجهولة والعبد لا يدرى بما يختم له، فإذا رأيت عاصيا فلا تعجب بنفسك عليه فربما كان فى علم الله أعلى منك مقاما وبصير يشفع فيك يوم القيامة ، وإذا رأيت صغيرا فاحكم بأنه خير منك باعتبار أنه أقل منك ذنوبا ، وإذا رأيت كبيرا فاحكم بأنه خير منك لتقدمه فى الإسلام ، ورحم الله الشريشى إذ قال فى رائيته المعلومة :

ولا ترين فى الأرض دونك مؤمنا ... ولا كافرا حتى تغيب فى القبر
فإن ختام الأمر عنك مغيب ... ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

قال الله تعالى - لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا - وقال - ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير - الآية - وما أدرى مايفعل بى ولا بكم - الآية . وفى [هب] عن الحاتمى رضى الله عنه : ومن آدابهم مع الله تعالى وقايل فاعله أن يعتقد الإنسان أن لله نظرات فى كل زمان إلى قلوب عباده يمنحهم فيها من معارفه ولطائفه ماشاء، فإذا فارق شخصا ساعة واحدة وأعرض عنه نفسا واحدا وهو جالس معه ثم عاد إليه فإنه يتهيأ للقائه بالخدمة والتعظيم لعل نظرة من نظراته حصلت له أغنته ، فإن كان الأمر كذلك يعنى فإن حصلت له نظرة من تلك النظرات فقد وفى معه الآدب ، وإن لم يكن الأمر كذلك يعنى بأن لم يحصل له شىء من تلك النظرات فقد تأدب مع الله تعالى حيث عامله بما تقتضيه المرتبة الإلاهية ، وهذا مقام عزيز قل أن ترى له ذائقا ، وكذلك أيضا إذا شاهدوا عاصيا فى حال عصيانه ثم زال عن تلك المعصية فإنهم لايعتقدون فيه الإصرار ويقولون لعله تاب فى سره ولعله ممن لاتضره المعصية لاعتناء البارى به فى عاقبة أمره، ومن نظر نفسه خيرا من أحد من غير أن يعرف مرتبة ذلك الآخر بالغاية لا بالوقت فهو جاهل بالله عز وجل مخدوع لاخير فيه ولو أعطى من المعارف ما أعطى اه . (ونقل) أن الإمام الباقر وصى ابنه رضى الله عنهما : بأن الله خبأ ثلاثة فى ثلاثة : سخطه فى معصيته، فلا تحقرن معصية فلعل سخطه فيها، ورضاه فى طاعته، فلا تحقرن طاعة، فلعل رضاه فيها ووليه فى خلقه ، فلا تحقرن أحدا فلعله ذلك الولى ، ورحم الله من قال :

فلا تحقرن شخصا من الناس عله ... ولى إلاه العالمين ولا ندرى
فذو القدر عند الله خاف عن الورى ... كما خفيت عن علمهم ليلة القدر

وفى [جه] عن المرسى رضى الله عنه : إن لله عبادا يظهرهم فى البداية ويسترهم فى النهاية ، وإن لله عبادا يسترهم فى البداية ويظهرهم فى النهاية ، وإن لله عبادا يسترهم عن العامة ويظهرهم للخاصة ، وإن لله عبادا ضن[1] بهم عن الخاصة والعامة فلا يظهر حقيقة مابينهم وبينه حتى للحفظة فن سواهم حتى يتوفى أرواحهم بيده فهم شهداء الملكوت الأعلى وهم أهل الصف الأيمن من العرش ، فهؤلاء خاصة الخاصة، جعلنا الله منهم جميعا بمنه وكرمه آمين اه . وفى [ثبق] أخذ علينا العهود ونرجوا من ربنا الوفاء أن نرى نفسنا دون كل جليس من المسلمين ولو بلغ ذلك المسلم فى النقص مابلغ ، فنرى نفسنا دونه، وكان على ذلك جمهور السلف الصالح رضى الله عنهم ه ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص

(١) أى بخل .

رحمه الله يقول : من شك من أصحاب الرعونات فى أن نفسه دون جليسه فليعرض على نفسه جميع زلاته التى وقع فيها طول عمره ويقابل بينها وبين ما يعلمه من نقائص ذلك الجليس فإنه يجد معاصيه أكثر بيقين غالبا لأن الشخص فى الغالب يعلم من نقائص نفسه أكثر مما يعلمه من نقائص غيره ، ومن كان أكثر معاص من جليسه فهو دونه بيقين فى المقام ، ثم لا يجوز للإنسان أن يقيس جليسه على نفسه فى كثرة المعاصى بالظن والتخمين : ثم قال فاشهد نفسك يا أخى دون جليسك المسلم لتصير من أهل التواضع ويرفعك الله فوق أقرانك ، وفى الحديث الصحيح « من تواضع لله رفعه الله » فإن رأيت نفسك فوق إخوانك صرت تحتهم وإن شهدتهم فوقك صرت فوقهم ، ولم يتعبدنا الحق تعالى بأن نرى نفوسنا فوق أحد من الخلق إلا من حيث الشكر فقط لا من حيث الزهو والعجب والكبر ، بل نهانا عن الكبر أشد النهى وقال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » يعنى على أخيه المسلم . وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نستبعد رحمة الله عز وجل على أحد من المسلمين فإنها وسعت كل شىء ، وربما يغفر الله لذلك العاصى ذنوب كل يوم بيومه فلا يمسى كل ليلة إلا مغفورا له ، ولولا ذلك لمحق الله العصاة بأسرهم اه . قال تعالى - ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة - الآية - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون - الآية (وعلى أى حالة) من الحالات (يكون عليها) إذ ربما تكون له فيها نية صالحة وإن كانت فى الظاهر مذمومة شرعا وطبعاً ولا سيما البهاليل والمجاذيب ولو تلبسوا بالمعاصى فى الظاهر فإنهم غرقى فى مشاهدة الباطن الظاهر سبحانه وتعالى فإن الازدراء يؤدى إلى الإنكار والانتقاد وليس ذلك بمحمود ولا سداد . وفى [جص] « ذروا العارفين المحدثين من أمتى لا تنزلوهم الجنة ولا النار حتى يكون الله هو الذى يقضى فيهم يوم القيامة » وفى العزيزى قال المناوى : ويظهر أن المراد بهم المجاذيب ونحوهم الذين يبدوا منهم ما ظاهره يخالف الشرع فلا نتعرض لهم بشىء ونسلم أمرهم إلى الله تعالى اه . ورحم الله من قال :

مجانين إلا أن سر جنونهم عزيز ، على أبوابهم يسجد العقل

وفى [عم] وحكى لى شيخ الإسلام المحدث الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمرى بمصر عن شيخ الإسلام صالح البلقينى أن والده الشيخ سراج الدين مر يوما بباب اللوق ، فوجد هناك زحمة فقال ما هذه الزحمة ؟ فقالوا له شخص من أولياء الله يبيع الحشيش ، فقال لو خرج الدجال حينئذ فى مصر لاعتقدوه من شدة جهلهم كيف يكون شخص حشاش من أولياء الله إنما هو من الحرافيش ثم ولى ، فسلب الشيخ جميع ما معه حتى الفاتحة فتنكرت عليه أحواله وصارت الفتاوى تأتى إليه فلا يعرف شيأ ونسى ما قاله فى حق الحشاش ، فمكث كذلك فى مدرسته بحارة بهاء الدين ثلاثة أيام فدخل عليه فقير فشكى إليه حاله فقال هذا من الحشاش الذى أنكرت عليه ، فإن الفقراء أجلسوه هناك يتوب الناس عن أكل الحشيش فلا يأخذها أحد من يده ويعود إلى أكلها أبدا حتى يموت ، فأرسل استغفر له يرد عليك حالك ، فأرسل له فمجرد ما أقبل الرسول أنشده الشيخ :

نحن الحرافيش لا نسكن عوالى الدور
ولا نرائى ولا نشهد شهادة زور
نقنع بخرقة ولقمة فى مسجد مهجور
من كان ذا الحال حاله ذنبه مغفور

فلو كنا عصاة ببيع الحشيش ماأقدرنا الله على سلب شيخ الإسلام ، ثم قال له : سلم على شيخ الإسلام وقل له اعمل أربعة خرفان معاليف شواء وأربعمائة رغيف وتعال اجلس عندى كل من بعته قطعة حشيش زن له رطلا وأعطه رغيفا ، فشق ذلك على شيخ الإسلام فمازال به أصحابه حتى فعل ذلك وصار يزن لكل واحد الرطل ويعطيه الرغيف والشيخ يتبسم ويقول : نحن نحليهم فى الباطن وأنت تحليهم فى الظاهر إلى أن فرغ الخرفان ، ثم قال له : إذهب إلى الديك الذى فوق سطح مدرستك فاذبحه وكل قلبه يرد عليك علمك ، فبالله عليك كيف تنكر على المسلمين بعلم حمله الديك فى قلبه فمن ذلك اليوم ما أنكر الشيخ البلقينى[1] على أحد من أرباب الأحوال . ثم قال : (وحكى) الشيخ نور الدين الشونى أن شخصا فى قنطرة الموصكى كان مكاريا يحمل النساء من بنات الخطا وكان الناس يسبونه ويصفونه بالتعريص ، وكان من أولياء الله تعالى لايركب امرأة قط من بنات الخطا وتعود إلى الزنى أبدا ، فقال الشيخ نور الدين له بم وصلت إلى هذه المنزلة ؟ فقال باحتمال الأذى ، ثم قال : وسمعته يعنى سيدى عليا الخواص يقول : إن الله تعالى أعطى أرباب الأحوال فى هذه الدار التقديم والتأخير والولاية والعزل والقهر والتحكم على الله تعالى الذى هو الإدلال عليه ونفوذ الأمر فى كل ماأرادوه من الأمور ، فإياكم والإنكار على أحد إلا بعد التوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحفظكم من ذلك الرجل والإفر بما مقتكم فهلكتم : وسمعت سيدى عبد القادر الدشطوطى يقول : أرباب الأحوال مع الله كحالهم قبل خلق الخلق ، وإزال الشرائع اهـ ، انظره .

وفى [هب] إن الولى الكبير إنما يظهر للناس بعصى وهو ليس بعاص وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت فى صورتها ، فإذا أخذت فى المعصية فليست بمعصية لأنها إذا كانت حراما مثلا فإنها بمجرد جعلها فى فيها ترميها إلى حيث شاءت ، وسبب هذه المعصية الظاهرية شقاوة الحاضرين والعياذ بالله تعالى ، فإذا رأيت الولى الكبير ظهرت عليه كرامة فاشهد للحاضرين بأن الله تعالى أرادبهم الخير ، أو معصية فاشهد بشقاوتهم ، وكما أن أرواحهم هى التى تتولى كراماتهم كذلك هى التى تتولى معاصيهم الظاهرة. وفيه : إن الولى الكامل يتلون على قلوب القاصدين ونياتهم فمن صفت نيته رآه فى عين الكمال وظهر له الخوارق ومايسره ، ومن خبثت نيته كان على الضد من ذلك ، وفى الحقيقة ما ظهر لكل واحد إلا ما فى باطنه من حسن وقبح ، والولى بمنزلة المرآة التى تتجلى فيها الصور الحسنة والصور القبيحة ، فمن ظهر له من ولى كمال ودلالة على الله ، فليحمد الله تبارك وتعالى ، ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على نفسه ، ثم قال : إن الولى إنما يعتبر من القاصدين إليه باطنهم ، وأما ظاهرهم فلا عبرة به عنده ، والقاصدون على أربعة أقسام : قسم يستوى ظاهره وباطنه فى الاعتقاد ، وهذا أسعدهم ، وقسم يستوى ظاهره وباطنه فى الانتقاد وهذا أبعدهم ، وقسم ظاهره معتقد وباطنه منتقد ، وهذا أضر الأقسام على الولى ، كالمنافق بالنسبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه إذا نظر إلى ظاهره ويريد نفعه منعه الباطن وإذا أراد البعد منه حيث ينظر إلى باطنه أطمعه ظاهره ، ثم قال : إن الولى الكامل غائب فى مشاهدة الحق سبحانه وتعالى لايحجب عنه طرفة عين ، وظاهره مع الخلق فيستعمل الحق سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب ماسبق لهم فى القسمة ، فمن قسم له منه رحمة أطلق عليه ذلك الظاهر ، وأنطقه بالعلوم وأظهر له ما لا يكيف

---

(١) بضم موحدة وكسرها : مدينة بمصر .

من الخيرات ، ومن أراد به سوءاً ولم يقسم له على يده شيئا أمسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف .
قال رضى الله عنه : وما مثلت الولى مع القاصدين إلا كحجر بنى إسرائيل فإذا كان بين يدى أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وإذا كان بين أعدائه لاتخرج منه ولا قطرة واحدة . وفيه : وسمعته رضى الله عنه يقول : لاينبغى أن ينظر إلى ظاهر الولى ويوزن عليه ، فيخسر الوازن دنيا وأخرى ، فإن فى باطن الولى العجائب والغرائب ، وما مثاله إلا كخنشة صوف فى وسطها خنشة حرير لاتظهر إلا فى الآخرة ، وغير الولى بالعكس خنشة حرير فى وسطها خنشة صوف والعياذ بالله ، انتهى .

وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن أرباب الأحوال الذين يظهر عنهم الخوارق مع عدم صلاتهم وصومهم ، كيف حالهم ؟ فقال : ليس أحد من أولياء الله له عقل التكليف إلا وهو يصلى ويصوم ويقف على الحدود ، ولكن هؤلاء لهم أماكن مخصوصة يصلون فيها كجامع رملة لد ، وبيت المقدس ، وجبل (ق) وسد اسكندرية : وغيرها من الأماكن المشرفة أو التى انكسر خاطرها بين البقاع بقلة عبادة ربها فيها فأرادوا جبر خاطرها ، وإكرامها بالصلاة ، ثم قال : وكان سيدى إبراهيم المتبولى يصلى الظهر دائما فى الجامع الأبيض برملة لد ، فكان علماء حارته ينكرون عليه ، ويقولون لأى شىء لاتصلى الظهر أبدا مع كونه فرضا عليك كغيره من الصلوات الخمس ، فيسكت ، والله تعالى أعلم انتهى .

وفى [غم] وحكى الشيخ محمد الطنيخى عن إمام جامع سماقود أن شخصا كان ينام فى المحراب بثياب دلسة فكان كلما أراد أن يقف فى المحراب يجده نائما فيه فسماه عجل المحراب . فجاء الإمام يوما فغمزه برجله فى جنبه فقام وعيناه كالدم الأحمر فسك الإمام ودفعه فى المحراب فوجد نفسه فى أرض قفراء وعرة فتجرحت رجلاه من المشى فقطع عمامته ولف منها على رجليه ، فلما تعب تراءت له شجرة فقصدها فإذا عندها عين ماء وإذا بأثر أقدام توضأت وذهبت ، فتبع الآثار فوجد جماعة كثيرة فى عطفة جبل ، وإذا بالرجل الذى كان ينام فى المحراب هو شيخ الجماعة وعليه ثياب نظيفة فالتفت إلى أصحابه وقال : هل رآنى أحد منكم يوما وأنا عجل بقر ؟ فقالوا : لا ، فقال قولوا لهذا ، فقال الإمام أستغفر الله وتاب ، فأشار الشيخ إلى واحد من الجماعة يدفعه إلى جامع سماقود فقام ودفعه فوجد نفسه خارجا من حائط المحراب والناس ينتظرونه فى صلاة العصر فأخبرهم بالقصة ، وأن تلك الأرض القفراء سفر سنة كاملة عن مصر ، انظره (فاشغلوا) النفس الأمارة بالسوء عن القيل والقال والتكلم فى أصحاب الأحوال بطاعة الكبير المتعال و (بخويصة) بتشديد الصاد تصغير خاصة أى وبخاصة أنفسكم قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - الآية ، وعن سفيان الثورى رحمه الله أنه كان يقول : هذا زمان عليك فيه بخويصة نفسك ودع العامة .

وفى [خل] (فصل) فى كيفية النظر إلى المسلمين بعين التعظيم والاحترام ورؤية الفضل لهم عليه : ينبغى للمكلف أن ينظر إلى إخوانه المسلمين بهذا النظر الحسن ، فإذا نظر إليهم بذلك وجدهم على طبقات ثلاث فى كل طبقة منها سلوكه إلى ربه عز وجل ؛ أما الطبقة الأولى . فإنه إذا نظر إلى من هو أكبر منه سنا أو أعلم أو أكثر عبادة وانقطاعا لربه عز وجل علم أن له فضيلة عليه بسبقه للإسلام أو ما خصه الله تعالى به من الخصال الحميدة فى الشرع الشريف وعلم تقصيره فى نفسه فيحترمه ويعظمه ويرى فضله عليه وسبقه . الطبقة الثانية : أن يرى من هو مثله فينبغى له أن ينظره بعين التعظيم ، لأنه قد

يكون سالما من الذنوب أو تكون له ذنوب لكنه بالنسبة إلى الرائى أقل ، إذ الإنسان يعرف ذنوبه على الحقيقة ولا يعرف ذنوب غيره ، ولعله إذا اطلع على ذنب لغيره لم يكن له سوى ما أطلع عليه ، وإذا كان كذلك فينبغى أن ينظره بعين التعظيم والتفضيل له على نفسه . الطبقة الثالثة : أن يرى من هو أصغر منه سناً فيقول هذا أقل منى ذنوبا لأنى قد سبقته إلى الدنيا وارتكبت فيها ما ارتكبت وهو بعدى لم يكن مكلفا فلا ذنوب عليه ، فإن رأى من هو مبتلى فى دينه وضاق عليه سلوك باب التأويل فى حقه فليرجع إذ ذاك لنفسه ولينظر منة الله تعالى عليه فى الحال فى كونه أنعم الله عليه بما تلبس به من الطاعات وكونه سالما مما ابتلى به غيره مما هو محظور فى الشرع الشريف ، ثم مع ذلك يذكر نفسه بالخاتمة فإنه لايدرى بماذا يختم له ، فإنه إن عومل بالعدل فلا يخلصه شىء مما هو فيه من أفعال القرب وإن كثرت ، وإن عومل من رآه بالفضل قضيت عنه التبعات وقبل منه اليسير من الحسنات ، فإن فضل الله لاينحصر فى جهة وعدله لايؤمن فى حال ، فإذا نظر إلى الناس بحسن هذا النظر ربح وعادت عليه بركة تحسين ظنه بإخوانه المسلمين حالا ومآ لا وكان اجتماعه بهم رحمة فى حقه وحقهم ، وكذلك الفرار منهم والهروب من خلطتهم بهذا النظر والاعتبار ، انظره . قال رحمه الله :

(ولاَ تَتَرَهَّبُوا وَلاَ تَتَعَزَّبُوا ... ولا تَتَجَرَّدُوا عَنْ أَسبَابِ عِيشَةٍ
كَكَسْبٍ وَحِرْفَةٍ وحَرْثٍ تِجارَةٍ ... فَقِسْمَةُ عُشْرِ الرِّزْقِ فِى عَقْدِ صَفْقَةٍ)

(ولا تترهبوا) الترهب التجرد للعبادة والتفرغ لها ، فقد ورد أن الله تعالى يبغض الفارغ المتجرد للعبادة . وفى [مح] قال السيوطى رحمه الله فى الكوكب الساطع :

وليس من زهادة تعزب ... وترك محتاج له ترهب

وقال فى شرحه : ليس من الزهد التعزب وترك مالا بد منه ، بل ذلك من التعمق المنهى عنه ، انظره . وفى الحديث : « إياكم والتعمق فى الدين فإن الله تعالى قد جعله سهلا فخذوا منه ما تطيقون فإن الله تعالى يحب ما دام من عمل صالح وإن كان يسيرا » اه قال تعالى - وما جعل عليكم فى الدين من حرج - وفى [جص] « الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » قال العزيزى : يعنى لا يتعمق فيه أحد ويأخذ بالتشديد إلا غلبه الدين وعجز ا لمتعمق انتهى . وفيه « لاخزام ولازمام ولاسياحة ولاتبتل ولا ترهب فى الإسلام » اه وخزام جمع خزامة : حلقة شعر تجعل فى أنف البعير ، وكانت بنو إسرائيل يخرقون أنوفهم ويجعلون فيها ذلك ، فنهى الشارع صلى الله عليه وسلم هذه الأمة عن ذلك لأن شريعته سمحة سهلة بيضاء قال تعالى - بالمؤمنين رؤوف رحيم - (ولا تتعزبوا) التعزب ترك النكاح فهو من عطف الخاص على العام . وفى [جص] « من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان فليتق الله فى النصف الباقى » أى بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات ، وفيه « من تبتل فليس منا » أى ليس على سنتنا ، لأن التبتل سنة اليهود والنصارى يزعمون أن النكاح يقطع عن الوصول إلى الله تعالى وأن تركه هو العبادة قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا - الآية ، وفيه « تزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى أى لأنهم ينشؤون فى الصوامع وقلل الجبال ويتركون النساء والمال ، وفيه « تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش » أى لأن الله يكرهه ولا يحبه لما يترتب عليه من

المفاسد كقطع النسل والوقوع فى الزنى، وروى « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » وفيه « شراركم عزابكم» «وركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل » ورحم الله من قال :

شراركم عزابكم جاء فى الخبر أراذل الأموات عزاب البشر

إذ ليس لهم فراط يهيئون لهم مايحتاجون إليه فى الآخرة ، لكن ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال « أنا فرط من لافرط له » والفرط كسبب المتقدم إلى الماء لإصلاح الحوض والدلاء . وفى [عف] وقد نقل عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج . ونقل عن شيخ مشايخ خراسان : أنه كان يكثر التزوج حتى لم يكن يخلو عن زوجتين أو ثلاث ، فعوتب فى ذلك فقال : هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدى الله تعالى جلسة أو وقف وقفة فى معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة ؟ فقالوا قد يصيبنا ذلك ، فقال لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد ما تزوجت قط ، ولكنى ماخطر على قلبى خاطر شهوة قط شغلتنى عن حالى إلا نفذته لأستريح منه وأرجع إلى شغلى ، ثم قال : منذ أربعين سنة ما خطر على قلبى خاطر معصيه ، ثم قال : وقد كان الجنيد يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام ، وسمع بعض العلماء بعض الناس يطعن فى الصوفية فقال : يا هذا ما الذى ينقصهم عندك ؟ فقال يأكلون كثيرا ، فقال وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون أكلت كما يأكلون ، ثم قال : ويتزوجون كثيرا : قال : وأنت أيضا لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون . قال : وأى شىء أيضا ؟ قال يسمعون القول . قال : وأنت أيضا لو نظرت كما ينظرون سمعت كما يسمعون . وكان سفيان بن عيينة يقول : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضى الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية ، وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول : خير هذه الأمة أكثرها نساء ، أنظره . وفى الحديث « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ورحم الله من قال :

وخير ما نال الفتى بعد الهدى والعافيه
إمرأة جميلة عفيفة مواتيه (١)

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نختار التزوج على العزوبة ولو كنا فى عبادة ليلا ونهارا ، أو نعين من طاب التزوج جهدنا وذلك لأن عبادة العازب ناقصة ، ثم قال : وكم يقع العازب فى فاحشة ويستره الله ، وكم تخطر فى باله الفاحشة ويحميه الله ، وكم يصلى صلاة وجارحته منتشرة فى حال الصلاة ، وكم يسىء الناس ظنهم به وكم يمنعونه من السكنى بين النساء فى الربوع وغيرها ، ولو أنه تزوج لكان أعف نفسه عن مثل ذلك ، ومن هنا ورد « من غسل واغتسل ثم أتى الجمعة » الحديث أى أتى زوجته قبل أن يحضر لصلاة الجمعة خوفا أن يخطر فى باله وهو بين يدى الله عز وجل الجماع ولو حلالا فى تلك الحضرة الخاصة والجمع العظيم فإذا جامع زوجته وخرج للجمعة أمن من ذلك ثم قال : وانظر يا أخى إلى إيجار السيد موسى عليه السلام نفسه عشر سنين فى تحصيل مهر امرأة تعرف مقدار التزويج . وقال بعض فقراء العصر : وقع لى أنى أمرت بعض الفقراء

---

(١) أى موافقة اه .

المتعهدين عندى فى الزاوية بالتزويج فقال لاحاجة لى بذلك، غلبته نفسه فوقع فى الزنى، فتزوج يا عازب واسع سعى الرجال فلأن تتزوج وتسأل الناس وتكتسب بنصب وتعب خير لك من أن تأتى يوم القيامة زانيا أو محشورا مع قوم لوط ولو كنت على عبادة الثقلين. ومن القواعد أن السلامة مقدمة على الغنيمة، وقول بعض الفقراء فى هذا الزمان : إن العزوبة مقدمة على التزويج إنما ذلك فى حق من لم يخف على نفسه العنت أما من يخاف العنت فالتزويج مطلوب له بالإجماع ، أنظره . قال تعالى ـ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله» ، وفى الحديث « اطلبوا المال بالنكاح » (ولا تتجردوا) التجرد التفرغ للعبادة عن سائر الشواغل فإن الله يبغض المتجردين لها ويحب المؤمن المحترف . وعن أبى قلابة رحمه الله : لأن أرى فى معاشى أحب إلى من أن أرى فى زوايا المسجد وقال : عليكم بالسوق والصنعة فإنكم لن تزالوا كراما على إخوانكم مالم تحتاجوا إليهم . وفى [حى] وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة ؟ قال التاجر الصدوق أحب إلى لأنه فى جهاد، يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده ، وخالفه الحـ ن فى هذا . وقال عمر رضى الله عنه : مامن موضع يأتينى الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى ، ثم قال : وقال أيوب : قال لى أبو قلابة الزم السوق فإن الغنى من العافية : يعنى الغنى عن الناس . وقيل لأحمد ماتقول فيمن جلس فى بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتينى رزق ؟ فقال أحمد : هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله جعل رزقى تحت ظل رمحى » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ، فذكر أنها تغدو فى طلب الرزق، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم ، والقدوة بهم ، وقال أبو قلابة لرجل: لأن أراك فى معاشك أحب إلى من أن أراك فى زاوية المسجد ، وقال أبو سليمان الدارانى : ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد ، انظره وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ماتصنع ؟ قال أتعبد . قال من يعولك ؟ قال أخى . قال أخوك أعبد منك . وروى « أن الصحابة أثنوا عند النبى صلى الله عليه وسلم على رجل بالعبادة فقال صلى الله عليه وسلم فمن كان يطعمه ويسقيه ويعلف دابته ويكفيه ضيعته ؟ فقالوا نحن يارسول الله ، فقال كلكم خير منه » وقال حذيفة رضى الله عنه : خياركم من لم يدع دنياه لآخرته وآخرته لدنياه ، وروى « لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ من الخير وبها ينجو من الشر » اهـ : وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نشتغل بشىء من العبادات ونترك التكسب بحيث يضيع عيالنا وأنفسنا ونحتاج كلنا إلى سؤال الناس ، وهذا العهد يقع فى خيانته كثير من المتعبدين وطلبة العلم، ثم قال وقد كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول : لاتشاور من ليس فى بيته دقيق : أى لأنه مشتت البال فعلم أن حياة الأبدان مقدمة على حياة الأرواح والقوت بالعلم ، لأن حياة الروح فرع عن حياة الجسم من حيث أنها محل لظهور أفعال التكليف وإقامة شعار الدين ، وهذا اللوم فى حق من يضيع من يعول مع اشتغاله بخير آخر ، فكيف بمن يضيعهم باشتغاله باللهو واللعب ونحو ذلك اهـ . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن لا نوكل توكل العوام فنترك الكسب بالتجارة والزراعة والصناعة ونحو ذلك ونصير نسأل الولاة والأغنياء تصريحا أو تعريضا فإن ذلك جهل بمقام التوكل كما هو شأن من يطلب الوظائف والأنظار بالوسائط وكتابة القصص ثم يدعي التوكل بعد ذلك وهو قد سأل مع الغنى الشرعى ، وربما يحتج بأن التكسب يعطله عن الاشتغال بالعلم وذلك حجة لاتنهض إلا إذا لم يكن فى بلده أو إقليمه من يقوم بحفظ الشريعة أما إذا كان بلده من يقوم مقامه بالإفتاء والتدريس فالأدب اشتغاله بالتكسب إلى أن يمن الله عليه بما يأكل وما يشرب من حيث لا يحتسب ، ونحو ذلك ، فإياك يا أخي وسؤال الناس بلا ضرورة وقد كثر وقوعه من غالب حملة القرآن مع قدرتهم على الكسب بالحرف والصنائع وغيرهما ، انظره .

وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لا نزهد فى الدنيا لما نجده فى الزهد من نعيم الترك وخلو اليد وراحة القلب فنكون كحمار الرحى الذى يبتدئ منه ينتهى سيره إليه فنخرج من لذة إلى أعظم منها أو مثلها ، كما يقع فى ذلك العباد الذين لم يسلكوا على يد الأشياخ فكأنهم بهذا الزهد ما برحوا عن حظ نفوسهم ولا عن حجابهم عن ربهم ، وإنما نزهد فى الدنيا زهد العارفين وهو أن نعلق قلوبنا بحب الله وحده ثم نمسك الدنيا بحذا فيرها فلا نترك منها شيئا إلا إن كان فيه شبهة ، ونتصرف فى الدنيا تصرف حكيم عليم ونستعمل كل شيء فيما خلق له ، وإيضاح ذلك أن الله تعالى امتن علينا بأنه سخر لنا ما فى السموات وما فى الأرض ولا يكمل لنا شهود امتنانه علينا إلا بشهودنا الافتقار إلى كل شيء فى الوجود ، فافهم واعمل على هذا الزهد ودع عنك قول من يقول بذم الدنيا على الإطلاق فإنه جاهل بما قلناه ، فإن الذم ما حصل إلا من تعلق القلب بمحبتها دون الله تعالى وحجاب صاحبها بها عن الآخرة ، ثم إنه لا يصح لعبد قط الاستغناء عن الدنيا كما يتوهم أقل ما هناك حاجته إلى ما يأكله وما يشربه وما يتنفس فيه من الريح فإن من زم نفسه مات : وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد فى الدنيا فقال « هو اليقين » وقد ذكرنا فى الآداب الكبرى أن بيت الفتنة فى الدنيا أربعة أشياء : النساء والجاه والمال والولد ، والكامل لا يهرب من شيء منها ، بل يحبها كلها بتحبيب الله عز وجل ويغلب حكم محبة الطبع والنفس لله تعالى أنظره (عن أسباب عيشة) بكسر العين أى معيشة .

وفى [جص] « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة » وفيه « العافية فى عشرة أجزاء : تسعة فى طلب المعيشة وجزء فى سائر الأشياء » وفيه « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » وفيه « الفار من عياله كالفار من الزحف » اه . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب » وقوله تعالى- ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب- فمخصوص بطائفة من ضنائن الله تعالى وخاصته جعل رزقهم من حيث لا يعلمون لئلا يكون لأحد عليهم منة وإن كان من هو أعلى منه جعل رزقه بالكسب للاقتداء به : فقد كان سيدنا زكريا نجارا وكذلك سيدنا نوح وسيدنا إدريس خياطا وسيدنا داود دراعا وسيدنا آدم حراثا وسيدنا محمد مجاهدا صلوات الله وسلامه ، وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أصحاب الحرف من زراعة وتجارة وغير ذلك . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .

وفى [هب] إنما أسباب المعاش من حراثة وتجارة وغيرهما بمنزلة الكشاكيل التى فى أيدى السعاة ،

فإنه قد جرت عادة الرب سبحانه أنه لاينزل الرزق على العبد إنزالا بأن يعطيه الرزق فى يده من غير حيلة بل لايعطيه إياه حتى يسأله بكشكول من كشاكيل أسبابه فإذا مدله الكشكول وضع له فيه مايليق به ويصلحه وحينئذ فيجب على المتسبب أن ينزل سببه بهذه المنزلة فيكون نظره عند السبب إلى ربه عز وجل لا إلى السبب كما أن الساعى المتكفف إنما ينظر إلى الناس الذين يعطونه ولاينظر إلى كشكوله الذى فى يده، وإذا كان نظره عند السبب إلى ربه عز وجل كان متعلقا حال سببه بربه عز وجل فيكون سببه وصلة بينه وبين ربه تعالى فلا يعتمد على سببه بل على ربه، وإذا كان اعتماده على ربه فلا يتعاطى إلا سببا أذن له ربه فيه، وحينئذ فلا فرق عنده بين أن يكثر من الأسباب أو يقل، فإن المعطى سبحانه واحد وهو قادر على أن يعطيه فى سبب واحد مايعطيه لغيره فى أسباب عديدة، فليتق الله وليجمل فى الطلب فهذه صفة أسباب المتعلقين بالله عز وجل، وأما غيرهم فيقتلون أنفسهم حالة السبب بالخدمة ولايرون سببا من الأسباب إلا تعاطوه سواء كان مأذونا فيه أو غير مأذون فيه، ويعتقدون أن الرزق يكون على حسب حيلهم وسياستهم الفاسدة فهؤلاء هم الذين يستحلون التدبير فى أمور الدنيا والتعب فيها وركوب المشاق العظيمة فى طلبها على طاعة الله عز وجل وعبادته لكمال انقطاعهم عنه سبحانه، انظره. وفى [جص] «ليس أحدمنكم بأكسب من أحد قد كتب الله المصيبة والأجل وقسم المعيشة والعمل، والناس يجدّون فيها إلى منتهى» قال الحفنى: فمن جد فى السعى ليس بأكثر تحصيلا ممن ترك السعى لكون كل لاينال إلا ما قدر له اه: ورحم الله من قال:

والشرع قـد أمر بالتسبب	وباعتقاد نفى فعـل السبب

ومن قال:

توكل على الرحمن فى كل حاجة	ولاترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تعلم ان الله قال لمريم	وهزى إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزه	إليها، ولكن كل شىء له سبب

وروى «إذا سبب الله تعالى لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له» والبلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى: وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نعلم إخواننا طرق اليقين حتى لايهتموا بأمر رزقهم كل الاهتمام، فنقرر عندهم أن الله تعالى قد قسم لكل عبد رزقا معينا لايزيد بالإقبال ولا ينقص بالإدبار، وأنه ليس للمقبل على الدنيا ليلا ونهارا إلا ماللمدبر عنها ليلا ونهارا، هذا هو الأساس ومن قعد عليه استراح قلبه من العناء والكد، ثم بعد هذا الأساس يا أخى تأتى إلى رزقك برياضة وانشراح صدر من غير شره نفس ولا مزاحمة أحد فإن الرزق تارة يأتى إليك وتارة تأتى أنت إليه فلا يقال السعى مطلقا أفضل ولاترك السعى مطلقا أفضل، بل كل كامل فى مرتبته لأنك لاتعلم ذلك إلابعد الوقوع وأماقبل التحرك فلا تعلم ذلك والله غنى حميد، انتهى (كسب) وهو طلب الرزق. وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا الذين لم يكثروا التعبد بعلم ولا غيره فى التكسب بالبيع والشراء والزراعات وكل عمل يساعدهم على القوت بطريقه الشرعى على وجه الإخلاص لاعلى وجه التكاثر والمفاخرة بمطاعم الدنيا وملابسها وشهواتها، فإن من اكتسب الدنيا على وجه التكاثر والتفاخر فمن لازمه تعدى الحدود الشرعية فى الحل لأن الحلال فى كل زمان لايتحمل الإسراف: وقد زار الحسن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فأخرج له عمر كسرة

يابسة ونسف خيارة وقال: كل ياحسن فإن هذا الزمان لايتحمل الحلال فيه الإسراف اه. فلاترى أحدا فى سعة من الدنيا إلا وهو قليل الورع فيغش وينصب ويبيع على المكاسين وأكلة الرشا وغيرهم ، وأما إن طالب التوسع فى الدنيا بغير طريق التكسب الشرعى وأقبل على العبادة فربما أكل بدينه ووقع فى الرياء والنفاق لمن يحسن إليه ، وإن لم يكن مقبلا على العبادة سلق الناس بألسنة حداد إذا لم يعطوه ماطلب ، فالتكسب الشرعى أولى بكل حال . وقد ورد « إن الله تعالى علم آدم عليه السلام ألف حرفة وقال له يا آدم قل لبنيك يكتسبون بهذه الحرف ولا يأكلون بدينهم » وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : قد تعين التكسب اليوم على كل فقير وفقيه لعدم من يتفقدهم بالبر والإحسان فى هذا الزمان لقلة المكاسب ، فقد صار التاجر اليوم يمكث الثلاثة أيام أو أكثر لايستفتح فكيف يتفقد غيره وهو لم يحصل بقوت نفسه وعياله وضيوفه ، فضلا عن المغارم التى عليه من كراء بيت وحانوت وعوائد تلظلمة ، انظره . وعليك يا أخى باكتساب الغنم فإنها من دواب الجنة وأموال الأنبياء وهى كلها خير وبركة لمن أخرج زكاتها الشرعية وأداها لمستحقها . وفى [جص] « الغنم بركة » أى زيادة فى النمو والخير فيندب اقتناؤها . قاله العزيزى. وفيه: « الغنم بركة والإبل عز لأهلها والخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وعبدك أخوك فأحسن إليه وإن وجدته مغلوبا فأعنه » وفيه « الغنم من دواب الجنة فامسحوا رغامها وصلوا فى مرابضها » وفيه « الغنم أموال الأنبياء » أى هى معظم أموال معظم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما من نبى إلا وقد رعاها سياسة لرعاية الخلق ؛

[لطيفة] أخبرنى من أثق به رحمه الله أنه كان يقول: مثل الإخوان كمثل الغنم إذا افترقت وانتشرت انتفعت بالرتع فى الكلأ وفيما يعنيها وإذا اجتمعت افتتنت بنطح بعضها بعضا ، فكذلك الإخوان إذا افترقوا انتفعوا باشتغال كل واحد بذكر ربه وبما يعنيه وإذا اجتمعوا افتتنوا بالقيل والقال والغيبة والنميمة والخوض فيما لايعنى ، ومن استراب فالعرب بالباب : وروى أن لسيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام غنما كثيرة جداً وإن عدة الكلاب التى تحرسها أربعة آلاف فى عنق كل كلب طوق ذهب قدره ألف مثقال ، فقيل له لم تفعل ذلك ؟ قال لعلمى بأن الدنيا جيفة وكلابها طلابها فأعطيتم الطلابها ، وذلك جائز فى شرعه لهذه النكتة وهى إهانة الدنيا وذلك يحرم فى شرعنا للنهى عن إضاعة المال شرعا وطبعا ، واجتمعت الأمة على تعزير من عير برعى الغنم ، فقال كان النبى صلى الله عليه وسلم يرعاها لأن هذا مقام تحقير وتنقيص فلا يقال ذلك إلا فى مقام السؤال ، كأن قيل هل رعى النبى صلى الله عليه وسلم الغنم؟ فيقال نعم ، انظر [الحفنى] وانظر كتاب [الشفاء] ففيه الشفاء (وحرفة) بالكسر صناعة يرتزق الإنسان منها ويحترف بها لنفسه ولعياله : وفى [جص] « إن الله يحب العبد المؤمن المحترف » قال المناوى : أى المتكفف فى طلب المعاش بنحو صناعة أو زراعة أو تجارة لأن قعود الرجل فارغا أو شغله بما لايعنيه مذموم ومن لا عمل له لا أجر له ، انظر العزيزى . وفيه « أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » وفى البخارى عن المقدام رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وفى إرشاد السارى : وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يأكل من سعيه الذى يكسبه من أموال الكفار بالجهاد وهو أشرف المكاسب على الإطلاق لما فيه من إعلاء كلمة الله وخذلان كلمة أعدائه والنفع الأخروى اه. وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نعلم أولادنا الحرفة بعد تعليمهم أمر دينهم التى

لابد منها فإنه إن لم يكن بيده حرفة أكل بدينه أو بلسانه وسلق الناس بألسنة حداد وحقد عليهم فى الباطن. وقد كان الناس فى الزمان الماضى يكرمون حملة العلم والقرآن ويرتبون لهم المراتب ويهدون إليهم الهدايا ويتفقدونهم فى المواسم وغيرها يقولون لهم اشتغلوا ونحن نكفيكم جميع ما تحتاجون إليه فصار الفقيه اليوم لا يحصل له ما ينفقه على عياله حتى يذوب قلبه من الدوران طول النهار، ثم بعد ذلك يأكل صدقة، فتعلم الحرفة للفقيه الآن من أبرك المصالح ولو كانت دنيئة كالأدمى والحجامة ونحوهما فإن وسع الله عليه كان وإلا فتغنيه عن سؤال الناس اهـ: وعن الثورى رضى الله عنه أنه كان يقول: أحب لطالب العلم أن يكون فى كفاية فإن الآفات وألسن الناس تسرع إليه إذا احتاج وذل، وكان يقول: إن الرجل ليكون عنده المال، وهو زاهد فى الدنيا، وإن الرجل ليكون فقيرا وهو راغب فيها، وعنه أيضا: وعليكم بالحرفة فإن عامة من أتى أبواب الأمراء إنما أتاهم لحاجة اهـ. وفيه: وينبغى للشيخ أن يرغب الفقراء فى عمل الحرفة ليأكلوا منها ولا يأكلوا بدينهم، وتقدم فى هذا الكتاب أن ميزان أكلك يا أخى بدينك أن تقدر أنه لو فقدت جميع صفاتك المحمودة لم يعطك أحد شيئا، فإن قدرت أنها فقدت كلها حتى صرت فاسقا ولم يرجعوا عن إعطائك فأنت لم تأكل بدينك، وينبغى له أن يعلم الفقراء أن كل لقمة نزلت فى جوف أحدهم من صدقات الناس وأوقافهم تسترقهم لأصحابها، وإذا استرقتهم لأصحابها صارت مكافأة أصحاب اللقمة عليهم مطلوبة، ثم قال: إذا أكل المريد صدقات الناس وأوساخهم وهداياهم وطلب أن يكافئهم تعطل عن السير إلى مراتب العارفين فليس له خبرة إلا فى التجرد من الدنيا والسلام. وكان سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول: أنا ما أحب للفقير أن ينقطع للتعبد فى زاوية أو غيرها إلا إن كان له حرفة تقوم به لئلا يتقاسم أصحاب القمحات والحسنات ثواب تلك الأعمال التى نشأت من قوى تلك القمحات فإنه لولا هى ما قدر على ذلك التعبد، انظره. وينبغى للإنسان أن يتجنب الحرف المذمومة شرعا وطبعا كالصياغة والصباغة والجزارة والحياكة لحديث «شرار أمتى الصائغون والصباغون» وفى آخر «شرار أمتى الحاكة» وروى «لا تعلموا أولادكم حرفتين: الصياغة والجزارة» أى لما جبل عليه أربابها من الغش والمطل والمواعيد الكاذبة ومخالطة النسا، وقسوة القلب. وفى الحديث «أكذب الناس الصباغون والصواغون» ومنه قولهم كل صانع كذاب أبوهم حداد، وهذا هو الغالب والنادر لا حكم له. وفى [خل] وروى عن بعض التابعين أنه أوصى رجلا فقال له يا أخى لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين أما البيعتان: فهو بيع الطعام وبيع الأكفان» وأما الصنعتان فهما الجزارة والصياغة، أما الجزار فإنه قاسى القلب، وأما الصواغ فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة اهـ. وبائع الطعام يحب الغلاء ويكره الرخاء، وبائع الأكفان قاسى القلب وناسى الآخرة. وفى [د] وخ يا مسكين تتعلم صنعة ما دمت صغيرا وذا قاله لطالب علم أخذ عنه الورد وبقى جالسا، فقال له قم لشغلك، قال ما عندى شغل، أنا طالب، فذكره. ومن عادته رضى الله عنه أن يحض أصحابه على تعلم الكتابة لئلا يضيعوا: اهـ أى متى احتاج أحدهم فيكتب ويبيع أو يكتب بالأجرة أى مع دوام الثواب الأخروى، ورحم الله من قال:

والأجر لا تنقصه الإجاره   بشرى لنا بهذه البشاره

وأما تعلم الكتابة لأن يتخذوا كتبة الظلمة أو أمناء أو عدولا أو جباة فكلا وحاشا ومعاذ الله، قال تعالى- فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون — ورحم الله من قال —:

ولا تكتب بكفك غير شئ   يسرك فى القيامة أن تراه

وكان رضى الله عنه يقول : مالا أرضاه لنفسى لا أرضاه لغيرى، وما لا أفعله لا آمر به اهـ والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم :

[عجيبة] أخبرنى بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أن بعض كتبة الولاة كتب إليه أن واليه عزله عن الكتابة، وأنه فى غم ونكدوهم وشدة لذلك فرأى ذلك الأخ فى تلك الليلة أنه اجتمع بالكاتب فى عالم الروح فصار يزجره عن الكتابة ويوبخه عن كل خطة وينفره عن قرب ساحة الولاة ، ومن جملة ما زجره به أن قال له: اعلم أن من حكمة الله وعادته أن كل من كان كاتبا للظلمة لابد أن يحول الله صورته صورة حمار حوافره حوافر حمار ورأسه رأس حمار إما عند موته أو فى قبره أو عند البعث - سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا - رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين - ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا - آمين (وحرث) وهو الكسب وجمع المال والزرع وهو المراد به هنا . وفى [خل] فالزراعة من أعظم الأسباب وأكثرها أجراً إذأن خيرها يتعدى للزارع ولإخوانه المسلمين وغيرهم والطير والبهائم والحشرات كل ذلك ينتفع بزراعته حتى أنه ليقال إن الزارع او سمع من يقول نأكل منه حين زراعته لم يزرع شيئا لكثرة من يقول نأكل منه فما فى الصنائع كلها أبرك منها وأنجح إذا كانت على وجهها الشرعى ، وهى من أكبر الكنوز المخبأة فى الأرض، لكنها تحتاج إلى معرفة بالفقه وحسن محاولة فى الصناعة مع النصح التام والإخلاص فيها فحينئذ تحصل البركات وتأتى الخيرات ، وعنه صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو بهيمة إلا كان له حسنات إلى يوم القيامة » ومن ذلك ما ورد أيضا « أن الملائكة تستغفر للزارع وللغارس ما دام زرعه أخضر » أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، ثم قال : وقد كان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول: اعلموا أن الهمم قد تقاصرت عن العبادات والانقطاع إلى الله تعالى فعليكم بالزراعة فإنها تحصل الأجور الكثيرة أرادها المكلف أو لم يردها ، انظره :

وفى [عف] حكى أن الشيخ محمداً الغزالى لما رجع إلى طوس وصف له فى بعض القرى عبد صالح فقصده زائراً فصادفه، وهو فى صحراء له يبذر الحنطة فى الأرض فلما رأى الشيخ محمد أجاء إليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ فى ذلك وقت اشتغاله بالغزالى فامتنع ولم يعطه البذر ، فسأله الغزالى عن سبب امتناعه فقال : لأنى أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر أرجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيئاً ، فلا أحب أن أسلمه إلى هذا فيبذره بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر اهـ - لمثل هذا فليعمل العاملون - وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نحفظ حرمة أصحاب المنافع العامة لكونهم قائمين عنا بفرض الكفاية ، وذلك كالمداوى والإسكافى والفران والطحان والتراس والطباخ والجزار والزيات والنجار والحداد والحراث والحصاد ونحوهم . وقد سمعت سيدى عليا الخواص يقول : قد أكرم الله تعالى السوقة وأرباب الصنائع بأربع خصال : الأولى أنهم يأكلون من كسب يمينهم ويطعمون منه الظالم والمسكين والفقير ولا يأكلون شيئا من الصدقات . الثانية : أنهم لا يشهدون لهم قط أعمالا لا تكفر عنهم قبيح زلاتهم ولا يقولون قط كفرها الشئ الفلانى بل هم خائفون وجلون . الثالثة : تعظيمهم للعلماء والصالحين وتغميض بعضهم عيونهم عن عيوب الناس لعدم الموازين التى يوزن بها الأفعال عندهم . الرابعة : حمايتهم من الدعاوى وشبهات أهل علم الكلام: وفيه : أخذ علينا العهود أن نرشد إخواننا إلى أنهم لا يبيعون لأحد شيئا ولا يشترون منه ولا يخيطون ولا يطبخون ولا يفعلون شيئا من جميع الحرف والصنائع إلا بقصد نفع الخلق بالأصالة ويجعلون نفع

أنفسهم بحكم التبع لا بالقصد الأول ، ثم إذا قدر أنهم فعلوا شيئا مما ذكر بغير تلك النية فلا ينتفعون به ولا بثمنه ، وإن كان ذلك الفعل من العقود أعادوا العقد ثانيا على نية نفع الناس كل ذلك لتكون أفعال إخواننا عبادة لا عادة وليدخلوا فى ضمان الله عز وجل بالمعونة المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » وماذا يضر الطباخ مثلا لو نوى بقيامه الطبخ من ثلث الليل نفع عباد الله بذلك الطعام لا نفع نفسه فإن نفع نفسه بالثمن حاصل على كل حال ولو لم يقصده ، ومن كانت هذه نيته فى حرفته وصنائعه فهو فى عبادة فى جميع ما يتقلب فيه من الحرف والصنائع ، ثم قال : لا يقدر على العمل بهذا العمل إلا من كان زاهدا فى الدنيا أما المحب لها فليس همته من حرفته إلا الفلوس ولا يكاد يخطر على باله نفع الناس أبدا ولكل مقام رجال والله واسع عليم اه (تجارة) مصدر تجر كنصر باع واشترى . وفى [جص] « إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يطروا[1] وإن كان عليهم[2] لم يمطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا[3] » وفيه « التاجر الصدوق الأمين يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء » وفيه « التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة » اه : والصدق يكون فى نحو الإخبار بثمنها وعيوبها فذلك مما يزيد البركة فى التجارة كما وقع للجلال المحلى فإنه كان يبيع الأقمشة من بعد العصر إلى المغرب فقط ويبيع أكثر من جيرانه الذين يبيعون طول النهار ، وكان يقول هذا على بكذا ولا أبيعه إلا بكذا وفيه عيب كذا وكان بعض العارفين حياكا وكان إذا قطعت منه فتلة على النول علم عليها بالعصفر ليعرف أنها قطعت وليست كالمتصلة من أصلها وإذا تم المقطع كان غالبه خطوطا وكان يخبر الناس بذلك وكانوا يقبلون عليه كثيرا تبركا ، انظر الحفنى . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا التجار وغيرهم فى الصدق فى إخبارهم بالثمن خوفا عليهم وعلى أموالهم من النقص فإن الله جعل البركة مقرونة بالصدق فى العمل والعلم والعمر والرزق وغير ذلك ، فمن لم يصدق نزع الله البركة من علمه وعمله وعمره ورزقه ثم ذكر حكايات عجيبة فانظرها فيه ، ثم قال - فاصدق يا أخى فى إخبارك المشترى ولا تغش[1] فيحول الله عنك النعم ، انظره ، قال تعالى : - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - الآية - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين - وفى [حى] قال صلى الله عليه وسلم « أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور » وفى خبر آخر « أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح » وقال عليه الصلاة والسلام « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق » وقال أيضا « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها » وقال صلى الله عليه وسلم « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » وقال أيضا « الجالب إلى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله ، والمحتكر فى سوقنا كالملحد فى كتاب الله » انظره . وفى [جص] « بئس العبد المحتكر إن أرخص الله الأسعار حزن وإن أغلاها الله فرح » وفيه « من تمنى على أمتى الغلاء ليلة واحدة أحبط الله عمله أربعين سنة » وفى ابن ماجه عن عمر رضى الله عنه : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » . وفى مسلم عن معمر بن عبد الله مرفوعا « لا يحتكر إلا خاطئ » .

---

(١) يطروا بضم تحتية من أطرى جاوز الحد فى الثناء اه . (٢) أى حق سببه التجارة .
(٣) قوله يعسروا بضم سين وكسرها من عسر غريمه كضرب ونصر طلب : منه قضاء دينه فى ضيق وشدة اه .
(٤) بضم معجمة من غش كرد اه .

واعلم أن الاحتكار الممنوع شرعا هو أن يمسك الإنسان ما اشتراه فى وقت الغلاء ليبيعه بأكثر مع استغنائه عنه واحتياج الناس إليه لما فيه من الإضرار بالمسلمين : وفى الحديث « لاضرر (١) ولاضرار » بخلاف إمساكه ما اشتراه فى وقت الرخص ليبيعه بأكثر مما اشتراه به عند احتياج الناس إليه فليس باحتكار ولا ممنوع شرعا بل ربما يثاب عليه بحسب النية ، ويختص تحريم الاحتكار بالأقوات كقمح وشعير وذرة وفول وعدس وتمر فى بعض البلدان وأرز كذلك ولا يعم جميع الأطعمة . وروى « عليك بأول السوم فإن الربح مع السماح » أى لأن الإنسان إذا باع بربح يسير رغب الناس فى الشراء منه فيكثر ربحه ، ولحديث « رحم الله عبد أسمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا قضى سمحا إذا اقتضى » ويؤخذ من الحديث الحث على المسامحة فى المعاملة وترك المشاحة فيتأكد الاعتناء بذلك رجاء نيل دعوته صلى الله عليه وسلم ، وروى « أن رجلا لم يعمل خيرا قط وكان يداين الناس فيقول لرسوله خذ ما تيسر واترك ماعسر وتجاوز لعل الله أن يتجاوز عنا فلما هلك قال الله تعالى له هل عملت خيرا قط ؟ قال ، لا إلا إنه كان لى غلام وكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ماعسر وتجاوز لعل الله أن يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك » اهـ . وفيه أيضا : لاأشترى شيئا ليس عندى ثمنه : أى لأن الدين يشغل البال ويشين العرض فلا ينبغى إلا عند الضرورة من نحو نفقة عياله وقد تداين صلى الله عليه وسلم الشعير لأهله ورهن فيه درعه وسلاحه . وروى « ما من مسلم يدان دينا يعلم الله أنه يريد أداءه إلا أداه الله عنه فى الدنيا وفى رواية « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أداها الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » اهـ وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا التجار وغيرهم بحفظ الأدب مع جيرانهم فى السوق ونهاهم عن سلوك طريق جبابرة التجار ، وهو أن يثبوا على السلع المفرطة كوثوب السبع على الفريسة ويتركون جيرانهم المحاويج ينظرون إليها نظرة بحسرة ، ثم بعد هذا الفعل القبيح يهربون بتلك الفوائد عند حصول رمية أو مظلمة على سوقهم ويتركون الفقراء للمصائب بل كما كانوا أول مستفيد كذلك ينبغى أن يكونوا أول وازن فى المقام ، ثم إن من هرب ولم يغرم شيئا مع الفقراء فربما يقيض الله تعالى لماله الآفات والعاهات ومن يأخذها منه مصادرة أو جحدا فلا يلومن إلا نفسه ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه . والله أعلم اهـ (فتسعة عشر) كقفل جمعه عشور وأعشار (الرزق) مجموعة ومنطوية بإذن علام الغيوب (فى عقد صفقة) مصدر صفق كضرب وزنا ومعنى ، يده بالبيعة وعلى يده صفقا وصفقة ضرب يده على يده وذلك عند وجوب البيع : وفى [جص] « تسعة أعشار الرزق فى التجارة والعشر فى المواشى » قال الحفنى : أى بسبب ما يحصل منها من نتاج وصوف ولبن ونحو ذلك والقصد من هذا الحديث الإعلام بكثرة الرزق من التجارة عن غيرها وليس المراد منه حصر الرزق فى هذين السببين إذ من أسبابه الصناعة والغزو ، وليس فى هذا الحديث تعرض لأفضل طرق الكسب ، وأفضلها سهم المغازى ثم الزراعة ثم الصناعة ثم التجارة اهـ . قال رحمه الله :

(دَعُوا الْغِشَّ وَالْخِدَاعَ فِى الْبَيْعِ وَالشِّرَا   فَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ سُنَّةٍ)

(دعوا) أى اتركوا (الغش) بكسر معجمة ضد النصح من غشه إذا لم ينصحه وزين له غير المصلحة ولا سيما بالحلف الكاذب ، وفى الحديث « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة » وعن أبى ذر رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم

(١) ونظمه من قال :

مدار أحكام الشريعة أتى   حديث لا ضرار فاحفظ يافتى اهـ

ولهم عذاب أليم . قلت : يا رسول الله من هم خسروا وخابوا ؟ قال : وأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال : « المسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمنان »اه . (والخداع) وهو إظهار خلاف ما فى النفس ، وفى الحديث « المكر والخديعة والخيانة فى النار » يعنى أهلها (فى) حالة (البيع) للغير لحديث « من باع عيبا لم يبينه لم يزل فى مقت الله ولم تزل الملائكة تلعنه » وفى البخارى وقال عقبة ابن عامر : لا يحل لامرئ يبيع سلعة يعلم أن بها داء إلا أخبره . وفى نسخة : إلا أخبر به وفيه « قال النبى صلى الله عليه وسلم الخديعة فى النار » وفيه : عن حكيم بن حزام رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » أو قال : « حتى يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » (و) فى حالة (الشرا) قصره للوزن : أى من الناس (فمن غشنا) أى معشر المسلمين ولأهل الذمة ما للمسلمين من الأحكام لذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى [جص] « ليس منا من غش مسلما أو ضره أو ماكره » وفيه « من غشنا فليس منا والمكر والخداع فى النار » وفى مسلم « عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فقال أصابته السماء يارسول الله، قال أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس؟من غش فليس منى » وفى [جع] وأوصيكم بالبعد عما دار عليه الناس وعم آفاق الأرض إلا النادر من الخلق وهو المعاملة بالغش والفساد فى البيع والشراء مما حرمه الشرع صريحا أو ضمنا وهى مفصلة فى كتب الفقه فلا نطيل بذكرها اه (فليس من أهل سنة) محمدية حيث ترك النصيحة التى عليها مدار الشريعة وأبدلها بالمكر والخديعة الذى هو من شيم المنافقين ، وعن أنس رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بنى إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل ، ثم قال : يا بنى وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحيانى ومن أحيانى كان معى فى الجنة » اه . وفى [عف] بعد ذكر هذا الحديث وهذا أتم شرف وأكمل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى حق من أحيا سنته فالصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة ، وطهارة الصدور من الغل والغش عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وإنما قدروا على إحياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم فى الدنيا وتركها لأربابها وطلابها، لأن مثار (١) الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس ، والصوفية زهدوا فى ذلك كله كما قال بعضهم : طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل، فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس فى قلوبهم غش لأحد . فقول القائل كنست بأرواحهم المزابل إشارة منه إلى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه تتميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغل والغش ، ثم قال : فالخلق حجبهم عن القيام بإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وحالا صفات نفوسهم ، فإذا تبدلت نعوت النفس ارتفع الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقة فى كل شىء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجبت المحبة من الله تعالى ، عند ذلك قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله - جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه ، انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول

---

(١) بضم ميم اسم مفعول من أثارت الريح الغبار هيجته اه .

الله صلى الله عليه وسلم أن لا نغش أحدا من خلق الله تعالى سواء استرشدنا فى ذلك الأمر أم لا ، وهذا العهد لا يتم العمل به إلا إن سلك على يد شيخ صادق حتى صار لا يغش نفسه فى شىء من عباداته ولا معاملاته فإن من غش نفسه غش غيره من باب أولى ومن نصح نفسه نصح غيره ، فيجب على العبد أن يسلك على يد شيخ حتى يكشف الله تعالى له عن جميع دسائس النفوس وعللها فى سائر الأعمال وإلا فمن لازمه غالبا الغش لنفسه ولغيره ، انظره : وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننصح كل مسلم ولو لم يطلب منا ذلك فكيف إذا استنصحنا ، وهذا العهد المبارك قل من يعمل به الآن من التجار فإنه يخاف إن بين عيب مبيعه أن لا يشتريه منه أحد حتى قال لى بعض إخوانى الصادقين : أنا فى غلبة فقلت له لماذا ؟ فقال صرت أنصح المشترى وأعطيه أحسن القماش فيرده ويقول هات لى من ذاك الذى هو دونه ، فأحلف له بالله إن ما أعطيته له أولا هو الأنفع والأحسن فلا يرجع لى ويأخذ الردى قياسا لى على الناس الذين يغشون ، فهل على إثم إذا أعطيته الردى؟ قلت له لا فلكثرة غش الناس لبعضهم بعضا صاروا لا يصدقون من نصحهم من التجار ، انظره . قال رحمه الله :

(ولا تتهافتوا ببيعكم وفى جميع المعاملات قيسوا بشرعة
وإن عمت البلوى وسدت مسالك فصرتم كمضطر إلى أكل جيفة
ومنها خذوا سد الحياة بلا افتنا وقال بأخذ الزاد بعض الأئمة)

(ولا تتهافتوا) التهافت التساقط (ببيعكم) أى فى جميع بياعاتكم تهافت العامة (وفى جميع المعاملات) الكسبية ولكن (قيسوا) أى زنوها (بشرعة) بكسر معجمة : أى بميزان شرعى وسبب مرعى . وفى [جع] وأحذركم أن تتهافتوا فى المعاملات المحرمات شرعا تهافت الجهلة من العامة محتجين بعدم وجود الحلال المعين يريدون أن يسقطوا عنهم الأحكام الشرعية فى المعاملات ، وقد صاروا فى ذلك كأنهم لا تكاليف عليهم ، وهو كذب على الله وزور ، وقد قال سبحانه وتعالى - يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا - الآية ، فهذه الآية وإن نزلت فى مطلب خاص فهى مشتملة على كل ما تحتمله ، وإن لم تنزل لأجله من القضايا إما ضمنا أو تلويحا ، والعالم يأخذ حكمه من كل آية ، من كل ما تحتمله وإن لم تنزل لأجله ، والواقع منه من الآية فى قضيتنا هذه الذى فى الأرض هو ما أمكن وجوده من حلال أصلى أو عارض على حسب عوارض الوقت وهى الأمثل فالأمثل على حسب ما فصلنا فى جواب المعاملات وخطوات الشيطان التى نهى الله عنها هى المعاملات المحرمة شرعا حيث يجد العبد عنها معدلا ، وأما إن لم يجد معدلا عنها وألجأته عوارض الأقدار بحكم القهر والتحتم إلا أن يأخذ قوته من الحرام شرعا وإن لم يأخذ منه مات فى الوقت أو مات بعض عياله جوعا ، فلا إثم عليه لضيق الوقت وفقد السبيل لغيره ، فهو الواقع فى قوله تعالى - فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه - ولا تلتفتوا إلى ما ذكره بعض المتأخرين ، قال كل عقدة لا يوجد من يعامل فيها إلا بالحرام فهى حلال قول باطل لكونه تغافل عن جميع القاعدة الشرعية فيه ، والتحقيق فيها ما ذكرناه قبلها آنفا يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا أمرتكم بشىء فافعلوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فانتهوا » وقوله سبحانه وتعالى - فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا - وقول القائل :

إذا لم تستطع شيأ فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وفيه : وأوصيكم فى معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشرع وأصوله على حسب ما يعطيه الوقت وتجنبوا جميع وجوه الغش والتدليس والكذب وتقديم الأيمان واقتحام ماحرم الله من ذلك بنصوص الشرع فإن المنهمك فى ذلك يهلك كل الهلاك اهـ . وفى [جه] وأماشدة احتياطه فى معاملاته مناولته فيما يتعلق به وبأهله منها أنه لايشترى حاجة ممن علم بمكسب الحرام أو أنه يخالط أحدا من أهل جانب المخزن أو يكن اختلط ماله بماله وهذا دأبه وديدنه ، وكثير امانهى أصحابه عن مخالطة هؤلاء ويحثهم على ركوب متن الورع فى أمورهم كلها ، ولا يرخص لهم فى الحرام فيقول مالاأرضاه لنفسى لا أرضاه لغيرى ومالا أفعله لاآمر به اهـ .

وفيه : ومن ورعه رضى الله عنه أنه لايأخذ شيئا ولو كان تافها مما يحتاج إليه ممن لايتقى الحرام ولا يتحرى فى مكسبه كل ذلك لايفعله ولايحب من يفعله ، ثم قال : ويقول إن الإنسان إذا رخص لنفسه فى أكل المتشابه فهاهو ذاهب إلى أكل الحرام ، ويقول إن أصل الورع اتقاء الشبهات ، والمداومة على أكل الحلال مع الصدق مع الله فى ذلك ، انظره : وفى [جص] « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لايعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله فى أرضه محارمه ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » اهـ .

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نفتش كل شىء دخل يدنا فى هذا الزمان من مال وطعام ولباس وغير ذلك ولانستعمل شيئا تردد فى صدورنا حله وحرمته ، وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يفتشون كل شىء دخل يدهم إلى سابع يد استولت عليه فى الحل وبعضهم إلى عاشر يد فى الحل ثم يستعملونه فإن لم يتداوله العشرة أيد لم يستعملوه ، وهذا أمر تعذر فعله الآن على غالب فقراء الزمان ويكفى أحدهم إن شاء الله تفتيش أول يد يأخذون منها . واعلم ياأخى أن من أعظم المساعدة على الورع القناعة ، فمن لم يقنع أكل رأس الفيل ولم يشبع ، ومن لازم الشره عدم الورع . ثم قال : ثم لايخفى أن أهل الله تعالى لا يعولون فى الورع على العلامات الظاهرة فى الأيدى وإنما يعولون على مايلقيه الحق تعالى فى قلوبهم فقد يكون الذى يأخذونه من يد صالح حراما ، وقد يكون الذى يأخذونه من يد ظالم حلالا ، فمثل هؤلاء يسلم لهم حالهم لاطلاعهم على بواطن الأمور ، بخلاف من لم يطلع إلا على ظواهرها فإن هذا ربما رأى ظالما أخذ حراما ثم توارى عنه بجدار فقال يحتمل أن ذلك الحرام خرج عن يده وهذا غيره . وقد عزم على شخص أنا وأخى أفضل الدين وقدم إلينا خروف شواء مشويا ، وكانت النية فيه غير صالحة ، لأنه عزم على جماعة أولاد عمر أمراء الصعيد ، فلم يحضروا عنده فعزم علينا لنأكله مكانهم ، فلما وضعه بين أيدينا وجدته يغلى دودا مثل أذناب المغازل فلم أقدر أتناول منه لقمة واحدة ، وصار صاحب الطعام يقول كلوا هذه اللقمة فقط ولا أقدر أعلمه بما رأيت لكونه محجوبا عن ذلك ، وكذلك رآه أخى المذكور ، ولكنه قال رأيته يغلى سمالى ، فقلت له أنا مارأيت إلا دودا فقال المقصود الحماية ونفرة الخاطر منه ، وقد حصلت ولله الحمد ، فإن لم تصل ياأخى إلى ورع أهل الله تعالى فإياك أن تنزل عن الورع فى ظاهر الشرع فتزل قدمك إلى النار والله يتولى هداك انظره (وإن عمت البلوى) والمحنة بفساد المعاملات كلها حتى إنك لا تجد من تعامله على وجه شرعى وصعب مرعى (وسدت) أى انسدت عليك (مسالك) لفقد من تعامله معاملة شرعية (فصرتم كمضطر

إلى أكل جيفة) بكسر الجيم : جثة الميتة أى فحكمكم إذن حكم من اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ، وللساحلى رحمه الله فى رائيته المعلومة :

وأكل حلال فهو أسّ طريقنا ... فجاهد على كسب الحلال مدى الدهر
فإن قلت لا يأتى حلال بموضع ... فكل أكل محتاج عديم ومضطر
ولكنه بعد الحرامة دائما ... وبعد اجتهاد حل فى حيز الحظر
وإياك لا تبسط بيمينك آخذا ... لتحفة خوان وإعطاء ذى وزر
وكن راضيا بالفقر لانك مكثرا ... وجرد ثياب الحرص فيها عن الظهر

(ومنها) أى ومن الجيفة الحسية والمعنوية (خذوا سد الحياة) أى ما يسد رمقكم وحياتكم ولكن (بلا اقتنا) قصره للوزن : أى من غير اتخاذها قنية وكسبابل متى استغنى عنها طرحها طرحا كليا ونبذت وراء ظهريا . وفى [جع] ثم إذا ألجأت الضرورة واشتدت الحاجة ولم يجد العبد ملجأ إلا أن يأخذ قوته مما حرم شرعا فى الأسواق فليأخذ قدر ما يقوته وليكن جاريا فى ذلك على حكم المضطر فى أكل الميتة فإنه إنما يأكل بلاغا وسدا للفاقة لا كسبا ولا تمولا اهـ . ولذا قيل لو كانت الدنيا كلها دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأنه إنما يأكل ما يسد رمقه . ولاحق لابن آدم إلا فى ثلاث بيت يكنه وثوب يوارى عورته ولقيمات يقمن صلبه وماسوى ذلك تفاخر وتكاثر وفضول - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - وفيه : وسألنى سيدنا رضى الله عنه قال : ما العلة فى إباحة ميتة البحر وتحريم ميتة البر وما الفرق بينهما ؟ قلت له الذى عندنا أنها تعبدية ، فقال لا بل لعلة ، قلت الله ورسوله أعلم . قال رضى الله عنه : العلة فى ميتة البر لأن دمها مسموم وكل من أكله صرف الله قلبه عن التقوى ولأن دم الميتة لم يخرج بل يجمد فى لحمها : قلت له كذلك ميتة البحر فلا فرق بينهما قال رضى الله عنه : دواب البحر لم تمسها الشمس والهواء لدوام دخولها فى الماء فإن دمها بارد زالت طبيعتها ، بخلاف دواب البر فإن دمها مطبوخ بحر الشمس والهواء فالطبع كامل فيه وعلته قوية فهذا سبب منع أكله والسلام انتهى . وهذه العلة المفضلة موجودة فى الحرام أيضا مع حال أخرى وما يعقلها إلا العالمون (وقال بأخذ الزاد) من الجيفة الحسية (بعض الأئمة) وفى الرسالة : ولا بأس للمضطر أن يأكل الميتة وأن يشبع ويتزود منها فإن استغنى عنها طرحها اهـ . وفى الموطأ : ومن أحسن ما سمعت فى الرجل يضطر إلى الميتة أنه يأكل منها حتى يشبع ويتزود منها فإن وجد عنها غنى طرحها اهـ : وما نحن بصدده كذلك إن شاء الله فيجوز للإنسان أن يأكل من الجيفة المعنوية حتى يشبع ويتزود منها فإذا استغنى عنها طرحها .

وفى الذخيرة : وإذا أكل المضطر مال مسلم اقتصر على سد الرمق ، إلا أن يعلم طول الطريق فليتزود لأن مواساته تجب إذا جاع ، وهل يضمن قيمة ما أكل لربه أم لا ؟ فى ذلك خلاف انظر شراح خليل عند قوله : ولا طعام غير إن لم يخف القطع . وفى [جه] وسئل سيدنا رضى الله عنه عن مسائل منها ماحكم الله فى مال الأعراب المحاربين الناهبين أموال بعضهم بعضا وما حكم المعاملة معهم وما الحكم فى صدقاتهم وعطيتهم ومشارطة الطلبة عندهم للقراءة ؟ فأجاب رضى الله عنه بما نصه قال : اعلم أن إجماع الأمة انعقد على أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس وكل ما أخذ عن غير طيب نفس فحرام إلا ما أخذه بصورة شرعية قهرية كأخذ الزكاة من مانعها وكأخذ حقوق المظلومين من مانعها وما تبع ذلك من الحقوق اللازمة شرعا ، وهى كثيرة مفصلة فى كتب الفروع فلا نطيل بذكرها ، فإن

أخذ ذلك من صاحبه عن غير طيب نفس حلال لتعلق الحق الشرعى به لقوله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» :

وأما غير هذا فإن أخذ مال المسلم عن غير طيب نفس حرام بالإجماع يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع «إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا اللهم هل بلغت فقالوا اللهم نعم» والحديث وقضيته مشهورة فى كتب الحديث فلا نطيل بذكره ، وقال سبحانه وتعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم - فالمرجع فى الحكم إلى هذه النصوص القطعية والوقوف عند حدودها فرض لازم على مسلم ، فإذا عرف هذا فما مضت عليه عادة الأعراب والظلمة من اقتحامهم وأخذ مال المسلمين بغير صورة شرعية فكل ما بأيديكم حرام لا يحل لمسلم معاملتهم بوجه من وجوه العوض ولا قبول عطياتهم وهداياهم كل ذلك حرام فهذا حده فى الأصل . ثم إن كان البلد غلب عليها جميع ذلك ولا يوجد غيره بأيديهم بوجه من وجوه المخالطة فكل ذلك حرام ، ومن تعلل ممن ينسب إلى الفقه أو إلى الإسلام فأخذ ذلك مستحلا له معتذرا بعدم وجود غيره فلا عذر له فى الشرع ويسجل عليه فى الشرع بأنه مقتحم ما حرم الله ظلما ولا يحل سكناه فى تلك البلد ولا بقاؤه بينهم ، والهجرة عليه من ذلك المكان واجبة بتواتر نصوص الشرع وما كان مخالطا عندهم بوجوه التجارة فى ذلك الحرام وإتلاف عينه واشتراء بدله عينا أخرى وبوجوه الحراثة والصناعة أو ضم مال بصورة شرعية إليه فالأصل المعول عليه أن ذلك كله حرام بجميع ما اختلط فيه فمن قدر على ذلك تمسك بهذا الأصل وجرى عليه .
ثم أن تنزل الأمر إلى عموم ذلك فى الأرض واختلاط ذلك بصورة حلال وصورة حرام بأيدى كاسبيه كما هو صورة الوقت فعلى المؤمن فى إقامة طلب فرض الحلال أن يجتنب ما علمت صورته صورة الغصب، والمحرم وما جهل من ذلك وكان الأصل الاختلاط بصورة حلال وصورة حرام كما ذكرنا أولا وعم الفساد فى الأرض كما هو صورة الوقت رجع إلى أصل الحلال الثالث وهو أن الحلال ما جهل أصله فإن صورة الحلال كان فى عهده صلى الله عليه وسلم ما عرف أصله وأصل أصله ، ثم لما انقضت مدة الخلافة ورجعت ملكا عضوضا رجع الحلال ما عرف أصله فقط ثم لما زاد الفساد وطمى بحره صار الحلال ما جهل أصله وهى المرتبة الثالثة فى الحلال ، وعلى هذا الحد وهذا المنوال يجرى الحكم فى معاملة هذه الطوائف بوجوه العوض وقبول عطياتهم فلا يجتنب منها إلا ما عرف صورة الحرام فيه مثل الشىء المغصوب والمأخوذ من ثمن الخمر والمأخوذ فى صورة ربا النسيئة وهى كثيرة يقاس مالم يذكر منها على ذكر :

وأما ما جهلت صورته فإن علم من صاحبه أنه لم يكن عنده إلا الحرام لم يخلطه بصورة أخرى كالحراثة والتجارة وإبدال عين بعين أخرى فكل مابيده حرام لاتحل معاملته ولاقبول عطياته ، وما اختلط بهذه الصور من تجارة وحراثة وصناعة وإبدال عين بعين أخرى وإضافة حلال له لم يحرم ما فى يده إلا ماله عين قائمة فى التحريم ، وأما ماجهل أصله فحلال ، وقولنا فى هذا المحل حلال فإنما هو حلال عرضى لا أصلى لعدم وجود غيره بكثرة الفساد وعمومه فى الأرض واحتياج العبد إلى القوت فيكون حلالا بما أعطاه حكم الوقت والضرورة فقد قال سبحانه وتعالى - وما جعل عليكم فى الدين من حرج -

ولذا قال القطب الكامل والوارث الواصل والقدوة الشامل سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه :
لو كانت الدنيا عبطة من دم لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن الله تعالى فرض العبادة على العبد وأباح له أن يأكل مما فى الأرض حلالا طيبا كما هو نص الآية ، فإذا تتبع فى الأرض وجوه الحلال وعمت البلية فى الأرض كان اقتحامه للحلال الأعلا فالأعلا إما أن يكون مما عرف أصله وأصل أصله كمعاملة الحربيين بأخذ الأجرة منهم على الخدمة والاشتراء مما بأيديهم فإن كل ما بأيديهم كله حلال لا معارضة فيه ، فمن وجد السبيل إلى هذا وأمكنه فلا يحل له معاملة المسلمين بوجه من الوجوه ولا يعامل إلا الكفار الحربيين لتمحض الحلال بأيديهم ، ولو أخذوا مال المسلمين فكله حلال ومعاملتهم حلال فى غير الخيانة والأخذ بالأيمان الكاذبة والغدر فإن ذلك حرام ، ثم إن لم يجد هذا فيتنزل إلى ما عرف أصله كمن وجد كنزا من المال بصورة الجاهلية فى أرض غير مماوكة ، وكذلك المعدن على هذه الصورة والصيد وغيره ودون هذا من المراتب ما جهل أصله وعرف اختلاطه بأيدى كاسبيه وله مراتب مفصلة فى كتب الفروع وآخر مراتب الحلال إذا عمت البلية فى الأرض فلم يجد المؤمن منها لقوته إلا الصورة المحرمة وألجأه الحال إلى ذلك حل له أخذ قوته فقط كاقتيات الجائع من الميتة ولحم الخنزير فقط ، وأما الزكاة فى المحرم بصورة الغصب وشبهه فلا زكاة فيـــه لأن الزكاة فيما يتعلق ملك الشخص به ولا ملكية فى الغصب وشبهه ، وأما ما اختلط وذهبت عينه بعين أخرى وخلط بالحراثة والتجارة والصناعة فيزكى كله ، وأما أخــذ الزكاة من مانعها لمستحقها بصورة السرقة والخيانة أو الغصب فكأنه حرام فلم يعرف فيه مخالف من أهل الأصول ولا يحل ذلك إلا للسلطان لا ما عداه ، ولا يقول بإباحتها إلا من لا دين له ولا أمانة ثم مشارطة الطلبة فهى داخلة فى تفصيل المعاملة السالفة انتهى ، انظره قال رحمه الله :

(فَمَنْ كانَ عالَةً عَلَى النَّاسِ يُزْدَرَى ... يُعَدُّ مِنَ النِّسَاءِ مِنْ صِنْفِ صِبْيَةِ
فَكُنْ يَاأَخِى صَقْراً يِصِيدُ لِبُومَةٍ ... فَأَخْسِس بِوَصْفِ صَبْوَةٍ وأُنُوثَةِ)

(فمن كان عالة) جمع عائل كباعة جمع بائع وهو من يلزم الإنفاق عليه وتلتزم مؤونته (على الناس) والإخوان والأقران (يزدرى) يحتقر ويهان عندهم ، وفى الحديث «عز المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه فى قيام الليل» فإن من طمع ذل وانحطت رتبته . وفى الحكم : ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع ، ماقادك شىء مثل الوهم ، أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع ، اه : وفى [مح] قال لقمان لابنه : يابنى حملت الصخور والحديد فلم أر شيئا أثقل من الدين ، وأكلت الطيب وعانقت الحسان فلم أر شيئا ألذ من العافية ، وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئا أمر من الحاجة إلى الناس وقال الشعرانى : ومن أخلاق السلف تقديم الخوف من الحاجة إلى الناس على خوف الحساب من جهة المال الذى ربما دخلته الشبهة . وقال سفيان الثورى : لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب إلى من أن احتاج إلى الناس ، وقال : المال فيما مضى يكره وأما اليوم فهو ترس المؤمن ، وقال : حفظك لما فى يدك لتقضى به حاجتك أولى من تصدقك وطلبك لما فى يد غيرك ، وقال : خصلتان لايزال العبد بخير ماحفظهما : درهمه لمعاشه ودينه لمعاده انظره . وفى [جم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننفق على زوجاتنا وعيالنا ، ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : اسع على عيالك ليلا ونهارا ولو سماك الناس دنيويا ، فإنه خير من أن يسموك صالحا وأنت تأكل صدقاتهم

وأوساخهم وناظر ما فى أيديهم وكل من لم يعطك شيئاً تكرهه مع أن تلك الكراهة من غير حق ، انظره (يعدّ من) جنس (النسا) قصره للوزن (ومن صنف صبية) جمع صبى لأن من لا كسب له والناس ينفقون عليه من جملة النساء والصبيان وإن كانت له لحية كبيرة وسبحة طويلة وسجادة رقيقة وعذبة رخاة ومرقعة ملونة وشفاعات مقبولة عند الولاة وغير ذلك مما هو من أوصاف الرجال وليس له حظ ولا نصيب فى الرجولية قال تعالى ـ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ـ وقال ـ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ـ الآية ، فوصفهم الله بالرجولية إذ أكلوا من كسبهم وأنفقوا من فضله . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نقبل صدقة ولا هدية من امرأة إلا بعد أن نسأل عن ذلك فربما كان من مال زوجها بغير إذنه فنقع فى الإثم ونعينها على الحرام ، وهذا الأمر يقع فيه الفقهاء المغفلون الذين يقرئون النساء البخارى والقرآن والموالد ، وقد نهى جميع أشياخ الطريق عن قبول الرفق من النساء ولو كان من كسبهن لأن الله تعالى قال ـ الرجال قوامون على النساء ـ قالوا ومن ترخص فى ذلك فهو دنىء الهمة والمروءة لا يجىء منه شىء فى الطريق فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلكه ويرق به إلى مقام الرجولية ويقطعه عن محبة الدنيا ، وإلا فمن لازمه أنه يلعق كل ما وجده انظره (فكن ياأخى صقرا) بفتح الصاد كفلس وهو كل شىء يصيد من البزاة والشواهين[1] (يصيد) من صاده يصيده ويصاده اصطاده (لبومة) بضم موحدة ، وفى [س] البوم والبومة بضمهما طائر كلاهما للذكر والأنثى اه .

ولا ترض لنفسك ولعيالك أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق أن تكون بومة فيصيد لك ولهم غيرك من الرجال البزاة والأقران الكماة . وفى [عم] وقد غلط فى هذا الأمر قوم فتركوا جمع الدنيا أصلا ورأسا فاحتاجوا إلى سؤال الناس تعريضا وتصريحا ولو أنهم كانوا سلكوا على يد الأشياخ حتى فطموهم عن الميل إليها لجمعوا القناطير من الذهب وأنفقوها على المساكين وحصل لهم خير الدنيا والآخرة :

[وقد حكى] أن فقيرا دخل زاوية سيدى إبراهيم المتبولى فجلس للعبادة ليلا ونهارا وترك الكسب ، وكان الشيخ لا يحب للفقير عدم الكسب فقال له : يا ولدى لم لا تحترف وتقوم بنفسك وتستغنى عن حمل الناس لك الطعام ؟ فقال ياسيدى لما دخلت زاويتكم رأيت فى تلك الطاقة بومة عمياء لا تطيق أن تسعى مثل ما تسعى الطيور ، ورأيت صقرا يأتيها كل يوم بقطعة لحم يرميها لها فى طاقتها ، فقلت أنا أولى بالتوكل على الله من هذه البومة ، فقال له سيدى إبراهيم : ولم تجعل نفسك بومة عمياء هلا جعلتها صقرا تأكل وتطعم البومة ؟ فقال الفقير : التوبة وخرج للكسب اه . فيحتاج الفقير إلى حال صادق يرمى به الدنيا وحال صادق يأخذها بعد ذلك به والله غفور رحيم ، انظره . وفى [مح] وقد نص العلماء بأن من وجد كفاية عن الأسباب فالله قد أغناه وإلا فلا يجوز لأحد أن يقعد عن الأسباب اتكالا على الناس وهو قادر على الاكتساب والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف به من الحرام اه (فأخسس) فعل ماض تعجبى (بوصف) فاعل مجرور بباء زائدة (صبوة) كثمرة جهلة الفتوة (و) وصف (أنوثة) بضم الهمزة أى

---

[1] الشواهين جمع شاهين : وهو طائر معروف من سباع الطير ، وليس بعربى محض ، كذا فى القاموس اه .

ماأخس هذين الوصفين بالنسبة لوصف الرجولية . قال رحمه الله :

(فَقُمْ وابْتَغِ الحَلاَلَ بالكَسْبِ وَالعَنَا ولاتَكُ كَلاًّ عِنْدَ أصحابِ ثَرْوَةِ)

(فقم) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق بنية صادقة وهمة نافذة بنفسك، وللشافعى رضى الله عنه :

ما حك جسمك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك
وإذا قصدت لحاجة فاقصد لمعترف بقدرك

ولأبى المواهب الشاذلى رضى الله عنه وعنابه آمين :

دع الرسائل فى نيل الحوائج مع كتب تنمقها فى ذلك الغرض
كذا مواعيد من يروق منظره كم منظر معجب والفعل غير رضى
وقم بنفسك وانهض على قدم فما تزف المنى لغير منتهض
واصحب نقوشا بمنقوش إذا ظهرت لم يبق فى الناس رأس غير منخفض
هى الدراهم من يرد مصاحبة فليس فى غيرها للمرء من عوض اه

(وابتغ) اطلب بالجد والاجتهاد لنفسك ولمن تعلق بك من العيال (الحلال) الذى هو أصل كل خير ومنبع كل بر - والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه - الآية، قال تعالى - يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان - وهى كل ماحرمه الله تعالى من المعاملات، وقال - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - وفى الحديث « من أكل طيبا وعمل فى سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » وفى آخر « إن الله طيب يحب الطيب لطيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » أى فى قذارتهم وقذارة أفنيتهم : وفى [حى] قال صلى الله عليه وسلم « العبادة عشرة أجزاء تسعة منها فى طلب الحلال » وفى الحديث « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » وفى آخر « الحلال ما أحل الله فى كتابه والحرام ما حرم الله فى كتابه ، وما سكت عنه فقد عفى عنه » وفى آخر « الحلال بين والحرام بين فدع ما يريبك إلى مالا يريبك » اه . وفى الحلية : اجتمع يونس بن عبيد وحسان بن أبى سنان فقال يونس : ماعالجت شيئا أشد على من الورع . فقال حسان : ماعالجت شيئا أهون على منه . قال كيف؟ قال تركت مايريبنى إلى مالا يريبنى فاسترحت . وفى [جص] « طلب الحلال واجب على كل مسلم » قال الحفنى : أى طلب معرفته والأكل منه فإن ذلك ينور البصيرة . ولذا رؤى ابن أدهم فى الشام فقيل له ماجىء بك هنا ؟ فقال لأملأ بطنى من حلال لا لصوم ولا لصلاة ولا لغير ذلك . والمراد بالحلال مالم تعلم حرمته ولم يغلب على الظن حرمته لقرينة كقرينة النهب ونحوه اه . وفيه « اجعلوا بينكم وبين الحرام سترا من الحلال من فعل ذلك استبرأ لعرضه ودينه ومن أرتع فيه كان كالمرتع إلى جنب الحمى يوشك أن يقع فيه وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله فى الأرض محارمه » اه وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم الحرام » وفيه « إن هذا المال خضرة حلو ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله فى سبيل الله واليتامى والمساكين ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذى لا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة » وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نغفل عما يدخل بطوننا فى هذا الزمان من الحرام والشبهات وأن نضيق على نفوسنا ما أمكن ، وذلك لأن إصلاح القلب

وإلهامه لفعل الخير متوقف على إصلاح الطعمة فمن أكل من الحرام والشبهات وطلب أن يفهم دقائق الشريعة أو أن يقع على يديه أعمال الصالحين أو أن ينشرح صدره للطاعات فقد أخطأ الطريق ولا يصح له ذلك أبدا ، وقول بعضهم : من أدب الفقير أن لا يفتش محله ما إذا غلب الحلال فافهم مع أن من استبرأ لدينه فتش مطلقا . واعلم يا أخى أن من علامات الحرام والشبهات أن تنام كالسكران وتنظر المنامات فلا تهتدى لذكرها على وجهها وتقوم من النوم فتمكث ساعة وأنت باهت كالسكران عكس آكل الحلال فإنه يستيقظ كأن لم يكن نائما، ودليلنا فى ذلك قوله تعالى فى حق أكلة الربى ـ الذين يأكلون الربى لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ـ انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجتهد فى طلب الحلال لنأكل منه ونلبس منه وننفق على عيالنا وإخواننا منه . فإنه موجود ما دام المكلفون فى الدنيا وإذا صدق العبد فى طلب الحلال استخرجه الله من بين الحرام والشبهات كما يستخرج اللبن من بين فرث ودم ، فلا تسمع يا أخى إلى قول من يقول مابقى فى الدنيا حلال فإن ذلك جهل منه ، وأصل ذلك كثرة أكله هو من الحرام والشبهات فظن أن أحدا لا يسلم من ذلك قياسا عليه هو ، وغاب عنه أن الله تعالى إذا اعتنى بعبده طهره من الخبائث ويسر له الحلال الصرف الخالص ، فلولا ما سبق فى علم الله تعالى من خبث نفس هذا القائل ما ساق إليه الخبيث قال تعالى ـ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ـ فمن خبثت نفسه سيقت للخبيث وسيق الخبيث لها ومن طابت نفسه سيق إليها الرزق الطيب وسيقت إليه ، فاعمل يا أخى على إصلاح النية واطلب الحلال جهدك ، انظره . ورحم الله من قال :

المال فيه مجلة ومهابة | والفقر فيه مذلة وفضوح
خاطر بنفسك كى تنال غنيمة | إن الجلوس مع العيال قبيح

ومن قال :

إذا المرء لم يطلب معاشا بكفه | شكى الفقر أو لام الصديق فأكثرا
فسر فى بلاد الله والتمس الغنى | تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترضين بعيش دون ولا تنم | وكيف ينام الليل من كان معسرا

ومن قال :

ذرينى للغنى أسعى فإنى | رأيت الناس شرهم الفقير
وأدناهم وأهونهم عليه | وإن أمسى له حسب وخير
يباعده القريب وتزدريه | حليلته ويقهره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلال | يكاد فؤاد لاقيه يطير
قليل ذنبه والذنب جم | ولكن للغنى رب غفور اهـ

ومن قال :

يغدو الفقير وكل شىء ضده | والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب | ويرى العداوة لايرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة | أصغت إليه وحركت أذنابها
وإذا رأت يوما فقيرا عاريا | نبحت عليه وكشرت أنيابها

ومن قال :

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب ... وقد يسود غير السيد المال

ومن قال :

ولا رفع للنفس الدنية كالغنى ... ولا وضع للنفس الشريفة كالفقر

ومن قال : إن الغنى إذا تكلم بالخطا ... قالوا أصبت وصدّقوا ما قالا

وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم ... أخطأت ياهذا وقلت ضلالا

إن الدراهم فى الأماكن كلها ... تكسوا الرجال مهابة وجمالا

فهى اللسان لمن أراد فصاحة ... وهى السيوف لمن أراد قتالا

(بالكسب) هو طلب الرزق والمعيشة . وفى [جص] وإن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم » . وفيه : «إذا كان آخر الزمان فلابد للناس فيه من الدراهم والدنانير يقيم الرجل بها دينه ودنياه» اه . وعليه فمن أحب المال لصيانة دينه وعرضه فهو مصيب ومثاب « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » وفيه : « الدنانير والدراهم خواتم الله فى أرضه ، من جاء بخاتم مولاه قضيت حاجته» . قال العزيزى : قال الغزالى : من نعم الله خلق الدراهم والدنانير وهما قوام الدنيا اه وفيه : « لعثرة فى كد حلال على عيال أفضل عند الله من ضرب بسيف حولا كاملا لايجف دما مع إمام عادل» . وفى الحديث « الحث على القيام بأمر العيال والتحذير من تضييعهم وأن القيام بهم أفضل من الجهاد فى سبيل الله » وفيه « باكروا فى طلب الرزق والحوائج فإن الغدوّ بركة ونجاح » وفى [حى] قال صلى الله عليه وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ، ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وفى رواية « زهده الله فى الدنيا » وفيه : قال لقمان لابنه : يابنى استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال : رقة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب مروءته ، وأعظم من هذه الثلاثة استخفاف الناس به . وقال عمر رضى الله عنه : لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة . وكان زيد بن مسلمة يغرس فى أرضه فقال له عمر رضى الله عنه : أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم ، كما قال صاحبكم أحيحة :

فلن أزال على الزوراء أعمرها ... إن الكريم على الإخوان ذو المال

استغن أومت ولايغررك ذونسب ... من ابن عم ومن عم ومن خال

كل النداء إذا ناديت يخذلنى ... إلا النداء إذا ناديت بأمالى

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إنى لأكره أن أرى الرجل فارغا لا فى أمر دينه ولا فى أمر آخرته اه . وكان قيس بن عاصم مع زهده وورعه يقول لبنيه : عليكم بالكسب الحلال فإنه يسر الصديق ويكمد [1] العدو وتستغنون به عن سؤال الناس لاسيما اللئيم ، فإن ذلك كسب العاجز . وروى « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا ياويح هذا لو كان جلده وشبابه فى سبيل الله ، فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وإن كان يسعى على

(١) بضم تحتية من أكمده : أحزنه . اه .

أبوين ضعيفين أو ذرية ضعافا ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان» انظره (والعنا) قصره للوزن من عنى كرضى عناء تعب ونصب ، وفى الحديث «من أصبح وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له وأصبح والله عنه راض » وفى [جص] من أصبح[1] كالاً من عمل يده أمسى مغفورا له » وفيه « إن الله تعالى يحب أن يرى عبده تعبا فى طلب الحلال » أى إنه يرضى عنه بذلك ويثيبه عليه إن قصد بعمله التقوى على طاعة الله والتقرب إليه . قال العزيزى : قال السهروردى رحمه الله : أجمعوا أى الصوفية على مدح الكسب والتجارة والصناعة بقصد التعاون على البر والتقوى من غير أن يراه سببا لاستجلاب الرزق ، ولا تحل المسألة لغنى ولا لسوى[2] انظره وفى [هب] الثامن : أى من الأسباب التى توجب الانقطاع عن الله تعالى استحلاء التعب والمشقة فى طلب الدنيا على عبادة الله عز وجل ، فمن أحس بذلك من نفسه فليعلم أنه مرتكب سببا من أسباب الانقطاع . التاسع : طلب الدنيا بما هو أهون منها وأذل وأحقر ، وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يطلبونها بما هو أعلى منها وأعز كالجهاد والتجارة والزراعة وغير ذلك من أسباب الحلال ، وأما من طلب الدنيا بالزور والكذب والفجور والأيمان الحانثة فقد طلبها بمعاص هى أخس منها : أى من الدنيا فمن أحس بذلك من نفسه فليتب إلى الله عز وجل فإن الدنيا لا تدرك إلا بما هو أعز منها انظره . وفى [غص] وسألته رضى الله عنه هل الأفضل اتباعى للمشايخ الذين أدركتهم كالشيخ المرصفى وأبى السعود الجارحى والشيخ نور الدين الشونى وأضرابهم فى الأكل بما يفتح الله به من غير عمل حرفة أم الأفضل عمل الحرفة ، فأجاب رضى الله عنه من لا عمل له لا أجرة له ، وبيانه أن الأعمال والاكتساب من الأقوال والأفعال والأنفاس المحمودة من سائر العالم مديرة للفلك وموجبة للأثر بحسب تلك الأحوال وبحسب نيات من ظهرت عنهم فإذا ظهرت الآثار تنزلت على كل إنسان بحسب رتبته من تلك الأحوال ، فكل من كان فعله أتقن وأكمل كان فعله أسرع دورانا للفلك وكل من كان عمله أتقن وأكمل كان تضاعف الحسنات له أكثر ، ومن كان تاركا للأسباب أصلا دار الفلك بنصيب غيره ولم يحصل له شىء من الأمداد لكونه لم يعمل شيئا ، ومعلوم أن الحق تعالى لا نسبة بيننا وبينه فى العطاء بلا عمل لبراءته تعالى عن أن ينفصل منه شىء لنا أو يتصل به شىء منا ، وإنما الأمر راجع هنا لنا بحسب أعمالنا وهو الغنى الحميد ، ومن هنا عتب الخضر على موسى عليه السلام حين أقام الجدار بغير أجرة لعلمه هذا الأمر والرسالة وهب لا كسب ، فأراد الخضر عليه السلام أن يجمع لموسى بين مرتبتى الكسب والوهب وهى مرتبة الكمل والأقطاب والله تعالى أعلم اهـ (ولا تك كلا) الكل بفتح الكاف اليتيم والثقيل ومن لا خير فيه والعيال والثقل جمعه كلول كفلس وفلوس (عند أصحاب ثروة) بفتح مثلثة العدد من المال والناس . وفى [جص] « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس » وفيه «خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس » قال العزيزى : فإن خير الناس من جعل دنياه مزرعة للآخرة وأخسرهم من شغلته دنياه عن الآخرة اهـ . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نأمر من صحبنا من المحترفين بالإقامة فى حرفته ولو قوى يقينه بالله عز وجل ، فإن من أحب العباد إلى الله المحترفين من كان فى سببه مع

---

(١) لعلها من « بات » مصححه .	(٢) أى الشاب القوى اهـ .

التفويض التام لله تعالى . وكان بعض الفقراء رضى الله تعالى عنه يقول : ينبغى عندى أن يكون الفقير مع أستاذه فى انقياده له كالدابة التى تحمل أمتعة الناس ثم يسوقونها لا تدرى المتاع الذى على ظهرها لمن هو ولامع من هو ، ولا تعلم بنفاسة ماحملته ولا بخسته ، وهى مع ذلك صابرة على ماتقاسيه من كد العمل وعلى ما تلاقيه من شدة الجوع والعطش غير طامعة فى شىء ترتجيه بأفعالها فى الدنيا والآخرة ، وهذا العهد يقع فى خيانته كثير من الفقراء الذين لم يسلكوا الطريق على يد شيخ فيترك حرفته ويدور فى الزوايا كلا على الناس والإخوان يأكل الصدقات وأوساخ الناس بعد أن كان يأكل من كسبه ويتصدق على الفقراء وغيرهم ، لا سيما إن لبس الزى وجلس فى زاوية وادعى مقام العرفان ، أو أنه من الصالحين كما يقع لبعض الناس فإنه يتلف بالكلية وذلك لأن نفسه ما بقيت تطاوعه أن يرجع إلى الحرفة وذلها بعد أن عمل شيخا ولامعه يقين يحميه من أوساخ الناس ، نسأل الله العافية آمين ، انظره . وفى [حى] قال عليه الصلاة والسلام « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه » وقال « من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » انظره . وفى [جص] « من سأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمر جهنم فليستقل منه أو ليستكثر » وفيه « من سأل من غير فقر فإنما يأكل الجمر » وفيه « من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم » وفيه « لو يعلم صاحب المسألة ماله فيها لم يسأل » اهـ . وقد قيل : أربعة فيها ذل عظيم : الدين ولو درهم ، والبنت ولو مريم ، والسفر ولو ميل ، والسؤال ولو إلى أين السبيل . ورحم الله من قال :

لا تكن طالبا لما فى يد النا ... س فيزور (١) عن لقاك الصديق
إنما الذل فى سؤالك للنا ... س ولو فى سؤال أين الطريق

وللشافعى رضى الله عنه :

أعز الناس نفسا من تراه ... يعز النفس عن ذل السؤال
ويقنع باليسير ولا يبالى ... بفضل فات من جاه ومال
فكم دقت ورقت واسترقت ... فضول العيش أعناق الرجال

ورحم الله من قال :

بلوت (٢) الناس قرنا بعد قرن ... فلم أر غير ختل (٣) أو قتال
ولم أر فى الخطوب أشد ضرا ... وأدى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الأشياء طرا ... فما شىء أمر من السؤال

ومن قال :

ما نال باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغنى بسؤال
وإذا النوال مع السؤال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال
وإذا بليت يبذل وجهك سائلا ... فابذله للمتكرم المفضال

---

(١) أى يفر الصديق من لقائك . (٢) أى اختبرت .
(٣) جمع خاتل كصحب جمع صاحب اهـ .

ومن قال :

لموت الفتى خير من الفقر للفتى ... وللموت خير من سؤال بخيل
لعمرك ماشيء لوجهك قيمة ... فلا تلق مخلوقا بوجه ذليل
ولا تسألن من كان يسأل مرة ... فللموت خير من سؤال سؤول

ومن قال :

لم يخلق الرحمن أحمق لحية ... من سائل يرجو الندى من سائل

ولما أضر الفقر بالقاضي سيدى عبد الوهاب رحمه الله تمنى الكفاف ولزوم العلم إلى الممات فقال :

يالهف نفسى على شيئين لو جمعا ... عندى لكنت إذا من أفضل البشر
كفاف عيش كفانى ذل مسألة ... وخدمة العلم حتى ينقضى العمر

فحقق الله أمنيته واستجاب دعوته لصدق نيته وصفاء سريرته .

يارب فامنن على بهما كرما ... بجاه خير الورى وشيخنا أحمدا

وفى [عف] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من يضمن لى واحدة أتكفل له بالجنة » قال ثوبان : قلت أنا قال : لاتسأل الناس شيئا فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله وينزل هو ويأخذها ، وفيه : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فأصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع فقالت لى امرأتى ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أتاه فلان فأعطاه وأتاه فلان فأعطاه قال فأتيته وقلت ألتمس شيئا فذهبت أطلب فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ويقول « من استعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن سألنا شيئا فوجدناه أعطيناه وواسيناه ومن استعف عنه واستغنى فهو أحب إلينا ممن سألناه قال فرجعت وما سألته فرزقنا الله حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منا » انظره . وفيه : وقال على رضى الله عنه : من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه ، ومن جلس على بساط السؤال لم يرض عن الله فى كل حال اه . وفى الحديث « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره قالوا وما هو ؟ قال غداء يوم وعشاء ليلة » وفى آخر « من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافا » وفى آخر « من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن سأل الناس وله عدل خمس أواق فقد سأل إلحافا » وفى آخر « من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ، ومن استكف كفاه الله ، ومن سأل الناس وله قيمة أوقية فقد ألحف » وفى آخر « مسئلة الناس من الفواحش ماأحل الله من الفواحش غيرها » ومعلوم أن الفاحشة لاتباح إلا لضرورة فادحة كما يباح شرب الخمر لإزالة غصة إذا لم يوجد غيره انظره [حى]. وفى مسلم عن قبيصة قال « تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها قال ثم قال ياقبيصة إن المسئلة لاتحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسئلة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش فماسواهن من المسئلة ياقبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا » وقوله سحتا بالنصب أى اعتقده سحتا ، وفى رواية غير مسلم سحت بالرفع . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون

سدانا ولحمتنا القناعة والتعفف والأكل من الكسب الحلال بطريقة الشرع الشامل لمدالبدين بالدعاء إلى حضرة الله تعالى إذا عجزنا عن عمل الحرفة المعتادة ولا نأكل بديننا ، وهذا العهد لايعمل به على وجهه إلا من سلك الطريق على يد شيخ وإلا فلا يشم من العمل برائحة فإن العبد مالم يصل إلى معرفة الله تعالى لايصح له فى القناعة ولا التعفف قدم ، وذلك أنه إذا عرف الله تعالى فمن لازمه الرضا به من الكونين ، ولا يطلب قط فيهما نعيما غير مجالسة الحق جل وعلا ولا يبالى بما فاته منهما إذا كان الحق تعالى له عوضا من كل شىء ، وأما من لم يصل إلى معرفة الله تعالى فمن لازمه شراهة النفس لأن الدنيا مشهودة فلذلك كان هذا العهد يخل به كثير من الناس فى هذا الزمان حتى لايكاد الإنسان يرى متعففا ولا قانعا ولا متورعا فى اللقمة أبدا ، ثم قال : لا يخفى أن من أقبح الصفات عدم تعفف العالم والصالح وطلبهما من الولاة جوالى أو مسموحا أو مرتبا على بساط السلطان ثم يطلبان بعد ذلك تمشية شفاعاتهم عندهم فى أمور المسلمين ، وهذا أمر لا يتم لهم فإن شرط الشافع العفة والورع عما بأيدى الولاة ، فإنهم إذا رأوه زاهدا فيما رغب فيه ملوكهم فضلا عنهم عظموه ضرورة وأحبوه وقبلوا شفاعته وتبركوا به ، ثم قال : فاسلك يا أخى طريق الفقراء والعلماء الذين مضوا ولا تتبع أهل زمانك تهلك. وقد بلغنا عن أبى إسحاق الشيرازى أنه كانت تعرض عليه الأموال فيردها مع أن القمل سائح على وجهه ورأسه ولحيته وعليه فروة كباشية ، وكان يتغذى بماء الباقلا فيفت الكسرة اليابسة ويغمسها بماء الفول رضى الله تعالى عنه . وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لله تعالى رجال يجمعون المال ولايظهرون قناعة ويلحون فى السؤال ثم يعطون كل شىء حصل بأيديهم لمن هو محتاج إليه ولا يذوقون منه شيئا ؛ فإياك يا أخى والمبادرة بالإنكار عليهم ، وبعضهم يجمع من الدنيا عنده حتى لاتستشرف نفسه لما فى أيدى الناس أو يقف لهم على باب وكان على ذلك سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه . وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول : إذا ضاق على فقير أمر معيشته فليسأل الله تعالى فى تيسير رزق حلال مما قسمه الله تعالى له ولا يعين جهة ليكون ذلك معدودا من جملة الرزق الذى لا يحتسبه ، فإن كل شىء جاء باستشراف نفس فهو غير مبارك فيه كما صرحت به الشريعة . ثم نقل عن الشبلى أنه كان إذا جاع مد يده وسأل الله تعالى وقال هذا كسب يمينى ، ثم قال عن أخيه أفضل الدين رحمه الله : لا ينبغى لفقير السؤال حتى يبيع آلات الدار الزائدة على الضرورة كالطراحة والمخدة والعمامة الزائدة والأوانى كلها حتى نعله الزائد ، وكان يقول : لا ينبغى لفقير إذا وجد الحلال الصرف أن يشبع منه بل يأكل بقدر سد الرمق فقط خوفا أن يقع فى الحرام ، وسمعته أيضا يقول : ليست القناعة أن تأكل كل ما وجدته ولو كسرة يابسة كل يوم ، وإنما القناعة أن تطوى الثلاثة أيام فأكثر مع وجود الأكل عندك اه . ولعل مراده رضى الله عنه الطى الذى لا يضر الجسم فإن جوع المحققين إنما هو اضطرار لا اختيار ، وذلك لأن الكامل يجب عليه إعطاء كل ذى حق حقه من جسمه أو غيره ولا يظلم شيئا من رعيته سواء الجوارح وغيرها ، انظره . قال رحمه الله :

(تَقَنَّعْ بِزَادٍ كَالغَرِيبِ وَعَابِرِ السَّبِيلِ بِحَسْبُ ذِيْنِ أَوْصَلُ بُلْغَةِ)

(تقنع) أى تكلف القناعة التى هى كنز لا ينفد لحديث « القناعة مال لاينفد وكنز لا يفنى » وسئل صلى الله عليه وسلم عن القناعة فقال « هى الإياس مما فى أيدى الناس وإياكم والطمع فإنه الفقر

الحاضر » اه ، ورحم الله من قال :

إذا رمت أن تستقرض المال منفقا على شهوات النفس فى زمن العسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها عليك وإرفاقا إلى زمن اليسر
فإن رضيت كنت الغنى وإن أبت فكل منوع بعدها واسع العذر

وفى [جص] « عليكم بالقناعة فإن القناعة مال لا ينفد » قال العزيزى : هى الرضى باليسير ، وقيل القناعة الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكل وملبس وغيرهما . وقيل القناعة رضى النفس بما قسم لها من الرزق ، وهى ممدوحة ومطلوبة وثمرتها فى الدنيا السلامة من المطالبة بالحقوق وما يتبعها من التعب ، وفى الآخرة السلامة من طول الحساب . قيل فى قوله تعالى - إن الأبرار لفى نعيم - هو القناعة فى الدنيا ، وفى قوله - وإن الفجار لفى جحيم - هو الحرص على الدنيا . وفى الزبور : القانع غنى وإن كان جائعا . وقيل وضع الله خمسة أشياء فى خمسة مواضع : العز فى الطاعة ، والذل فى المعصية ، والهيبة فى قيام الليل ، والحكمة فى البطن الخالى ، والغنى فى القناعة ، ولهذا قيل : من قنع استراح من مزاحمة أهل زمانه أى فى الأسواق وغيرها ، واستطال على أقرانه : أى بالعز والمروءة ، انظره . وفيه « طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » . وعن بشر رحمه الله لو لم يكن فى القناعة إلا التمتع بالعز لكفى ، وعنه أيضا : طلبت الغنى فوجدته فى القناعة . وعن بعضهم : انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص . وقال على كرم الله وجهه : القناعة سيف لا ينبو اه . وفيه « ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ، ابن آدم لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع . إذا أصبحت معافى فى جسدك آمنا فى سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء » أى الهلاك والدروس وذهاب الأثر ، وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم البديعة ومواعظه السنية البليغة قاله العزيزى . وفيه « ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء » اه . وفى [ثيق] وفى بعض الهواتف الربانية : يقول الله عز وجل « يا عبدى خلقتك لى وحدى وجعلت الملائكة تقودك إلى حضرتى مادمت قانعا منى بالرغيف وستر العورة لك ولعيالك فإذا طلبت منى فوق ذلك قطعت الحبل بينى وبينك فلا تقدر على النهوض إلى حضرتى خطوة واحدة » اه انظره وروى « ما من يوم طلعت فيه شمسه إلا وملكان يناديان يسمعهما خلق الله إلا الثقلين : أيها الناس هلموا إلى ربكم إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » ورحم الله من قال :

النفس تأبى أن تكون فقيرة والفقر خير من غنى يطغيها
فغنى النفوس هو الكفاف وإن أبت فجميع ما فى الأرض لا يكفيها

ومن قال :

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا فإنك لا تدرى أتصبح أم تمسى
فليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس

ومن قال :

غنى النفس ما يكفيه من سد خلة فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

فالكفاف حالة متوسطة وخير الأمور أوسطها ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا » وحكى أن رجلا خطر بباله وهو بالطواف طلب الدنيا فلما نام سمع هاتفا يقول :

أقسمت بالبيت العتيق وركنه والطائفين ومنزل الفرقان
ما العيش فى المال الكثير وجمعه بل فى الكفاف وصحة الأبدان

وفى [شب] ومن النصائح النبوية قوله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس اذكروا هادم اللذات فإنكم إن ذكرتموه فى ضيق وسعه عليكم ، وإن ذكرتموه فى غنى بغضه إليكم ، إن المنايا قاطعات الآمال والليالى مدنيات الآجال ، وإن العبد بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فختم عليه، ويوم قد بقى لا يدرى لعله لا يصل إليه ، وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف وقلة غناء ماخلف . أيها الناس : إن القناعة لغنى ، وإن فى الاقتصاد لبلغة ، وإن فى الزهد لراحة، وإن لكل عمل جزاء ، وكل آت قريب » وقال بعض الحكماء : الدنيا إنما تراد لثلاثة : العز والغنى والراحة ، فن زهد فيها عز ، ومن قنع استغنى ، ومن ترك الانهماك فيها استراح. ولما اجتمع هارون الرشيد بالبهلول قال له عظنى فقال بم أعظك؟ هذه قصورهم،وهذه قبورهم ، ثم قال : كيف بك يا أمير المؤمنين إذا أقامك الحق تعالى بين يديه،وسألك عن النقير والفتيل والقطمير وأنت عطشان جوعان عريان وأهل الموقف ينظرون إليك ويضحكون فخنقته العبرة وأمر له بصلة،فقال ردها على من أخذتها منهم قبل أن لا تجد لهم شيئا ترضيهم ثم أنشد :

دع الحرص على الدنيا وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فما تدرى لمن تجمع
فإن الرزق مقسوم وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذى حرص غنى كل من يقنع

ولله در ابن رزين حيث قال من قصيدته المشهورة :

وما مجاهدة الإنسان واصلة رزقا ولا دعة الإنسان تقطعه
قد وزع الله بين الخلق رزقهم لم يخلق الله من خلق يضيعه
لكنهم كلفوا حرصا فلست ترى مسترزقا وسوى الغايات يقنعه
والحرص فى الرزق والأرزاق قد قسمت بغى ألا إن بغى المرء يصرعه

انظره ، ورحم الله من قال :

قد يرزق المرء لم تتعب رواحله ويحرم الرزق بالأسفار والتعب
إنى وعمرك ما أحصى ذوى حمق الرزق أعدى بهم من لاصق الجرب

ومن قال :

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكنه خلق الإنسان من عجل

وحكى أن رجلا سأل ابن حنبل أن يعظه فقال : إن كان الله تعالى تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا؟ وإن كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا؟ وإن كان الخلف على الله فالبخل لماذا؟ وإن كانت الجنة حقا فالراحة لماذا، وإن كانت النار حقا فالمعصية لماذا، وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا، وإن كان الحساب حقا فالجمع لماذا؟ وإن كان كل شىء بقضائه وقدره فالحزن لماذا اه. وفى [حى] روى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال : أى عبادك أغنى ؟ قال أقنعهم بما أعطيت . قال فأيهم أعدل؟ قال من أنصف من نفسه.

وقال ابن مسعود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » وقال أبو هريرة : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز ماء وعلى الدنيا الدمار »[1] وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » وفيه قال بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود ، وأهنأهم عيشا القنوع ، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع ، وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا ، وأعظمهم ندامة العالم المفرط ، وفى ذلك قيل :

أرفه[2] ببال فتى أمسى على ثقة ... إن الذى قسم الأرزاق يرزقه

فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه[3]

إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق فى دهره شيئا يؤرقه[4]

ورحم الله من قال فى مدح القناعة :

هى القناعة لا أبغى بها بدلا ... فيها النعيم وفيها راحة البدن

أنظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... ما فاز منها سوى باللحد والكفن

ومن قال :

وجدت القناعة أصل الغنى ... فصرت بأذيالها ممتسك

فلا ذا يرانى على بابه ... ولا ذا يرانى به منهمك

فصرت غنيا بلا درهم ... أمر على الناس شبه الملك

ومن قال :

يا طالب الرزق والأرزاق قد قسمت ... بين الخلائق لم تنقص ولم تزد

أتعبت نفسك فيما لست مدركه ... وضاع عمرك فى هم وفى نكد

لو طرت بين السما والأرض مجتهدا ... فى شربة الماء فوق الرزق لم تجد

هون عليك فإن الرزق عن قدر ... يأتى ولو أنه فى جبهة الأسد

ومن قال :

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون

جنون منك أن تسعى لرزق ... ويرزق فى غشاوته الجنين

وفى [حف] حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق ، فخرج إلى بعض الصحارى فرأى قنبرة[5] عمياء عرجاء ضعيفة فوقف متعجبا منها متفكرا فيما تأكل مع عجزها عن الطيران والمشى والرؤية ، فبينما هو كذلك إذا انشقت الأرض وخرجت سكرجتان فى إحداهما سمسم وفى الأخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ، ثم انشقت الأرض وغابت السكرجتان . قال : فلما

---

(١) الدمار كهلاك وزنا ومعنى اه . (٢) أرفه فعل ماض تعجبى بصيغة الأمر من الرفاهية وهى سعة العيش قاله مرتضى شرح الإحياء اه مصححه . (٣) بضم تحتية وكسر لام من أخلق الثوب أبلاه . (٤) أى يحزنه ويؤلمه قاله مرتضى . (٥) قنبرة بضم قاف وموحدة كقنفذة: اسم طائر .

رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق ، انظره . ورحم الله من قال :

ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجا ‍ ‍ ‍ هلكن إذا من جهلهن البهائم

ومن قال : الرزق مقسوم فأجمل فى الطلب ‍ ‍ ‍ يأتى بأسباب ومن غير سبب

فاسترزق الله ففى الله غنى ‍ ‍ ‍ الله خير لك من جد وأب

وللشافعى رضى الله عنه فى قصيدة بليغة :

ورزقك لا يفوتك بالتوانى ‍ ‍ ‍ وليس يزيد فى الرزق العناء

ويرزق من يشاء بلا حساب ‍ ‍ ‍ ويحرم من يريد كما يشاء

إذا ما كنت ذا قلب قنوع ‍ ‍ ‍ فأنت ومالك الدنيا سواء

وله أيضا رضى الله عنه وعن جميع الأئمة وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم :

أمت مطامعى فأرحت نفسى ‍ ‍ ‍ فإن النفس ما طمعت تهون

وأحييت القنوع وكان ميتا ‍ ‍ ‍ ففى إحيائه عرضى مصون

إذا طمع يحل بقلب عبد ‍ ‍ ‍ علته مهانة وعلاه هون

وعن النبى صلى الله عليه وسلم « عز من قنع وذل من طمع » وقد قيل : من قنع استراح من الشغل واستطال على الكل . وقيل : من طمحت عيناه لما فى أيدى الناس طال حزنه وهمه ورحم الله من قال :

عزيز النفس من لزم القناعه ‍ ‍ ‍ ولم يكشف لمخلوق قناعه

أفادتنا القناعة كل عز ‍ ‍ ‍ وهل عز أعز من القناعه

فصيرها لنفسك رأس مال ‍ ‍ ‍ وصير بعدها التقوى بضاعه

لتغنى فى حياتك عن لئيم ‍ ‍ ‍ وتسعد فى الجنان بصبر ساعه

ومن قال :

ألا يانفس إن ترضى بقوت ‍ ‍ ‍ فأنت عزيزة أبدا غنيه

دعى عنك المطامع والأمانى ‍ ‍ ‍ فكم أمنية جلبت منيه

ومن قال :

إذا ما كان عندى قوت يوم ‍ ‍ ‍ طرحت الهم عنى يا سعيد

ولم تخطر هموم غد ببالى ‍ ‍ ‍ لأن غدا له رزق جديد

(يزاد) يوصلك للمعاد . وفى [جص] « نعم العون على الدين قوت سنة : أى لأن فى ادخاره التفرغ للعبادة وللدين . وفيه : أغبط الناس عندى مؤمن خفيف الحاذ[1] ذو حظ من صلاة وكان رزقه كفافا فصبر عليه حتى يلقى الله وأحسن عبادة ربه ، وكان غامضا فى الناس عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه[2] وفيه : انتظار الفرج من الله عبادة ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى عنه بالقليل من العمل . وفيه : كل شىء فضل عن ظل بيت وجاف الخبز وثوب يوارى عورة الرجل

---

(١) الحاذ بمهملة آخره ذال معجمة : أى خفيف الظهر من العيال والمال : قاله العزيزى .

(٢) جمع باكية لأن الميت يعذب ببكاء أهله .

والماء لم يكن لابن آدم فيه حق» . ورحم الله من قال فى مجزوء :

خبز وماء وظل ... هو النعيم الأجل

جحدت نعمة ربى ... إن قلت إنى مقل

وعن بعضهم : من أغناه الله عن ثلاث فقد أتم عليه نعمته : عن سلطان يأتيه . وعن طبيب يعانيه ، وعما فى يد أخيه . وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » وفى [خل] إذا وجد الفقير فى هذا الزمان قوته من حيث لا يحتاج لأحد فهو من أكبر الكرامات إذ أن الكرامة إنما هى خرق العادة وماجرى لهذا فهو خرق عادة اه بخ وهذا فى زمنه رضى الله عنه فكيف بزمننا هذا الذى هو آخر عجب الذنب [1] جبر الله حالنا وأصلح ما لنا آمين (كالغريب) عن وطنه فإنه لا يحمل من الزاد إلا ما يوصله لوطنه . وفى [جص] « الغرباء فى الدنيا أربعة قرآن فى جوف ظالم ومسجد فى نادى قوم لا يصلى فيه ومصحف فى بيت لا يقرأ فيه ورجل صالح مع قوم سوء » وفيه « طوبى للغرباء قيل من هم يارسول الله؟ قال أناس صالحون فى أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » وفى رواية « من يبغضهم أكثر ممن يحبهم » وفيه « الغريب إذا مرض فنظر عن يمينه وعن شماله ومن أمامه ومن خلفه فلم ير أحدا يعرفه يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وفيه « لا غربة على المؤمن ، مامات مؤمن بأرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه فيها السماء والأرض » وفيه « إن الميت فى الغربة يقاس له من مولده إلى منقطع أثره فى الجنة وقيل: ثلاث لا غربة معها : حسن الأدب ، وطيب الأخلاق ، واجتناب الريب [2] . ورحم الله من قال :

يزين الغريب إذا ما اغترب ... ثلاث فمنهن حسن الأدب

وثانيه طيب أخلاقه ... ويختمهن اجتناب الريب

وقيل : ليس الغريب غريب الأوطان وإنما الغريب غريب الأقران ، ورحم الله من قال :

وما غربة الإنسان فى شقة [3] النوى ... ولكنها والله من عدم الشكل

ومن قال : لكل امرىء شكل من الناس مثله ... وأكثرهم شكلا أقلهم عقلا

وكل أناس آلفون لشكلهم ... وأكثرهم عقلا أقلهم شكلا

(وعابر) من عبر الطريق شقها وقطعها (السبيل) وعن سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . وروى عن عائشة رضى الله عنها ـ قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخلفى ثوبا حتى ترقعيه » وفى رواية فما كانت عائشة تستجد ثوبا حتى ترقع ثوبها وتنكسه » وأما ما يقع ممن يدعى التصوف من تمزيق الثوب الجديد ويجعله رقعا فهو من علامة الرياء والشهرة وفيه إضاعة المال المنهى عنها شرعا وطبعا إذ الحديث إنما ورد فى الثوب الخلق (فحسب ذين) أى فحسب هذين من الزاد الموصل للمعاد (أوصل بلغة) بضم موحدة ما يتبلغ به من العيش، وروى الحاكم عن سلمان رضى الله عنه قال : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليكن بلغة أحدكم من الدنيا

---

(١) عجب كفلس اه . (٢) قوله الريب جمع ريبة . (٣) شقة بضم شين معجمة: بعد المسافة اه .

كزاد الراكب » إنما يكفى أحدكم مادام فى الدنيا مثل زاد الراكب » ، ورحم الله من قال :

تبغى من الدنيا الكثير وإنما يكفيك منها مثل زاد الراكب
لا تعجبن بما ترى فكأنه قد زال عنك زوال أمس الذاهب

وقيل : أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : إن أردت لقائى غدا فى حظيرة القدس فكن فى الدنيا غريبا محزونا مستوحشا كالطير الوحدانى الذى فى الأرض والقفار يأكل من رؤوس الأشجار فإذا كان الليل آوى إلى وكره وفى [عم] وقد درج العلماء العاملون كلهم على عدم أخذهم من الدنيا فوق زاد الراكب . وقد بلغنا أن عز الدين بن عبد السلام لما غضب من سلطان مصر حمل أمتعة بيته على حمارته وأركب زوجته فوقها وخرج من مصر ، فانظر يا أخى أمتعة شيخ الإسلام واعتبر به والله يتولى هداك اه . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نهتم لتحصيل الدنيا كل الاهتمام ولا نقبل عليه كل الإقبال وإنما يكون ذلك بقدر الضرورة لا غير ، وهذا العهد لا يقدر على العمل به إلا من سلك على يد شيخ ناصح ، وسافر به حتى أشرف على شهود دار البقاء بعين بصيرته ونظر ما فيها من النعيم المقيم والمعيشة الواسعة الإلهية حتى صارت كأنها رأى العين وهناك يزهد فى دار الدنيا . انظره . وفى [جص] « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[1] لأن الغريب قد يسكن فى بلد الغربة بخلاف عابر السبيل ، وهذا الحديث أصل فى الحث على الفراغ عن الدنيا والزهد فيها والاحتقار لها والقناعة فيها بالبلغة . وقال النووى : معنى الحديث لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه ، وقال غيره : عابر السبيل هو المار على الطريق طالبا وطنه ، فالإنسان كعبد أرسله سيده فى حاجة فحقه أن يبادر لقضائها ثم يعود إلى وطنه . قال : قال العلقمى وأوله كما فى البخارى عن عبد الله بن عمر قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك : أى اعمل ما تلقى نفعه بعد موتك وبادر أيام صحتك بالعمل الصالح فإن المرض قد يطرأ فيمنع من العمل فيخشى على من فرط فى ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد ، انظره .
وفيه « اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » قال العزيزى : فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها انتهى . وحكى أن محمد بن واسع رحمه الله كان إذا أراد النوم قال لأهله : أستودعكم الله ، فلعلى لا أقوم من نومتى ، وقيل له كيف أصبحت ؟ قال ماظنك برجل يرتحل إلى الآخرة كل يوم مرحلة ، ورحم الله من قال :

وما هذه الأيام إلا مراحل تمر وتطوى والمسافر قاعد

ومن قال : أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما

وفى [ثيق] فينبغى للشيخ أن يأمر الفقراء المقيمين عنده والواردين عليه بأن لا يمسكوا من الدنيا إلا ما يأخذه المسافر ليبلغه إلى مقصده من مأكل وملبس وآلات لا بد له منها فى طريق مسيره كقصعة

(١) قال العزيزى : شبه النبى صلى الله عليه وسلم الناسك السالك بالغريب الذى ليس له مسكن يؤويه ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر سبيل .

وحبل وسكين ونعل ، ونحو ذلك دون الطراحة واللحاف والصناديق وغير ذلك ، ويمنعهم من ادخار الفضة والذهب جملة واحدة ولو بحجة العيال فمن سامح مريدا بذلك فقد غشه ، وقد صارت زوايا الفقراء الآن مصيدة للدنيا ، بل رأيت فى بعض الزوايا من معه الألف دينار وهو يأكل الصدقة، نسأل الله العافية ، ثم قال : وينبغى له أن يبين لهم ما كان عليه السلف الصالح فى ابتداء أمرهم من أكل الخبز الخشن بيسير الملح أو الخل أو السعتر ، ولبس الجبب والبشوت والأسود من الثياب والعمائم وذلك لئلا يحتاجوا فى غسلها إلى صابون ونحوه . وقد أدركت سيدى عليا الخواص رحمه الله لا يغسل عمامته وجبته إلا مرة واحدة فى السنة عند عيد الفطر ، ويغسلها هى والجبة بملح لا غير ويقول : نوسع على غيرنا فى الصابون . وكان يخبر عن سيدى إبراهيم المتبولى أنه كان يغسل ثيابه كذلك بالملح ويأمر الشيخ أيضا المجاورين فى زاويته على سبيل التجرد فى ابتداء تربيتهم بأن لا يلبسوا الأصواف الشامية الرفيعة ولا المضربات ولا الشاش الرفيع ويقول لهم إن الفقراء إذا لبسوا ملابس أبناء الدنيا وأكثروا من علائقها احتاجوا ضرورة إلى الحرف والتجارات ومباشرة الوظائف فى مساجد متفرقة كما هو مشاهد فى مجاويج طلبة العلم ، ثم إذا احترفوا كما ذكر ليحصلوا ما يشترون به تلك الملابس والأمتعة فكأنهم ماخرجوا عن حب الدنيا ، بل هم أسوأ حالا ممن لم يدخل فى صحبة الفقراء ، ثم قال : فكل فقير جلس فى زاوية للاشتغال بالقرآن أو الذكر وكان فى خلوته أو بيته من متاع الدنيا أكثر مما يحمله المسافر إلى البلاد البعيدة فهو خارج عن طريق القوم ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسلمان حين أوصاه : « ليكفك من الدنيا كزاد الراكب » فليتأمل الفقير الناصح لنفسه فى حاله ولا يغش نفسه ويحتج عنها بأنه محتاج إلى شىء من الأمتعة وهو كاذب ، انظره . وعن أبى سلمة رضى الله عنه قال : قلت لأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ما ترى فيما أحدث الناس من هذا المطعم والمشرب والملابس والمركب ؟ قال يا ابن الأخ كل لله واشرب لله والبس لله واركب لله ، وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته ؛ كان يعلف الناضح والبعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع الخادم ويطحن مع الخادمة إذا أعيت ويشترى الشىء من السوق ، ولا يمنعه من ذلك الحياء أن يعلقه بيده وأن يجعله فى ثوبه وينقله إلى أهله وكان يصافح الفقير والغنى ويسلم مبتدئا على من استقبله من صغير أو كبير من أسود وأبيض من حر وعبد من أهل الصلاة ، ليست له حلة لمدخله وأخرى لمخرجه ، لا يستحى أن يجيب إذا ادعى وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعى إليه ولو لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء يصبح تسع أهل أبياته ما بين كسرة خبز ولا شربة سويق ، هين المؤونة لين الخليقة كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس متواضع من غير ذلة جواد من غير سرف رحيم بكل مسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يتجشّ قط من شبع ، ولم يمد يده إلى طمع . قال أبو سلمة رضى الله عنه : فدخلت على عائشة رضى الله عنها فحدثتها بهذا الحديث عن أبى سعيد رضى الله عنه ، فقالت ما أخطأ حرفا واحدا ، ولكن قصر فيما أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يملأ قط شبعا ولم يبث شكواه وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى واليسار وكان يصلى جائعا ويتلو ليله جميع القرآن حتى يصبح ولا يمنعه ذلك عن قيام ليله وصيام نهاره ، ولو شاء أن يسأل الله تعالى كنوز الأرض وثمارها غدوا وعشيا من شرقها وغربها لفعل ، وربما أبكى له رحمة لما أرى به من الجوع وأمسح بطنه بيدى وأقول يا حبيبى لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك ويمنعك من

الجوع ، فيقول ياعائشة إن إخوانى من أولى العزم من المرسلين قد صبروا على ما هو أشد من هذا فصبروا بحالهم وقدموا على ربهم ، فأكرم مثواهم وأجزل ثوابهم فأستحيى إن ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلى من أن ينقص وما من شىء أحب إلى من اللحوق بإخوانى ياعائشة قالت فما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا إلا جمعتين حتى قبضه الله انظر المجالس السنية على الأربعين النووية . قال رحمه الله :

(ولا تتخذ أجراً على فعل طاعةٍ كعلمٍ إمامةٍ أذانٍ وخطبةٍ
وَمَا ذَاكَ مِنْ طِبَاعِ أهْلِ الفتوَّةِ وَقال بِمنعِ ذَاكَ بعضُ الأئمةِ)

(ولا تتخذ أجرا) أى جزاء (على فعل طاعة) وإن أجاز ذلك بعض الأئمة بل افعلها احتسابا لله تعالى ولدار الآخرة خير - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا - قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى - (كعلم) تعليما وتعلما وغيره مما هو للآخرة لأن ماكان من أمور الدين لا تؤكل به الدنيا فمن اضطر إلى ذلك فله سعة فى غيره من الأسباب الشرعية وهى كثيرة متعددة كما مر ، وأمور الدين والآخرة بمعزل عن أسباب الدنيا فلا ضرورة تدعو إلى التسبب فيما هو للآخرة ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، ورحم الله من قال :

ما العيش بالعلم إلا حالة ضعفت وحرفة وكلت بالقعدد[1] الهرم

وفى [جص] « اقرءوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به » وفيه : « اقرءوا القرآن وابتغوا به وجه الله تعالى من قبل أن يأتى قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه » أى يطلبون به عرض الدنيا وهى العاجلة ولا يطلبون به الآخرة وهى الآجلة . قال تعالى - تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، وقال - أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل - وفيه « من أخذ على القرآن أجرا فذلك حظه من القرآن » قال الحفنى : أى فلا ثواب له كامل فلا ينافى حصول أصل الثواب اه . وأما حديث : « من أخذ على تعليم القرآن قوسا قلده الله مكانها قوسا من نار جهنم » فهو منسوخ بحديث اللديغ بالفاتحة حيث أقرهم صلى الله عليه وسلم على أخذ الأجرة وبحديث : « أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » وفى [حى] الوظيفة الثانية : أى من وظائف العالم أن أن يقتدى بصاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه ، ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذى يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلده منه ، وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم مانلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى ، كما قال تعالى - يا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله - انظره . وفيه : وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا ، فذلك يصلى عليه طير

---

(١) القعدد : كقنفذ كبير السن اه .

السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين » ورجلا آتاه الله علما فى الدنيا فضن أى بخل به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ، ينادى مناد على رؤس الخلائق هذا فلان ابن فلان آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباده وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس » انظره ، وفى الحديث « يجاء بالعالم يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم عليه، قال عطاء: هم الذين يأخذون على القرآن أجرا » اه وفى [خل] وينبغى أن لا يستعين بأحد ممن يقرأ عليه خوفا أن يتعجل أجر ذلك فى الدنيا » وكان السلف رضوان الله عليهم يتحرزون فى هذا الباب كثيرا ، وقد رأيت الشيخ الجليل أبا إسحاق إبراهيم التنيسى رحمه الله تعالى من أهل تلمسان خرج يوما مع بعض أصحابه إلى خارج البلد فعطشوا واشتد عطشهم ولم يكن هناك ماء فرأوا عمارة فجاءوا إليها يطلبون الماء فإذا برجل من أهل تلك القرية كان قد قرأ على الشيخ ، فذهب فأتى بلبن فيه سكر فأعطاه للشيخ ليشرب فأبى فقال له ولم وهو من وجه حل ؟ فقال له لأنك قرأت على. ولا يمكنى أن آخذ منك شيئا لئلا أتعجل ثواب ذلك فى الدنيا فرغبه فى ذلك فلم يفعل . وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى لا يستقضى حاجة ممن قرأ عليه فى الغالب وذلك خيفة مما تقدم ذكره ، فانظر رحمنا الله وإياك إلى تحرزهم على أعمالهم وإخلاصهم فيها فأين الحال من الحال - إنا لله وإنا إليه راجعون - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - (إمامة) أى وكأخذ الأجرة على إمامة الصلاة المفروضة أو النافلة كالتراويح والأعياد من المصلين أو من الأحباس أو من بيت المال . وفى [خل] وينبغى أى للعالم إذا تولى الإمامة أن يكون ذلك منه بنية صالحة صادقة لله تعالى لا يطلب بذلك عوضا من ثناء ولا راحة دنيوية ولا صورة مميزة بين الناس بل يجعل ذلك لوجه ربه خالصا لأن الإمامة من أكبر مهمات الدين . وقد ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « من عمل من هذه الأعمال شيئا يريد بها عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة » أى ريحها « وعرفها يوجد من مسيرة خمسمائة عام » اه . فيحذر من هذا الخطر العظيم . وقد ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة يغبطهم الأولون والآخرون : عبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه ، ورجل أم قوما وهم به راضون ، ورجل ينادى بالصلوات الخمس كل يوم وليلة » ثم قال : فإن كان له على الإمامة معلوم فلا يأخذه بنية الإجارة، بل يأخذه على نية الفتوح من الله تعالى لا على أنه عوض على فعل الإمامة وإذا كان ذلك كذلك فعلامته أن لا يطلبه ولا يجد القلق حين قطعه عنه ولا يتضجر ولا يترك ما هو بصدده، فإن طلبَ أو تضجر فقد خرج من باب المندوب إلى باب المكروه أو المحرم . انظره . وفيه : فى صفة الإمام فى قيام رمضان وينبغى أن لا يقدم للإمامة إلا من تطوع بها دون من يأخذ عليها عوضا فإن لم يوجد إلا به فقيل تباح ، وقيل تكره ، وهى فى الفريضة أشد كراهة ، وأجاز ذلك الشافعى رحمه الله تعالى من غير كراهة : وقال الأوزاعى : الصلاة خلفه باطلة . وكره ذلك أبو حنيفة وأصحابه .

وينبغى للإمام أن يكون أفضل القوم ومن جملة أفضليته أن يتقدم لا لعوض يأخذه على صلاته فإن كان ثم عوض فينبغى له أن لا ينظر إليه وأن يصلى هو لله تعالى لا لغيره ويترك النظر للعوض ، فإن جاءه شيء وكان محتاجا إليه قبله لضرورته وهذا عام فى الفرض والنفل وإن لم يكن محتاجا إليه وأخذه

وتصدق به فلا بأس بذلك ، وإنما المكروه أن يأخذه لنفسه ، انظره ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا من حيث لا يحتسب » .

وعن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين لما سئل عن معنى النقص والتمام للصلاة والضمان والخطأ والإصابة الوارد فى الأحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم : « من أم قوما فإن أتم فله التمام ولهم وإن لم يتم فلهم التمام وعليه الإثم » وقوله «من أم الناس فأصاب الوقت وأتم الصلاة فله ولهم، ومن انتقص شيئا من ذلك فعليه ولا عليهم » وقوله « من أم قوما فليتق الله وليعلم أنه ضامن مسئول عما ضمنه فإن أحسن كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينقص من أجورهم شىء وما كان من نقص فهو عليه » وقوله « يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطئوا فلكم وعليهم » مانصه كما فى [جع] الجواب والله الموفق للصواب : أما تمام الصلاة الواجبة على الإمام فهو إخلاص الوجهة إلى الله عز وجل بإخلاصها لوجهه الكريم إما محبة وإما تعظيما له وإما إجلالا له وإما امتثالا لأمره دون مشاركة شىء فى ذلك من متابعة الهوى ، وعلى هذا تطابقت الأخبار الإلهية من الكتب الإلهية وأخبار المرسلين ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه » وقوله عز وجل فى قضية إبراهيم عليه السلام- إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض الآية - ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن - الآية ، فاعتبر هذه الأخبار واقصد الصلاة لله تعالى لتصلى لله دون غرض من متابعة الهوى ، فإن كنت فى الصلاة بالناس ملاحظا للعطاء مائلا إليه فلست بمصل إليه وإنما أنت مصل لهواك ، وإن كنت فى حالة الصلاة غير ملتفت للعطاء ولامعرّج عليه فأنت مصل إليه إن خلوت عن دواعى النفس من طلب المرتبة والرياء والسمعة أو لأجل ماعسى أن تنتصر بهم فى أمورك فلست بمصل لله . قال صلى الله عليه وسلم « ماتحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع » فهذا مايتعلق بإخلاص الوجهة لله تعالى ، وأما تكميل الإمامة فهو تكميل التوبة عما أولع به أئمة الوقت من أكل الحرام الصريح فضلا عن الشبهات . واتخاذ مراتع الغيبة ديدنا والحقد والغل على المسلمين والمشى بالنميمة بينهم، وتعظيم أهل الدنيا لدنياهم لأجل الحديث الوارد «من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه » ومن تكميلها تعميم التوبة من كل محرم شرعا، ومن تكميل الصلاة فى حق الإمام كمال الحضور مع الله فى الصلاة على حسب الاستطاعة ، فإن خرجت الصلاة كلها بلا حضور فعلى الإمام إثمه وإثم من صلى خلفه ، فهذا تكميل الصلاة فى الإمامة ، فإن خرج به الأمر إلى أنه إن أعطى مطلبا للإمامة ممارتب عليها من العطاء صلى وإن لم يعط ترك، فهو وعابد الوثن سواء يشهد له حديث البيعة فى قوله «بايعوا على أن لاتشركوا بالله شيئا» فهذا مايتعلق بتكميل الصلاة والإمامة، انظره . وفى [حم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤم بالناس حيث طلبوا منا ذلك واجتمعت فينا الشروط ولانقول نحن مالنا عادة بالإمامة كما يقع فيه الحاق الطبع من الفقهاء والفقراء، ومثل الإمامة أيضا الخطبة فنخطب ولانمتنع إلا لعذر شرعى ، لأن الله تعالى أوجب علينا إقامة شعائر الدين فينبغى للفقيه أن يحفظ له خطبة جامعة للأركان والشرائط والآداب والوعظ الحسن، لتكون معه يخطب بها إذا احتيج إليه كأن غاب الإمام أو الخطيب أو بادر بعض الناس وحلف بالطلاق لايخطب لنا اليوم إلا فلان ، كما يقع ذلك

كثيرا فى بلاد الريف وغيرها. واعلم أنه ليس مما ذكرناه من امتنع عن الإمامة لشهود ضعفه عن تحمل سهو المأمومين ونقص صلاتهم فإن هذا إنما ترك فعل ذلك احتياطا لنفسه لاحياء طبيعيا. وقد رأيت الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله يصلى الظهر فأحرم خلفه رجل فلما سلم قال : لاتعد تصلى خلفى أبدا فإنى عاجز عن تحمل نقص صلاتى فكيف أقدر على تحمل نقص صلاة غيرى ، فقال له الرجل إنما قصدت حصول فضل الجماعة لكم ، فقال الشيخ : عدم تحمل نقص صلاتك أرجح عندى من حصول فضل جماعتك ، انظره . ونحن أناس بالسلامة نفرح .[1] وفى [خل] وروى عن عاصم قال : أمَّ أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قوما مرة فلما انصرف قال : مازال بى الشيطان آنفا حتى رأيت أن لى فضلا على من خلفى ، لا أؤمّ أبدا اهـ (أذان) أى وكمثل أخذ الأجرة على أذان : وعن المغيرة ابن شعبة رضى الله عنهما أنه قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلنى إماما على قومى فقال لى صل بصلاة أضعف القوم ولاتتخذ مؤذنا يأخذ على أذانه أجرا » ولذا قال بعض الأئمة بمنع أخذ الأجرة على الأذان . وفى [خل] قال رجل من المؤذنين لابن عمر إنى لأحبك فى الله تعالى ، فقال له لكنى أبغضك فى الله ، فقال ولم يا أبا عبد الرحمن ، قال لأنك تبغى فى أذانك وتأخذ عليه أجرة ، وكان أبو بكر الآجرى رحمه الله يقول : خرجت من بغداد ولم يحل لى المقام بها ، قد ابتدعوا فى كل شىء حتى فى قراءة القرآن وفى الأذان يعنى الإجارة والتلحين ، انظره . وفى [جص] « من أذن خمس صلوات إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه ، ومن أمّ أصحابه خمس صلوات إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » وفيه « من أذن سبع سنين كتب الله له براءة من النار » وفيه « من أذن اثنتى عشرة سنة وجبت له الجنة » وفيه « من أذن سنة لا يطلب عليه أجرا دعى يوم القيامة ووقف على باب الجنة فقيل له اشفع لمن شئت » وفيه « ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة لا يهولهم الفزع ولا يفزعون حين يفزع الناس : رجل تعلم القرآن فقام به يطلب وجه الله وماعنده ، ورجل نادى فى كل يوم وليلة خمس صلوات يطلب وجه الله وماعنده ، ومملوك لم يمنعه رق الدنيا من طاعة ربه » وفيه « المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط فى دمه إذا مات لم يدود فى قبره » قال القرطبى : ظاهره أن الأرض لاتأكله كالشهيد انظر العزيزى : وفيه « إذا أخذ المؤذن فى أذانه وضع الرب يده فوق رأسه فلا يزال كذلك حتى يفرغ من أذانه وإنه ليغفر له مدصوته . فإذا فرغ قال الرب صدق عبدى وشهدت بشهادة الحق فأبشر » قال المناوى ، وهذا فضل عظيم للأذان لم يرد مثله فى غيره إلا قليلا وفيه شمول للمحتسب ومن يأخذ عليه أجراً ويحتمل اختصاصه بالأول اهـ .

قلت : وهو الأظهر لأن المطلق يحمل على المقيد لكن فضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شىء : وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لانعادى قط أحدا من المؤذنين ولا أحدا من خدام المساجد من بواب وفراش ووقاد وخادم الأخلية لاسيما إن كانوا يباشرون وظائفهم احتسابا أو بنية صالحة إلا بوجه شرعى محقق ؛ وهذا الأدب وإن كان لايختص بمن ذكر فهو فى حقهم أشد ، كما قالوا يستحب للصائم ترك الغيبة ، فافهم كل ذلك إكراما لله عز وجل ، إذهم خدام حضرته والداعون إليها ، وأشدهم المؤذن لأنه يحضر المواكب الإلهية فى الأسحار ، وربما يكون المعادى له نائما على جنابة ، لايقربه ملك وهو من جملة المطر ودين عن تلك الحضرة . فمن

---

(١) أوله : وقائلة مالى أراك مجانبا * أمورا وفيها للتجارة مربح . فقلت لها مالى بربحك حاجة * ونحن الخ

عادى هذا المؤذن فقد عرض نفسه للمقت من الله تعالى باستجابة دعائه فى حق من ظلمه بغير طريق شرعى، ثم قال: لايخفى أن الإمام مقدم على من ذكرناهم فتجب محبته واجتناب معاداته أكثر من غيره بكونه نائبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الإمامة . وبالجملة فعمار المساجد على صورة خدام دار الملك ، فكل من دخل حضرته الخاصة لابد من مراعاة الأدب معهم ولو كان أكبر الأمراء كما هو مشاهد فى الدولة الظاهرة والله عليم حكيم اه (و) كمثل أخذها على (خطبة) وغير ذلك مما هو من أعمال البر والدين من كل ما يراد للآخرة ، بل ينبغى للأخ الصادق والحبيب الوامق أن يفعل ذلك احتسابا لله تعالى - وما عند الله خير للأبرار - وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى - وفى [جص] «ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها ماذا أراد بها» قال المناوى : وكان مالك رحمه الله إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى ينقطع صوته ، ثم يقول: تحسبون عينى تقر بكلامى وأنا أعلم أن الله سائلى عنه . وفيه: «لعن الله الذين يشققون الخطب تشقيق الشعر» قال الحفنى : أى يتعمقون فيها ويتكلفون فيها السجع ونحوه حرصا على التفصح تكبرا على الغير ، فإن تكلف ذلك من غير قصد التكبر على الغير بل للإتيان بكلام فصيح فقط لم يحرم بل يكره اه .

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لانمكن أحدا من إخواننا الذين هم تحت التربية أن يتصدى لوعظ الناس فى المحافل ولا أن يكون خطيبا إلا لضرورة لأن ذلك يقطعه عن الترقى فإن الوعظ لا يليق إلا بالكمل الذين فرغوا من تهذيب نفوسهم حتى ماتت تحتهم فلم يصرلها رأس تقام فمن مكن مريداً له من ذلك فقد غشه ، وفى الحديث «من غشنا فليس منا» وإن كان الشيخ صادقا فمن شأنه لا يغش فليعلم المريد أنه ما أذن له فى ذلك إلا لكونه لم ير فيه أهلية لطريق الله عز وجل اه.وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نأخذ معلوما على نظر مسجد ولا على مشيخة ولا تدريس ولا خطابة ولا إمامة ولا أذان ولا وقادة ولا فراشة ولا على قراءة سبع ولا على تعليم القرآن للأطفال، ولا غير ذلك من سائر القربات الشرعية إلا إذا لم نجد غير ذلك المعلوم . وأما قوله صلى الله عليه وسلم «أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله» فلا ينافى ذلك لأنه يحتمل أن يكون المراد الأجر الأخروى ، وأيضا فليس فى الحديث الشريف دلالة على استحباب أخذ الأجرة ، بل ورد فى عدة أحاديث ما يشهد باستحباب احتساب ذلك لأن مشروعية هذه الأمور كلها بالأصالة إنما هو طلب لمرضاة الله تعالى أو للثواب الأخروى وطريق الخلاص للفقير فى أخذ المعلوم على ما ذكر أن يعقد النية على فعله قربة إلى الله عز وجل ، ثم يأخذ ذلك المرصد عليه ابتداء عطاء من الله عز وجل ومحك (١) وصولك يا أخى إلى التحقق بهذا الخلاص أن لا تعكس الوظيفة ولا يثقل عليك مباشرتها إذا صار الوقف رقبة ولا تشتكى ناظرا ولا جابيا على ذلك ولو لبعض من الأصحاب فكيف لو اشتكيتهم فى بيوت الحكام ، فمتى وقع منك ذلك فاعلم أنك لست من أهل هذا المقام ، ثم قال : ثم من أقبح الصفات تعكيس الخطيب والإمام والمؤذن وظيفة إذا تعطل معلومه لما فى ذلك من ذهاب شعائر الدين والله غفور رحيم اه . وفى [خل] إن السلف رضى الله عنهم لم يكن لهم معلوم على سبب من أسباب الآخرة وإنما حدثت الأرزاق على أعمال الآخرة بعد ذلك ، ومنه دخل الفساد على كثير ممن يتعاطى أسباب الآخرة ، انظره . وقد شوهد بالعيان فى هذا الزمان مناطحة

---

(١) أى معيار .

الأقران على المنبر كناطحة الثيران على البقر وكذلك غيره من وظائف الدين - إنا لله وإنا إليه راجعون - (وماذاك) أى ليس أخذ الأجرة على شىء من أعمال البر والدين مما هو للآخرة (من طباع) وشيم الإخوان (أهل الفتوة) بضم الفاء والفوقية وتشديد الواو : الكرم والسخاء . وفى [عف] وسئل بعضهم عن الفتوة فقال . الفتوة عندى ما وصف الله به الأنصار فى قوله - والذين تبوؤا الدار والإيمان - الآية . قال ابن عطاء - يؤثرون على أنفسهم - جودا وكرما - ولو كان بهم خصاصة - : يعنى جوعا وفقرا ، انظره . وقال الفضيل : الفتوة العفو عن زلات الإخوان ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « استعيذوا بالله من جار السوء الذى إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره » اه . وفى [جه] والفتوة من الأخلاق الجامعة لأنواع الأوصاف الحميدة والخلال السديدة كالحلم والعفو والصفح والسخاء والوفاء والستر على عيوب الأصدقاء وإعانتهم ومعاملاتهم بجميل الإحسان ، ومرجعها الإيثار والسخاء العظيم وهو السخاء بالنفوس ، وأصلها كما قال القشيرى رضى الله عنه : أن يكون العبد ساعيا فى أمر غيره دائما ، وقد بينها أهل الطريق بتفسيرات أوردها فى الرسالة فليطالعها من أرادها ، وعبروا عنها بعبارات كل بحسب ماغلب عليه وبحسب نوع من أنواعها ، ففسروها بكف الأذى وبذل المال وهى عبارة الجنيد رضى الله عنه ، وبالصفح عن عثرات الإخوان وبأن تنصف ولا تنتصف ، وبأن إذا أعطيت آثرت وإذا منعت شكرت ، وبأن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك ، وبالوفاء والحفظ ، وبفضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها ، وبحسن الخلق ، وباتباع السنة وأكثر ماتستعمل عندهم فى المواساة والعفو عن الإساءة قال الشيخ أبومدين رضى الله عنه فى قصيدته الرائيه :

وبالتفتى على الإخوان جد أبدا حسا ومعنى وغض الطرف إن عثرا انظره

(وقال بمنع ذاك) أى بمنع أخذ الأجرة على شىء من أعمال الآخرة (بعض الأئمة) كأبى حنيفة فإنه منع أخذ الأجرة على التعلم لأنه عبادة ، والأجر فيها على الله تعالى . وعن الشعبى : لا يشترط المعلم على من يعلمه أجرة إلا إن أعطى شيئا فليقبله . وفى [جع] وقد روى عن بعض الأكابر ، وكان من أكابر الرجال ، وكان يصلى فى تلك المدينة بالجامع الأعظم إماما بالناس ، وكان يأخذ ما رتب على الخطابة من المال ، فلما مات رآه بعض الصالحين فى النوم فى حالة عظيمة من الخير وسأله عن حاله فقال له بخير إلا أنه أرتج علىّ فى سؤال الملكين حين سألانى وتحيرت فلم أدرما أقول ولم أجد جوابا وطالت على المحنة ، وبعد ذلك خرج رجل من جانب القبر عظيم الجمال حسن الهيئة فلقننى حجتى وخلصنى من هذه المحنة فقلت له : من أنت ؟ فقال لى أنا عملك الصالح ، فقلت له ولم غبت عنى ؟ فقال لى بأخذك أجرة الخطابة ، فقلت له ما أكلت منها درهما واحدا إنما كنت أتصدق بها ؟ فقال لى لو أكلتها لم ترنى أبدا ، ولكن تخلفت عنك للأخذ ، فهذا دليل على امتناع الأجرة على الصلاة ، انظره . ولما ذكر صاحب [د] هذه القضية قال : سببه أنه كان يتكلم فى قبح أخذ الأجرة على الصلاة وغيرها من أعمال البر مثل الأذان والشهادة وتدريس العلم والفتوى اه . وفيها : لو يعطونى ما عسى ما صليت صلاة بالأجرة ، سببه مازحه رجل بقوله يعينون لك مسجدا كثير النفع هل تقبله فذكره ، وكان رضى الله عنه لا يرى الأخذ أى أخذ الأجرة على أعمال الآخرة مثل الصلاة والأذان والشهادة وتلاوة القرآن والوعظ والفتوى ، وقال مرة : ما للمحبس على ذلك إلا النار إن لم يعف الله عنه وكان رجل فقير من أصحابه بسماط الشهود إذا تكلم معه فى ذلك على سبيل الاستعذار ، يقول رضى الله عنه :

اخدم حالا ولا تشهد فاستعذر له بعدم القدرة ، ولازال يذم الأخذ على هذه الأمور وينزه أصحابه عنها إلى أن توفى رضى الله عنه ، منذ بنى زاويته سنة خمس عشرة ومائتين وألف ما قبض فلس نحاس على ذلك فيها والحمد لله إلى الآن ولازالت كذلك . وقد أشار إلى ذلك قبل بنائها بقوله : أمرها قائم بالله اهـ. وقد سرى هذا الحال سريان الروح فى الجسد إلى الصادقين من أصحابه إلا من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وصار يترخص ويتأول بما هو أوهن من نسج العنكبوت - ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - آمين قال رحمه الله :

(وَجَانِبْ أخا التَّقْصِيرِ وَاللَّهْوِ والزَّما أخا الجِدِّ والتَّشْمِيرِ يابْنَ كَرِيمَةِ)

(وجانب) من جانبه باعده (أخا) أى صاحب (التقصير) والتفريط لحديث « إياك وقرين السوء فإنك به تعرف» ولذا قال سيدنا على رضى عنه وعنابه آمين : لاشىء أدل على الشىء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب ومن شعره رضى الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهل فإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليما حين واخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ما شاه
كحذو النعل بالنعل إذا ما النعل حاذاه
وللشىء من الشىء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وعن سيدنا عمر رضى الله عنه وعنابه آمين : لاتصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى اهـ وفى الحكم : لا تصحب من لاينهضك حاله ولايدلك على الله مقاله . وقيل : لاتجالس إلا من تجانس . ورحم الله من قال :

من لم تجانسة فاحذر أن تجالسه فالشمع آفته من صحبة القطن

ومن قال : لا تصحب الكسلان فى حالاته كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة والجمر بوضع فى الرماد فيخمد

ومن قال : من حاد عن نهج الهدى فأضل قصد سبيله
فتوق خلته فسد ين المرء دين خليله

ومن قال : اتق الأحمق لا تصحبه إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانبا حركته الريح وهنا فانخرق
وإذا عاتبته كى يرعوى زاد جهلا وتمادى فى الحمق

ومن قال : تجنب قرين السوء واصرم[1] حباله فإن لم تجد عنه محيصا فداره
وأحبب حبيب الصدق واحذر مراءه تنل منه صفو الود مالم تماره

---

(١) بكسر راء من صرم كضرب قطع اهـ.

وفى [جه] وكثيرا ما يحذر من مخالطة أقران السوء وغيرهم يحذر منها الغافلين مخافة أن يزدادوا بها غفلة والمنتبهين مخافة أن يصدوا عماهم بصدده ، ويلجأ فى ذلك كله إلى الملك الديان ، ويستشهد كثيرا بقوله صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » ويقول « اختر لصحبتك من أطاع فإن الطباع تسرق الطباع » اه . ورحم الله من قال :

اختر لصحبتك من أطاعا ... إن الطباع تسرق الطباعا

(و) جانب أخا (اللهو) واللعب وفى الحديث « لست من دد ولا الددمنى » ولست من الباطل ولا الباطل منى » والدد بمهملتين : اللهو واللعب : أى لست من أهل اللهو واللعب : أى ليس ذلك من طريقى ولا من طريقة من اتبعنى لما فى مخالطة أهل اللهو والباطل والعصاة من الآفة المعضلة التى ذكرها صاحب [هب] حين سأل شيخه عن اختلاف الحطاب والمواق فى دخول الحمام مع مكشوفين لا يستترون . فقال الحطاب يحرم الدخول ويجب التيمم إن خاف من الماء البارد ، وقال المواق يدخل ويستتر ويغض عينه ولا حرج عليه ، فقال رضى الله عنه : الصواب مع الحطاب ، وأما ما ذكره المواق ففيه آفة بعد فرض المستتر متحرزا إلى الغاية وفارا من النظر فى عورة غيره إلى النهاية ، وهى أى الآفة أن المعاصى ومخالفة أوامر الله تعالى لا تكون إلا مع الظلام الذى بينه وبين ظلام جهنم خيوط واتصالات يحصل له الشقاء ومن جهنم بسببها ، ولا أحد أعرف بذلك من ملائكة الله تعالى فإذا اجتمع قوم تحت سقف الحمام مثلا على معصية وظهرت المعصية من جميعهم هم الظلام ذلك الموضع فتنفر الملائكة عنهم ، فإذا نفرت الملائكة جاء الشيطان وجنوده فعمروا الموضع فتصير أنوار إيمانهم : أى العصاة حينئذ كالمصابيح التى جاءتها الرياح العاصفة من كل مكان ، فترى نورها مرة يذهب إلى هذه الجهة ومرة إلى هذه الجهة ومرة ينعكس إلى أسفل حتى تقول إنه انطفأ واضمحل ، ولهذا كانت المعاصى بريد الكفر والعياذ بالله تعالى ، فإذا كان الحمام وأهله على هذه الحالة التى وصفنا ، وفرضنا رجلا خيرا دينا فاضلا متحرزا جاء ودخله واستتر فإنه يقع لنور إيمانه اضطراب بالظلام الذى وجده فى الحمام لأن ذلك الظلام ضد الإيمان فتضطرب ملائكته لذلك فتطمع فيه الشياطين وتصل إليه وتشتهى إليه النظر فى العورة وتغويه ، فلا يزال معهم فى قتال وهم يقوون عليه وهو يضعف بين أيديهم حتى يستحسن الشهوة ويستلذ النظر للعورة ، نسأل الله السلامة . ولو فرضنا جماعة يشربون الخمر ويستلذون به ويظهرون المعاصى التى تكون معه ويفحشون فيها ولا يتحرزون من أحد ولا يخشونه . ثم فرضنا رجلا جاءهم وبيده دلائل الخيرات فجلس بينهم وجعل يقرؤه وأطال معهم الجلوس وجلس معهم اليوم إلى آخره وهو على قراءته وهم على معاصيهم فإنه لا يذهب عليه الليل والنهار حتى ينقلب إليهم ويرجع من جملتهم للعلة التى ذكرناها ، ولهذا نهى عن الاجتماع مع أهل الفسوق والعصيان لأن الدم والشهوة والغفلة فينا وفيهم إلا من رحمه الله وقليل ماهم اهـ (والزما) بألف مبدلة من الخفيفة للوقف (أخا) صاحب (الجد) بالكسر الاجتهاد بمتابعة السنة ومخالفة النفس والهوى قال تعالى - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى - وفى [جه] ويقال إن أول ما يرى أهل الجنة فى الجنة مكتوبا :

وهذا السرور بتلك الكروب ... وهذا النعيم بذاك التعب

لا راحة قط إلا قبلها تعب ... اتعب تجد راحة تنجيك من تعب

ويقال إن منازل الجنة تعطى على حسب الأعمال فى الدنيا فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له ، وقد يعطى سبحانه لمن شاء من عباده فى دار كرامته ما لا يخطر بالبال فضلا منه وكرما إذ هو الفاعل المختار ولا يسئل عما يفعل جل وعلا قال تعالى ـ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ـ وقال تعالى ـ تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا ـ والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، وكذلك من أراد طريق القوم فإنه لايتوصل إلى شم رائحة منه إلا بالجد والعزم وترك المألوفات والمستحسنات وقطع العلائق والعوائق والإعراض عما سوى الله ، كما قال الشيخ زروق رضى الله عنه : هو أن لاترى فى الوجود إلا أنت وربك. وسئل الجنيد رضى الله عنه كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى؟ فقال : بتوبة تزيل الإصرار ، وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل ، وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأمل . قيل له : بماذا يصل العبد إلى هذا ؟ قال : بقلب مفرد فيه توحيد مجرد . وقال أبو سعيد الخراز رضى الله عنه : المعرفة تأتى القلب من وجهين من عين الجود وبذل المجهود ، فإذا علم الله الصدق من عبده فتح عليه من خزائن غيبه وجعله من أهل قربه وحزبه . قال تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ـ انظره ، وفيه : أخذ سيدنا رضى الله عنه فى الجد والتشمير والاعتزال عن الخلق والفرار منهم ، واشتغل بما يخصه من حقوق ربه وما هو مطالب به من التقوى والورع ، وكان الناس يأتونه فى بعض الأحيان للزيارة فلا يجدون فيه متسعا لكثرة ما كان فيه من القبض ، انظره : ورحم الله من قال :

إذا أنت لم تحرث وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

والدنيا إنما هى مزرعة للآخرة فمن لم يحرث هنا شيئا لم يحصد ثمة إلا الحسرة والندامة ، ومن لا عمل له لا أجر له ، لكن فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ـ . وفى [شب] وقال إبراهيم بن أدهم لرجل فى الطواف : اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات : أولاها أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة ، والثانية : أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل ، والثالثة أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد ، والرابعة : أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر ، والخامسة : أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر ، والسادسة : أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت . ومن كلام ابن العربى فى الفتوحات :

سبح إلهك بكرة وأصيلا فالنفل يرجع بالمدى إكليلا
جاهد هواك ولا تكن ذا فترة فيه وكن للنائبات خليلا
إن المجاهد لايزال مكابدا يهوى الخطوب ويعشق التعليلا
لا تركنن إلى البطالة إنها تردى وكن للحادثات وصولا (١)

ومن النصائح قول بعضهم :

حتى م أنت بما يلهيك مشتغل عن نهج قصدك من خمر الهوى ثمل
ترضى من الدهر بالعيش الذميم إلى كم ذا التوانى وكم يغرى بك الأمل
وتدعى بطريق القوم معرفة وأنت منقطع والقوم قد وصلوا

(١) بفتح واو كرسول: كثير الوصول اه .

فانهض إلى ذروة العلياء مهتدرا   حزما لترقى مكانا دونه زحل
فإن ظفرت فقد أعطيت مكرمة   بقاؤها ببقاء الله متصل
وإن قضيت بهم وجدا فأحسن ما   يقال عنك قضى من وجده الرجل

وقال أبو الفتح البستى (١) :

دع التكاسل فى الخيرات تطلبها   فليس يسعد بالخيرات كسلان
لا ظل للمرء أحرى من تقى ونهى (٢)   وإن أظلته أوراق وأغصان اه

(و) أخا (التشمير) من شمر الثوب رفعه ، وفى الأمر خف فيه لحديث « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » وفى آخر « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ، إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه » ورحم الله من قال :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى
إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم   ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى (٣)

وفى [حص] اعتبروا الأرض بأسمائها واعتبروا الصاحب بالصاحب ، قال العزيزى : أى فإن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، ومانتا كر منها اختلف كما يجىء فى خبر ، ولذا قيل :

ولا يصحب الإنسان إلا نظيره   وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

(يا ابن) حرة (كريمة) الطبع والأصل قال رحمه الله :

(وَنفسَكَ قَوِّمْ باُجتِنابِ اللَّذائِذِ   وصَمْتٍ وَقِلَّةِ الطَّعامِ وَعُزْلَةٍ)

(ونفسك) الأمارة بالسوء (قوم) من قوم الشىء أزال عوجه وفى الحديث « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » وفى آخر « من أعز نفسه فقد أذل دينه ، ومن أذل نفسه فقد أعز دينه» انتهى. ورحم الله من قال :

كمل حقيقتك التى لم تكمل   والجسم دعه فى الحضيض الأسفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة   مالم تحصله بها لم يحصل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل   ما باله يرضى بأدنى منزل

وفى [خل] قال بعض الحكماء : جاهد نفسك بأصناف الرياضة ، والرياضة على أربعة أوجه : القلة من الطعام ، والغمض (٤) عن المنام ، والحاجة من الكلام ، وحمل الأذى من جميع الأنام ، فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ، ومن قلة المنام صفو الإرادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات ، فليس على العبد شى أشدمن الحلم عند الجفاء والصبر عند الأذى اه . وفى [جه] وعليك بإصلاح نفسك قدر الاستطاعة فإن العمر قصير والسفر طويل والعقبة كئود والحمل ثقيل والحساب بين يدى الله شديد والعمل بأمر الله هو المنجى من جميع هذه الأمور ، راجع مامر عند قوله وكثرة اجتهاد الخ ، وفيه وأما ما ذكرته من صعوبة انقياد نفسك عليك لأمر الله ودوامها على التخبط فيما لا يرضى ، فتلك عادة جارية أقامها الله فى الوجود لكل من أهمل نفسه وتركها جارية فى هواها أن لا يسهل عليه سبيلا إلى القيام بأمر الله ، بل لا يرى من نفسه إلا الخبث

---

(١) بست كقفل : بلد بسجستان . (٢) جمع نهية . (٣) اسم فاعل اه . (٤) الغمض كقفل اه .

والمعاصى والخروج عن أمر الله ، ومن أراد تقويم اعوجاج فليشتغل بقمع نفسه عن متابعة هواها مع دوام العزلة عن الخلق والصمت ، وتقليل الأكل والإكثار من ذكر الله بالتدريج ، وحضور القلب مع الذكر وحصر القلب عن الخوض فيما يعتاده من الخوض فى أمور الدنيا وتمنيها وحبها، وحصر القلب عن جميع المرادات والاختيارات والتدبيرات، وعن أخبار الخلق ، وذم القلب عن الجزع من أمر الله، فبدوام هذه الأمور تتزكى النفس وتخرج من خبثها إلى مطابقة أمر الله وإلا فلا - سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا - أنظره ، وفى [جع] ومن أراد إصلاح أعماله واستقامته مع الله عز وجل وصلاح أفعاله بأن لا يتكلم إلا فى ضروراته ولا يتكلم إلا فيما يعنيه قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم - انتهى . وفيه : اعلم رحمك الله أن من يريد الهداية إلى الله وإلى طريقه فهى فى خمسة أشياء . أولها : الإيمان بالله تعالى الكامل : قال الله تعالى - وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم - : وقال - ومن يؤمن بالله يهد قلبه - ثانيها : الإنابة إلى الله عز وجل بالإقبال عليه دواما والإعراض عن كل ما سواه . قال الله تعالى - ويهدى إليه من ينيب - ثالثها : مجاهدة النفس على طاعة الله عز وجل باجتناب نواهيه، وتريض النفس عن أوصافها حتى تجيب إلى الأوصاف الحميدة ، وإقامتها لله عز وجل على ما يريد : قال الله عز وجل - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - رابعها : اتباعه صلى الله عليه وسلم فى كل قول وعمل وحركة وسكون : قال تعالى - واتبعوه لعلكم تهتدون - خامسها : الاعتصام بالله عز وجل : قال تعالى - ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم - اهـ . وفيه : باب فى معرفة الرياضة وأصولها . قال شيخنا رضى الله عنه : العلم الرياضى يحتاج إلى أمور . أولها : معرفة تعديل المزاج ، ثم معرفة غاية القصد ، ثم معرفة كيفية السعى ، ثم معرفة الحجاب القاطع عنه ، ثم معرفة كيفية زواله ليصل غاية القصد : ثم معرفة أصول الحجاب التى منها مواده ، ثم الجد فى قطع تلك الأصول ، ثم معرفة الأمور التى بها زوال الحجاب إما كلية أو تفصيلية، ثم سل سيف العزم وركوب جواد المجاهدة بمتابعة ما عرف من هذه الأمور والعمل بمقتضاها. أما معرفة تعديل المزاج : فهو لزوم طريق الاعتدال فى الأكل والشرب من غير إفراط ولا تفريط ، ثم النظر فى الوقت والبلد حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وكذلك السن، ثم مقابلة كل بما يقوّمه من الانحراف.

وأما غاية القصد : فهو رفع الحجاب عن الروح الربانى ورده إلى حالة الصفاء التى كان عليها قبل التركيب فى الجسد ، فإن هذا هو الذى يكون به إدراك سائر العلوم والمعارف والأحوال والأخلاق والمقامات والفتوحات والمواهب والقرب الحقيقى وبه إدراك سعادة الدنيا والآخرة، ومن فقده لم يصل إلى سعادة الآخرة . وأما معرفة كيفية السعى إليه : فهو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى سائر قوله وفعله وحاله وخلقه بإقامة حقوق الله عز وجل سرا وإعلانا مخلصا لله من جميع الشوائب الدنيوية والأخروية ، وأن يكون ذلك كله تعظيما وإجلالا لله على بساط الرضا والتسليم والتفويض ، والإعتماد عليه تعالى فى كل شىء والرجوع إليه فى كل شىء . وأما معرفة الحجاب القاطع عن المطلوب : وهو غرق الروح فى بحر الحظوظ والشهوات وتعظيم نفسها والسعى فى جلب مصالحها ودفع مضارها .

وأما معرفة كيفية زوال هذا الحجاب : فهو السعى فى قطع الحظوظ والشهوات وترك تعظيم النفس وقطع السعى فى جلب مصالحها وقطع مضارها بالزهد فيها بالكلية لكن برفق ولطف . وأما معرفة أصول الحجاب : فهى كثيرة كثرة الأكل والشرب وملاقات الخلق وكثرة الكلام وكثرة المنام

ودوام الغفلة عن ذكر الله تعالى . وأما الجد فى قطع تلك الأصول : فهو الجوع والعطش بالرفق ، ودوام الانقطاع من ملاقاة الخلق ، ودوام الصمت مطلقا إلا فيما قل من ضروريانه ، ودوام السهر بالرفق ، ومداومة ذكر الله بالقلب واللسان وقطع الفكر فى المحسوسات . وأما معرفة الأمور التى بها زوال الحجاب كلية أو تفصيلية : فهو دوام ذكر الله بالقلب واللسان دائما بأى ذكر كان ؛ ثم إن الأذكار التى بها زوال الحجاب كليات وهى التى تقطع كل حجاب عن الروح من أى أمر كان ، ومنها تفصيليات لا تقطع إلا حجاباً من نوع واحد . أما الكليات فهى لا إله إلا الله والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أو سبحان الله أو الحمد لله أو الله أكبر أو بسم الله الرحمن الرحيم أو الله الله الله أو الله لا إله إلا هو الحى القيوم وأما التفصيليات : فهى سائر الأسماء الحسنى إذ كل اسم يذهب بجزء من الحجاب ولا يتعدى لجزء آخر ، والله الموفق اه (باجتناب) من اجتنب الشىء بعد عنه (اللذائذ) جمع لذيذة ، ورحم الله من قال :

أرى اللذات فى الدنيا ثلاثا … كما قال الثقات من الرجال
بزاق ذبابة مع غزل دود … وأحسنها مبال فى مبال

وللغزالى رضى الله عنه :

عجبت لساكن الدنيا وأنصى … عمارتها يؤول إلى خراب
فخير لباسها نفثات دود … وخير شرابها قىء الذباب
وأعظم نفحة فيها عبيط … فأبظر فأرة[1] دنس الإهاب
وأطيب لذة فيها لشخص … مبال فى مبال مستطاب
فأولها رجاء فى سراب … وآخرها رداء من تراب

وفى [جص] « إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » ، قال العزيزى : لأن التنعم بالمباح وإن كان جائزا لكنه يوجب الأنس به والغفلة عن ذكر الله وكراهة لقائه اه وفيه « سيكون رجال من أمتى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام أولئك شرار أمتى » وفيه « شرار أمتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا ويلبسون من الثياب ألوانا ويركبون من الدواب ألوانا ويتشدقون فى الكلام » ، وفى العزيزى : قال الغزالى : وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها ، ورأوا أن منع ذلك من الله غاية السعادة : وفيه « إن الأرض لتنادى كل يوم سبعين مرة : يابنى آدم كلوا ما شئتم واشتهيتم فوالله لآكلن لحومكم وجلودكم » وفيه « ألا يارب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا يارب نفس جائعة عارية فى الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة ، ألا يارب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، ألا يارب مهين لنفسه وهو لها مكرم ، ألا يارب متخوض ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله ماله عند الله من خلاق ، ألا وإن عمل الجنة حزن[2] بربوة ، ألا وإن عمل النار سهل بشهوة ، ألا يارب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا » ولذا كان بعض المشايخ يقوم على المائدة عند حضور العشاء ويقول : يامعشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا . وعن الثورى : خصلتان يقسيان القلب : كثرة الشبع وكثرة النوم . وعن مكحول : ثلاث خصال يحبها الله عز وجل ، وثلاث خصال يبغضها الله عز وجل . أما اللاتى يحبها : فقلة الأكل

---

(١) الأبظر . الأقلف . والفأرة : المسك .
(٢) حزن كفلس : أى : غليظ شديد صعب اه .

وقلة النوم ، وقلة الكلام . وأما اللاتى يبغضها ، فكثرة الأكل ، وكثرة النوم ، وكثرة الكلام . ورحم الله من قال :

يميت الطعام القلب إن زاد كثرة ... كزرع إذا بالماء قد زاد سقيه

ومن قال : إلى متى أنت باللذات مشغول ... وأنت عن كل ماقدمت مسئول

فى كل يوم ترجى أن تتوب غدا ... وعقد عزمك بالتسويف محلول

الموت لابد منه فاستعدله ... إن اللبيب بذكر الموت مشغول

فكيف يلهو بعيش أو يلذله ... من التراب على خديه مجعول

ومن قال : وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ... ولذة نفس غيها غير نافع

ومن قال : تفنى اللذائذ بامن نال شهوته ... من المعاصى ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء لاانفكاك لها ... لاخير فى لذة من بعدها النار

وهذا شأن من عميت بصيرته وانطمست سريرته واشترى الضلالة بالهدى واستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وآثر الفانى على الباقى قال تعالى ـ يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ـ وقال ـ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ـ نسأل الله السلامة والعافية ، وكثيرا ماكان يتمثل سيدنا الحسن بن على رضى الله عنهما وعنا بهما آمين بقوله :

ياأهل لذات دنيا لابقاء لها ... إن اغترارا بظل زائل حمق

وعن عكرمة رضى الله عنه فى قوله تعالى ـ ولكنكم فتنتم أنفسكم ـ أى باتباع الشهوات ـ وتربصتم أى بالتوبة ـ وارتبتم ـ أى فى أمر الله ـ وغرتكم الأمانى ـ أى بالتسويف ـ حتى جاء أمر الله ـ أى الموت ـ وغركم بالله الغرور ـ أى الشيطان. وقال بعضهم : من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حكم الشهوات محصورا فى سجن الهوى والمخالفات ، قد حرم الله على الفوائد أن تسكن فؤاده ومنعه حلاوة فهم كلامه وإن أكثر ترداده ، فيكون داخلا فى شديد وعيد ـ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ـ وهذا عذاب أصحاب الأنفس فى الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشق ، ورحم الله من قال :

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ... ولم ينهها تاقت إلى كل باطل

وساقت إليه الإثم والعار بالذى ... دعته إليه من حلاوة عاجل

ومن قال: إذا مادعتك النفس يوما لشهوة ... وكان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما ... هواها عدو والخلاف صديق

وقال بعضهم : رأيت فى منامى حوراء مارأيت أحسن منها فقلت ، زوجينى من نفسك ، فقالت اخطبنى من سيدى ، فقلت وما مهرك ؟ فقالت حبس النفس عن مألوفاتها اه . وفى [حى] اعلم أن شهوات الدنيا فى القلب لذيذة كشهوات الأطعمة فى المعدة ، وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والنتن والقبح أشد ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت فى المعدة غايتها . وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعما وأكثر دسما وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشدنتنا ، فكذلك كل شهوة فى القلب هى أشد وألذ وأقوى فتنتها وكراهتها والتأذى بها عند الموت أشد ، انظره. وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نوسع على أنفسنا وعيالنا وخدمنا كل ذلك الوسع بل نقتصد فى ذلك عملا بقوله تعالى ـ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ـ فمن دوام التوسعة على نفسه وعياله فقد

فتح بذلك باب ازدراء النعم والجهل بمقدارها ، فإن النعمة إذا كثر تداولها على أهل البيت ازدروها ولو على طول ، وتهاونوا بها ، وسخطوا على ربهم إذا حولها عنهم لشدة ائتلافهم بها . وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : من أسباب الاستهانة بالنعم أن يطبخ الإنسان فى بيته كل ليلة اللحم الضانى والدجاج والحلوى وأن يشترى للعيال كل شىء اشتهوه ، فإنهم إذا واظبوا على ذلك استهانوا بالنعمة ضرورة وجهلوا مقدارها ، فأعدل الأمور أن تكون نفقته عليهم على وجه الكر والفر فكلما خاف سخطهم على ربهم وسعها عليهم حتى يشكروا ربهم ، وكلما خاف تهاونهم بالنعمة قترها عليهم ليتلقوها بالتعظيم ، ثم قال : واعلم يا أخى أن الحق تعالى قد أمن كل رجل على عياله وأولاده وإخوانه ومن الأمانة أن لايسعى فى أسباب تحويل النعم عنهم بكثرة إطعامهم الشهوات ، ولا فى نقص درجاتهم فى الآخرة بأكل اللذيذ فى الدنيا ، ومن فعل ذلك فقد خان الأمانة وضيعها ، وقد وبخ الله عز وجل قوما بقوله ـ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون ـ الآية ، وشىء وبخ الله تعالى به أهل النار فنحن أولى باجتنابه ، وقد سد رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ازدراء النعم بأمره لنا أن لا نأكل إلا على جوع ولا نشرب إلا على عطش ، وذلك أن كل من جاع أو عطش يتلقى الطعام والشراب بكل شعرة فيه ، فانظر يا أخى ماذا طوى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآداب التى بفعلها تدوم علينا النعم ، وقس على الطعام والشراب سائر النعم والشهوات من الملابس والجماع والنوم وغير ذلك اهـ . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نمنع أصحابنا وأولادنا وعيالنا من الشبع ومن التوسع فى المآكل والمشارب تشرها وبطرا ، وهذا العهد قد أخل بالعمل به غالب الناس ، وهذا دليل على قلة الورع فى الكسب لأن الإنسان لو تورع التورع المشروع لم يجد شيئا يشبع منه ولا وسع به على نفسه فضلا عن أن يوسع على غيره ، وفى الشبع من الحلال مفاسد كثيرة فكيف الشبع من الشبهات والحرام أقل ما فيها أن الإنسان إذا أكل وشبع جاعت جوارحه ، فلا تشبع إلا إن وقعت فى المعاصى المشاكلة لذلك الأكل فى الحل والحرمة خفة وثقلا . وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا كان الأكل حراما نشأ منه أعمال حرام . وإذا كان خلاف الأولى نشأ منه ارتكاب خلاف الأولى ، ومن قال إن الأعمال تنشأ على غير مشاكلة الأكل ، فليس عنده تحقيق . وكان إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه يقول : أطب مطعمك ولا عليك أن لا تصوم النهار ولا تقوم الليل . وكان سيدى إبراهيم المتبولى يقول : إياكم والأكل من الشبهات فإنها تؤثر فى قلب العبد ، ولو كان من أكابر الأولياء . ومن مفاسد الأكل الكثير أيضا ثقل الأعضاء عن القيام بالطاعات فى الليل والنهار ، فعلم أن من نوع الأطعمة فى بيته فى هذه الأيام وبالغ فى التوسعة على عياله ، فلا بد أن يندم عن قريب وتدور عليه الدوائر ، والله عليم حكيم ، انتهى . قال الله تعالى ـ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ الآية وكان سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين يقول : من لم يحاول على نفسه حتى تخلى دار أبيه ٪

انظر [د] وكان بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه كثيرا ما يقول : الدواجن المحمرة والطواجن المزعفرة توقع فى النار المسعرة فى الدنيا والآخرة . وكان الوالد رحمه الله ورضى عنه كثيرا ما يقول لى : من ألف الزنانات يكون فى الأرمات ، ولقد صدق ونصح ، ومن شك فليجرب فالدهر شاب

جذع لايهرم أبدا - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - :

يا رحيما بالمؤمنين إذا ما ذهلت عن أبنائها الرحماء
يا شفيعا فى المذنبين إذا أشفق من خوف ذنبه البرآء
جد لعاص وما سواى هو العا صى ولكن تنكيرى استحياء
وتداركه بالعناية ما دا م له بالذمام منك ذماء
أخرته الأعمال والمال عما قدم الصالحون والأغنياء
كل يوم ذنوبه صاعدات وعليها أنفاسه صعداء
ألف البطنة المبطئة السير بدار بها البطان بطاء
أو ثقته من الذنوب ديون شددت فى اقتضائها الغرماء
ماله حيلة سوى حيلة المو ثق إما توسل أو دعاء
راجيا أن تعود أعماله السو ء يغفراه الله وهى هباء
أو ترى سيئاته حسنات فيقال استحالت الصهباء

-وما ذلك على الله بعزيز - (وصمت) بفتح الصاد مصدر صمت كقتل، وبضمها اسم مصدر : أى وقومها بملازمة الصمت إلا عن خير. وفى [جص] « الصمت حكم وقليل فاعله » أى قل من يصمت عما لايعنيه ويمنع نفسه عن النطق بما يشينه ، ومن ثم قيل :

ياكثير الفضول قصر قليلا قد فرشت الفضول عرضا وطولا
قد أخذت من القبيح بحظ فاسكت الآن إن أردت جميلا

وفيه : « الصمت زين للعالم وستر للجاهل » وفيه « الصمت سيد الأخلاق ، ومن مزح استخف به » وفيه« من صمت نجا » أى من سكت عن كل ما يخالف الشرع نجا من العذاب والحساب ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « كف عنك هذا وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » ولذا جعل للسان حبسان الأسنان والشفتان ليتأمل فى الكلام قبل خروجه ، ورحم الله من قال :

وكل ما يحصده اللسان يجده يوم الجزا الإنسان
وهل يكب الناس فى النيران على المناخر سوى اللسان

وفى الحديث « التؤدة والرفق والاقتصاد والصمت جزء من ستة وعشرين جزءا من أجزاء النبوة » وقال بعض العارفين : قد جمعت مكارم الخصال فى أربع وبها صارت الأبدال أبدالا : قلة الكلام ، وقلة الطعام، وقلة المنام ، والاعتزال عن الأنام . ورحم الله من قال :

يامن يروم منازل الأبدال من غير قصد منه للأعمال
لاتطمعن فيها فلست من أهلها إن لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه العالى

وقال بعضهم أعداؤك أربعة : الدنيا وسلاحها الخلق وسجنها العزلة ، والشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع ، والنفس وسلاحها النوم وسجنها السهر ، والهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت ، وقال آخر : الصمت عبادة من غير عناء ، وزينة من غير حلى ، وهيبة من غير سلطان ، وحصن من غير سور ، وراحة

الكاذبين ، وغنية من الاعتذار . ولأبي العتاهية رحمه الله [1] :

إن كان يعجبك السكوت فإنه ... قد كان يعجب قبلك الأخيارا
ولئن ندمت على سكوتك مرة ... فلتندمن على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ولربما ... زرع الكلام عداوة وضرارا

وللشافعي رضي الله عنه :

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم ... إن الكلام لباب الشر مفتاح
في الصمت عن أحمق أو جاهل شرف ... وفيه أيضا لصون العرض إصلاح

ورحم الله من قال :

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
سكت عن السفيه فظن أني ... عييت عن الجواب وما عييت
ولكني اكتسيت بثوب حلم ... وجنبت السفاهة ما حييت

ومن قال :

قالوا سكوتك حرمان فقلت لهم ... ما قدر الله يأتيني بلا نصب
ولو يكون كلامي حين أنشره ... من اللجين [2] لكان الصمت من ذهب

وفي الحديث : «أربع لايعطيهن الله إلا من أحب : الصمت وهو أول العبادة ، والتوكل على الله ، والتواضع ، والزهد في الدنيا» وفي [حي] قال عقبة بن عامر «قلت يارسول الله ما النجاة؟ قال : أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك» وقال سهل بن سعد الساعدي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة» وقال صلى الله عليه وسلم : «من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى الشر كله» القبقب : هو البطن ، والذبذب الفرج ، واللقلق : اللسان ، فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق . وفيه : قال أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه» ، وقال صلى الله عليه وسلم : «من سره أن يسلم فليلزم الصمت» وعن سعيد بن جبير مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان» أي تقول اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا ، وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأصونها على البدن : الصمت وحسن الخلق» وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت» وقال عليه الصلاة والسلام : «رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم» وقال عليه الصلاة والسلام «إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة» وقال عليه الصلاة والسلام : «اخزن [3] لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان» وقال عليه الصلاة والسلام : «من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به» وقال عليه الصلاة والسلام : «إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه ، وإن لسان المنافق أمام قلبه ، فإذا هم بشيء أمضاه

---

(١) عتاهية ككراهية : لقب أبي إسحاق إسماعيل بن أبي القاسم بن سويد . (٢) اللجين كزبير : الفضة .
(٣) اخزن بضم زاي من خزن كنصر وكرم اهـ .

بلسانه ولم يتدبره بقلبه ، وقال عيسى عليه السلام : العبادة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت وجزء فى الفرار من الناس ، انظره وفى [جص] العافية عشرة أجزاء تسعة فى الصمت والعاشر فى العزلة عن الناس . قال الحفنى : طاويا عنهم شره حيث لم يقدر على حفظ نفسه فى المخالطة . وإلا فالمخالطة أولى حيث اشتملت على نفعهم ، وقد ذكر أهل التصوف أن أخوين كان أحدهما يبيع ويشترى والآخر معتزلا فى الجبل ، فأراد المعتزل زيارة أخيه فركب سبعا وجاء له فوجده يبيع ويشترى فنزل ووقف السبع ينتظره ، فجاءت امرأة جميلة تشترى من أخيه شيئا فنظر لها نظر شهوة فهم السبع أن يلتقمه ، فقال له الأخ : تأدب أيها السبع فوقف متأدبا . وقال : يا أخى ليس الشأن فى العزلة ، بل الشأن فى حفظ النفس مع المخالطة ، لأن ذلك جهاد أكبر اهـ ورحم الله من قال :

ولازم الصمت الحميد إلا ... عن ذكر مولاك الكريم جلا
وما جرى مجراه مما تنتفع ... به ليوم هائل وترتفع

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على الجوع حتى يكثر صمتنا عن الكلام فيما لم يأمرنا الله تعالى به . فإن من لازم من شبع كثرة الكلام والأشر والبطر بخلاف الجوعان [٢] ، ومن شك فى قولى هذا فليجرب بأن يجوع شخصا كثير الغناء وإنشاد القصائد يومين لا يطعمه شيئا ويقول له غن لى سويعة ، أو انبسط أنا وإياك فى الحكايات فإنه لا يجيبه إلى ذلك أبدا ، فمن طلب الصمت مع الشبع فقد طلب ما هو كالمحال وهذا أمر مشاهد ، وقد غلط فيه كثير من المتورعين بغير شيخ من الفقهاء ، فترى أحدهم يشبع ويأكل كل ما يجده من الشهوات ، وربما كان أى شبعه من طعام الظلمة والمكاسين ويطلب الصمت وقلة الكلام وذلك لا يكون . وقد رأيت مرة من جعل على نفسه كلما يتكلم بغيبة نصفا للفقراء عقوبة لنفسه ، ومع ذلك فما قدر على رد نفسه وصار يخرج فى كل غيبة نصفا حتى زمن وترك الغرامة وصار يستغيب . ولو أنه ظفر بأحد من أهل الطريق لدله على الدهليز [٣] الذى يدخل منه إلى قلة الكلام والغيبة ، وذلك هو الجوع الذى لا يخلى له حيلا ولا قوة للكلام الشرعى ، فضلا عن العرفى ، فضلا عن الحرام ، ثم قال : وقد صحبت من رجال الصمت جماعة منهم شيخ الإسلام زكرياء والشيخ على الخواص والشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد المنير رحمهم الله ، فكان وقتهم عندهم أعز من الكبريت [٤] الأحمر وكل من تسلسل معهم فى الكلام زجروه ولم يستحيوا منه ويقولون له قم ضيعت علينا الزمان ، انظره ولابد . وعن ذى النون المصرى رضى الله عنه قال : بينما أنا أسير فى نواحى الشام إذ وقفت إلى روضة خضراء وفى وسطها شاب قائم يصلى تحت شجرة تفاح [١] . فتقدمت إليه وسلمت عليه فلم يرد على السلام ، فسلمت عليه ثانيا فأوجز فى صلاته ثم كتب فى الأرض بأصبعه :

منع اللسان من الكلام لأنه ... هدف البلاء وجالب الآفات
فإذا نطقت فكن لربك ذاكرا ... لا تنسه واحمده فى الحالات

قال ذو النون : فبكيت طويلا وكتبت بأصبعى فى الأرض :

---

(١) قوله الجوعان بالواو ، والجيعان بالياء ، خطأ كما فى شرح القاموس اهـ . (٢) قوله الدهليز كقنديل : ما بين الباب والدار . (٣) قوله الكبريت بكسر كاف كقنديل . الذهب أو الياقوت اهـ .
(٤) قوله تفاح بضم فوقية كرمان اهـ .

وما من كاتب إلا سيبلى	ويفنى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء	يسرك فى القيامة أن تراه

قال : فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا فيها ، فقمت لآخذ فى غسله وكفنه وإذا بقائل يقول : خل عنه فإن الله عز وجل وعد أن لا يتولى أمره إلا الملائكة : قال ذو النون : فملت إلى شجرة فركعت عندها ركعتين ، ثم أتيت الموضع الذى مات فيه فلم أجد له أثراً ولا عرفت له خبر اه . اللهم تول قبض أرواحنا عند الأجل بيدك مع شدة الشوق إلى لقائك يارحمن (و) بملازمة (قلة) أى التقليل من (الطعام) والشراب فإن الإكثار منهما من أعظم المهلكات وأعضل الآفات فى الدين والدنيا ، وفى الحديث « لاينظر الله إلى جوف ملىء من طعام » وقيل : لما خلق الله الخلق جعل العلم والحكمة فى الجوع . وجعل الجهل والمعصية فى الشبع ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يأكلون إلا من فاقة ، وتبعهم السلف الصالح على ذلك ، وقد انتهى الحال بالإمام البخارى رضى الله عنه إلى أن صار يأكل كل يوم تمرة أو لوزتين ورعا وحياء من الله تعالى فى تردده إلى الخلاء ، وكان إمام الأئمة رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم لا يدخل الخلاء إلا كل ثلاثة أيام مرة واحدة ويقول : والله قد استحييت من كثرة ترددى للخلاء . وكان الشافعى رضى الله عنه يقول : ماشبعت منذ ست عشرة سنة ، لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة . وعن سيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه : قوت المريد الصادق الجوع وشرابه الدموع ، وأما من شبع ونام ولغى فى الكلام وترخص ، وقال ماعلى فاعل ذلك من ملام فإنه لايجىء منه شىء فى الطريق والسلام اه . ولبعض الأخوان رحمه الله ورضى عنه :

الجوع نور وإدام ودوا	صار به خبز الشعير حلوا

وعن بعض العارفين : إن هذه النفس فى غاية الخساسة والدناءة ونهاية الجهل والغباوة ينبيك إلى ذلك أنها إذا همت بمعصية أو انبعثت لشهوة فلو تشفعت إليها بالله سبحانه ثم برسله وجميع أوليائه وعرضت عليها الموت والقبر والقيامة لا تكاد تعطى القيادة ولا تترك الشهوة والعناد ، ثم إن منعتها رغيفا سكنت وذلت بعد الصعوبة والجماح ولانت وانقادت إلى طرق الفلاح ، فعليك بهذا العلاج فإنه أعظم منهاج ، ورحم الله من قال :

	ومن البلاء وللبلاء علامة	أن لا يرى لك عن هواك نزوع
	العبد عبد النفس فى شهواتها	والحر يشبع تارة ويجوع
ومن قال :	فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن	إذن لم يكن فيها معاش لظالم
	لقد جاع فيها الأنبياء كرامة	وقد شبعت فيها بطون البهائم
ومن قال :	الجوع يطرد بالرغيف اليابس	فعلام تكثر حسرتى ووساوسى
	والموت أنصف حين عدل قسمة	بين الخليفة والفقير البائس

وفى [جص] « أحبكم إلى الله أقلكم طعما وأخفكم بدنا » قال الحفنى : ولذا ورد أن سيدنا يحيى عليه السلام لقى إبليس فرأى معه معاليق : أى صورة كلاليب ، فقال ما هذه ؟ فقال هذه الشهوات أصطاد بها الناس ، فقال هل معك لى شىء منها ؟ فقال شهوة الأكل أسلطها عليك فتشبع فتكسل عن العبادة ، فقال لله على أن لا أشبع أبدا ، فقال إبليس وكذا لله على أن لا أنصح أحدا أبدا . وروى

أن أبا الحسن الشاذلى مكث ثمانين يوما لا يأكل شيئا فحدثته نفسه أن قد أطاع ربه فخرجت عليه امرأة من غار ووجهها كالقمر وقالت لقد جاع الرجل ثمانين يوما فحدثته نفسه الخ فو الله ما أكلت شيئا منذ ستة أشهر ، وهذا من لطف الله بالشيخ نفعنا الله به حيث نبهه على عدم ركونه للعمل ، وفيه « أخاف على أمتى من بعدى ثلاثة : ضلالة الأهواء ، واتباع الشهوات فى البطون والفروج ، والغفلة بعد المعرفة » وفيه « أخشى ما خشيت على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل وضعف اليقين » وفيه « خففوا بطونكم وظهوركم للصلاة » وفيه « إذا أقل الرجل الطعم ملأ جوفه نورا » قال العزيزى : وإنما كان الجوع يورث تنور الجوف لأنه يورث صفاء القلب وتنور البصيرة ورقة القلب حتى يدرك لذة المناجاة وذل النفس وزوال البطر والطغيان وذلك سبب لفيضان النور ، والجوع هو أساس طريق القوم . قال الكتانى : كنت أنا وعمرو المكى وعياش نصطحب ثلاثين سنة نصلى الغداة بوضوء العصر ونحن على التجريد ما لنا مايساوى فلسا ، فنقيم ثلاثة أيام وأربعة وخمسة لا نأكل شيئا ولا نسأل فإن ظهر لنا شىء وعرفنا حله أكلنا وإلا طوينا ، فإذا اشتد الجوع وخفنا التلف أتينا أبا سعيد الخراز ، فيتخذ لنا ألوانا كثيرة ، ثم نرجع إلى ما كنا عليه اه : ونقل أن عبد الرحمن بن أبى نعيم لا يأكل فى الشهر إلا مرة فأدخله الحجاج الثقفى بيتا وأغلقه عليه ، ثم فتحه بعد خمسة عشر يوما ظانا أنه مات فوجده يصلى قائما » فقال تصلى بغير وضوء فقال إنما يحتاج إلى الوضوء من يأكل ويشرب وأنا على الطهارة التى أدخلتنى عليها اه وفى [عف] قال يحيى بن معاذ : إذا ابتلى المريد بكثرة الأكل بكتب عليه الملائكة رحمة له ، ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة ، ثم قال : دخل رجل على الطيالسى وهو يأكل خبزا يابسا قد بله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهى هذا ؟ قال أدعه حتى أشتهيه ، وقيل من أسرف فى مطعمه ومشربه يعجل الصغار والذل إليه فى دنياه قبل آخرته . وقال بعضهم : الباب العظيم الذى يدخل منه إلى الله قطع الغذاء . وقال بشر : إن الجوع يصفى الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق : وقال ذو النون : ما أكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت إلا عصيت الله أو هممت بمعصية ، أنظره . وفى [حى] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله ، وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش » وقال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه ، وقيل يارسول الله أى الناس أفضل ؟ قال من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر به عورته » ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « سيد الأعمال الجوع وذل النفس . لباس الصوف » وقال أبو سعيد الخدرى : قال رسول صلى الله عليه وسلم « البسوا وكلوا واشربوا فى أنصاف البطون فإنه جزء من النبوءة » وقال الحسن : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الفكر نصف العبادة ، وقلة الطعام هى العبادة » وقال الحسن أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا فى الله سبحانه ، وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب » وفى الخبر « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز [1] أى مختارا لذلك » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يباهى الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه فى الدنيا فيقول الله تعالى انظروا إلى عبدى ابتليته بالطعام والشراب فى الدنيا فصبر وتركهما ، اشهدوا ياملائكتى مامن أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات فى

---

(١) عوز كعيب : الحاجة .

الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم : « ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه . وإن كان لابد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » اه . وفى العزيزى : وقد بين الغزالى ذلك الثلث حيث قال : ينبغى أن يقنع بنصف مد لكل يوم ، وهو ثلث البطن . قال : كذا كان عمر وجماعة من الصحابة قوتهم ذلك . قال ومن زاد على ذلك فقد مال عن طريق السالكين المسافرين إلى الله تعالى ، أنظره . ورحم الله من قال :

يميت الطعام القلب إن زاد كثرة ... كزرع إذا بالماء قد زاد سقيه
وإن لبيبا يرتضى نقص عقله ... بأكل لقيمات لقد ضل سعيه

وفى [حى] أيضا ، وقيل مكتوب فى التوراة : إن الله ليبغض الحبر السمين ، لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر . ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الله تعالى يبغض القارئ السمين من الشبع . وفى خبر مرسل : إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » وفى الخبر : الأكل على الشبع يورث البرص . وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يأكل فى معى واحد والمنافق يأكل فى سبعة أمعاء ، أى يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته ، أنظره . وفيه عن أنس قال « جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص [1] خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك منه بهذه الكسرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام » وقال أبو هريرة : ما أشبع النبى صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجوع فى الدنيا هم أهل الشبع فى الآخرة ، وإن أبغض الناس إلى الله المتخمون الملأى ، وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة فى الجنة » وقال أبو سليمان : لأن أترك لقمة من عشائى أحب إلى من قيام ليلة إلى الصبح . وقال أيضا : الجوع عند الله فى خزائنه لا يعطيه إلا لمن أحب ، ثم ذكر رحمه الله للجوع عشر فوائد أنظرها فيه . وللهلالى رحمه الله فى نصيحته ،

ولا يكن همك فى الطعام ... والفرج [2] تلك شيمة الطغام [3]
لا تأكلن فى اليوم إلا مره ... تحمد طعامك وتكفى ضره
وليك قدره كما الحديث قد ... أرشدنا له لقيمات فقد
ماملأ المرء وعاء شرا ... من بطنه فاحذر وقيت الضرا
فى شبع المرء من الحلال ... عشرة من أقبح الخلال
من ذاك قسوة القلوب وهى ... داهيــة للناسكين دهيا
إذ قيل إن القلب كالزرع متى ... دام عليه الماء مات يا فتى
والقلب إن يمت فأى ذكرى ... تنفعه وإن أدمت الذكرى
ومنه إسراع الجوارح إلى ... عصيان رب الناس وهاب الألا
إذ قيل إن البطن إن جاع شبع ... سائر الأعضاء وبالعكس اتبع

(١) القرص بالضم : الخبزة . (٢) نسخة : والشرب . (٣) الطغام كسحاب : أوغاد الناس .

وأى داء للفتى أضر ... مما إلى معصية يجر
ومنه ضعف الفهم إن البطنه ... كما أتى مذهبة للفطنه
إن الحجا من نعم الرحمن ... فمن يضعه باء بالحرمان
ومن يبع فهمه بلقمه ... قد اشترى خسارة ونقمه
ومنه إغراء النفوس بالكسل ... حتى ترى النعاس أحلى من عسل
وذاك مفض لضياع العمر ... وليس يرتضيه غير الغمر
فالعمر رأس المال من أضاعه ... كرائم التجر بلا بضاعه
ومنه فقد لذة العباده ... وذاك داء من يصب أباده[1]
أى محبة لمن يناجى ... ولم يجد حلاوة التناجى
وأى خير يرتجى لمن خلا ... من حب ذى الإكرام جل وعلا
ومنه أنه يرى ذريعه ... لأكل ما حرمت الشريعه
إذ الحلال نادر والراتع ... حول الحمى يوشك أن يواقع
وذو الحجا ليس يضيع الحزما ... بل يقتنى ماكان حلا جزما
إذ آكل الحل يطيع ربه ... أحب أم كره نعم القربه
وآكل الحرام يعصى خالقه ... أحب أم كره بئس الحالقه
وكل لحم من حرام قد نبت ... فالنار قل أولى به كما ثبت
ومنه شغل القلب والأبدان ... بجمعه من شاسع ودان
ثم بتهيئته وأكله ... ثم بإفراغ الحشا من ثقله
وكم يفوته من الطاعات ... فيما يضيعه من الساعات
ومنه فاعلم اشتداد السكرات ... عند الممات وحلول الغمرات
إذ قيل إن لذة الحيات ... تزيد فى مرارة الممات
وذاك من عظائم المصائب ... ومذهلات النوب النوائب
ومنه نقصان الثواب الباق ... فيتخلف عن السباق
لأن كل لذة فى العاجله ... بقدرها ينقص أجر الآجله
ومن يبع بأكلة مشومه ... ذاك النعيم ماأضر شومه
ومنه طول الحبس والوقوف ... عند الحساب الهائل المخوف
لأنما الدنيا حلالها حساب ... يوم الجزا وحرامها عقاب
وقد أتى فى محكم الحكيم ... نص سؤالنا عن النعيم
فهذه عشرة تكفى المريد ... واحدة منها فكيف بالمزيد
قلت ومنه إنه إلى السقام ... فى بدن يفضى وللداء العقام[2]
لأنما المعدة بيت الداء ... فاحذر من العشاء والغداء
وفى القران جاءنا لاتسرفوا ... وسره يشهده من يعرف

---

(١) أى أهلكه .   (٢) عقام كغراب : شديد .

ومن يرد بدينه والبدن ... سقما بأكلة فاحق دنى
ومن يبع رضى المليك الحق ... بأكلة تفنى فاشقى الخلق
هذا وقد قالوا اتباع الشهوات ... من أكبر الحجب وأردى المفوات
فافطم عن الشهوة نفسك تصب ... وتغنم النجاة فى اليوم العصب (١)

انظرها فإنها كلها غرر ودرر لمن وفق واعتبر (وعزلة) وهى الاعتزال عن الناس بقلب وقالب أو بالقلب فقط وهى عزلة الكمل، وينبغى للمريد أن ينوى بعزلته عن الناس سلامتهم من شره لاسلامته من شرهم، فإن من استصغر نفسه كان من المفلحين، ومن رأى لها مزية على غيره كان من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وفى النصيحة المذكورة :

واحرص على العزلة مااستطعتا ... وإن تسر من دونها انقطعتا
فخلطة الناس أخس عقال ... والقيل لازم لهـا والقال
فدعهم ترحهم وتسترح ... فقل من خالطهم ثم ربح

وفى [حى] وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال: خذوا حظكم من العزلة. وقال ابن سيرين العزلة عبادة . وقال الفضيل : كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا، وقيل اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا، وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائى : عظنى . قال : صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة، وفر من الناس فرارك من الأسد . وقال الحسن رحمه الله : كلمات أحفظهن من التوراة : قنع ابن آدم فاستغنى ، اعتزل الناس فسلم ، ترك الشهوات فصار حرا ، ترك الحسد فظهرت مروءته ، صبر قليلا فتمتع طويلا . وقال وهب بن الورد ، بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة فى الصمت والعاشر فى عزلة الناس . وقال سفيان الثورى : هذا وقت السكوت وملازمة البيوت . وكان يقول والله الذى لا إله إلا هو لقد حلت العزلة، وقال بعضهم كنت فى سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لانسمع له كلاما ، فقلنا له ياهذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فأنشأ يقول :

قليل الهم لاولد يموت ... ولا أمر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا فأفاد علما ... فغايته التفرد والسكوت فانظره

[وحكى] أنه رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه وجد تحت وسادته بعد وفاته هذه الأبيات من سريع مطوى مكسوف :

وكنت عبدا والهوى حاكمى ... فصرت حرا والهوى خادمى
وصرت بالعزلة مستأنسا ... من شر أنواع بنى آدم
ماقى اختلاط الناس خير ولا ... ذو الجهل بالأشياء كالعالم
يالائمى فى تركهم جاهلا ... عذرى منقوش على خاتمى

فنظروا فإذا نقشه ـ وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ـ وفى [جص] «الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى العزلة وواحد فى الصمت» قال الحفنى : أى العلم النافع المصحوب بالعمل عشرة أجزاء فمن لازم العزلة حصل له تسعة أعشارها، فإن ضم لذلك الصمت فقد حصلها كلها.

---

(١) أصله العصيب : أى الشديد الحر .

قال الشاعر :

لقاء[1] الناس ليس يفيد شيئا ... سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا ... لأخذ العلم أو إصلاح حال

وقال آخر :

الزم الوحدة تنجو ... مابقى فى الناس خله
إن[2] حب الناس أضحى ... لفساد أو لعله اه

وفيه : خص البلاء بمن عرف الناس وعاش فيهم من لم يعرفهم ، أى وإنما خص البلاء بمن عرفهم لأنهم يشغلونه عن ربه ، وربما وقع فى التكلم فيهم بالغيبة والنميمة . قال الحفنى : فهذا محمول على من نفسه أمارة ، أما من طهره الله تعالى فمخالطته تزيد خيرا لقيامه بحقوق الخلق والخالق معا ، فالعزلة أولى لمن معه نفسه والمخالطة أولى لمن ترك نفسه وطهرها لأجل هدايتهم اه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

الفرار الفرار من خالطة الخلـ ... ـق جميعا مخافة الإفتتان
إن تكن كاملا فخالط وإلا ... فالفرار الفرار دون توان
واتهم نفسك الأمارة بالسو ... ء إذا زعمت بلوغ الأمانى
واتخذ سورا من حديد حصينا ... واستعن بعد ذاك بالمستعان

وفى العزيزى قال ابن دينار لراهب عظنى ؟ فقال : إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سورا من حديد فافعل . قال الغزالى : وكل من خالط الناس كثرت معاصيه وإن كان تقيا إلا إن ترك المداهنة ولم تأخذه فى الله لومة لائم : انظره . وفى تائية السلوك للشرنوبى رضى الله عنه :

ويعتزل الخلق الجميع وفعلهم ... كذاك ولاة الأمر فى دار دنية

قال [شب] أى ومن أركان الطريق أن يعتزل المريد الخلق الذين لاخير فيهم جميعهم ويترك فعلهم خصوصا ولاة الأمر الذين تولوا شيئا من أمور الدنيا فإن الخلطة بهم مبعدة عن التقرب إلى رب البرية اه . قال تعالى ـ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ـ وقال ـ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ـ وفيه : وكتب سفيان إلى عابد من العباد يقول له : اعلم يا أخى أنك فى زمان قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون أن يدركوه ومعهم من العلم ماليس معنا ، ولهم من القدم ماليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على قلة العلم وقلة الصبر وقلة الأعوان على الخير وفساد من الزمان ، فعليك بالخمول فإن هذا زمان خمول ، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس ، فقد كان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض ، فأما اليوم فقد ذهب ذلك فالنجاة الآن فى تركهم فيما نرى ، وإياك يا أخى والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم فى شىء من الأشياء ، ويقال لك تشفع أو تدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فإن ذلك من خديعة إبليس ، وإنما اتخذ ذلك القراء سلما للقرب منهم

(١) هذان البيتان للإمام الحميدى شيخ البخارى . (٢) وفى نسخة : إن ودى لنفاق ، وبعد هذين البيتين :

اترك الأصحاب إلا ... صاحبا يدعوك لله
آخر الدنيا فناء ... ثم يبقى الملك لله

واصطياد الدنيا بذلك اه . وعنه رضى الله عنه أيضاً : هذا زمان لايأمن فيه الخامل على نفسه فكيف بالمشهور فيه اه. وللعارف بالله سيدى عبدالغنى النابلسى رضى اللهعنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه:

وكن بالانفراد سليم قلب ... لأن مصاحبات الناس داء
فإنك إن نطقت بما تراه ... عليهم حثهم فيك افتراء
وصرت عدوهم فى كل حال ... وليس لهم بما قلت ارعواء
وإن تسكت وتكرهه بقلب ... فقلبك ماله فيهم خفاء
وأدنى مايكون يقال هذا ... ثقيل كل حالته رياء
وهم لايقبلونك فاجتنبهم ... وأنت بما علمت لك اهتداء
لأنك باللقاء تكون مغرى ... بسبك إنه بئس اللقاء
وإن خالطتهم وسالكت معهم ... يكون لهم بفعلك ذا رضاء
وتمسى بينهم مرفوع شأن ... وتصبح كل ماتلقى هناء
ولكن تبتلى فى الدين منهم ... بما هم فيه إذ بالسوء جاءوا
أكابرهم على الأعراض قاموا ... ولو بالكفر مالهم انثناء
وقد حملوا أصاغرهم عليه ... مداهنة وليس لهم حياء
تنبه يامريد الحق وافتح ... عيونك مابنو الدنيا سواء
وصابر عن لقاء الناس واصبر ... على الإيذاء وليسع الإناء
فإن الصبر فى الدنيا قليل ... وعقباه انكشاف وانجلاء
فأما الصبر منك على عقاب الـ ... قيامة فهو ليس له انقضاء
ولا ترج غير الله مولى ... فغير الله مافيه الرجاء اه

واعلم أن الشأن فى العزلة أن تكون بالقلب والقالب بأن يتباعد صاحبها عن الخلق ، وقد تكون بالقلب فقط بأن يخالط الناس بجسمه وقلبه متعلق بالله تعالى ، كما قالت العدوية رضى الله عنها فى مقام المشاهدة القلبية :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى ... وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس ... وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى اه

وروى : خالطوا الناس بأبدانكم وزايلوهم بقلوبكم ، ورحم الله من قال :

فخف أبناء جنسك واخش منهم ... كما تخشى الضراغم والسبنتى (١)
وخالطهم وزايلهم حذارا ... وكن كالسامرى إذا لمستا

وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن العزلة عن الخلق هل أتم من الاختلاط أم العكس أتم؟ فقال رضى الله عنه الاختلاط فى حق من رزق الفهم عن الله عز وجل أتم ، لأنه فى كل لحظة يزيد علما بالله لم يكن عنده ، وأما من لم يرزق الفهم عن الله تعالى فالخلوة فى حقه أتم اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا فى العزلة عن الناس إذا لم يأمنوا

---

(١) النمر والسبع .

على أنفسهم عند الاختلاط فإن أمنوا عليها فالمستحب الاختلاط على أصل قاعدة المسلمين فى دينهم ، وقد أجمع الأشياخ على أنه ليس للكمل الهروب من الناس لعدم الخوف عليهم من الاشتغال بالخلق عن الله تعالى ، وأما من خاف مع دعوى الكمال فدعواه الكمال زور وبهتان ، فهو إما شخص جلس بنفسه عن غير فطام على يدشيخ وإما أن شيخه مفتر كذاب لايصلح لأن يكون أستاذا كما هو غالب فى أهل هذا الزمان ، ثم قال فاسلك يا أخى على يد شيخ لتعرف الطريق ومخاوفها ومهالكها وتصير إن اعتزلت تكون عزلتك بحق وإن خالطت تكون مخالطتك بحق وإلا فمن لازمك الهوى وحظ النفس قربا أو بعدا لأنك إن قربت منهم كان لعلة دنيوية وإن بعدت منهم كان لسوءظنك بهم وحب التميز عليهم كما هو مشاهد انظره. وعن النبى صلى الله عليه وسلم : «يأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر» وعنه صلى الله عليه وسلم أيضا : «إذا رأيتم الناس قدمرجت[1] عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه . فقال ابن عباس رضى الله عنه فكيف أفعل عند ذلك جعلنى الله فداك؟ قال الزم بيتك وابك على نفسك وخذما تعرف ودع ماتنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة ، واملك عليك لسانك» قال رحمه الله :

(وَأَعْرِضْ عَنِ اللَّغَى وَمَا لَيْسَ يُعْتَنَى ... لِسَانَكَ صُنْ عَنْ غِيبَةٍ وَنَمِيمَةٍ)

(وأعرض) من أعرض عن الشىء صد عنه (عن اللغى) بفتحتين كالفتى . وفى [س] اللغو واللغى كالفتى ، السقط ومالا يعتد به من كلام وغيره اه . وفى [حى] قال ابن أبى رباح : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لابدلك منها ، أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، أما يستحى أحدكم إذا نشرت صحيفة التى أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولادنياه اه . وفيه : أعلم أن فضول الكلام لا تنحصر بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى قال الله عز وجل ـ لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس ـ وقال صلى الله عليه وسلم : «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله» فانظر كيف قلب الناس الأمر فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان . وفيه قال ابن مسعود رضى الله عنه : أنذركم فضول الكلام حسب أمرىء من الكلام ما بلغ به حاجته . وقال مجاهد . إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا . وقال الحسن : يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ماشئت وأكثر أو قلل . وقال : من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وفيه : وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه ، فأخبروه بأنه مر فى السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس فهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال : عجبت من الملائكة على رؤس الناس

---

(١) مرجت بكسر راء كفرح اه.

ما أسرع مايكتبون ، ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يماون ، أنظره. وفيه : وأما الخوض فى الباطل كحكايات أحوال النساء والفسقة والظلمة فإن ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام، وقال صلى الله عليه وسلم : « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً فى الباطل » وقال سلمان : أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما فى معصية الله ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا » وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها فى أهل الجنة، أنظره . وروى الترمذى « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى » وعن بعضهم رحمه الله : الزم الفضل واترك الفضول واغتنم وقتك تفز بخير الدنيا والآخرة، فبملازمة الفضل تنال الشرف وبترك الفضول تنال السلامة وباغتنام الوقت تنال الربح ، وفى هذه الثلاثة مجموع خير الدنيا والآخرة ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

الزم الفضل ودع عنك الفضول ‏ ‏ ‏ ‏ واغتنم وقتا تنل كل السرور

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بترك وقوعنا فى الكلام اللغو خوفا أن يجر إلى مكروه أو حرام ، ونعود ألسنتنا بأن لا نجيب عن كلام إلا بعد تأمل وتثبت ، وهذا العهد يقع فى خيانته كثير من الحجاج إذا قدموا من الحج فيصير يحكى ماوقع له من غير أن يسأله الناس عنه فيصير الناس الذين يسلمون عليه متقلقين لأجل حوائجهم التى وراءهم من سلام على حجاج آخرين أو غير ذلك ، وهو يهدر[١] لهم كالشاعر ، وكذلك يقع فى خيانته كثير من الفقراء الذين تزورهم الأمراء فيفتتحون على ذلك الأمير باب الكلام الذى ليس لذلك الأمير به حاجة ، أنظره . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحفظ لساننا فى كل مجلس نجلسه عن كلام اللغو والفحش ما أمكن ، وإن وقعنا فى ذلك فلا ننصرف حتى نذكر الله تعالى بماورد أنه يكفر ماوقع فى المجلس وذلك أن الملك لا يكتب ما عمله العبد من السيئات إلا بعد ساعة أو ثلاث ساعات كما ورد فإن استغفر لم يكتبها وإن لم يستغفر يكتبها ، وهذا من جملة رحمة الله تعالى بعباده من حيث كون رحمته وحلمه سبق غضبه وانتقامه، فإذا وقع العبد فى معصية تسابق إليه أسماء الرحمة والانتقام، ومعلوم أن أسماء الرحمة أسبق فتأتى أسماء الانتقام فتجد أسماء الرحمة قد سبقتها إلى محل الانتقام فرجعت أسماء الانتقام بلا تأثير ، فالحمد لله رب العالمين . وكان الشيخ محيى الدين بن العربى يقول : إذا عصيت الله تعالى فى أرض فلا تفارقها حتى تعمل فيها خيرا، كقولك لا إله إلا الله أو سبحان الله أو الحمد لله ، فكما صارت البقعة تشهد عليك صارت تشهد لك يوم القيامة ، أنظره . وقد صح أن الملك لا يكتب شيئا من السيئات إلا بعد مضى ست ساعات - ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون - ورحم الله من قال :

---

[١] يهدر بكسر دال من هدر الحمام كضرب: صوت.

اغتنم ركعتين فى ظلم الليـ ل إذا كنت خاليا مستريحا

وإذا ماهممت باللغو فى البا طل فاجعل مكانه تسبيحا

فالتزام السكوت أولى من النطـ ق وإن كنت بالكلام فصيحا

(و) أعرض عن كل (ماليس يعنى) بالبناء للمفعول أى وأعرض عن كل مالا تهتم به لدينك أودنياك بأن تتكلم بما أنت مستغن عنه وغير محتاج إليه لأنك ضيع بذلك أوقاتك التى هى رأس بضاعتك ومحاسب على عمل لسانك .

وفى [جص] «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» قال العزيزى : والذى يعنيه ما تعلق بضرورة حياته فى معاشه مما يشبعه ويستر عورته ويعف فرجه دون مازاد على ذلك وبه يسلم من كل آفة وشر، أنظره . وفيه: «أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما فيما لا يعنيه» وعن الحسن : من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه . وعن مالك بن دينار رحمه الله : إذا رأيت قسوة فى قلبك ووهنا فى بدنك وحرمانا فى رزقك فاعلم بأنك تكلمت بما لا يعنيك . ومن كلام السلف : من سأل عما لا يعنيه سمع مالا يرضيه . ورحم الله من قال :

لعمرك ما شىء علمت مكانه أحق بسجن من لسان مدلل [(١)]

على فيك مما ليس ينفع قوله بقفل شديد حيثما كنت أقفل [(٢)]

وفى [حى] قال أبوذر : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل فى الميزان ؟ قلت بلى يارسول الله . قال : هو الصمت ، وحسن الخلق ، وترك مالا يعنيك» وقال مجاهد : سمعت ابن عباس يقول : خمس لهى أحب إلىّ من الدهم [(٣)] الموقوفة : لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فإنه رب متكلم فى أمر يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعنت [(٤)] ، ولا تمار حليما ولا سفيها فإن الحليم يقليك والسفيه يؤذيك ، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه بما تحب أن يعفيك عنه ، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به واعمل على عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل للقمان ما حكمتك ؟ قال لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف مالا يعنينى . وقال عمر رضى الله عنه : لاتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى الله تعالى ، انظره

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نمكن إخواننا من الجلوس فى مجالس القيل والقال والخوض فى عيوب الناس والطعن فيمن ولاه الولاة من القضاة والأمراء والمقدمين وغيرهم ، هذا إذا كان الجلوس على المزابل ، فكيف بجلوسهم لما ذكر فى المساجد والجوامع والقرآن يتلى فيها لا يصغى أحد منهم إليه انتهى .

وفى [جه] ويحفظ : يعنى سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ، جوارحه مما نهى الله عنه فيعرض عن اللغو ومالا يعنى ، ويصون عنه لسانه ، ولا يسمع الباطل ولا يقدر أحد أن يذكره بمحضره ،

---

(١) قوله مدلل بكسر لام اسم فاعل : أى كثير الجراءة والتجاسر اهـ .

(٢) من أقفل الباب إقفالا: أغلقه .

(٣) جمع أدهم كالسود جمع أسود الخيل اهـ . (٤) قوله فعنت كتعب وزنا ومعنى اهـ .

وإن نطق أحد بمنهى رده للصواب لامحالة كائنا ما كان لايتساهل فى ذلك، يحذر عن الغيبة غاية التحذير وينفر عنها كل التنفير ، ويذكر ماورد فى ذلك من آية أو حديث يطنب فى ذلك مبالغة فى التنكير اه .

وفيه : وكان رضى الله عنه يكره كثرة الكلام شديد التحفظ من الغيبة والنميمة والخوض فيما لايعنى انتهى (لسانك صن) من صانه حفظه إذ لاشىء من الأعضاء أعصى على الإنسان من اللسان فإنه لاتعب فى إطلاقه ولامؤنة فى تحريكه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته وغوائله، وإنه أعظم آلة الشيطان فى استغواء الإنسان . وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال : قلت يارسول الله أخبرنى عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال : قل آمنت بالله ثم استقم . قال : قلت فما أتقى ؟ فأومأ بيده إلى لسانه، وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان على الصفا يلبى ويقول : يالسانى قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم ، فقيل له أهذا شىء تقوله أوشى سمعته ؟ فقال لابل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أكثر خطا يابن آدم فى لسانه » وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف لسانه ستر الله عورته، ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره » وروى « أن معاذ بن جبل قال يارسول الله أوصنى ؟ قال اعبد الله كأنك تراه، وعد نفسك فى الموتى، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله ، وأشار بيده إلى لسانه » انظر [حى] وعن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : لسانى سبع إن أطلقته أكلنى . وعنه أيضا : هذا الذى أوردنى الموارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس شىء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته » وفى [جص] « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا » وفيه « إن الله عند لسان كل قائل ؛ فليتق الله عبد ولينظر ما يقول » قال الحفنى : ولذا نودى عبد فى حومته فلم يرد فأكثروا عليه الندا فقال : ما تريدون إلى حابس لسانى عن الكلام لأنه يفضى بصاحبه إلى الخسران اه . وفيه : « طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته » ورحم الله من قال :

يموت الفتى من عثرة من لسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه ... وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

ومن قال : أمسك لسانك أيها الإنسان ... ليلد غنك إنه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

ومن قال :

صن العرض وابذل كل مال ملكته ... فإن ابتذال المال للعرض أصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوءة ... فعندك عورات وللناس ألسن (١)
وعينك إن أهدت إليك معايبا ... لقوم فقل ياعين (٢) للناس أعين

ومن قال :

لعمرك إن فى ذنبى لشغلا ... لنفسى عن ذنوب بنى أميه

---

(١) جمع لسان اه . (٢) بحذف ياء المتكلم للضرورة اه .

على ربى حسابهم إليه تناهى علم ذلك لا إليه [1]
فليس بضائر ما قد أتوه إذا ما الله أصلح مالديه

ومن قال :

وكم فاتح أبواب شر لنفسه إذا لم يكن قفل على فيه مقفل [2]

وعن سيدنا عمر رضى الله عنه قال ـ لبعض إخوانه : أوصيك بستة أشياء : إن أردت أن تقع فى أحد وتذمه، فذم نفسك فإنك لا تعلم أحداً أكثر عيوبا منها ، وإن أردت أن تعادى أحداً فعاد البطن فليس لك عدو أعدى منها، وإن أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله فليس أحد أكثر منه منة عليك وألطف بك منه، وإن أردت أن تترك شيئا فاترك الدنيا، فإنك إن تركتها فإنك محمود وإلا تركتك وأنت مذموم، وإن أردت أن تستعد لشىء فاستعد للموت فإنك إن لم تستعد له حل بك الخسران والندامة ، وإن أردت أن تطلب شيئا فاطلب الآخرة فلست تنالها إلا بأن تطلبها اهـ (هن غيبة) بكسر معجمة : وفى [س] غابه عابه وذكره بما فيه من السوء كاغتابه والغيبة فعلة منه تكون حسنة وقبيحة اهـ. وهل هى من الصغائر أو من الكبائر ؟ اعتمد بعضهم أنها من الصغائر إلا فى حق العلماء وحملة القرآن. ونقل القرطبى الإجماع على أنها من الكبائر . وفى [جص] « من ذكر رجلا بما فيه فقد اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته » وفيه « من ذكر امرأ بما ليس فيه ليعيبه حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاذ ما قال » وفيه « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنى إن الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه » وفيه « لما عرج بى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون [3] وجوههم وصدورهم ، فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » وفيه « إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك » اهـ. وفى [حى] اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص فى بدنه أو نسبه أو فى خلقه أو فى فعله أو فى قوله أو فى دينه أو فى دنياه حتى فى ثوبه وداره ودابته ، أنظره . قال تعالى ـ ولايغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ـ وفيه: عن النبى صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» والغيبة تتناول العرض . وقد جمع الله بينه وبين المال والدم ، وقال صلى الله عليه وسلم: إن الدرهم يصيبه الرجل من الربى أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وإن أربى الربى عرض الرجل المسلم » وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب إليه لحمه فى الآخرة، وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح. وقال مجاهد ـ ويل لكل همزة لمزة ـ الهمزة: الطعان فى الناس، واللمزة : الذى يأكل لحوم الناس . وقال قتادة : ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث من الغيبة ، وثلث من النميمة ، وثلث من البول . وقال الحسن : والله للغيبة أسرع فى دين الرجل المؤمن من الأكلة [4] فى الجسد . وقال بعضهم : أدركنا السلف لايرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة، ولكن فى الكف عن أعراض الناس . وقال ابن عباس : إذا أردت

---

(١) الهاء هاء السكت اهـ .

(٢) بفتح فاء اسم مفعول من أقفله: أغلقه اهـ . (٣) يخمشون بضم ميم وكسرها من باب ضرب ونصر اهـ .

(٤) الأكلة كفرحة ونبقة اهـ .

أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة : يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه . وسمع زين العابدين رجلا يغتاب رجلا فقال له إياكم والغيبة فإنها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه . عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء ، انظره . وروى « إن العبد يؤتى كتابه يوم القيامة فلا يرى فيه حسنة فيقول يارب أين صلاتى وصيامى وطاعتى ؟ فيقال ذهب عملك كله باغتيابك للناس ، ويعطى الرجل كتابه بيمينه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا بما اغتابك به الناس وأنت لا تشعر » وفى [ثيق] وقد استغاب شخص من إخواننا شخصا فرأى تلك الليلة القيامة قد قامت ونصبت الموازين ورفع الحجاب بين يدى الله عز وجل كما يليق بجلاله ، وتعلقت الناس بعضهم بعضا فجاء ذلك الشخص المستغاب وتعلق بمن استغابه فعرض عليه سائر أعماله الصالحة فى نظير تلك الغيبة فلم يرض بها ، فجاء آخر فادعا عليه مثل ذلك فأخذ جميع أعماله ثم جاء ثالث فلم يجد شيئا فألقى عليه من أوزاره ، ثم جروه للنار فاستيقظ قبل أن يلقى فيها فآلى على نفسه أن لايستغيب أحدا حتى يلقى الله ، فاعلم ذلك واعمل عليه اه . وقد كان سيدى عبد العزيز الدرينى إذا بلغه أن أحداً اغتابه يقول له : يا أخى مالك ولتحمل ذنوبى على ظهرك يكفيك ماعلى ظهرك من أوزارك اه . قلت وأقل مافى الوقيعة فى أعراض الناس تحكمهم يوم القيامة فى أعمال من وقع فيهم فلو أراد الواحد منهم لايرضى فى تنقيصه إلا جميع أعماله الصالحة كان له ذلك ، فمن رضى لنفسه أن يحكم مفلساً يوم القيامة فليس معه شىء من العقل أنظره . وفى [حم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بوقوعنا فى غيبة فضلا عن وقوعنا فى البهتان ، ولانرى لنا أعمالا مكفرة لذلك كما عليه طائفة المتهورين فى أعراض الناس ، بل لانزال خائفين من وقوعنا فى ذلك وهذا دأبنا حتى نلقى الله عز وجل ونصدر على الحساب ، وهناك تظهر لنا الأعمال التى لنا ، هل تكفر تلك الغيبة أم لا ؟ فإن أعمالنا الصالحة عندنا تحتاج إلى مكفرات أخر لما فيها من العلل والآفات ، كما قيل :

ذنوبك فى الطاعات وهى كثيرة إذا عددت تكفيك عن كل زلة

وكان سيدى على الخواص يقول : لايقعن أحدكم فى غيبة مسلم ، ثم قال : وهذا الداء قد عم غالب الخلق وما سلم منه إلا القليل ، ثم قال : فالعاقل لايتكدر من الغيبة فيه بل ينبغى اه الفرح لأن الله تعالى يحكمه يوم القيامة فى أعمال الذى اغتابه فيأخذ منها ما شاء ، وقد سمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول عن شخص استغابه : اللهم اغفر له ماجناه من جهتى وأقسم له الإخلاص فى أعماله ليعطى الناس منها يوم القيامة ، ثم قال : « وقد بلغنا أن سيدى الشيخ أبا المواهب الشاذلى كان يقول : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت : يارسول الله ماكفارة الغيبة إذا لم تبلغ صاحبها فقال : « كفارتها أن تقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين وتهدى ثواب ذلك فى صحائف من اغتبته ، والله غفور رحيم » اه وفى [حى] وروى أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم : « كفارة من اغتبته أن تستغفر له » وقال مجاهد : كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وقال الحسن : يكفى فيها الاستغفار دون الاستحلال ، وقيل لابد من الاستحلال لحديث : « من كانت لأخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال فليستحللها منه من قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار ولا درهم ، إنما يأخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته » أنظره . وفى [ع] تنبيه : ينبغى لمن يعلم من نفسه أن عليه

للناس حقوقا فى المال والعرض وتعذر رضاهم أن يقرأ مع حضور قلب سورة الإخلاص اثنتى عشرة مرة والمعوذتين كل ليلة ، ويهدى ثوابهن فى صحائف أرباب الحقوق ، يقول بعد القراءة : اللهم صل وسلم على نبيك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وأثبنى على ما قرأته واجعله فى صحائف من له على تبعة (١) من عبادك فى مال أو عرض اه . وفى [جص] « من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يقيه من النار » وفيه « من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » وفيه « إذا وقع فى الرجل فكن للرجل ناصرا أو للقوم زاجرا وقم عنهم » انظره . وروى أبو داود مرفوعا « ما من مسلم يخذل مسلما فى موضع ينتهك فيه من حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى فى موضع يحب فيه نصرته ، وما من مسلم ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته » اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرد عن عرض أخينا المسلم إذا استغابه أحد عندنا أو بلغنا ذلك عنه حسب الطاقة ، وهذا العهد قد صار غالب الناس يخل بالعمل به حتى بعض مشايخ العصر من العلماء والصلحاء فتراهم يسكتون على غيبة أخيهم ، وربما اشتفوا بذلك فى نفوسهم ، وهذا من أقوى الأدلة على عدم فطامهم عن محبة الدنيا على يد شيخ ناصح ، فإن محب الدنيا يحب الانفراد فيها بالمقام ومحبة الصيت والشهرة بالكمال ، ويكره من يعاوه فى ذلك ، فهو يتوهم بغيبة الناس لمن يعاوه أن الناس إذا نقصوه يزول اعتقادهم فيه ويعكفون على اعتقادهم له هو ، وغاب عنه أن من نوى شيئا أو فعله رجع عليه نظيره ولو أنه تشوش ممن استغاب أخاه المسلم لزاده الله رفعة على أقرانه كلهم لأن الحماية إنما هى من الله تعالى لا من الخلق . وقد أخذت علينا العهود من المشايخ أن نقوى نور إخواننا جهدنا ونطفئ نور أنفسنا جهدنا ليرجع نظير ذلك علينا فإن من سعى فى إطفاء نور أخيه أطفأ الله نوره ، ثم قال : وهذا العهد بحمد الله تعالى من خلقى مع الأمراء الواردين على فلا أكاد أفتر عن ذكر محاسن غيرى من مشايخ العصر عندهم لأصرفهم عنى إلى غيرى ، وذلك لأنى لا أقبل لهم هدية ولا أحب بحمد الله ترددهم إلى ، وأرى جميع ما معى من الأعمال لا يجيء من طريق ذلك الأمير إذا جاءنى مرة واحدة ، ولو ترددت إليه ألف مرة لا أرى أنى كافأته على تلك المرة ، انظره .

[تنبيه] المستمع للغيبة شريك للمغتاب . وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم « مستمع الغيبة أحد المغتابين » ورحم الله من قال :

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع القبيح ... شريك لقائله فانتبه

(و) صن لسانك أيضا عن (نميمة) وهى نقل الكلام للغير على وجه الإفساد وإفشاء العداوة والشحناء قال تعالى ـ ويل لكل همزة لمزة ـ وقال ـ هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ـ قال ابن المبارك : الزنيم ولد الزنى الذى لا يكتم الحديث ، وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنى ، وقال صلى الله عليه وسلم « الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة » يعنى ليس بولد حلال . وقال بعضهم : النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق ، وهى أثافى (٢) الذل . وقال الحسن : من نم إليك نم عليك ، وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغى أن يبغض

---

(١) تبعة كتبعة اه . (٢) جمع أثفية بضم همزة وكسرها : وهى الأحجار الثلاثة التى توضع عليها القدر قاله مرتضى على الإحياء مصحح .

ولا يوثق بقوله ولا بصداقته ، وكيف لايبغض وهو لاينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة ، وهو ممن يسعى فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، وقال تعالى - إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق - والنمام منهم ، وقال صلى الله عليه وسلم «من شرار الناس من اتقى الناس شره والنمام منهم وقال «لايدخل الجنة قاطع . قيل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس» وهو النمام . ودخل رجل على سليمان بن عبدالملك فاستأذن له فى الكلام وقال : إنى مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ماتحب إن قبلته ، فقال قل ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إياه ؛ فإنهم لم يألوا فى الأمة خسفا ، وفى الأمانة تضييعا وفى الأعراض قطعا وانتهاكا ، أعلى قربهم البغى والنميمة ، وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة ، وأنت مسئول عما أجرموا وليسوا المسئولين عما أجرمت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره ، انظره [حى] : ورحم الله من قال :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

قال رحمه الله :

(وَكَثِّرْ مِنَ الأَذْكَارِ مِن غَيْرِ غَفْلَةٍ ... عن إِحْضَارِ مَعْنَاهَا بِقَلْبٍ مَذَلَّةِ
فَذَلِكَ عُنْوَانُ القَبُولِ وَرُوحُهَا ... وَتَدْبِيرُ مَعْنَاهَا عَظِيمُ المَعُونَةِ)

(وكثر) من التكثير ضد التقليل (من الأذكار) جمع ذكر بأى نوع من أنواع الأذكار ، وعن بعضهم : الأولى لأهل النفوس الأمارة لا إله إلا الله فإن لها سرا عجيبا فى التطهير ، ولذا اختارها أولا أهل الله الملقنون للأذكار فإنها كالسيف القاطع ولا سيما عن شيخ واصل اه : قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا - وقال - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا - وقال صلى الله عليه وسلم « اذكروا الله ذكرا حتى يقول المنافقون إنكم تراءون » وفى [جص] « من أكثر ذكر الله برئ من النفاق » وفيه « من أكثر ذكر الله أحبه الله تعالى » وفيه « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » وفيه « من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن ، ومن عصى الله فلم يذكره وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن » وفيه « ذكر الله شفاء للقلوب » وفيه « ذكر الأنبياء من العبادة وذكر الصالحين كفارة وذكر الموت صدقة وذكر القبر يقربكم إلى الجنة » وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نداوم على الإكثار من ذكر الله سرا وجهرا ولانترك الذكر لفظا إلا إذا حصل لنا ثمرته التى هى دوام الحضور مع الله فى جميع أحوالنا ، ثم قال : وسمعت سيدى عليا المرصفى رحمه الله يقول : مراد الشارع صلى الله عليه وسلم ومشايخ الطريق من مريدهم إذا أكثر من الذكر باللسان والقلب أن يحصل له الأنس ويصير قلبه لا يغفل ولا يتكلف للذكر ، بل يكون الحق مشهوده على الدوام تارة يشهد بقلبه وتارة يشهد هو أنه فى حضرة الله وإن الله يراه ، وكلا الحالين إذا دام يمنع العبد من وقوعه فى المعاصى وسوء الأدب مع الله تعالى ، ومالم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس بل يقع فى كل معصية كالبهائم السارحة وسمعته مرة أخرى يقول : من خاصية

تمكن الذكر من القلب أن يهذب أخلاق صاحبه فمن لم يتهذب فكأنه لم يذكر: فهذا مقصود الشارع والأشياخ بأمرهم المريد بإكثاره من الذكر، انظره: وفيه: أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانغفل عن الإكثار من ذكر الله عز وجل ليلا ونهارا سرا وجهرا إجلالا لله تعالى وعبودية له، والمراد بذكر الله تعالى شهودنا ليلا ونهارا أننا بين يديه وهو يرانا ويرى أفعالنا وأقوالنا وخواطرنا، وأما الذكر اللفظي فإنما هو وسيلة إلى حصول هذا الذكر ولا تصل يا أخي إلى هذا المقام إلا بالسلوك على يد شيخ مرشد ناصح، ومن لم يسلك كذلك فمن لازمه الغفلة عن الله تعالى ولا يتذكره إلا عند الحاجة لاغير فإذا أعطاه حاجته نسي ذكره ومن شك فليجرب، انظره.

[تنبيه] قال تعالى - واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار - وقال - واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا - وعن النبي صلى الله عليه وسلم « لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحا » وفى الحديث القدسى « إن الله عز وجل يقول: ياعبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك مابينهما » وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على جلوسنا فى مصلانا للذكر بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وترتفع ونصلى ركعتين أو أربعا، وعلى جلوسنا بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس، ويلحق بالجلوس للذكر الجلوس لخير من علم شرعى أو إرشاد أو صلح بين الناس ونحو ذلك. كما كان عليه فقهاء التابعين، فكان عطاء ومجاهد يقولان: المراد بذكر الله علم الحلال والحرام. وقال مشايخ الصوفية: المراد بذكر الله تعالى أن يذكره بأسمائه الحسنى، ثم قال: وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول: يفرق الله تعالى الأرزاق المحسوسة التى هى قوت الأجسام بعد طلوع الفجر إلى ارتفاع الشمس كرمح، ويفرق الأرزاق المعنوية التى هى قوت الأرواح من بعد صلاة العصر إلى الغروب. وسمعته أيضا يقول: إنما أمر الله تعالى نبيه بالصبر مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى تقوية لقلوبهم وتنشيطا لهم إذا رأوه صلى الله عليه وسلم جالسا معهم ليحوزوا فضيلة هذين الوقتين العظيمين اه: وفيه: وكان سيدى محمد بن عنان يشتغل بالأوراد سرا من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، وينام بعد صلاة الوتر ثم يقوم ويتهجد ويصلى الصبح فلا يزال فى قراءة حزب سيدى أحمد الزاهد حتى تطلع الشمس، ثم يشتغل بأوراد أخر إلى ضحوة النهار، وكان لا يلتفت لأحد كلمه فى هذين الوقتين لإقباله على الله تعالى رضى الله تعالى عنه: وكان الشيخ نور الدين على الشونى يصلى العصر ثم يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغروب، ويجلس كذلك بعد الصبح ثم يختم مجلس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس ذكر، انظره - ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم - (من غير غفلة) من غفل عن كذا كنصر: تركه وسها عنه: وفى [جص] الغفلة فى ثلاث: عن ذكر الله، وحين يصلى الصبح إلى طلوع الشمس، وغفلة الرجل عن نفسه فى الدين حتى يركبه. وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا آنس من أصحابه غفلة نادى فيهم أتتكم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة » ورحم الله من قال:

والناس فى غفلة عما يراد بهم ... فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وفى مسلم عن أبي وائل قال: غدونا على عبد الله بن مسعود بعد ماصلينا الغداة فسلمنا بالباب فأذن

لنا . قال : فمكثنا بالباب هنية ؛ قال : فخرجت الجارية فقالت ألا تدخلون ؟ فدخلنا فإذا هو جالس يسبح ، فقال مامنعكم أن تدخلوا وقد أذن لكم ؟ فقلنا لا إلا أنا ظننا أن بعض أهل البيت نائم قال : ظننتم بآل ابن أم عبد غفلة . قال : ثم أقبل يسبح حتى ظن أن الشمس قد طلعت ، فقال ياجارية انظرى هل طلعت ؟ قال فنظرت فإذا هى لم تطلع ، فأقبل يسبح حتى إذا ظن أن الشمس قد طلعت فقال ياجارية انظرى هل طلعت ؟ فنظرت فإذا هى قد طلعت ، فقال الحمد لله الذى أقالنا يومنا هذا ، فقال مهدى : وأحسبه قال : ولم يهلكنا بذنوبنا ، انظره . وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نذكر الله تعالى فى جميع مواطن الغفلات كالأسواق وموضع التنزهات بقصد نزول الرحمة على الغافلين ، فمن فعل ذلك كتب من المحسنين ، وتسمى هذه خلوة العارف بربه عز وجل . قال الشيخ محيى الدين ويكون ذكرنا فى مواطن الغفلات سرا بحيث لا يتنبه أحد لنا لتنزل الرحمة على الخلق من حيث لايشعرون اه ؛

[قلت] : الوارد فى الذكر أن يكون جهرا برفع الصوت والله تعالى أعلم اه . وفى [حى] «من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألفى ألف حسنة ومحا عنه ألفى ألف سيئة ورفع له ألفى ألف درجة ، وفضل الله أوسع وما عندنا إلا هو» وفى [جد] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : من ألهاه شيء من الدنيا عن ذكر الله أو عن صلاة الجماعة ونحوها فلا كفارة له إلا التصدق بذلك الشيء الذى ألهاه كائنا ماكان ولو ألف دينار . وقد صلى بعض الأنصار فى حديقته فطار طير ليخرج فما قدر من التفاف أشجارها فأعجبته فلم يعرف كم صلى فتصدق بها كلها . ويشهد لذلك أيضا قصة سليمان حين طفق مسحا بالسوق والأعناق حين ألهاه عرض الخيل عليه عن صلاة العصر حتى كادت الشمس أن تغرب ، ولا يقدر على العمل بهذا إلا من آثر جناب الحق تعالى على جانبه ، فقلت له : فلم لم يتصدق سليمان بالخيل كما فعل الأنصارى؟ فقال رضى الله عنه : لم يتمالك عليه السلام عقله فى التأخير تعظيما لأمر الله ، ثم قال : وكان الشبلى رحمه الله يحرق بالنار كل ثوب ألهاه وأعجبه فكان سليمانى المقام والله أعلم .

وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها وعنا بها آمين «أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال : اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم وائتونى بأنبجانية أبى جهم فإنها ألهتنى آنفا عن صلاتى » وفيه عن أنس «كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال النبى صلى الله عليه وسلم أميطى عنا قرامك هذا فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى» وفى إرشاد السارى ونزع الخميصة ليستن به فى ترك كل شاغل ، وليس المراد أن أباجهم يصلى فى الخميصة لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن ليبعث إلى غيره بما يكرهه لنفسه ، فهو كإهداء الحلة لعمر رضى الله عنه مع تحريم لباسها عليه لينتفع بها ببيع أو غيره اه (عن إحضار معناها) أى الأذكار بقدر الطاقة والإمكان لأن حقيقة الذكر دوام الحضور من غير تخلل غفلة وقصور ، وللشبلى رحمه الله :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم ولاحظت معلوما بكل عيان

وكان رضى الله عنه يقول : أليس الله تعالى يقول «أنا جليس من ذكرنى» ، ما الذى استفدتم من

مجالسة الحق : وفى [عم] وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : ما ثم كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى لأنه يصير جليسا للحق كلما ذكر : وقد اختلى مريد سنة كاملة فما رأى نفسه وقعت له كرامة ، فذكر ذلك لشيخه فقال : أتريد كرامة أعظم من مجالسة الحق تعالى ؟ ثم قال له : ما رأيت أكثف حجابا منك لك فى الكرامة العظمى سنة كاملة ولا تشعر بها اه انظره . وفى الحكم : لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور - وماذلك على الله بعزيز - اه : قال بعضهم : الأصول التى يبنى عليها المريد أمره أربعة : اشتغال اللسان مع حضور القلب بذكر الله ، وجبر القلب على مراقبته ، ومخالفة النفس والهوى من أجله ، وتصفية اللقمة لعبوديته ، وهى القطب وبها تزكو الجوارح ويصفو القلب اه . وفى [عف] كل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يعتدّ به كل الاعتداد فإنه عمل ناقص ولا يحقر الوسواس وحديث النفس فإنه مضر وداء عضال ، انظره وفى [مح] وقال القشيرى : الذكر ركن قوى فى طريق الحق بل هو العمدة فى ذلك ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر ، وذكر اللسان يصل به العبد إلى ذكر القلب . فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى حال سلوكه. وفيه : وقال الشيخ أفضل الدين : يجب على الشيخ أن يأمر المريد أن يذكر الله بلسانه بشدة ، فإذا تمكن من ذلك يأمره أن يسوى فى الذكر بين قلبه ولسانه ، ويقول اثبت على استدامة هذا الذكر مستشعرا بأنك بين يدى ربك أبدا بقلبك ، ولا تترك الذكر حتى يحصل لك منه حال قوىّ وتصير أعضاؤك كلها ذاكرة لا تغفل عن ذكر الله تعالى ، انظره . وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عما يفعله المشايخ من ترتيب الأوراد للمريدين هل هو مذهبكم؟ فقال لا ، ذلك مما أكرهه ولا أقول به لأن الأوراد تصير حينئذ يفعلها العبد بحكم العادة يمر الإنسان عليها بحكم الغفلة والطبع والقلب فى محل آخر ، وإذا لم يقيد الإنسان بالأوراد وذكر الله تعالى متى وجد إلى ذلك سبيلا فى أى وقت كان بحضور وإقبال صادق وهمة وعزم كان أقوى فى استعداده ، فالمدار على عدم الغفلة فى العبادة ، فمن رزقه الله تعالى الحضور فى الأوراد المرتبة فلا بأس به اه :

[بشارة] روى عن سيدى محمد بن وفا رضى الله عنه قال : رأيت سيد العالمين صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله صلاة الله عشرا لمن صلى عليك مرة واحدة هل ذلك لمن كان حاضر القلب ؟ قال لا بل هو لكل مصل علىّ غافلا ويعطيه الله أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له ، وأما إذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ثواب ذلك إلا الله اه (بقلب مذلة) أى بحضور قلب ذليل منكسر غير لاه ولا ساه ، وفى الحديث «أنا عند المنكسرة القلوب من أجلى» ولأن الله تعالى لا يقبل من قلب غافل لاه بسواه ولا يقبل عليه لأنه معرض عن مولاه ومقبل على هواه ، وفى نصيحة الهلالى رحمه الله :

واذكر بقلب حاضر مجموع ومقلة تفيض بالدموع

(فذلك) أى إحضار معانيها مع حضور قلب منكسر ذليل (عنوان) بضم العين وكسرها السمة والعلامة (القبول) بفتح القاف وضمها ، وفى [س] وقبله كعلمه قبولا وقد يضم أخذه ، والقبول كصبور ريح الصبا والقابلة والحسن والسارة وأن تقبل العفو ، انظره : أى قبول الأذكار عند الملك الغفار (وروحها) أى حياتها وقوامها . وفى الحكم : الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص

فيها. قال ابن عباد: فإخلاص كل عبد هو روح أعماله فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها، ويكون فيها أهلية وجود القبول لها ، وبعدم ذلك يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار، وتكون إذ ذاك أشباحا بلا أرواح وصورا بلا معان : قال بعض المشايخ: صحح عملك بالإخلاص وصحح إخلاصك بالتبرى من الحول والقوة اه . وعن أنس رضى الله عنه : الأدب فى العمل علامة على قبول العمل اه وقال بعضهم : حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لقوله صلى الله عليه وسلم « لو خشع قلبه لخشعت جوارحه » اه (وتدبير) من تدبر الكتاب تأمله وأمعن النظر فيه (معناها) أى الأذكار (عظيم المعونة) بفتح الميم وضم العين المثوبة ، ويقال معونة بسكون العين وضم الواو الإعانة، ومن أعظم ما يستعان (١) به على الحضور هذا الدعاء : اللهم افتح مسامع قلبى لذكرك وارزقنى طاعتك وطاعة رسولك وعملا بكتابك، رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ، رب إنى مغلوب فانتصر اه . فكرر يا أخى ذلك متى استولت على قلبك الوساوس فإن الله يحول بينك وبينها بمحض فضله وكرمه . وفى [هب] إن للأعمال أجوراً وإن للأجور أنوارا وإن للأنوار اتصالا بالذات اليوم فى هذه الدار ، فإذا كانت الأعمال خالصة لله تعالى وجرت على سر حقيقة الذات كما سبق فإن أنوار أجورها تسطع على الذات ، فتفطن الذات بذلك فيحصل لها خشوع وقشعريرة وبكاء وغير ذلك مما يقتضيه ذلك النور الساطع ، فيعلم صاحب البصيرة بذلك النور أن العمل قبل وأن أجره يبلغ من القدر كذا وكذا ، وأكثر الناس يظنون أن الأجور لا تعلم إلا فى الدار الآخرة وذلك فى حق المحجوبين وأما غير المحجوبين فذلك مكشوف له غير خفى عنه : قال : وأما إذا كانت الأعمال لغير الله تعالى ولم تجر على حقيقة الذات فإنها عناء وتعب فلا أجور لها ولا يسطع بها على الذات نور : قال رضى الله عنه : فليختبر العامل قلبه عند العمل فإن لكل عمل وإن دق أجرا ولأجره نور ساطع تفطن الذات به لامحالة ؛ فإن كان القلب عند العمل معمورا بالشواغل والقواطع فليعلم أن الله تعالى قد حرمه أجره ولذلك ملأ قلبه بالشواغل : وإن كان القلب فارغا من الشواغل منقطعا نحو الحق سبحانه فليعلم أن الله تعالى قد نجز له أجره . قال رضى الله عنه : وترى الطالب يسافر من قطر إلى قطر ليحصل العلم بنية أن يدرك الجاه والكلمة النافذة أو الدنيا أو غير ذلك من الأغراض الباطلة ويبقى على هذه النية السنين المتطاولة فيحرمه الله تعالى من نور العلم ، فلا يكون من الراسخين فيه أبدا لأنه لا يدرك حقيقة العلم إلا من توجه إليه بباطنه وباطن هذا معمور بأغراضه وشواغله والذى يتحرك فى العلم منه هو ظاهره فقط ، والعلم سر من الأسرار فلا يدركه الظاهر أبدا فكذلك أجور الأعمال التى ليست بخالصة لله تعالى فلا يدركها العبد أبدا لأن الأجور من أسرار الله تعالى والظاهر بدون الباطن لا يدرك الأسرار أبدا اه.

وفى [مم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بترك الحضور مع الله فى صلاتنا وجميع طاعتنا ولا بالخشوع فيها لأن روح كل عبادة هو الحضور والخشوع فيها ، وما أمرنا الله تعالى بفعل طاعة إلا لنشهده تعالى فيها وكل عبادة لا يجمع العبد بقلبه على الله تعالى فهى عادة لا عبادة فلا أجر فيها ، ومن قال من الفقهاء : إن الخشوع فى الصلاة لا يضر تركه فقد أخطأ طريق الكمال ، وإذا كان حامل القرآن والعلم يترخص هذا الترخيص فبمن يقتدى الناس؟ فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ صادق حتى يزيل حجبه وعوائقه التى تبعده عن الله تعالى ويدخله حضرة

---

(١) ومما يستعان به على الحضور فى الذكر .

القرب ، ويصير الخشوع لله تعالى من شأنه لا يتكلف له ، وأما من أكل ونام ولغى فى الكلام وارتكب الآثام وشبع حتى صار بطنه كبطن الدب[1] من الحرام والشبهات فمن أين يأتيه الخشوع فإنهم أجمعوا على أن من شبع من الحلال قسى قلبه فما بالك بمن يشبع من الحرام، وهذا حال أكثر الناس اليوم فيتعاطى أحدهم أسباب قسوة القلب ثم يقوم للصلاة ويطلب يحضر مع الله ويخشع وجوارحه كل واحدة فى بلد وحارة وذلك لا يصح، وقد قالوا فى المثل السائر: «من مشى فى غير طريق يتيه[2] ولو كان بالنهار» فاسلك يا أخى على يد شيخ ليدلك على طريق الوصول إلى الحضور والخشوع ولا تكبر نفسك عليه وتقول أنا عالم متبحر فإن من شرط العالم أن يعرف دواء كل علة وينزل الدواء على الداء ، انظره ؛ قال رحمه الله :

(تَجَنَّبْ عَنِ الأَيْمانِ عِندَ التخاطُبِ ... وَلاَ تَغفُلَنْ عن حلّها بالمشِيئةِ)

(تجنب) تباعد (عن) اقتحام (الأيمان) جمع يمين ، وهى القسم (عند التخاطب) والتحاور : كبلى والله ولا والله ونعم والله ، وقد عمت البلوى بذلك ، جبر الله حالنا وحال المسلمين وأصلح مآلنا ومآلهم بمنه وكرمه آمين . وفى [جص] «البلاء موكل بالقول ما قال عبد لشىء لا والله لا أفعله أبداً إلا ترك الشيطان كل عمل وولع بذلك منه حتى يؤثمه» أى يوقعه فى الإثم والحنث ، وفيه : «الحلف حنث أو ندم» ولذا قيل : مبادرة الإنسان باليمين علامة على نفاقه وخلفه ، وفيه «احلفوا بالله وبروا واصدقوا فإن الله يحب أن يحلف به» وروى «احلفوا بالله ولا تحلفوا بآبائكم» وعنه صلى الله عليه وسلم «من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر» ، وعنه صلى الله عليه وسلم أيضاً «من حلف يميناً فهو كما حلف إن قال هو يهودى فهو يهودى وإن قال هو نصرانى فهو نصرانى وإن قال هو برىء من الإسلام فهو برىء من الإسلام . قالوا يا رسول الله وإن صام وإن صلى؟ قال وإن صام وإن صلى» اه : وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نكثر الحلف بالله عز وجل على بيع أو شراء أو حكاية شىء من الوقائع المتعجب منها ونحو ذلك إجلالا لله تعالى ، وإن سبق لساننا إلى الحلف بالله تعالى فى شىء من الأمور المذكورة بادرنا إلى التوبة والاستغفار ، وهذا الأمر قد أغفله غالب الناس فأذلهم الله فإن من أجل الله أجله ، انظره . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بالحلف بغير الله عز وجل انظره . وفى [جه] ولا يحب الإكثار من الحلف مخافة الوقوع فى الحنث ، ويقول ينبغى للإنسان أن يعود نفسه عند إرادة الحلف قوله إن شاء الله مخافة أن يعقد اليمين فلا يبر ويحنث فلا يكفر اه . قال تعالى - ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم - أى لا تكثروا منها لأجل أن تصدقوا (ولا تغفلن) بضم الفاء من غفل كقعد (عن حلها) بفتح الحاء : أى عن عدم انعقادها من أول النطق بالله أو فى أثناء اليمين أو بعد فراغه من غير فصل ، كما يقع لمن يقول للحالف قل إن شاء الله فيوصل النطق بها عقب فراغه من المحلوف عليه من غير فصل امتثالا للأمر فينفعه ذلك (بالمشيئة) أى بقولك إن شاء الله ونحوه بشرط النية والاتصال ؛ وفى [جص] «من حلف على يمين فقال إن شاء الله فقد استثنى» اه :

واعلم أن الاستثناء عند إمامنا مالك رضى الله عنه وعن جميع الأئمة وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم إنما ينفع فى الحلف بالله دون كالطلاق والعتق . وفى مختصر خليل رحمه الله : ولم يفد فى غير الله

(١) الدب بضم دال مهملة: سبع اه.

(٢) من تاه كباع وقال ضل عن الطريق اه.

كالاستثناء بإن شاء الله إن قصد الاستثناء كإلا أن يشاء الله أو يريد أو يقضى على الأظهر ، وأفاد بكإلا فى الجميع إن اتصل إلا لعارض ولوى الاستثناء وقصد ونطق به وإن سرا بحركة لسانه اه . وعلى نفعه سرا إذا لم يحلف فى حق وجب عليه أو شرط فى نكاح أو عقد بيع وإلا لم ينفعه على المعتمد لأنها حينئذ على نية المستحلف لا على نية الحالف ، وفى العاصمية :

وهى وإن تعددت فى الأحرف   على وفاق نيـة المستحلف

وفى [جص] « اليمين على نية المستحلف » وفيه « من حلف على يمين صبر [١] يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان » وفى مسلم عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ، فقال له رجل وإن كان شيئا يسيرا يارسول الله قال وإن قضيبا من أراك [٢] » ، قال رحمه الله :

(وَكُنْ يَقِظًا وارْتَدْ لِنَفْسِكَ إِخْوَةً   لِدِينِكَ أَوْ دُنْيَاكَ أَوْ طَرْدِ وَحْشَةٍ)

(وكن يقظا) بضم القاف وكسرها كعضد وكتف : اليقظان ضد النومان من يقظ ككرم وفرح (وارتد) من الارتياد وهو الطلب (لنفسك) الأمارة بالسوء (إخوة) فى الله إذا غفلت ذكروك وإذا ذكرت أعانوك وإذا افتقرت واسوك وإذا سئمت آنسوك ، وروى « إن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام : ياابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خدن ، وصاحب لا يوازرك على مسرتى فهو لك عدو » وأوحى الله إلى داود عليه السلام « ياداود مالى أراك منتبذا وحيدا قال : إلهى قليت الخلق من أجلك ، فقال ياداود كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتى فلا تصاحبه ، فإنه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى » انظره [حى] وعن بعضهم : خير ما اكتسب المرء الإخوان فإنهم معونة على حوادث الزمان وشركاء فى السراء والضراء . وعن آخر : الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين . ورحم الله من قال :

وما المرء إلا بإخوانه   كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير فى الكف مقطوعة   ولا خير فى الساعد الأجذم

ومن قال :

أخاك أخاك إن من لا أخا له   كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه   وليس يطير البازدون جناح

وفى [جص] « ماأحدث رجل إخاء فى الله تعالى إلا أحدث الله له درجة فى الجنة » اه ولذا حكى أن لبعض أهل الله تعالى ثلاثمائة وستة وستين أخا فى الله تعالى يمكث عند كل واحد يوما عدد أيام السنة ، وإن لبعضهم ثلاثين أخا يزور كل يوم واحدا ، فينبغى للإنسان أن يستكثر من الإخوان الذين يعينون على الدين وفيه « إذا آخيت رجلا فاسأله عن اسمه واسم أبيه فان كان غائبا حفظته وإن كان مريضا عدته وإن مات شهدته » انتهى . وعن الثورى رضى الله عنه : إذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه ثم دس [٣] من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قال خيرا أوكتم سرا فاصحبه ؛ وقال بعض الحكماء : لاتصحب من يتغير عند أربع : عندغضبه ورضاه وعند طمعه وهواه ، بل ينبغى أن يكون صدوق الأخوة ثابتا على اختلاف

---

(١) صبر ، من صبر : كضرب .   (٢) (قوله أراك) كسحاب : شجر يستاك بعيدانه اه .
(٣) (قوله دس) بضم دال من الشئ فى التراب أخفاه فيه اه .

الأحوال . ورحم الله من قال :

وترى الكريم إذا تصرم وصله ... يخفى القبيح ويظهر الإحسانا

وترى اللئيم إذا تقضى وصله ... يخفى الجميل ويظهر البهتانا

ومن قال :

اصحب[1] من الإخوان من وده ... أصفى من الياقوت والجوهر

ومن إذا سرك أودعته ... لم يذكر السر إلى المحشر

ومن إذا غيبت عن عينه ... أقلقه الشوق ولم يصبر

ومن إذا أذنبت ذنبا أتى ... معتذرا عنك ولم يهجر

ومن لم يظفر بمن هذا وصفه وشيمته فليلازم العزلة ، فإن عزلة المرء عز له وفى [عف] قيل لبعضهم : من أصحب من الطوائف ، قال الصوفية فإن للقبيح عندهم وجها من المعاذير وليس للكبير من العمل عندهم مرقع يرفعونك به فتعجبك نفسك ، وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لأن الزاهد يستعظم الترك ويستقبح الأخذ ، وهكذا الفقير ، وذلك لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم اه . وفيه : وكان سعيد بن العاص يقول : لجليسى علىّ ثلاث : إذا دنا رحبت به ، وإذا حدث أقبلت عليه ، وإذا جلس أوسعت له . وفيه : أن أبا عبد الله بن الجلاء سأله رجل على أى شرط أصحب الخلق؟ فقال إن لم تبرهم فلا تؤذهم ، وإن لم تسرهم فلا تسؤهم . وفيه : وقيل لحكيم أيما أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فقال إنما أحب أخى إذا كان صديقى ، انظره . ورحم الله من قال :

ذو الود منى وذو القربى بمنزلة ... وإخوتى أسوة عندى وخلانى

عصابة جاورت آدابهم أدبى ... فهم وإن فرقوا فى الأرض جيرانى

أرواحنا فى مكان واحد وغدت ... أجسامنا فى عراق وخراسان

وعن بعضهم : أصحب من ينسى معروفه عندك ويذكر حقوقك عليه . وعن آخر : اصحب من إذا صحبته زانك[2] وإذا خدمته صانك وإذا أصابتك خصاصة مانك ، وإذا رأى منك حسنة عدها ، وإذا عثر على سيئة سدها ، لاتخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه اه . وعن بعضهم : العالم لاتعاده لأنه لابد لك من الرجوع إليه . والجاهل لاتصافه لأنه يفشى سرك وإن لم يقصد ضررك ، والأحمق لاتؤاخه لأن صحبته تشينك . وعن الشافعى رضى الله عنه : احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والكوسج وهو الذى لا لحية له ، وكل من به عاهة فى بدنه وكل ناقص الخلق فإنهم أصحاب خب[3] وقال : مررت فى طريق بفناء دار على رجل أزرق العينين ناتىء الجبهة سناط[4] الشعر أى بغير لحية فقلت هل من منزل ؟ قال نعم . قال الشافعى : هذا النعت أقبح مايكون فى الفراسة ، فأنزلنى وأكرمنى ، فقلت أغسل كتاب الفراسة الذى ألفته لما رأيت هذا ، فلما أصبحت قلت له إذا قدمت مكة فسل عن الشافعى ؟ فقال أمولى لأبيك كنت ؟ قلت لا ، قال أين ماتكلفت به لك البارحة ؟ فوزنت له

---

(١) قوله اصحب الخ من السريع المطوى المكسوف.

(٢) قوله زانك : أى حسنك اه . (٣) قوله خب بكسر خاء معجمة : الخداع . ويقال رجل خب بفتحها الكثير الخداع اه . (٤) السناط بالضم كوسج لا لحية له أصلا ، أو الخفيف العارض ولم يبلغ حال الكوسج أو لحيته فى الذقن وما بالعارضين شىء قاله [س] اه مصحح .

ماتكلف وقلت : بقي لك شيء ؟ قال كراء الدار ، فوزنت له ، فقلت امض جزاك الله خيرا إذ لم أغسل كتابي ، ولبعض الأخوان رحمه الله ورضي عنه :

فصحبة الأعور دع والأحول ... وعن ذوي العاهات طرآفل
كأقرع وأبرص وأعرج ... وأزرق وأحدب وكوسج

(لدينك) أي لتستعين به على أمور دينك ولا تراع فيه إلا الدين (أو) لتستعين به على أمور (دنياك) ولا تراع فيه إلا الخلق الحسن وما به قوام دنياك التي هي زاد أخراك (أو) لتستأنس وتستعين به على (طرد) وإزالة (وحشة) حلت بك من هم وخوف وخلوة وأرض مستوحشة ، ولا تراع فيه إلا السلامة من شره ، ورحم الله من قال :

خالط جليسا صالحا للسأم ... يزيله عنك بغير مأثم

ومن قال :

يامرحبا بصديق لست أبصره ... إلا تجدد لي أنس بمرآه
وإن تغيب عن عيني فلم أره ... فلي فؤاد بظهر الغيب يرعاه

ونقل أن المأمون قال لابن سهل : نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة إلا سبعة ، قال وما السبعة يا أمير المؤمنين ؟ قال خبز الحنطة ، ولحم الغنم ، والماء البارد ، والثوب الناعم ، والرائحة الطيبة ، والفرش الوطيء ، والنظر إلى الحسن من كل شيء . قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال أهل العقول ؟ قال صدقت وهي أولاهن . ورحم الله من قال :

وما بقيت من اللذات إلا ... محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كنا نعدهم قليلا ... فقد صاروا أقل من القليل

وذيلهما بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه بقوله :

وخبز البر مع عذب المياه ... ولحم الضأن كالوجه الجميل
وطيب والوطي من الفراش ... وثوب ناعم فاحفظ مقولي(١)

وفي [حي] عن بشر : الإخوة ثلاثة : أخ لآخرتك . وأخ لدنياك ، وأخ لتأنس به ، وقلما تجتمع هذه الخصال في واحد ، بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة . وقال المأمون : الإخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغني عنه ، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت ، والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ، ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع . وقيل لا تصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئا في أمر دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئا في أمر دينه فيقبل منك : والثالث فاهرب منه . وقيل الناس أربعة : فواحد حلو كله فلا تشبع منه ، وآخر مر كله فلا يؤكل منه ، وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك ، وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط . وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : لا تصحب خمسة ، الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، والأحمق فإنك لست منه على شيء تريد أن

---

(١) وإذا زدت محادثة أهل العقول على هذه السبعة صار المجموع ثمانية .

ينفعك فيضرك ، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة ، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها ، فقيل وما أقل منها ؟ قال الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال سهل ابن عبد الله : اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس : الجبابرة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين اه . ومن لم يجد من يؤاخيه ويستفيد منه فالوحدة أولى به . قال أبو ذر رضى الله عنه : الوحدة خير من الجليس السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة ، انظره . وفيه : إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالسكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة ، انظره . وقد قيل : من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس ، ولاينبغى للإنسان أن يستأنس بالأقران بل يستأنس بتلاوة القرآن أو بحديث سيد الأكوان صلى الله عليه وسلم ، أو بذكر علام الغيوب قال تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - أى السليمة من الأدناس والعيوب وإلا فلاشىء أثقل من ذكر الله عند أهل الغفلة والذنوب ، نسأل الله السلامة والعفو والعافية فى ديننا ودنيانا وأخرانا آمين . وفى [عف] وروى أن مطرف بن الشخير كتب إلى عمر بن عبد العزيز : ليكن أنسك بالله وانقطاعك إليه فإن لله عبادا استأنسوا بالله وكانوا فى وحدتهم أشد استئناسا من الناس فى كثرتهم ، وأوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون . قال الواسطى : لا يصل إلى محل الأنس من لم يستوحش من الأكوان كلها ، ثم قال : قال مالك بن دينار : من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره . قيل لبعضهم من معك فى الدار ؟ قال الله تعالى معى ولا يستوحش من أنس بربه ، ثم قال : وقد يكون من الأنس الأنس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر أبواب القربات ، وهذا القدر من الأنس نعمة من الله تعالى ومنحة منه ، ولكن ليس هو حال الأنس الذى يكون للمحبين ، والأنس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه بصدق الزهد وكمال التقوى وقطع الأسباب والعلائق ومحو الخواطر والهواجس ، انظره . وفى ابن عباد عن محمد ابن أسلم رضى الله عنه أنه كان يقول : مالى ولهذا الخلق ، كنت فى صلب أبى وحدى ، ثم صرت فى بطن أمى وحدى ، ثم دخلت الدنيا وحدى ، ثم تقبض روحى وحدى ، فأدخل فى قبرى وحدى ، ويأتينى منكر ونكير فيسئلانى وحدى ، فإن صرت إلى خير صرت وحدى ، وإن صرت إلى شر صرت وحدى ، ثم أوقف بين يدى الله وحدى ، ثم يوضع عملى وذنوبى فى ميزانى وحدى ، فإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدى ، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدى ، فمالى وللناس ، انظره . ورحم الله من قال :

	أنست بوحدتى ولزمت بيتى	فدام الأنس لى ونمى السرور
	وأدبنى الزمان فما أبالى	هجرت فلا أزار ولا أزور
	ولست بسائل مادمت حيا	أسار الجيش أم ركب الأمير
ومن قال :	إذا أرخى الخمول عليك ذيلا	فنم فى ظله نلت المناحا
	فمن لم يسأل السلطان عنه	ولا عن حاله فقد استراحا
ومن قال :	أنست بوحدتى حتى لوانى	أتانى الأنس لاستوحشت منه
	ولم تدع التجارب لى صديقا	أميل إليه إلا ملت عنه

ومن قال: وزهدنى فى الناس معرفتى بهم ... وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الأيام خلا يسرنى ... مبادبه إلا ساءنى فى العواقب
ولا كنت أرجوه لدفع ملمة ... من الدهر إلا كان إحدى النوائب
ومن قال: اهرب بنفسك تستأنس بوحدتها ... تلق الرشاد إذا ما كنت منفردا
إن السباع لتهدا فى مرابضها ... والناس ليس بهاد[١] شرهم أبدا

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

بلوت زمانى فاصطفيت سلامة ... وماهى إلا فى خمول وإهمال
عليك بقعر البيت كن من قواعده ... وفر من الظهور والقيل والقال
تعيش سليم الصدر والدين سرمدا ... وإلا ففى بحر الشرور وأهوال
فيارب شفع فى الجميع نبينا ... عليه الصلاة والسلام مع الآل

قال رحمه الله :

(فَهُمْ زِينَةُ الدُّنيا وَأَفضَلُ عُدَّةٍ ... وَمَنْ لَمْ يُوافِقْ دَعْ عَلَى فِعْلِ سُنَّةٍ
فصُحبتُهُ تأتى بكل مَضَرَّةٍ ... يصيرُ مِنَ العِداءِ فى يوم حَسرَةٍ)

(فهم) أى الإخوان الصادقون وقليل ماهم (زينة) بكسر الزاى مايتزين به (الدنيا) نقيض الآخرة (وأفضل عدة) بضم العين مايستعد لنوائب الدهر . وفى [جص] « استكثروا من الإخوان الأخيار فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة » قال العزيزى: قال المناوى: فكلما كثرت إخوانكم كثرت شفعاؤكم وخرج بالأخيار غيرهم فلا تندب مؤاخاتهم بل يتعين اجتنابهم ، فصحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا وإذا مرت على الطيب حملت طيبا اه . وفيه : «استكثروا من الناس من دعاء الخير فإن العبد لايدرى على لسان من يستجاب له أو يرحم » قال الحفنى : ولذا كان معروف الكرخى صائما فسمع من يقول: رحم الله من دنا وشرب منى ، فقدم عليه وشرب منه ، فقيل له ألم تكن صائما فقال : نعم ، ولكن رجوت إجابة دعوته ، إذ لايعلم المقبول من هو اه . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم « أكثروا من الإخوان فإن الله حيى كريم يستحيى أن يعذب أحدا بين إخوانه » وعن سيدنا على رضى الله عنه : عليكم بالإخوان فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة ، ألاتسمع إلى قول أهل النار - فما لنا من شافعين ولاصديق حميم - وعنه أيضا رضى الله عنه: عليكم بإخوان الصدق فإنهم زينة فى الرخاء وعصمة فى البلاء . ومن شعره رضى الله عنه وعنا به آمين :

عليك بإخوان الصفاء فإنهم ... عماد إذا استنجدتهم وظهور[٢]
وليس كثيرا ألف خل وصاحب ... وإن عدوا واحدا لكثير اه

وفى [حى] وقال صلى الله عليه وسلم فى الثناء على الأخوة فى الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا، إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا التقيا مثل

---

(١) أى ليس بساكن من هدأ بالهمز سكن . (٢) أى أعوان اه .

اليدين تغسل إحداهما الأخرى ، وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا ، وقال عليه الصلاة والسلام فى الترغيب فى الأخوة فى الله « من آخى أخا فى الله رفعه الله درجة فى الجنة لا ينالها بشىء من عمله » وقال أبو إدريس الخولانى لمعاذ : إنى أحبك فى الله ، فقال له أبشر ثم أبشر فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل من هؤلاء يارسول الله ؟ فقال هم المتحابون فى الله تعالى » ورواه أبو هريرة رضى الله عنه ، وقال فيه « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء ، فقالوا يارسول الله صفهم لنا ؟ فقال هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله والمتزاورون فى الله » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تحاب اثنان إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه » ويقال إن الأخوين فى الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر إلى مقامه وأنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض ، انظره . وقد قيل : الأخوة لحمة كلحمة النسب (ومن لم يوافق دع) أى اترك من لم يساعدك من الإخوان (على فعل) وامتثال أوامر كتاب الله و (سنة) رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلى ترك واجتناب نواهيهما فمن تمسك بهما هدى إلى صراط مستقيم ومن حاد عنهما قاده هواه إلى صراط الجحيم (فصحبة أخوته تأتى) وتجلب إليك أحببت أم كرهت (بكل مضرة) وبلية دينا ودنيا إذ المرء على دين خليله ، ورحم الله من قال :

من لم تكن فى الله خلته فخليله منه على خطر

ومن قال: وعاشر بمعروف وجانب من اعتدى وفارق ولكن بالتى هى أحسن

(بصير) يرجع ويعود (من العداء) جمع عدو (فى يوم حسرة) وندامة هو يوم القيامة قال تعالى ـ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ـ وقال ـ ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا . لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا ـ وفى الآيات تحذير عن قرناء السوء وترغيب فى أهل الخير والصلاح . وفى [عف] فمن اختار صحبة أو أخوة فأدبه فى أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسألة والدعاء والتضرع ويسأله البركة فى الصحبة فإنه يفتح على نفسه بذلك إما بابا من أبواب الجنة وإما بابا من أبواب النار ، فإن كان الله يفتح بينهما خيرا فهو باب من أبواب الجنة قال الله تعالى ـ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ـ وقيل : إن أحد الأخوين فى الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسأل عن منزل أخيه فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله فإن قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول إنى كنت أعمل لى وله فيعطى جميع مايسأل لأخيه ويرفع أخوه إلى درجته ، وإن فتح الله عليهما بالصحبة شرا فهو باب من أبواب النار قال الله تعالى ـ ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ـ الآية ، ثم قال : واختيار الصحبة والأخوة اتفاقا من غير نية فى ذلك وتثبت فى أول الأمر شأن أرباب الغفلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار . وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى كلام له : وهل يفسد الناس إلا الناس ، فالفساد بالصحبة متوقع والصلاح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يحذر فى أوله ويحكم للأمر فيه بكثرة اللجاء إلى الله تعالى وصدق الاختيار وسؤال البركة والخيرة فى ذلك وتقديم صلاة

الاستخارة ، وانظره . وفى [عم] : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانجالس الفسقة من الظلمة وغيرهم كالواقعين فى أعراض الناس إلا لضرورة أو مصلحة شرعية ، وهذا العهد قد كثرت خيانته من الخاص والعام فصار الشيخ أو العالم يسمع الغيبة ولاينكرها وربما شارك أهل المجلس فيها وربما كان هو البادى بالغيبة والناس فى ذلك له تبع ، كمايقع فيه الأقران الذين يتزاحمون على الوظائف وعلى القرب من الولاة والقضاة وربما طلب من الحاضرين بالباطن أنهم يقعون معه فى عرض ذلك الرجل ويفرح بهم ويقربهم لأجل ذلك ، فالعاقل من اعتزل الناس إلا لفائدة تحصل له أولهم كاستفادة علم وتعلم أخلاق وتعلم طرق سياسة الناس واحتمال الأذى ونحو ذلك ، انظره . وفى [حى] وأما الفاسق المصر على الفسق فلا خير فى صحبته لأن من يخاف الله لايصر على كبيرة ومن لايخاف الله لاتؤمن غائلته ولايوثق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض ، وقال تعالى - ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه - وقال تعالى - فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه - وقال تعالى - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وفى مفهوم ذلك زجر عن الفاسق اهـ . وقال تعالى - وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله - وللغزالى رضى الله عنه فى بداية الهداية : واحذر مخالطة متفقهة الزمان لاسيما المشتغلين بالخلاف والجدال ، واحذر منهم فإنهم يتربصون بك لحسدهم ريب المنون ويقطعون عليك بالظنون ويتغامزون عليك بالعيون ويحصون عليك عثراتك فى عشرتهم حتى يجبهونك بها فى حال غيظهم ومناظرتهم ، لايقيلون لك عثرة ولايغفرون لك زلة ولايسترون لك عورة ، يحاسبونك على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ويحرضون عليك الإخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان إن رضوا فظاهرهم الملق وإن سخطوا فباطنهم الحنق ، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب ، هذا ما قطعت به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى . فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان ، هذا حكم من يظهر لك الصداقة فكيف بمن يجاهرك بالعداوة . قال القاضى ابن معروف .

فاحذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

ولربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة انظرها

هذا فى أهل زمانه رضى الله عنه فكيف بأهل زماننا الذى هو آخر عجب الذنب ، نسأل الله السلامة والعفو والعافية فى ديننا ودنيانا وأخرانا آمين . ولأبى المواهب السائحى فى بعض الأجوبة : فاحذر أخى وحذر من تحبه من هذين الصنفين من الناس : أى الطلبة المتجمدين على العلوم الرسمية والمتصوفة بمجرد الدعاوى بلا حق ولا حقيقة فإنهما من أعظم الفتن فى الطريق وشر وسواس ، ولازال التحذير يصدر من أهل الخير فى قديم الزمان وحديثه من العلماء الغير العاملين والمتصوفة الجاهلين . وقد كان سيدى على بن وفا المتقدم الذكر يقول : علماء السوء أضر على الناس من إبليس لأن إبليس إذا وسوس للمؤمن عرف المؤمن أنه عدو مضل مبين فإذا أطاع وسواسه عرف أنه قد عصى فأخذ بالتوبة من ذنبه والاستغفار لربه ، وعلماء السوء يلبسون الحق بالباطل ويردون الحق بأهوائهم وزيغهم وجدالهم فمن أطاعهم ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، فاستعذ بالله منهم وجنبهم وكن مع العلماء الصادقين وأما المتصوفة الجاهلون فإنهم يغرون المريد الدخيل فى الطريق بظواهرهم لما يرى عليهم من زى الزهاد والعباد فيغتر بهم فيرتكم فى شبكة ضلالهم اهـ المراد منه : قال رحمه الله :

(وصاحِبْ ذَوِى صِدْقٍ تَعِشْ فى سَعادةٍ ولـكنهم أعز من بيض رَخَمَةِ)

(وصاحب) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق إخوة (ذوى) أصحاب (صدق) بكسر الصاد وفتحها ضد الكذب . وفى [جص] « عليكم بالصدق فإنه باب من أبواب الجنة وإياكم والكذب فإنه باب من أبواب النار » وفيه « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » اه . قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين - وفى [جه] ويتحرى الصدق رضى الله عنه فى حديثه ويحض عليه وعلى تحريه ويسره من صادقه فى حديثه ويسوءه من يكذب عليه ، ويعجبه الصادق فى فعله الذى يظهر كل ما من شأنه أن يفعله ولو كان قبيحا ويستحسنه ويحظى عنده صدوق اللسان غاية الحظوة انتهى .

واعلم أن الصدق اليوم أعز من الكبريت الأحمر . وقد مر أن ذا النون سئل عن الصدق فأنشد :

قد بقينا مذبذبين حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل

هذا فى زمانه رضى الله عنه فكيف بزماننا ، اللهم اغمسنا فى دائرة فضلك وبحر رضاك ورضى رسولك صلى الله عليه وسلم وبحر رضى سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين ، ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى الله عنه :

وجود خل صادق من المحال كل يميل مع هواه حيث مال
وإن شككت يا أخى فجربا لكن فثق بقول من قد جربا

(تعش) من العيش بمعنى الحياة (فى سعادة) أبدية . وفى [جص] « اطلبوا الفضل عند الرحماء من أمتى تعيشوا فى أكنافهم فإن فيهم رحمتى ، ولا تطلبوا من القاسية قلوبهم فإنهم ينتظرون سخطى» وعن سيدنا عمر رضى الله عنه : عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشى الله اه . وكثيرا ما تنشد أمنا عائشة الصديقة رضى الله عنها وعنا بها آمين :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وقد قالت ذلك فى زمانها فكيف بزماننا الذى هو آخر عجب الذنب - إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واجعلنا فى كنفك الذى لا يضام آمين بجاه سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، ورحم الله من قال :

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى التقوى وترتاح للذكر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم فأغفوا[1] عن الدنيا كإغفاء ذى السكر

ومن قال :

مات أهل الفضل لم يبق سوى مقرف أو من على الأصل اتكل

والمقرف بقاف وفاء : الرذيل والدنىء الأصل ومن قال :

---

(١) بغين معجمة اه .

وليس أخى من ودنى رأى عينه ... ولـكن أخى من ودنى وهو غائب

ومن قال :

أخوك الذى لا ينقض النأى عهده ... ولا عند صرف الدهر يزور[١] جانبه

وليس الذى يلقاك بالبشر والرضا ... وإن غبت عنه لسعتك[٢] عقاربه

ومن قال :

وليس أخى من ودنى بلسانه ... ولـكن أخى من ودنى فى المصائب

ولسيدنا على رضى الله عنه وعنا به آمين :

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك

ولأبى مدين رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين :

مالذة العيش إلا صحبة الفقرا ... هم السلاطين والسادات والأمرا

فاصحبهم وتأدب فى مجالسهم ... وخل حظك مهما خلفوك ورا

واستغنم الوقت واحضر دائما معهم ... واعلم بأن الرضا يخص من حضرا

ولازم الصمت إلا إن سئلت فقل ... لا علم عندى وكن بالجهل مستترا

ولا ترى العيب إلا فيك معتقدا ... عيبا بدا بينا لكنه استترا

وحط رأسك واستغفر بلا سبب ... وقم على قدم الإنصاف معتذرا

وإن بدا منك عيب فاعترف وأقم ... وجه اعتذارك عما فيك منك جرى

وقل عبيدكم أولى بصفحكم ... فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقرا

هم بالتفضل أولى وهو شيمتهم ... فلا تخف دركا منهم ولا ضررا

وبالتفتى على الأخوان جد أبدا ... حسا ومعنى وغض الطرف إن عثرا

وراقب الشيخ فى أحواله فعسى ... يرى عليك من استحسانه أثرا

وقدم الجد وانهض عند خدمته ... عساه يرضى وحاذر إن تكن ضجرا

ففى رضاه رضا البارى وطاعته ... يرضى عليك وكن من تركها حذرا

واعلم بأن طريق القوم دارسة ... وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

متى أراهم وأنى لى برؤيتهم ... أو تسمع الأذن منى عنهم خبرا

من لى وأنى لمثلى أن يزاحمهم ... على موارد لم آلف بها كدرا

أحبهم وأداريهم وأوثرهم ... بمهجتى وخصوصا منهم نفرا

قوم كرام السجايا أينما جلسوا ... يبقى المكان على آثارهم عطرا

يهدى التصرف من أخلاقهم طرفا[١] ... حسن التألف منهم راقنى[٢] نظرا

هم أهل ودى وأحبابى الذين هم ... ممن يجر ذيول العز مفتخرا

---

(١) أى يميل اه . (٢) لسع كمنع اه .

(٣) (قوله طرفا) بضم طاء جمع طرفة كغرفة : مايهدى من الأشياء النفيسة اه. (٤) (قوله راقنى) : أى أعجبنى اه.

لا زال شملي بهم في الله مجتمعا ... وذنبنا فيه مغفورا ومغتفرا
ثم الصلاة على المختار سيدنا ... محمد خير من أوفى بما نذرا اهـ

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أبيات ثلاث تتلى قبلها وهى :

ولأبي مدين الغوث عليه رضا ... قصيدة فاقت الجوهر والدررا
روح بها أنفس القوم إذا سئمت ... تجد بها نهضة في الجد للفقرا
وقل بقلب ذليل خاشع حزن[1] ... وحسن صوت تأدب واصغ من حضرا

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا

وفى [جه] وهم القوم الذين اصطفاهم الحق لخدمته وجعلهم أهلا لمناجاته وحضرته وأشهدهم أنوار جماله وإحسانه وأجلسهم على بساط كماله وامتنانه ، وهم القوم الذين شربوا من محبته فطابوا وتحيرت قلوبهم فى عظمته فغابوا فنالوا من مولاهم ماطلبوا وساعدهم الوقت فيما رغبوا فهم السادات والأمراء والسلاطين فى زى الفقراء الذين صلحوا أن يكونوا قادة لخليقته ممتثلين قائمين بخدمته على وفق حكمته ومشيئته فلا تصفو الحياة إلا بهم ولا تطمئن القلوب إلا بذكرهم ، وحين هاجت القريحة بحبهم صاحت ونادت فى حيهم على جهة الافتخار بقربهم فقالت :

فو الله ما طاب الزمان إلا بهم ... فلولاهم ماكنت أرضى بعيشتى
فما العيش إلا بينهم تحت ظلهم ... وهم راحتى : أنسى وسؤلى وبغيتى
لقد سكنوا قلبى ومالى غيرهم ... عليهم من الرحمن أزكى تحيتى

لتحمد أيها العاشق إلى جمالهم والمحب إلى طريقهم وكذا لهم وقربهم[2] عينا وتعلق بأذيالهم ولا تلتفت إلى شىء يصدك عن جنابهم اهـ (ولكنهم) أى إخوان الصدق أى ولكن وجودهم ولاسيما فى وقتنا هذا الذى هو آخر عجب الذنب (أعز) من عز الشىء قل فلا يكاد يوجد (من بيض رخمة) بسكون معجمة للوزن . وفى [س] الرخم محركة طائر معروف الواحدة بهاء كانت تبيض فى أعلى وقلل شواهق الجبال ولايكاد أحد يظفر ببيضها فضلا عن أفراخها لأنها تحرسها وتذب[3] عنها فلايظفر بها إلا من خاطر بنفسه . وفى [جص] « سيأتى عليكم زمان لا يكون فيه شىء أعز من ثلاثة : درهم حلال أو أخ يستأنس به أو سنة يعمل بها » وفيه « أقل مايوجد فى أمتى فى آخر الزمان درهم حلال وأخ يوثق به » وللشيرازى رحمه الله :

سألت الناس عن خل وفى ... فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بذيل حر ... فإن الحر فى الدنيا قليل

ورحم الله من قال :

لما رأيت بنى الزمان ومابهم ... خل وفىٌّ للشدائد أصطفى
أيقنت أن المستحيل ثلاثة ... الغول والعنقاء والخل الوفى

---

(١) مثلث أ بين كدعى ورمى وسمى اهـ .
(٢) (قوله قر) بكسر قاف من قر كضرب وبفتحها من قر كتعب وبضمها من قر كنصر اهـ .
(٣) (قوله تذب) بضم ذال معجمة من ذب كرد اهـ .

ومن قال :

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر

وفى [حى] وقال رجل للجنيد قد عز الإخوان فى هذا الزمان أين أخ لى فى الله ؟ فأعرض عنه الجنيد حتى أعاده ثلاثا فلما أكثر قال له إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمرى قليل ، وإن أردت أخا فى الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندى جماعة أعرفهم لك ، فسكت الرجل ، انظره . ولأبى المواهب الشاذلى رضى الله عنه :

تغير إخوان هذا الزمان فكل خليل عراه خلل
وكانوا قديما على صحة وقد دخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم فصرت أطالع باب البدل

وكان رضى الله عنه يقول : إياك وعثرات اللسان عند بعض الأصدقاء فقد أصيب من هذا الباب خلق كثير لثقتهم بأصدقائهم وما علموا أنهم جعلوا ذلك سلما لوقت العداوة فإياك ثم إياك . وعن سيدنا على رضى الله عنه وعنابه آمين إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب اه وفى [خل] عن الصقلى رحمه الله : الإخوان أربعة : أخ كالدواء وأخ كالغذاء وأخ كالداء وأخ كالدفلى . فالأول معدوم ، والثانى مفقود ، والثالث موجود ، والرابع مشهود اه . أما الذى كالدواء فهو مثل المشايخ الذين أهلهم الله لتربية المريد والصلحاء والعلماء فهم قدوة للمتقين ومجالستهم تشفى الأسقام ظاهرا وباطنا فهم دواء للخلق أجمعين وأنت ترى تعذر هذا الزمان غالبا ممن هذه صفته ، وأما الذى كالغذاء فهو مثل الأخ فى الله المشفق الودود الحنون الذى يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك ويجوع نفسه لجوعك ويتعرى لعريك ويكابد مانزل بك أكثر من مكابدة مانزل به ، وأنت ترى فقده فى هذا الزمان ، وأما الذى كالداء فلاشك أنك إذا خالطت كثيرا من الناس فى هذا الزمان أو عاشرتهم بملابسة ما تجد من كثير منهم إلا الإذاية البالغة أما فى دينك أو دنياك أو عرضك وهذا هو الداء الذى لاشك فيه ، وأما الذى كالدفلى فلاشك أنك إذا تكلمت مع أحد من أبناء الزمان فى صلاح دينه فى شىء ما قابلك بانزعاج وخلق سيء ويتسلط عليك ببذاءة اللسان وينظر لك عورات يظهرها أو حسنات يردها سيئات وهذا فيه من المرارة بحيث المنتهى كما هى الدفلى إذا تناولت منها شيئا وقد يفضى ذلك إلى العدم إذ قيل إنها سم ، فيتعين عليك أن تفر ممن هذه صفته اه (بخ) انظره ولصاحب لامية العجم رحمه الله :

أعدى عدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس وأصحبهم على دخل
وحسن ظنك بالأيام معجزة فظن شرا وكن منها على وجل
فإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعوّل فى الدنيا على رجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل

انظرها فإنها كلها غرر ودرر ، ورحم الله من قال :

ألا إن إخوانى الذين عهدتهم أفاعى رمال لا تقصر فى اللسع
ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم نزلت بواد منهم غير ذى زرع

ومن قال :

ما فى زمانك هذا من تصاحبه ولا خليل إذا خان الزمان وفى
فعش فريدا ولا تركن إلى أحد فقد نصحتك نصحا بالغا وكفى

وللشافعى رضى الله عنه وعن جميع الأئمة الرضا الأبدى :

الناس داء دفين لادواء لهم تحير العقل منهم فهو منذهل
إن كنت منبسطا سموك مسخرة أو كنت منقبضا قالوا به ثقل
وإن تخالطهم قالوا به طمع وإن تجانبهم قالوا به ملل
وإن تعففت عن أموالهم كرما قالوا غنى وإن تسئلهم بخلوا
إنى تحيرت فى أمرى وأمرهم شبه النعامة لا طير ولا جمل

وله أيضا رضى الله عنه :

صن النفس واحملها على ما يزينها تعش سالما والقول فيك جميل
ولا تولين الناس إلا تجملا نبابك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خير فى ود امرئ متلون إذا الريح مالت مال حيث تميل
وما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم فى النائبات قليل

ورحم الله من قال :

إنى لأفتح عينى حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

ومن قال : لا أرى كثرة التصادق إلا تعب القلب فى اقتضاء الحقوق
فاصرف الود عن كثير من النا س فما كل من ترى بصدوق

وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن ندور مع أهل زماننا ونتخدع لهم كما ينخدعون لنا لكن صورة لاحقيقة . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : من خدعنا انخدعنا له بمعنى أظهرنا له نظير ما أظهره لنا . وفى صحف إبراهيم عليه السلام : وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه . وقد فسدت الأحوال كما هو مشاهد وتغيرت المراسيم وتبدلت الأعمال بالأقوال وعم البلاء العاصى والطائع فلاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اه . ونقل أن ابن عمر رضى الله عنه كان إذا اشترى عبدا ورآه مقبلا على طاعة الله أعتقه ، فلما علم منه ذلك صار كل عبد اشتراه يلازم المسجد والعبادة فإذا رآه على تلك الحالة أعتقه فقيل له إنما يفعلون ذلك لتعتقهم ، فقال من خدعنا انخدعنا له اه . وفى الحديث « إنى لم أومر أن أنقب قلوب الناس » وفى آخر « هلا شققت قلبه » قال رحمه الله :

(وَخَالِطْ خُصُوصاً إِنْ أَرَدْتَ صَفَا الحِجَا سَلَامَةَ صَدْرٍ مَعْ عُلُومٍ سَنِيَّةِ)

(وخالط) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (خصوصا) ضد العموم وفى [حى] ويستحب صحبة الراغبين فى الآخرة قال عليه الصلاة والسلام « أحيوا الساعات بمجالسة من يستحى منه » وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أوقعنى فى بلية إلا صحبة من لا أحتشمه . وقال لقمان لابنه : جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر ، نظره . وفى [عف] وإنما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة إلى أراذل الناس وأهل الشر ، فأما أهل العلم والصفا والوفاء والأخلاق الحميدة فيغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم ، فإن الاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما أن حبهم محبة الله ، والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع ، انظره . وفى [جه] ويدل يعنى سيدنا أبا الفيض

رضى الله عنه وعنا به آمين على الله بصحبة أهل الله الدالين على الله الجامعين عليه الموصلين إليه ، ويذكر قوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى - الآية ، وحديث « المرء على دين خليله » ويقول : أصل كل خير الخلطة والنقمة كل ما شئت فمثله تحمل وخالط من شئت فمثله تفعل ، وشكوته يوما سوء حالى فقال لى : لا تكلمنى الآن فى شىء من ذلك وافعل ما آمرك به ، وأشار علىّ بمجالسته رضى الله عنه ، فقلت له ياسيدى ما أفضل هل النوافل والأذكار وغير ذلك أم مجالسة الأشياخ ؟ فقال بل مجالسة الأشياخ أفضل لا يعاد لها شىء فجلوسك بين يدى ولى أفضل من الدنيا وما فيها لما ورد : « جلوسك بين يدى ولى قدر حلب شاة الخ » ولا شك أن مجالسته رضى الله عنه ترياق مجرب للأمراض القلبية والعلل النفسية ، وكم تعرض لنا ولغيرنا أمراض معنوية وتتراكم على القلب ظلمات ردية فتنجلى بسبب مجالسته والحمد لله حق حمده كما ينبغى لجلاله لا أحصى ثناء عليه ، ويقال النظر فى التقى استقامة وفى المخصوص كرامة ، ومن رحمة الله بعبده وعنايته أن يسخر له قلب مخصوص من أهل ولايته ويقال كل الناس يحبون المخصوص والحكمة أن يحبك المخصوص ، ومن لم يلق صاحب بصيرة لم تفتح له بصيرة ، وليس شيخك من تجعل بينك وبينه عهدا بلسانك وتعتقد مشيخته بجنانك ، إنما شيخك من جاءبك بقلبه وأخذ بمجامع لبك ونفعتك نظرته وأحاطتك همته ، انظره . فيه : وإذا جالسته تدار كئك لمحاته وسرت فيك نفحاته وعلق بك طيبه الفائح ورأيت حسنه الواضح وعلمت أنه الجليس الصالح ونور النبوّة فيه لائح ، لا يخيب أبدا جليسه ولا يعدم شيئا من الخيرات أنيسه كما قال فيه بعض مادحيه . هو من أناس لا يخيب جليسهم . البيت ، يقدح النور فى قلب من أبصره ويبث محبة الله فيمن حضره ويزج فى الذكر من غشيه ويقذف فى الجد من لقيه ، رؤيته طب للقلوب وكلامه شفاء من العيوب مجلسه مجلس حلم ووقار وإجلال وإكبار ، لا يبتدئه أحد بالكلام غالبا ولو كان فى ذلك صائبا بل يفتتحه هو إن أراد فيحصل به البغية والمراد ، لا يكثر الحاضرون من الكلام لديه ، ولا يتسابقون فيما بينهم إليه بل دأبهم الإنصات والأدب إلا من توجه له منه الخطاب والطلب ، انظره .

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة	والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى	فهو المطاع وليس ذا سلطان

(إن أردت صفا) قصره للوزن الصفاء والصفو نقيض الكدر (الحجا) بالكسر والقصر العقل والفطنة . وفى [جه] وإذا سمع كلامه أحد خصوصا من فيه قابلية القبول تحول فى الحين قلبه وطار به إلى الله لمه يأتيه الإنسان فى كرب وأحزان وجحود وكفران وضلال وطغيان ودنس وأدران فيعود حزنه سرورا وجحوده شكورا وبعده حضورا ودنسه طهورا وظلامه نورا ، فتنقلب به فى القلوب حقائق الأعيان وتطيب به القلوب والأحيان ، وتجده يتكلم مع الرجل كلاما عاديا وهو يفعل فى قلبه الأفاعيل ويرحل به إلى الله المراحيل ، انظره . وفيه : ويحضره الحاضرون ما بين متوجه وغافل ودنيوى وغيره فيعمل فى الجميع حاله ويؤثر فيهم مقاله ويعمهم الفرح ويزول عنهم الترح حتى يظن أحدهم أنه لا يبالى بالدنيا أبدا ولا يلتفت إليها بعد سرمدا لما يلوح عليه حينئذ من اليقين بالله والفرح بأنعم الله ، انظره . وخالطهم أيضا إن أردت (سلامة صدر) من الأحقاد والأضغان والأغيار والأكدار فهم أطبة القلوب وأدوية العيوب بإذن علام الغيوب سبحانه وتعالى (مع) بسكون العين أى مع استفادة

(علوم) منهم نافعة (سنية) نيرة ورفيعة ، ورحم الله من قال :

فلله قوم كلما جئت زائرا وجدت قلوبا كلها ملئت حلما

إذا نطقوا جاءوا بكل فضيلة ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

وفى [مح] مخالطة العوام تذهب بنور القلب وهيبة الوجه ومن مات على مخالطة العموم جاء يوم القيامة كالقمر المكسوف لانور له ، فليجتهد العاقل على مخالطة الخصوص وفى مخالطة الخصوص ثلاث خصال : اكتساب العلم ، وصفاء القلب ، وسلامة الصدر . وقال بعضهم : إن الوسواس يأتى الشخص من جلساء السوء . وقال : ما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح ، ولاهلك من هلك إلا بمجالسة من هلك انتهى ؛ وفى الحديث « إن لله عبادا من نظروا إليه نظرة سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا » اه .

[قلت] وكيف لايسعد شخص تعلق بقوم جعلهم الله نواب أنبيائه ورسله ، وبهم أقام أمر العباد وبهم يرزق كل مرزوق ، وبهم يصرف البلاء والعذاب عن الخلق ؛ انظره . قال رحمه الله :

(وَدَعْ خُلْطَةَ العَوامِّ تَذْهَبُ بالبها وَهَيبةِ وجه وَهْىَ أقبحُ عِلةِ)

(ودع) اترك عنك (خلطة) وصحبة (العوام) ضد الخواص . وعن الغزالى رضى الله عنه : ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدبه ترك الخوض فى حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم اه ؛ أى والتنبيه على منكرهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم وإلا فالإعراض عنهم أولى : قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم - وفى [عف] ومن أدبهم ترك صحبة من همه شىء من فضول الدنيا قال الله تعالى - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - انظره . وفى [جه] فإذا جلس مع الناس كان الغالب عليه التغافل عن أحوالهم ، يؤدب بذلك كل من حضر لديه ولايحب الإكثار من ملاقاة الناس ولا الخوض معهم على ماهم فيه ، انظره . ورحم الله من قال :

عش خامل الذكر بين الناس وارض به فذاك أسلم فى الدنيا وفى الدين

من عاشر الناس لم تسلم ديانته ولم يزل بين تحريك وتسكين

(تذهب) خلطتهم وصحبتهم (بالبها) قصره للوزن الحسن والجمال (وهيبة وجه) وهى المخافة والتقية (وهى) بسكون الهاء أى خلطة العوام (أقبح علة) بالكسر المرض ، وفى الحديث « اجتنبوا مجالس العشيرة » أى المتعاشرين المكثرين للكلام فى غير ذكر الله وماوالاه : أى لما فيها من كثرة اللهو واللغو وإضاعة الأوقات والواجبات واقتراف السيئات والملهيات ويجاهرون بالمعاصى والفواحش ويتفاخرون بذلك كل الافتخار ، نعوذ بالله من حال أهل النار آمين . وقيل : مخالطة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار . وعن بعضهم : لاتصاحب الأشرار فإن ذلك يحرمك صحبة الأخيار وعن الأوزاعى رحمه الله : الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب إن لم تكن مثله شانته انتهى . ورحم الله من قال :

كن عن مجالس الفسوق بعدا ولا تصاحب فاسقا فتردى

وفى [هب] التاسع : أى مما يوجب الانقطاع عن الله تعالى مخالطة المحجوبين كذوى الرياسات فإن فى ذات العبد المؤمن خيطا من نور يخرج من ثقبة من ذاته يتصل ذلك النور بعطية الحق سبحانه وتعالى يزيد بمخالطة أوليائه تعالى ويقل بعدمها . ويخاف عليه من الانقطاع أصلا وانسداد الثقبة بمخالطة أرباب

الرياسات فإنهم برياساتهم وأموالهم وجاههم يستولون على ذاته فيكون تحت أسرهم وفى حكم قبضتهم ، فلا يزال يصغى إليهم بقلبه وقالبه ويبقى على ذلك المدة الطويلة ولا يقع سبحانه فى فكره ولا فى خاطره ، فلا يزال كذلك مسترسلا فى أغراضه وانقطاعه حتى تنسد الثقبة أصلا والعياذ بالله ، وهذه آفة حاصلة من ذوى الرياسات نسأل الله السلامة انتهى . وفيه : وسمعت الشيخ رضى الله عنه يقول : إن الرجل إذا كان فيه عرق الولاية وأقامه الله مع أهل المخالفة وبقى معهم مدة فإنه إذا مر به ولى من الأولياء وهو مع أولئك القوم فإن عرق الولاية الذى فيه يحيا بإذن الله ويقع لصاحبه انشراح وفرح وانطلاق صدر هذا بمجرد مرور الولى عليهم وإن كان صاحب العرق لا يعرفه ولا تكلم معه الولى ولا جرى بينهما حديث ، أما إذا جرت بينهما معاشرة وحصلت بينهما معرفة فلا تسأل عن حياة العرق الذى فيه وزيادة الخير فيه فى كل لحظة ، وإذا كان فى الرجل عرق الشر الذى فيه كالسرقة مثلا وأقامه الله مع أهل الولاية والعرفان وصار يخدمهم ويخالطهم مدة فإذا مر بأولئك الجماعة سارق مثلا فإن الرجل الذى فيه عرق السرقة يحيا وينشرح صدره للشر الذى فيه وتقوم قيامته بمجرد مرور السارق عليه من غير معرفة منه ولا مخالطة له ، أما إذا حصلت المعرفة بينهما فإن شره يتم والعياذ بالله وكل ميسر لما خلق له .

[قلت] : وهذا باب واسع وطريق نافع يعرفه من مارس تعليم الناس العلم أو نحوه ، فإنه إذا عرض عليه هذا الكلام فى القابلية وجده كأنه نسخة منقولة مما جرى عليه فى زمان التعلم ومعاناته ، انظره . ثم قال : فإن كنت كيسا فطنا حاذقا لبيبا فاجعل هذا الكلام نصب عينيك فإنك تطرح به عن نفسك أحمالا كثيرة فى معاشرة أصناف الناس على اختلاف طبائعهم والله الموفق اهـ وفى المجالس السنية على الأربعين النووية [نكتة] : قال الإسنوى رحمه الله فى بعض مؤلفاته : فى الحديث « إذا أراد الله بالعبد خيرا ساق إليه من يذكره إذا غفل ، وإذا أراد به شرا ساق إليه جليس سوء ينهاه عن الأخذ بالموعظة ولما تولى هارون الرشيد جلس للناس مجلسا عاما فدخل عليه بهلول [1] المجنون فقال له يا أمير المؤمنين احذر جلساء السوء واعتمد جليسا صالحا يذكرك بمصالح خلقه إذا غفلت والنار فيهم إذا خلوت فإن هذا أنفع لك وللناس ، وأكثر فى الأجر مما تأتى به من صوم وصلاة وقراءة وحج ، إن الرجل كان يلقى الكلمة عند ذى السلطان فيعمل بها فيملأ الأرض فسادا ، وقال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالا فيهوى بها فى النار سبعين خريفا » ولا تكن يا أمير المؤمنين كمن قال الله تعالى فى حقه — وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد — فقال له : زدنى ، فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد أفاد لك الناس وجعل أمرك فيهم مطاعا وكلمتك فيهم نافذة وأمرك فيهم ماضيا ، وماذلك إلا لتحملهم على الإتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه ، وتعطى من هذا المال الأرملة واليتيم والشيخ الكبير وابن السبيل ، يا أمير المؤمنين أخبرنى فلان عن فلان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد أحضر الملوك وغيرهم من ولاة أمور الناس فيقول لهم لم أمكنكم من بلادى وأطع لكم عبادى لا لجمع الأموال وحشد الرجال بل لتجمعوهم على طاعتى وتنفذوا فيهم أمرى ونهيى وتعزوا أوليائى وتذلوا أعدائى وتنصروا المظلومين من الظالمين » يا هارون تفكر كيف يكون جوابك عما تسأل عنه من أمر العباد فى ذلك الموقف إذا حضرت ويداك مغلولتان إلى عنقك وجهنم بين يديك والزبانية محيطة بك تنتظر مايؤمر بك ، فبكى هارون بكاء شديدا ،

(١) بضم موحدة كعصفور اهـ .

فقال له بعض الحاضرين : كدرت على أمير المؤمنين مجلسه ، فقال لهم هارون قلت لكم إن المغرور من غررتموه والسعيد من بعدتم عنه ، ثم خرج من عنده ، فانظر يا أخى إلى هذه النصيحة ما أعظمها اه : قال تعالى - ولكن لاتحبون الناصحين - وفى [غ] فائدة ذكر الشيخ زروق رضى الله عنه أن من كان له قرناء سوء خرج عنهم وأراد أن لايرجع إليهم فليشخصهم وليصل عليهم صلاة الجنازة آخذا من تكبيره صلى الله عليه وسلم أربعا على قوم لم يغزوا معه اه . وقد جرب ذلك فصح . قال رحمه الله :

(مُخالطَةُ الاخيارِ رُكنٌ مُوَسَّسٌ ... وَأَصلٌ كَبيرٌ فى انتفاعِ الطَّبيعة
فَمَنْ غيرِها تُغْنِي وَلَمْ يغنِ غيرُها ... فَدَاوِ بما قالَتْ أساةُ الطَّرِيقَةِ)

(مخالطة) ومصاحبة (الأخيار) جمع خير كفلس . وفى [س] الخير الكثير الخير كخير ككيس جمعه أخيار وخيار اه . وفى [جص] « خيركم من ذكركم بالله رؤيته وزاد فى علمكم منطقه ورغبكم فى الآخرة عمله » وفيه « خير الأصحاب صاحب إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك » وفيه « ألا أخبركم بخياركم الذين إذا رءوا ذكر الله أى إذا رآهم الناس ذكروا الله لما شاهدوه من حسن السمت ونور الصلاح ، وذكر فى [جه] إن هذا الحديث لايصدق إلا فى طائفة وهم مفاتيح الكنوز لامن عداهم حتى القطب اه . وفيه « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس : إن من خير الناس رجلا عمل فى سبيل الله عز وجل على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلا فاجرا جريئا يقرأ كتاب الله لايرعوى إلى شىء منه وفيه « خيار أمتى الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، وشرار أمتى الذين ولدوا وفى النعيم وغذوا به . وإنما نهمتهم (١) ألوان الطعام والثياب ويتشدقون فى الكلام » ، وفيه « خير المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده » وفيه « خير الناس أقرؤهم وأفقههم فى دين الله وأتقاهم لله وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم » وروى أبو هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على ناس جلوس فقال ، ألا أخبركم بخيركم من شركم فسكتوا ، فقال ذلك ثلاثا ، فقال رجل بلى يارسول الله أخبرنا بخيرنا من شرنا ؟ فقال خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره » اه (ركن) بالضم الجانب الأقوى (مؤسس) من أسس الدار بين حدودها ورفع قواعدها وبناء أصلها (وأصل كبير) عظيم (فى انتفاع) واقتباس (الطبيعة) وعن الشافعى رضى الله عنه : لولا صحبة الأخيار ومناجاة الحق بالأسحار ما أحببت البقاء بهذه الدار . وعن الشاذلى رضى الله عنه : عليك بصحبة الفقراء فإنه لو لم يكن إلا أخذهم بيدك يوم القيامة مع ما يحملون عن أصحابهم فى دار الدنيا من المصائب لكان فى ذلك كفاية اه . ورحم الله من قال :

اصحب خيار الناس حيث لقيتهم ... خير الصحابة من يكون عفيفا
والناس مثل دراهم (٢) ميزتها ... فوجدت فيهم فضة وزيوفا

ومن قال :

مخالطة السفيه فساد رأى ... ومن عقل مخالطة الحكيم
فإنك والقرين معا سواء ... كما قد الأديم على الأديم

---

(١) نهمتهم بفتحتين كقصبة . الحاجة والحرص على الطعام اه .
(٢) (قوله دراهم) بتنوين للضرورة اه .

ومن قال :

فصاحب خيار الناس تنج من الردى ... ولا تصحب الأشرار يوما فتندما

وفى الحكم : لاتصحب من لا ينهضك (١) حاله ولا يدلك على الله مقاله ، ربما كنت مسيئا فأراك الإحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك . وفى شرحه للشرنوبى رحمه الله : فصحبة الأخيار أصل كبير فى طريق القوم ، وأما صحبة الأشرار ففيها كبير اللوم لما فيها من عظيم الآفات الموجهة إلى رجوع القهقرى والانحطاط عن علىّ الدرجات اهـ . وفى [جص] « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة » وفيه « مثل الجليس الصالح كمثل العطار إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه » ورحم الله من قال :

عليك بأهل الخير إن شئت صحبة ... ففى صحبة الأخيار تلقى الفوائد

فمن جالس العطار طاب بطيبه ... ومن جالس الحداد لاقى السوائد

ومن قال :

ما عادة المرء اللبيب لنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح

فينبغى للأخ الصادق والحبيب الوامق الضنين بدينه وعرضه المشفق على نفسه أن يجتنب من يتأذى بمجالسته فى الدين والدنيا وأن يرغب فيمن ينتفع بمجالسته فيهما ، فالصالح إن لم تنتفع بأمواله انتفعت بأحواله وأفعاله والنظر إليه فإن النظر اليه يورث السرور فى القلب كالنظر إلى الماء الجارى والخضرة والجمال ، بل هو أقوى من ذلك كله . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نختار للمجالسة الجليس الصالح وهو الذى لا يلحقنا إثم بمجالسته ، وذلك إما بالتوبة فإذا وقع أحدنا بسببه فى ذنب تاب على الفور من غير إصرار ، وإما بعدم وقوعنا فى الإثم بسببه أصلا ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سياسة وفراسة ليعزف من يستحق المجالسة ممن لا يستحق ، ومن لاسياسة عنده يقبل على مجالسة كل من يراه ثم بعد ذلك يقطع مجالسته فيصير عدواً له . وقد قالوا العاقل من يقدم التجريب قبل التقريب ، ووالله إن الإثم الذى يقع فيه من يعتزل الناس اليوم يكفيه ويغنيه عن زيادة الأوزار التى يكتسبها من مجالسة الناس فلا يكاد الإنسان يجد مجلسا واحدا لا يخلو من الإثم أبدا ، إما غيبة وإما نميمة وإما غفلة عن الله تعالى وإما تحريض على طلب دنيا وإما غير ذلك فالوحدة خير من مجالسة الناس اليوم ، إلا أن تتعين المجالسة عليه بطريقة الشرع . ففتش يا أخى على الصالحين وجالسهم وإن لم تجدهم فاجلس وحدك ، فقد قالوا الوحدة ولا القرين السوء ، وقالوا الجلوس مع الكتاب أولى من الجلوس مع من يحملك على الآثام . واعلم يا أخى أن كل من حصل لك بواسطة مجالسته إثم فهو جليس سوء ، فهل سلم لك على هذا جليس واحد؟ لا والله لا تكاد تجده ، فالوحدة أولى والسلام اهـ ؛ وفى [حف] فليتفقد الإنسان نفسه عند الميل إلى صحبة شخص وينظر ما الذى يميل به إلى صحبته ويزن أحوال من يميل إليه بميزان الشرع فإن رأى أحواله مسددة فليبشر نفسه بحسن الحال . فقد جعل الله تعالى مرآته مجلوة ، يلوح فى مرآة أخيه جمال حسن الحال ، وإن رأى أفعاله غير مسددة فيرجع إلى نفسه باللائمة والاتهام فقد لاح له فى مرآة أخيه سوء حاله فبالجدير أن يفر منه كفراره من الأسد ، فإنهما إذا

---

(١) (قوله ينهضك) بضم تحتية وكسر هاء من أنهضه أقامه بسرعة وشدة اهـ .

اصطحبا ازدادا ظلمة واعوجاجا ، انظره . ثم قال : وقد ينفسد المريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما ينفسد بأهل الفساد ووجهه ذلك أن أهل الفساد علم فساد طريقهم فأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فمال إليهم بجنسية الصلاحية ، ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله فاكتسب من طريقهم الفتور فى الطلب والتخلف عن بلوغ الأرب . فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة ويأخذ من الصحبة أصفى الأقسام ويلدو منها ما يسد فى وجهه المرام . قال بعضهم : هل رأيت شرا قط إلا ممن تعرف ، ولهذا المعنى أنكر طائفة من السلف الصحبة ورأوا الفضيلة فى العزلة والوحدة كإبراهيم بن أدهم وداود الطائى وفضيل بن عياض وسليمان الخواص . وحكى عنه أنه قيل له جاء إبراهيم بن أدهم أما تلقاه ؟ قال لأن ألقى سبعا ضاريا أحب إلى من أن ألقى إبراهيم بن أدهم : قال لأنى إذا رأيته أحسن له كلامى وأظهر نفسى بإظهار أحسن أحوالها وفى ذلك الفتنة ، وهذا كلام عالم بنفسه وأخلاقها وهذا واقع بين المتصاحبين إلا من عصمه الله ، انظره (فعن غيرها تغنى) أى فبسبب ذلك كانت مخالطة الأخيار تغنى عن غيرها من الخصال الحميدة المرغب فيها لأن المرأ على دين خليله والمرأ مع من أحب ومن كثر سواد قوم فهو منهم (ولم يغن) بحذف الياء للجازم عن مخالطتهم (غيرها) من الأوصاف الجميلة وفى [عف] أن أبا بكر التلمسانى يقول : اصحبوا مع الله فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركة صحبتهم إلى صحبة الله ، انظره . وفى [غ] وفى مختصر الأحياء بعد كلام فى الصحبة ما نصه : فاصحب الأخيار ، وإن لم تكن منهم فأنت معهم اه . يريد اصحبهم بالمحبة والتسليم لتكون معهم وإن لم تكن منهم فإن المرأ مع من أحب . وبالجملة ففى مخالطة الأخيار مع التسليم والمحبة خير كثير بل المخالطة أصل كبير فى الانتفاع ، ولذا قالوا إنها أعنى المخالطة تغنى عن غيرها ولا يغنى غيرها عنها اه . وقد قيل ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح ولا فسد من فسد إلا بصحبة من فسد ، ولذا قيل :

اختر لنفسك الذى أطاعا   إن الطباع تسرق الطباعا

(فداو) من داواه عالجه (بما قالت) ووصفت لك (أساة) بضم الهمزة جمع آس كقاض وقضاة ويجمع على إساء بكسرها كراع ورعاء والآسى الطبيب الماهر بالدواء (الطريقة) الصوفية إذهم أطبة القلوب من الأغراض والذنوب وأدوية العيوب بإذن علام الغيوب رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين . قال رحمه الله :

(فَفِى خُلطَةِ الجَذْمَى أَتَانَا انحِصَارُهَا   فَلَيْسَتْ بِسُبْحَةٍ وَلا بِلُوَيحَةِ)

(ففى خلطة الجذمى) جمع أجذم من به جذام حسى أو معنوى وهو علة تحدث من انتشار السوداء فى البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها وربما انتهى إلى تآكل الأعضاء وسقوطها عن تقرح . وفى [جص] « اتقوا صاحب الجذام كما يتقى السبع إذا هبط واديا فاهبطوا غيره » اه ولا ينافى هذا الحديث حديث « لاعدوى » لأنه خطاب لمن قوى يقينه وهذا لمن ضعف يقينه ، وقيل لاعدوى أى بطبع المرض فمن اعتقد أن المؤثر هو الله تعالى وتباعد فقد عمل بالحديثين وهذا هو الأليق بمن ضعف يقينه كأمثالنا والله أعلم . والمراد بالجذمى فى البيت عامة المؤمنين ففى مخالطتهم خير الدنيا والآخرة لمن طهر الله نفسه من الأدناس وبلغ مبلغ الإرشاد والهداية وقدر على الإحسان إليهم واحتمال الأذى منهم قال تعالى ـ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ـ الآية ، وفى [عف] وقد رغب جمع من السلف فى الصحبة

والأخوة فى الله ورأوا أن الله تعالى منّ على أهل الإيمان حيث جعلهم إخوانا فقال سبحانه وتعالى - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا - وقال تعالى - هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - وقد اختار الصحبة والأخوة فى الله سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك وغيرهما انظره . وفيه : وقيل لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لا ستغنوا بها عن العدالة . وقيل العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة . وقيل طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة فإن طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج . ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض فى البعض لأنهم لما تحابوا فى الله تواصوا بمحاسن الأخلاق ووقع القبول بينهم لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس فى كل يوم خمس مرات فى المساجد أهل كل درب وكل محلة وفى الجامع فى الأسبوع مرة أهل كل بلد ، وانضمام أهل السواد إلى البلدان فى الأعياد فى جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة فى العمر مرة للحج ، كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين ، وقال عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » انظره (أتانا) عن الثقات الأثبات انحصارها : أى الطريقة الصوفية (فليست بسبحة) أى بمجرد اتخاذ السبحة (ولا بلويحة) تصغير لوحة وهى كل صحيفة عريضة خشبا أو عظما . وفى [غ] وقد ذكر عن العارف بالله تعالى سيدى عبد الرحمن بن محمد الفاسى رضى الله عنه أنه قال لرجل من أصحاب بعض الأولياء من أهل عصره وقدرآه لا يخالط الفقراء : ماذا يأمركم به شيخكم ؟ فقال بالسبيحة واللويحة ، فقال رضى الله عنه : ليست هذه الطريقة بالسبيحة واللويحة ، وإنما هى بالمخالطة ، خالط الجذمى تجلم اه . قال رحمه الله :

(لِقاءُ ذَوِى صِدْقٍ لِقَاحٌ لباطِنٍ وقد يَشتفى العليلُ مِنهُمْ بِنَظْرَةِ)

(لقاء) بكسر اللام إخوة (ذوى صدق) أى الصادقين فى الأخوة والصحبة فى الله . وفى [عف] ومتى تمسك المريد بالصدق والإخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يحقق صدقه وإخلاصه شىء مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق فكل الآفات التى دخلت على أهل الهدايات لموضع نظرهم إلى الخلق ، وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعر ، ثم يرجع إلى نفسه فيراها أصغر صاغر » إشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم . قال أحمد بن خضرويه : من أحب أن يكون الله تعالى معه على كل حال فليلزم الصدق فإن الله تعالى مع الصادقين . وورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصدق يهدى إلى البر » انظره . ثم قال : ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى . قال ذو النون : لله تعالى فى أرضه سيف ماوضع على شىء إلا قطعه وهو : الصدق ، انظره (لقاح) بفتح اللام كسحاب ماتلقح به النخلة وطلع الفحل (لباطن) أى ولظاهر (وقد يشتفى) الأخ الصادق والحبيب الوامق (العليل) بعلل حسية أو معنوية (منهم) أى من الإخوان الصادقين (بنظرة) أى بمجرد نظرة منهم إليه أو منه إليهم إذهم ترياق الله فى أرضه ؛ اللهم اشف عللنا الحسية والمعنوية بنظرة منك يا أرحم الراحمين ، وبنظرة من نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبنظرة من سيدنا أبى الفيض

أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وعنابه آمين ، وبنظرة من خلفائه ونوابه رضى الله عنهم وعنابهم آمين . وفى [عف] والصحبة مع الأخيار مؤثرة جدا . وقد قيل اماء الإخوان لقاح . ولاشك أن البواطن تتلقح ويتقوى البعض بالبعض بل بمجرد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر صلاحا والنظر فى الصور يؤثر أخلاقا مناسبة للمنظور إليه كدوام النظر إلى المحزون يحزن ودوام النظر إلى المسرور يسر . وقد قيل من لاينفعك لحظه لاينفعك لفظه ، والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول، فالمقارنة لها تأثير فى الحيوان والنبات والجماد، والماءوالهواء يفسدان بمقارنة الجيف، والزروع تنقى عن أنواع العروق فى الأرض والنبات لموضع الإفساد بالمقارنة، وإذاكانت المقارنة مؤثرة فى هذه الأشياء ففى النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرا وسمى الإنسان إنسانا لأنه يأنس بما يراه من خير وشر ، والتآلف والتودد مستحب للمزيد ، نظره : وللقطب الربانى مولاى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلا عليين مأواه :

إذا نظرت عينى وجوه أحبتى ... فتلك صلاة فى ليالى الرغائب
وجوه إذا ما أسفرت عن جمالها ... أضاءت لها الأكوان من كل جانب
حرمت الرضا إن لم أكن باذلا دمى ... أزاحم شجعان الوغى بالمناكب
أشق صفوف العارفين بعزمة ... تعدى بمجدى فوق تلك المراتب
ومن لم يوف الحب ما يستحقه ... فذاك الذى لم يأت قط بواجب

ولبعضهم رحمه الله فى صلاة الرغائب :

صل الرغائب عشرا واثنتين وكن ... فى كل ركعة تقرأ الحمد منفردا
والقدر معها ثلاثا مثل ما ذكروا ... واقرأ اثنتين وعشرا معهما الصمدا
وصل من بعد إكمال الصلاة على النبى سبعين واسجد مثل من سجدا
وفيه سبح وقدس مثلها وإذا ... رفعت قل رب سبعين احصها عددا
واسجد لربك واخلص السجود وسل ... تعط فمن جد فى إخلاصه وجدا

وذكر فى [جه] أن التعلق بأهل الله واللياذ بجنابهم والانحياش إليهم والوقوف بأبوابهم تعلق بجناب الله الكريم ووقوف ببابه العظيم وتعرض لرحمته العميمة ونعمته الجسيمة، وفى حديث الطبرانى « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها لعله أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا » فيا فوز الذين نهضوا إليها وتعرضوا لها فاستمدوا من تلك النفحة مددا ، وإذا كان عند ذكرهم كما فى الأثر الموقوف والخبر المعروف تنزل الرحمات وتهب عواطر النسمات فما بالك بنشر محاسنهم ومفاخرهم وتعداد مناقبهم ومآثرهم وذكر سيرهم النبوية وأخلاقهم المصطفوية التى هى هدى ونور وشفاء لما فى الصدور ودواء للقلوب وجلاء للكروب وفتح للبصائر ونفع للسرائر وهدى للسالك والسائر يطرب السامع حديثها ويحث الأشواق إلى حضرتهم حثيثها وماملئت الدواوين والدفاتر ولافاهت الأفواه والمحابر بعد شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيره وشيمه الظاهرة وأثره بأفضل من أخبارهم ومكارمهم ومآثرهم إذ هم أصحابه الصحبة المعنوية ومعجزته الباقية السرمدية ولله در القائل :

ياسادتى يا أفضل السادات ... لأزينن بذكركم أوقاتى
ياخير صحب محمد من بعده ... يا أفضل الأحياء والأموات

ونحن وإن لم نكن من الأتباع ولا من الأشياع حقيقة فحول نفحاتهم نحوم ولشيء من بركاتهم نروم:

خذ مادنى إن فاتك الأجل ... إن لم يصبها وابل فطل

وجدير لمن رده أخبارهم واستمع آثارهم وأكثر حديثهم وأحب قديمهم وحديثهم أن يدخل ديارهم وينال برهم، أو يعلق منها بفائدة تكون منفعتها عليه عائدة وفى معنى ذلك قيل:

حدث السمع بالمحاسن منهم ... فالحديث لنا نديم النفوس

فإذا ما سقيت منها بكاس ... زال عنك من العنا كل بوس

جعلنا الله ممن أحبهم واتبع طريقهم وحزبهم ورزقنا التلذذ بخبرهم واستحسان سيرهم وأثرهم آمين، أنظره. قال رحمه الله:

(وكلُّ ماتشاَ فمثله صاحِ تعمَلُ ... أساسُ التُقَى فى لقمةٍ ومُخالطةٍ)

(وكل) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (ماتشا) قصره للوزن: أى من الحلال الطيب أو من الحرام الخبيث. قال الله تعالى - والبلد الطيب - الآية، وقال - اعملوا ماشئتم إنه بما تعلمون بصير - (فمثله) ونظيره خبثا وطيبا (صاح) أى ياصاحبى (تعمل) وعن أبى هريرة رضى الله عنه: المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت صدرت بالسقم ومثل اللقمة من الدين مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع وإذا ضعف الأساس واعوج انهار البنيان ووقع. قال الله عز وجل - أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير - الآية، وعن سهل: من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم، ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات، أنظر [حى]. وفى [ثبق] وقد كان سفيان الثورى رحمه الله يقول: أكل الحرام يضر، ولو لم يعلم به آكله كما أن السم يضر ولو لم يدر آكله، فاعلم ذلك اه. وعن بعضهم: الطعام بذر الأفعال إن دخل حلالا خرج حلالا، وإن دخل حراما خرج حراما، وإن دخل شبهة خرج شبهة. وقال بعضهم: استسقيت جنديا فسقانى شربة فصارت قسوتها فى قلبى أربعين صباحا. وقيل لإبراهيم بن أدهم، ألا تشرب من ماء زمزم؟ فقال لو كان لى دلو لشربت. إشارة إلى أن الدلو من مال السلطان، فكان شبهة. وقال زيد ابن ثابت: لاشىء أسهل من الورع إذا رابك شىء فدعه وهذا سهل على من سهله الله عليه صعب على كثير من الناس أثقل من الجبال اه:

قلت: لقد صدق ونصح قال تعالى - ولاينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون - (أساس) كسحاب أصل كل شىء (التقى) منحصر ومنطوى فى (لقمة) بضم اللام وتفتح مايهيأ للقم والابتلاع (ومخالطة) وكان سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين يقول: أصل كل خير الخلطة واللقمة كل ماشئت فمثله تعمل وخالط من شئت فمثله تفعل كما مر عن [جه]. وفى [حى] إن بعض السلف دفع طعاما إلى بعض الأبدال فلم يأكل، فسأله عن ذلك فقال: نحن لا نأكل إلا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف الملكوت ونشاهد الآخرة، ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شىء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا، فقال له الرجل إنى أصوم الدهر وأختم القرآن فى كل شهر ثلاثين مرة، فقال له البدل: هذه الشربة التى رأيتنى شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين ختمة فى ثلاثمائة ركعة من أعمالك، وكانت شربته من لبن ظبية

وحشية وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نتعفف عن أطعمة الناس جهدنا فإن اللقمة تؤثر فى كل آكل بحسب درجته ، فأثرها فى المؤمنين أعمال مذمومة لم يكن لهم بها عادة ، وأثرها فى الكاملين كثرة الخواطر التى لامنفعة فيها ، وأثرها فيمن هو أعلى من ذلك لايعرفه إلا صاحب تلك الرتبة اه .

ولا يخفى عليك ياأخى إذا جرى عليك المقدور وأكلت مالا ينبغى أكله مما للشرع عليه اعتراض فينبغى إلقاؤه بالقىء كما وقع لأبى بكر الصديق رضى الله عنه والله غفور رحيم اه .وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن الأكل من أطعمة الناس الذين بيننا وبينهم صداقة ؟ فقال لاتأكل لأحد شيئا ولو صديقا إلا إذا علمت الحل فى طعامه وعلى ذلك يحمل قوله تعالى - ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم - الآية ، فيقيد هذا الإطلاق بالحل فى طعامهم والله أعلم اه .

قلت : لقوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا - والقرآن يقيد بعضه بعضا وكذلك حديثه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفيها وسمعته يقول عليكم بإصلاح الطعمة مااستطعتم فإنها أساسكم التى يتم لكم بهابدينكم وأعمالكم الصالحة فإن كنتم متجردين عن الأسباب فاقبلوا كل ما أرسله الحق تعالى إليكم من غير سؤال ما عدى الذهب والفضة والثياب الفاخرة ، وإذا بلغ أحدكم مبلغ الرجال أطلعه الله تعالى على موضع كل لقمة من أين جاءت وعلى من يستحق أكلها من الناس ، كالبناء لكل طوبة عنده مكان يضعها فيه اه . قال رحمه الله :

(فَوائِدُ صُحْبَةٍ كَنَفْعٍ بِثَرْوَةِ وَجاهٍ وعِلْمٍ وَاغْتنامِ لِدَعْوَةِ)

(فوائد صحبة) وهى عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة. وفى [خل] عن أبى عبد الرحمن السلمى رحمه الله: الصحبة على وجوه فالصحبة مع الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه والرضا بقضائه والصبر على بلائه والشفقة على خلقه ، والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته واجتناب البدع وتعظيم أصحابه وأهل بيته وأزواجه وذريته ومجانبة مخالفته فيما دق وجل ، والصحبة مع أولياء الله بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن أنفسهم وعن مشايخهم والصحبة مع السلطان بالطاعة إلا أن يأمر بمعصية أو بمخالفة سنة فلا سمع ولاطاعة والدعاءله بظهر الغيب والنصيحة له فى جميع أموره ، والصحبة مع الوالدين ببرهما بالنفس والمال وخدمتهما فى حياتهما والدعاء لهما فى الحياة وبعد الممات وإكرام أصدقائهما ، والصحبة مع الأهل والولد بالمداراة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة والأدب وحملهم على الطاعات ، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغى والأذى ومايكرهون من جميع الوجوه وترك مايعتذر منه ، والصحبة مع العلماء بملازمة إكرامهم وقبول قولهم والرجوع إليهم فى المهمات والنوازل وتعظيم ماعظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفاء نبيه صلى الله عليه وسلم وورائه ، والصحبة مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث وإظهار السرور ورؤية فضله واعتقاد المنة له حيث أكرمه بدخول منزله وتناول طعامه ، وقال بعضهم :

من دعانا فأبينا فله الفضل علينا
فإذا نحن أتينا رجع الفضل إلينا اه بخ

وفى [هب] وقد قسموا الصحبة إلى ثلاثة أقسام : صحبة من هو أعلى وهى فى الحقيقة خدمة له ، وصحبة من هو أدنى وهى تقضى على المتبوع بالشفقة والرحمة وعلى التابع بالوفاق والرحمة ، وصحبة الأكفاء والنظراء وهى مبنية على الإيثار والفتوة والتغابى أى التغافل عن زلات الصديق ، فإن ذلك من مقتضيات الأخوة على حد ماقيل :

ليس الغبى بسيد فى قومه لكنّ سيد قومه المتغابى

وفى [حى] ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية ، أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا وأما الدينية فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة : إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ، ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ، ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات فى طلب القوت ، ومنها الاستعانة فى المهمات فيكون عدة فى المصائب وقوة فى الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ، ومنها انتظار الشفاعة فى الآخرة ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نخلص الصحبة لله تعالى عز وجل فى حق كل من صحبناه من الخلق فإن من صحب أحداً لعلة زالت صحبته بزوال تلك العلة ، ومقصود الفقراء فى جميع أمورهم الدوام لا الانقطاع . وقد ذكروا من العلل الخفية المفعولة من الجهلة صحبتنا لإنسان بقصد الثواب على ذلك فى الآخرة أو أن يأخذ بيدنا هناك ونحو ذلك ، بل نقصد وجه الله تعالى بالصحبة كما قال تعالى - إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - وإن كان ولابد من العلل فلتكن العلل بحكم التبع لا بالقصد الأول كما أننا نعبد الله عز وجل امتثالا لأمره لاخوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته ، وأما صحبتنا لإنسان بقصد انتفاعه هو بنا ففيه رائحة دعوى رياسة عليه إلا إن كنا نرى نفوسنا دونه - انظره (كـنفع بثروة) بفتح مثلثة كثرة المال . وفى [جص] « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » . وفى [غ] وأما السعى فى منافع الإخوان فهو من أخلاق الأولياء والصالحين ، وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه عن بعض رجال الطبقات أنه كان يقول : سعى الإخوان فى الدنيا يكون لإخوانهم لا لأنفسهم اه . قال الشعرانى رضى الله عنه : ولما حججت سنة كذا جعلت دعائى حول البيت وفى البيت وفى مواضع الإجابة كله لإخوانى . قال : لأن الفتوة أن يقدم الإنسان حظ إخوانه ويؤخر حظ نفسه ليكون الحق تعالى فى حاجته بالقضاء والتيسير ، والحمد لله رب العالمين اه . الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه . ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته اه . وفى [حى] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى » وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا فى مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد ، وهذا يقتضى المساهمة فى السراء والضراء والمشاركة فى المآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاثة مراتب : أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فهو غاية التقصير فى حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك فى مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته فى المال . قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهى العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين . ثم قال :

ومن كان فى الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغى أن لا تعامله فى الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ فى الله فلا تعامله فى أمور دنياك وإنما أراد من كان فى هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا فهى التى وصف الله تعالى المؤمنين بها فى قوله - وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون - أى كانوا خلطاء فى الأموال لايميز أحدهم رحله عن بعض ؛ وكان منهم من لا يصحب من قال نعلى لأنه أضافه إلى نفسه . وجاء فتح الموصلى إلى منزل لأخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاها فقال : إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل ، انظره . ثم قال : وروى أن مالك بن دينار ومحمد ابن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجىء صاحب البيت ، فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا ، فدخل الحسن فقال يامويلك هكذا كان لايحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك ، وأشار بهذا إلى أن الانبساط فى بيوت الإخوان من الصفاء فى الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صديقكم - وقال - أوما ملكتم مفاتحه - إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض التصرف كما يريد وكان يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية ، وأذن لهم فى الانبساط فى بيوت الإخوان والأصدقاء انظره . وفى [عف] ومن أدبهم أن لايرون لنفسهم ملكا يختصون به . قال إبراهيم بن شيبان : كنا لانصحب من يقول نعلى ، ثم قال أحمد بن القلانسى : دخلت على قوم من الفقراء يوما بالبصرة فأكرمونى وبجلونى ، فقلت يوما لبعضهم : أين إزارى ؟ فسقطت من أعينهم . وكان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه إنسان شارطه على ثلاثة أشياء : أن تكون الخدمة والأذان له وأن تكون يده فى جميع مايفتح الله عليهم من الدنيا كيده ، فقال رجل من أصحابه أنا لاأقدر على هذا ، فقال أعجبنى صدقك ، وكان إبراهيم بن أدهم ينظر البساتين ويعمل فى الحصاد وينفق على أصحابه . وكان من أخلاق السلف أن من احتاج إلى شىء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة قال الله تعالى - وأمرهم شورى بينهم - أى مشاع هم فيه سواء اه . وفيه : وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه فى التصرف فى شىء من طعامه فلا حرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أوصديقكم - قيل دخل قوم على سفيان الثورى فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وأكلوا ؛ فدخل سفيان ففرح ؛ وقال : ذكرتمونى أخلاق السلف ، هكذا كانوا ، انظره . وفى [هب] وسمعته رضى الله عنه يقول : كان لبعض المريدين أخ فى الله عز وجل فمات ذلك الأخ وبقى المريد فجعل إذا فتح الله عليه بشىء يقسمه بين أولاده وبين أولاد الأخ فى الله ، وكان لهذا المريد أرض مع إخوانه فبيعت عليهم من جانب المخزن ظلما . فلما أخذوا ثمنها كان نصيب المريد منها أربعين مثقالا سكة زماننا ، فقال له إخوانه ماتفعل بدراهمك ؟ فقال أقسمها بينى وبين أولاد أخى فى الله ، فاستحمقوه وقالوا مارأينا مثلك فى نقصان العقل ، تسبب بدراهمك واشتر بها كذا واصنع بها كذا ، واترك عليك هذه الحمقة التى أنت مشتغل بها ، فأرادت نفسه أن تميل إلى قولهم فقال لها : يانفسى ماتقولى لله عز وجل إذا وقفت بين يديه غدا حيث يقول لك رزقتك أربعين مثقالا فاستأثرت بها وضيعت حق الأخوة فاليوم أضيعك كما ضيعتها ، فوفقه الله فقسم الدراهم بينه وبين أولاد أخيه ، فلما خرج من عندهم فتح الله عليه وأعطاه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وجعله من العارفين لصدق نيته ولصداقة عزمه ونفوذ جزمه ، والله الموفق اه . وفى [عم] وقد جمع

أهل الطريق على أن أقل مراتب الأخوة فى الله تعالى : أن أخاه لو طلب نصف ماله أو ما بيده من ثياب وطعام وغير ذلك لأعطاه له بانشراح صدر . وقالوا كل من ادعا أنه أخوك فزنه بهذا الميزان ، انظره : ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

إنى أقول من المحال وجود من ... تسخو سريرته بنصف المال

إنى بلوت فلا أرى من يسمح با ... لعشر من مال له بالبال

لكن ترى من قد يمن بفلسه ... ويكل ما يعطى من الأموال

من شك فى ذا فليجرب هل يرى ... فى الوقت من يعطيه للمتعال

(وجاه) أى وكشفع بجاه وهو القدر والمنزلة . وفى [عف] ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للإخوان والمسلمين كافة ، فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتها وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة فى إصلاح ذات البين ، وفى هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ، ولا يصلح ذلك إلا لصوفى تام الحال عالم ربانى . وروى عن زيد بن أسلم أنه قال : كان نبى من الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس ، انظره . ثم قال سهل بن عبد الله : لايستحق الإنسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال : يصرف جهله عن الناس ، ويحتمل جهل الناس ، ويترك ما فى أيديهم ويبذل ما فى يده لهم وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التى زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه ، وإنما هذه رياسة أقامه الحق فيها لصلاح خلقه ، فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله تعالى ، انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانقبل هدية ممن شفعنا فيه عند ظالم بل نردها عليه جزما ، فإن علمنا كسر خاطره بذلك قبلناها وفرقناها على محاويج المسلمين ، ولا نذوق منها شيئا إن كانت طعاما ولا نلبسها إن كانت تلبس ولا نشمها إن كانت تشم ولا غير ذلك ، وهذا العهد قد كثرت خيانته من طائفة الفقراء الذين يشفعون فى الناس عند الأمراء أو الكشاف ومشايخ العرب وهو جهل وقلة دين ولاسيما هدية الفلاحين فإن تحتها ألف بلية وتأمل لولا شفاعتك ما أتاك ذلك الفلاح بشيء وكم له سنة وهو يسمع بك فلا يعطيك شيئا ، ثم من أقبح ما يقع فيه الشافع المحب للدنيا أنه إذا استحل قبول الهدايا يصير يشفع لأجل ذلك ويعدم الإخلاص فيعدم الأجر فى الآخرة من ثبوت الأقدام على الصراط ونحو ذلك مما ورد ، انظره . وروى أبو داود « من شفع شفاعة لأحد فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من الكبائر وفى البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال « اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء » انظره وأخبرنى من أثق به أنه شفع للبعض عند بعض الولاة فى دفع ماوظف عليه من الدراهم وأخذ بطاقة تبرئه من ذلك ، فرأى فى ليلته كأن جلد بغل ميت وضع أمامه يقطع منه قطعا ويدفعها لذلك الوالى ، فلما انتبه استغفر الله تعالى وتاب من ذلك ، ولذا كتب رحمه الله ورضى عنه لمن استشفع به من الإخوان فى مسجون عند بعض الولاة جبر الله حالنا وحالهم وغفر لنا ولهم آمين :

واعلم أخى يقينا غير منهم ... أن ليس جاه لغير الدرهم الحسن

وإن شككت فجرب صدق قول أخ ... قد جرب الأمر عند قادة الزمن

ولا ينبغى لعاقل فضلا عن فاضل أن يتصدر للشفاعات عند ذوى الولايات والرياسات فإنها من الرزايا والبلايا ، ولا تسلم عاقبة من أخذ تلك الرايات ونصب نفسه لتلك البليات - قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا - الآية - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - (وعلم) أى وكنفع بعلم إفادة واستفادة : وفى [حى] فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال ، فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ماينفعه فى الدين والدنيا ، فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة ، انظره . وفى [جع] وليعمل بعضا من أوقاته فيما يجرى على يديه من النفع لعباد الله لاعموما بل خصوصا الأقرب فالأقرب من غير إفراط ولاتفريط ، وليكن شديد الاهتمام فى حقوق إخوانه فى طريقته التى لايمكنه التأخر عنها ولكن ملازمة الواجب منها فقط من غير أن يجعلها هجيراه ، فإن لكل عاقل أوقاتا يخلو فيها بربه لا يمكنه التأخر عنها والاشتغال عنها وأوقاتا يجالس فيها إخوانه فى الطريقة لله تعالى لتذكير أوتعليم أواستفادة مما لم يكن عنده من العلم من غير إفراط ولاتفريط ، ثم ليتحين مع الله الأوقات الفاضلة كوسط الليل بعد نوم الناس إلى طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء عاملا فى ذلك بالتسديد والتقريب فى معرفة ما يقدر عليه ولا يوجب للنفس كسلا و ضجرا جاريا على حد قوله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلاغلبه فسددوا وقاربوا وبشروا ولاتنفروا واستعينوا بالغدوة والروحة وبشىء من الدلجة [1] » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين متين فتوغل فيه برفق ولاتبغض لنفسك عبادة الله فإن المنبت [2] لا أرضا قطع ولاظهرا أبقى » الحديث ، وقوله صلى الله عليه وسلم « خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لايمل حتى تملوا » ، وليحذر كل الحذر من المجالس ومآخذ العلم التى تؤدى إلى الدخول فى مداخل العامة أو الأحوال الحزبية فإن من تبع ذلك لايفلح لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وليكن اهتمامه فى الأخذ فى خاصة نفسه ولا يجعل لإخوانه فى منافعهم إن أهل لذلك إلا ما فضل عن أوقاته . قال مالك رضى الله عنه : وقد سئل عن طلب العلم وقال : حسن ولكن اعرف ما يلزمك من صباحك إلى مسائك فالزمه فإنه آكد على لوازم الشخص فى خاصة نفسه من الأمور التى يطالبه الله بها ولا يسامحه فى تركها ، ومن أعرض عن ذلك متعللا بطلب العلم فقد خسر الدنيا والآخرة ، والقول الحق فى ذلك فليس لك إلا الله سبحانه وتعالى فلا تشتغل عنه بغيره ولا تجعل لنفسك سواه منتجعا ولا إلى الإعراض عن بابه تعللا ولاعن الانحياش إليه فى الشدائد والمضايق والكروب ملجأ ، ولا فى الرخاء وتواتر النعم عن مراعاة شكره مصرفا ، وليكن الأمر فى ذلك جاريا على قول أبى العباس المرسى : وأوقات العبد أربعة لاخامس لها : وهى إما أن تكون فى وقت نعمة فمقتضى الحق منك وجود الشكر ، أو تكون فى وقت شدة فمقتضى الحق منك وجود الصبر ، أوتكون فى وقت معصية فمقتضى الحق منك وجود التوبة ، أو تكون فى وقت طاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة وهذه الحدود التى ذكرها فيها استغراق أوقات العبد كلها وهى المذكورة فى قوله صلى الله عليه وسلم « من أعطى فشكر وابتلى

---

(١) (قوله الدلجة) بضم دال وبفتحها كغرفة وتمرة : السير أول الليل اه .

(٢) (قوله المنبت) بضم ميم وسكون نون وفتح موحدة وتشديد فوقية : أى المنقطع فى سفره لكونه أجهد دابته اه

فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر، ثم سكت صلى الله عليه وسلم حتى قال له بعض الجالسين ماذا له يارسول الله؟ قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » أراد بقوله صلى الله عليه وسلم «لهم الأمن» يعنى الأمن من عذاب الله فى الآخرة « وهم مهتدون » فى الدنيا ، وليكن فى جميع ماذكرناه خالصا لله لا يخالطه شىء من غير الله تعالى ، وهذه النصيحة لأصحاب الحجاب من السالكين أما من صفت له المعارف حتى رسخت قدمه فيها فهو مايعطيه وقته وحاله ومقامه وتجليه ليس له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار ، انظره . وفى [جه] وينبغى لك يا أخى أن لا تطلب من العلوم إلا ماتكمل به ذاتك وينتقل معك حيث انتقلت وليس ذلك إلا العلم بالله تعالى من حيث الوهب والمشاهدة ، فإن علمك بالطب مثلا إنما تحتاج إليه فى عالم الأسقام والأمراض فإذا انتقلت إلى عالم مافيه سقيم ولا مريض «من تداوى بذلك العلم؟» فقد علمت يا أخى أنه لا ينبغى للعاقل أن يأخذ من العلوم إلا ماينتقل معه إلى البرزخ دون ما يفارقه عند انتقاله إلى عالم الآخرة ، وليس المنتقل معه إلا علمان فقط العلم بالله عز وجل والعلم بمواطن الآخرة حتى لا ينكر التجليات الواقعة فيها ، ولا يقول للحق إذا تجلى له نعوذ بالله منك ، فينبغى لك يا أخى الكشف عن هذين العلمين فى هذه الدار لتجنى ثمرات ذلك فى تلك الدار ، ولا تحمل من علوم هذه الدار إلا ما تمكن الحاجة إليه فى طريق سيرك إلى الله عز وجل على مصطلح أهل الله تعالى، وليس طريق الكشف عن هذين العلمين إلا بالخلوة والرياضة والمجاهدة والجذب الإلهى ، انظره (واغتنام) من اغتنم الشىء عده غنيمة (لدعوة) بصلاح الحال والمآل ، ومما ينبغى لك أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق أن تعتنى بالدعاء لكل أخ فى الله حيا وميتا حاضرا أو غائبا بكل ما تحبه لنفسك ولأهلك فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه فى ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك» وفى لفظ آخر« يقول الله عز وجل بك أبدأ ياعبدى » ولقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب للرجل فى أخيه مالا يستجاب له فى نفسه » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب لا ترد » وكان أبو الدرداء يقول : إنى لأدعو لسبعين من إخوانى فى سجودى أسميهم بأسمائهم . انظر [حى] وفى [جص] « دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك بمثل ذلك » قال الحفنى : وتخلف الإجابة لعائق من عدم أكل الحلال وعدم صدق نية اه : أى وعدم التوبة ورد المظالم ، وفى الحديث « أنى يستجاب لأحدكم ومطعمه حرام ومشربه حرام ومسكنه حرام وملبسه حرام » أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، وفيه « استكثر من الناس من دعاء الخير لك فإن العبد لا يدرى على لسان من يستجاب له » اه ، أى أو يرحم . ومرت قضية معروف الكرخى مع من قال: رحم الله من دنا وشرب منى فتقدم وشرب منه مع أنه صائم رجاء إجابة دعوته وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا ننسى إخواننا فى الدعاء لهم بظهر الغيب كلما وجدنا فى قلوبنا حلاوة للإجابة وفاء بحقوقهم ، وليكن الدعاء لهم من غير تحجير على الحق تعالى فى حصول شىء معين لهم إلا إذا طلبوه، وذلك لأن الله تعالى أعلم بمصالحهم وبما يستحقونه فى هذه الدار من المراتب وغيرها منا ومنهم ، وكان سيدى على الخواص يقول : أكثروا الدعاء لإخوانكم فى هذا الزمان واسألوا لهم باسم الله اللطيف وأخواته كالمغيث والرحيم والغفار والحنان ، وأن أهل حضرات الأسماء قد استدارت إلى الغروب والله سميع عليم اه .وأخبرنى من أثق به أنه قال: ماخطر ببالى أحد من الإخوان إلا ودعوت له بخير الدنيا والآخرة وأحببت له ما أحب لنفسى، إلهاما

من الله تعالى فله المنة وله الحمد فى الأولى والآخرة . وفى [عف] ومن المستحب أن يودع إخوانه إذا أراد السفر ويدعوهم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال بعضهم : صحبت عبد الله بن عمر من مكة إلى المدينة ، فلما أردت مفارقته شيعنى وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لقمان لابنه يابنى إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه وإنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له فى دعائهم البركة » وروى عنه عليه الصلاة والسلام أيضا « أنه كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت » وينبغى أن يعتقد إخوانه إذا دعى لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه ، فقد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم إذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك ، فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين إنى أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به ، فقالت تخرج وتدعنى على هذه الحالة ، فقلت أستودع الله ما فى بطنك ، فخرجت ثم قدمت فإذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها ، فقلت للقوم ما هذه النار ؟ فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة ، فقلت والله إنها كانت صوامة قوامة ، فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا وإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب ، فقيل إن هذا وديعتك ولو كنت استودعتنا أمه لوجدتها ، فقال عمر : لهو أشبه بك من الغراب بالغراب ، انظره . قال رحمه الله :

(ومنها التَّعَاضُدُ التعاوُنُ فى التُّقَى   وَمِنها انفِتاحُ أعْيُنٍ للبَصيرَةِ)

(ومنها) أى ومن فوائد الصحبة والأخوة فى الله (التعاضد) من تعاضد القوم تعاونوا (التعاون) تأكيد لما قبله وتفسير له (فى التقى) قال الله تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان - وفى [عف] ويقع بطريق الصحبة والأخوة التعاضد والتعاون ، وتتقوى جنود القلب وتستروح الأرواح بالتشام وتتفق فى التوجه إلى الرفيق الأعلى ، ويصير مثالها فى الشاهد كالأصوات إذا اجتمعت خرقت الأجرام وإذا تفردت قصرت عن بلوغ المرام . وروى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن كثير بأخيه » وقال الله تعالى مخبرا عمن لاصديق له - فما لنا من شافعين ولا صديق حميم - ثم قال : وقال عمر : إذا رأى أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك . وقد قال القائل :

وإذا صفى لك من زمانك واحد   فهو المراد وأين ذاك الواحد   انظره

وفيه : وهكذا كان أهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويجتمعون على المصالح الدينية ومواساة الإخوان بالمال والبدن اه ، وفيه : وأما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتدئا ولم يذق طعم المعاملة ولم يتنبه لنفائس الأحوال أن يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمته ، ويجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله إليه فتشمله بركة ذلك ، ويعين الإخوان المشتغلين بالعبادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمنون إخوة يطلب بعضهم إلى بعض الحوائج يقضى الله لهم حاجاتهم يوم القيامة » فيحتفظ بالخدمة عن البطالة التى تميت القلب ، والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح وهى طريق من طرق المواجد تكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ، ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاهتداء بهديهم ، ثم قال : فالقوم يكرهون خدمة الأغيار ويأبون مخالطتهم أيضا فإن من لايحب

طريقهم ربما استضر بالنظر إليهم أكثر مما ينتفع فإنهم بشر ، وتبدو منهم أمور بمقتضى طبع البشر ويشكرها الغير لقلة علمه بمقاصدهم ، فيكون إباؤهم أوضع الشفقة على الخلق لا من طريق التعزز والترفع على أحد من المسلمين ، والشاب الطالب إذا خدم أهل الله المشغولين بطاعته يشاركهم فى الثواب وحيث لم يؤهل لأحوالهم السنية يخدم من أهل لها فخدمته لأهل القرب علامة حب الله تعالى انظره .

وفى [جص] « المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه » اه .

ومما ينبغى للإنسان أن يعتنى بقضاء حاجات إخوانه وتفقد أحوالهم : لكن مع بشاشة واستبشار وإظهار فرح وسرور بلا منّ ولا أذى ، ورحم الله من قال :

تفقد الخلان (١) مستحسن فمن بداه فنعما بدا
سنّ سليمان لنا سنة فكان فيما سنه المقتدا
تفقد الطير على رأسه فقال مالى لا أرى الهدهدا

وفى [عف] عن رؤيم : لايزال الصوفية بخير ماتنافروا ، فإذا اصطلحوا هلكوا . وهذه إشارة من رؤيم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض إشفاقا من ظهور النفوس يقول : إذا اصطلحوا أو رفعوا المناظرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن المساهلة والمراآة ، ومسامحة البعض البعض فى إهمال دقيق آدابهم ، وبذلك تظهر النفوس وتستولى . وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى ، انظره . وفى [حى] قال بعضهم : إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسى ، فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية - والموتى يبعثهم الله - ثم قال : وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله ، فكانوا لايفقدون من أبيهم إلا عينه ، بل كانوا يرون منه مالم يروا من أبيهم فى حياته ، وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت ؟ هل لكم ملح ؟ هل لكم حاجة ؟ وكان يقوم بها من حيث لايعرفه أخوه ، وبهذا تظهر الشفقة والأخوة ، فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها . قال ميمون بن مهران : من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا وإن لله أوانى فى أرضه وهى القلوب فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها وأرقها » أصفاها من الذنوب ، وأصلبها فى الدين ، وأرقها على الإخوان ، ثم قال : ولا ينبغى أن تقتصر على قضاء الحاجة ، بل تجتهد فى البداية بالإكرام فى الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد ، كان الحسن يقول : إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا ، لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة ، ثم قال : ومن تمام الشفقة أن لاينفرد بطعام لذيذ أو بحضور فى مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه ، وفى قوله تعالى - رحماء بينهم - إشارة إلى الشفقة والرأفة ، انظره .

(ومنها) أى ومن فوائد الصحبة والأخوة فى الله (انفتاح) ضد الانغلاق (أعين) جمع عين (للبصيرة) عقيدة القلب والفطنة . وفى [عف] وفائدة الصحبة أنها تفتح مسام الباطن ويكتسب الإنسان بها علم الحوادث والعوارض . قيل : أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفات ويتصلب الباطن برزين العلم

(١) قوله تفقد من السريم مطوى مكسوف .

ويتمكن الصدق بطروق وهبوب الآفات ، ثم التخلص منها بالإيمان ، انظره . وفى [ع] بعد هذا النقل قلت ، ويريد بهذا والله أعلم أنه يتقوى نور الفراسة الإيمانية باستعداد البعض من البعض وسريان سر البعض إلى البعض إذ من فوائدها مايسرى من الفاضل إلى المفضول من السر الباهر الذى هو منتهى القصد من الصحبة وغاية السؤل . وقد قيل من تحقق بحاله لم يخل حاضروه منها ، وأحط الناس مرتبة فى مقام الصحبة للأخيار المحب لهم فقط ، وكفاه إن لم يكن منهم أنه معهم لحديث والمرء مع من أحب » اه. ولذا قال رحمه الله :

(كَذَا سَرَيَانُ النور عندَ اجتماعِهِمْ عَلَى الذِّكرِ وَهوَ من نتائج صُحبَةِ)

(كذا) أى من فوائد الصحبة والأخوة فى الله (سريان) يقال سرى عرق للشجر دب تحت الأرض (النور) من بعضهم لبعض (عند اجتماعهم) أى الإخوان الصادقين كأنهم على قلب رجل واحد إذهم القوم لايشقى جليسهم (على الذكر) بأى نوع كان أو المذاكرة فى العلم النافع (وهو) بسكون الهاء لغة: أى سريان النور من بعضهم لبعض (من نتائج) جمع نتيجة وهى ثمرة الشىء وفائدته (صحبة) وأخوة فى الله. وذكر فى [عف] أن المريد الصادق يبذر فى أراضى القلوب بذر الفلاح ويكثر ببركة نفسه وصحبته أهل الصلاح وهذا مثل هذه الأمة الهادية فى الإنجيل - كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه - تعود بركة البعض على البعض وتسرى الأحوال إلى البعض ، ويكون طريق الوراثة معمورا وعلم الإفادة منشورا وعن سيدى على الخواص رحمه الله ، وينبغى للمريد أن يذكر مع جماعة فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيرا فى رفع الحجب لكون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة ، ومعلوم أن الحجر لاينكسر إلا بقوة جماعة فكذلك قسوة القلب لا تزول إلا بذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد لأن قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد، وأما من حيث الثواب فلكل ثواب نفسه وثواب سماع رفقته اه . قال رحمه الله :

(ومنها تحمُّلُ الأذى وَالمَصائِبِ وَمِنها شفَاعة بِغُفرَانِ زَلةِ)

(ومنها) أى ومن فوائد الصحبة والأخوة فى الله (تحمل) أى تكلف حمل واحتمال (الأذى) بفتحتين وبمعجمة المكروه متى صدر من الإخوان . وفى [عف] ومن آداب الصوفية . القيام بخدمة الإخوان واحتمال الأذى منهم فبذلك يظهر جوهر الفقير . روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أمر بقطع ميزاب كان فى دار العباس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفا والمروة ، فقال له العباس قلعت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بيده ؟ فقال إذاً لا يرده إلى مكانه غير يدك ، ولا يكون لك سلم غير عاتق عمر ، فأقامه على عاتقه ورده إلى موضعه . انتهى . وفيه : وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس . وقد قيل : لكل شىء جوهر وجوهر الإنسان العقل ، وجوهر العقل الصبر . ثم قال عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم « المؤمن الذى يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لايخالطهم ولا يصبر على أذاهم » وفى الخبر «أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم؟ قيل ماذا كان يصنع أبو ضمضم ؟ قال كان إذا أصبح قال: اللهم إنى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى ، فمن ضربنى لاأضربه ومن شتمنى لاأشتمه ومن ظلمنى لاأظلمه» انظره. وفى [حى] قال أبوسليمان الدارانى لأحمد بن أبى الحوارى : إذا واخيت أحدا فى هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فإنك لاتأمن من أن

ترى فى جوابك ماهو شر من الأول. قال فجربته فوجدته كذلك. وقال بعضهم الصبر على مضض[1] الأخ خير من معاتبته ، والمعاتبة خير من القطيعة ، والقطيعة خير من الوقيعة. وينبغى أن لايبالغ فى البغضة عند الوقيعة. قال تعالى - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة - وقال عليه الصلاة والسلام « أحبب حبيبك هونا ماعسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما » انظره. ونقل أن سيدنا عليا رضى الله عنه وعنا به آمين كان كثيرا مايذكر أصحابه وجلاسه فى استعمال حسن الأدب بقوله :

وكن معدنا للخير واصفح عن الأذى ... فإنك راء ما علمت وسامع
واحبب إذا أحببت حبا مقاربا ... فإنك لاتدرى متى أنت نازع
وابغض إذا أبغضت بغضا مقاربا ... فإنك لاتدرى متى الحب راجع

ورحم الله من قال :

إذا كنت لم تصبر على الذم من أخ ... بقيت فريدا لم تجد من تقاربه
وإن أنت لم تشرب مرارا[2] على القذى ... ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

ومن قال : لاتظهرن لذى جهل معاتبة ... فربما هيجت بالشىء أشياء
بالماء يخمد حر النار يطفئها ... وليس للجهل غير الحلم إطفاء
ترى السفيه له عن كل محملة ... زيغ وفيه إلى التسفيه إصغاء

ومن قال : ماكنت مذ كنت إلا طوع إخوانى ... ليست مؤاخذة الإخوان من شانى
يجنى الصديق فأستحلى جنايته ... حتى أدل على عفوى وإحسانى
ويتبع الذنب ذنبا حين يعرفنى ... عمدا فأتبع غفرانا بغفران
يجنى على فأعفو صافحا أبدا ... لاشىء أحسن من جان على جان

(و) تحمل (المصائب) والبلايا. وفى [غ] ومن فوائد الصحبة أيضا تحمل البعض من المتصاحبين عن البعض فى دار الدنيا ماينزل بهم من المصائب والأحزان ، وتلقيهم للوارد عليهم منهم فى البرزخ بحسن البشر ومزيد الكرامة والبرور والإحسان اه . وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن الفقراء الذين لا يتحملون شيئا من بلايا الخلق ويزعمون أنهم مسلمون لله ، هل هم أكمل أو الذين يتحملون البلايا عن الناس ؟ فقال رضى الله عنه : الذين يتحملون أكمل لزيادتهم بنفعهم للناس مع أن التحمل لاينافى التسليم ، فقلت : له فهل يحل للمتحملين للبلايا أن يأكلوا من مال من تحملوا عنه البلايا؟ فقال نعم، لأنه كالجعالة على عمل معلوم من قضاء الحوائج ، بل هو من أجل المكاسب ، لأن صاحبه قد خاطر بالروح فى دفع ذلك البلاء ؛ والله تعالى أعلم اه .

(ومنها) أى ومن فوائد الصحبة والأخوة فى الله (شفاعة بغفران زلة) أى شفاعة بعضهم لبعض فى مغفرة الذنوب ورفع الدرجات فى الجنة عند المولى الكريم قال تعالى - يومئذ لاتنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا - وقال - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - وقال فى حق أقوام - فما

---

(١) قوله مضض بفتحتين : كسبب الابن الحامض ووجع المصيبة .   (٢) بكسر ميم جمع مرة اه.

لنا من شافعين ولا صديق حميم - وفى [حى] ومنها أى ومن فوائد الصحبة انتظار الشفاعة فى الآخرة ، فقد قال بعض السلف : استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك : وروى فى غريب التفسير فى قوله تعالى - ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - قال : يشفعهم فى إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ، ويقال « إذا غفر الله للعبد شفع فى إخوانه » ، ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد اه . وورد أن الله تعالى بوقف هذه الطائفة بين يديه ويقول عز وجل : أوليائى لم أزو عنكم الدنيا لهوانكم على ، ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم نصيبكم عندى : اذهبوا فاخترقوا الصفوف ، فمن سلم عليكم من أجلى أوزاركم من أجلى ، أو أطعمكم لقمة من أجلى فخذوا بيده وأدخلوه الجنة ، فيأتون المحشروهم يجرون أذيال الفخر ، فيقول أهل المحشر ياربنا مابال هؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أنتم متم فى الدنيا مرة واحدة ، وهؤلاء كان الواحد منهم يموت فى اليوم سبعين مرة ، أنظر [خل] وقد مر أن أحد الأخوين فى الله إذا قيل له ادخل الجنة يسأل عن منزل أخيه فإن كان دونه لم يدخل حتى يعطى أخوه مثل منزله راجعه - لمثل هذا فليعمل العاملون - وفى ذلك فليتنافس المتنافسون - وفى [جص] « المرء مع من أحب وله ما اكتسب » قال الحفنى : أى وله جميع ما اكتسبه المحبوب : أى مثل ما اكتسبه من الخير فمن أحب إنسانا كان له مثل عمله الصالح لأنه معه فى درجته اه قال رحمه الله :

(ومنها تَوَدُّدٌ وإيثَارُ إخوة بدينٍ ومُهجةٍ وَدُنيا دَنيةٍ)

(ومنها) أى ومن فوائد الصحبة والأخوة فى الله (تودد) وتحبب فى الله وفى [جص] « أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى التودد إلى الناس » . قال العزيزى : أى التحبب إليهم بنحو زيارة والمراد بالناس الصالحون اه . وفيه « رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس وأهل التودد فى الدنيا لهم درجة فى الجنة ومن كان له درجة فى الجنة فهو فى الجنة ونصف العلم حسن المسألة والاقتصاد فى المعيشة نصف العيش يبقى نصف النفقة ، وركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط ، وماتم دين إنسان قط حتى يتم عقله ، والدعاء يرد الأمر ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصدقة العلانية تقى ميتة السوء ، وصنائع المعروف إلى الناس تقى مصارع السوء والآفات والهلكات ، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة والمعروف ينقطع فيما بين الناس ولا ينقطع فيما بين الله وبين من افتعله » وفيه « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » اه . فالمؤمن الكامل ينبغى له أن يتألم لمصيبة تنزل بالمؤمنين كما يتألم الجسد لتألم بعض أعضائه . وفى [حى] قال خالد بن معدان : يقول الله عز وجل « أن أحب عبادى إلى المتحابون بحبى ، والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم » انظره : وفيه ، وقيل لابن السماك : أى الإخوان أخلق ببقاء المودة ؟ قال الوافر دينه الوافى عقله الذى لايملك عن القرب ولا ينساك على البعد إن دنوت منه دهاك وإن بعدت عنه راعاك ، لايقبضه عنك يسره وإن قطعه عنك عسره إن استغثته عضدك وإن احتجت إليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر قليل المودة من صديقه اه

(و) منها (إيثار) مصدر آثره أكرمه وقدمه على نفسه ، قال تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو

كان بهم خصاصة — وعنه صلى الله عليه وسلم « أيما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له » اه (أخوة) قال تعالى — إنما المؤمنون إخوة — وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا بالإكثار من إيثار إخوانهم وغيرهم على أنفسهم فى المأكل والملبس وغير ذلك ليتمرنوا على تحمل الشدائد ، وهذا مطلوب منهم ماداموا تحت حكم الطبع فإذا بلغوا مبلغ الرجال قدموا نفوسهم على إخوانهم عملا بالعدل فى تقديم الأقرب فالأقرب أو لا أقرب إليك من نفسك وعلى ذلك يحمل قوله صلى الله عليه وسلم « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » فالأمر درجات ، وإنما مدح الله المؤثرين على أنفسهم تشجيعا لهم ليخرجوا من حكم الطبع لأن ذلك أعلى ممن يبدأ بنفسه فليتأمل. ومن كلام سيدى أحمد بن الرفاعى رحمه الله تعالى : لا تصحب من يؤثرك على نفسه فإنه لايدوم فاعلم ذلك فإنه نفيس اه (بدين) أى بمراتب الدين وبدرجة الآخرة وفى [عف] قال بعضهم : حقيقة الإيثار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك فإن الدنيا أقل خطرا من أن يكون لأيثارها محل أو ذكر ، ومن هذا المعنى مانقل أن بعضهم رأى أخاله فلم يظهر البشر الكثير فى وجهه ، فأنكر أخوه ذلك منه فقال : يا أخى سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهما بشرا » فأردت أن أكون أقل بشر امنك ليكون لك الأكثر ، انظره وفى [خل] ان الفقيه المعروف بابن الحميزى جاء زيارة الفقيه إلى المعروف بالظهير الترمنتى وكان إذ ذاك منبسطا مع من حضره فلما أخبر بمجىء الفقيه ابن الحميزى لزيارته انقبض عن ذلك وزال بسطه فدخل عليه وهو منقبض ، فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يزد عليه شيئا ولم يكن كلامه له إلا جوابا ، فلما أن خرج رجع إلى ماكان عليه من البسط مع من حضره فسئل عن موجب ذلك فقال استصغرت نفسى أن يكون مثل هذا السيد يزور مثلى فأردت أن أكافئه ببعض مايستحقه فوجدت نفسى عاجزة عن مكافأته فآثرته بالأجر كله حتى يكون فى صحيفته دونى لما ورد « إذا التقى المسلمان فأكثرهما ثوابا أبشهما لصاحبه » فآثرته بذلك وهذا له أصل فى الاتباع لسنة المطهرة وهو ماروى « أن أبا بكر رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كنت إذا لقيت عليا ابتدأنى بالسلام فلقيته اليوم فلم يسلم على حتى ابتدأته بالسلام ؟ فقال له اجلس فجلس وإذا بعلى رضى الله عنه قد جاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم لم تبتدىء أبا بكر اليوم بالسلام ؟ فقال يارسول الله رأيت فيما يرى النائم قصرا فى الجنة لم أر مثله فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقيل لمن يبتدىء أخاه بالسلام ، فأردت أن أوثر اليوم أبا بكر على نفسى » أو كما قال ، وهذا أعظم فى الإكرام وأبر فى الاحترام ، انظره (ومهجة) بضم الميم الدم أو دم القلب والروح كما فى [س] وفى [عف] قال سهل بن عبد الله الصوفى : من يرى دمه هدرا وماله مباحا. وقال رؤيم : التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر ، والافتقار والتحقق بالبذل والإيثار ، وترك التعرض والاختيار. قيل لما سعى بالصوفية وتميزا لجنيد بالفقه وقبض على الشحام والرقام والنورى وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم النورى فقيل له إلى ماذا تبادر ؟ فقال أوثر إخوانى بفضل حياة ساعة ، انظره. ورحم الله من قال :

الجود بالمال جود فيه مكرمة　　　والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وروى « أن سيدنا عليا رضى الله عنه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام إنى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما

يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله سبحانه إليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين نبيى محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب وربك يباهى بك الملائكة » اه (ودنيا دنية) خسيسة المقدار عند الملك الغفار لحديث ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها جرعة ماء » وفى [عف] ومن شرط الحب فى الله إيثار الأخ بكل مايقدر عليه من أمر الدين والدنيا . قال الله تعالى - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - فقوله تعالى « لا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » أى لايحسدون إخوانهم على مالهم ، وهذان الوصفان بهما يكمل صفو المحبة : أحدهما انتزاع الحسد على شىء من أمر الدين والدنيا ، والثانى الإيثار بالمقدور . وفى الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام « المرء على دين خليله ولا خير لك فى صحبة من لا يرى لك مثل مايرى لنفسه » انظره . وفيه : ومن أخلاق الصوفية الإيثار والمواساة ، ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود . قال أبو يزيد البسطامى [1] : ما غلبنى أحد ماغلبنى شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجا فقال يا أبا يزيد ماحد الزهد ؟ قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا ، فقال هكذا عندنا كلاب بلخ ، فقلت له وماحد الزهد عندكم ؟ قال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا . وقال ذو النون : من علامة الزاهد المشروح صدره ثلاث : تفريق المجموع ، وترك المفقود ، والإيثار بالقوت . وروى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم النضير للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة ، فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ، فأنزل الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - » انظره . ثم قال : قال أبو حفص : الإيثار أن يقدم حظوط الإخوان على حظوظه فى أمر الدنيا والآخرة . وقال بعضهم : الإيثار لايكون عن اختيار إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ولا تميز فى ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة . وقال يوسف بن الحسين : من رأى لنفسه ملكا لايصح منه الإيثار ، لأنه يرى نفسه أحق بالشىء برؤية ملكه إنما الإيثار ممن يرى الأشياء كلها للحق ، فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شىء من ذلك إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إليه ، انظره . وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لا نرى نفوسنا أحق بما عندنا من المال والثياب والطعام وسائر مانحتاج إليه من أمتعة الدنيا من إخواننا المسلمين ، بل نرى الحق مشتركا بيننا وبين جميع إخواننا ، ولكن كل من اشتدت حاجته منا أو من إخواننا كان أحق من الآخر ، كل ذلك عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم مايحب لنفسه ثم إنه لا يستطيع العمل بهذا العهد إلا من حفه التوفيق ، وخرج عن الطبع والله غفور رحيم اه . وفى [غ] وانظر ماذكروه من أن المريد لاينبغى له أن يؤثر بفضله الشيخ ونحوها مما يخصه به كما قال الشيخ زروق رضى الله عنه : ومتى أعطاكم مأكولا أو غيره فلا تؤثروا به الغير ولا تشاركوا قريبا ولا بعيدا فيه ، فقد يكون جمع لكم فيه سرا فيفوت من المدد بحسب الشركة فيه اه : هل هو مستثنى مما تقدم أولا ؟ والظاهر والله تعالى

(١) بكسر موحدة .

أعلم أن المريدين المتواخين فى الله تعالى الصادقين فى طريق الإرادة موكولون فى ذلك إلى ما تنتجه لهم أحوال محبتهم وصدقهم ، فلا يعترض على من امتنع منهم من الإيثار كما لايعترض على من جنح إليه فكل منهما على صواب بحكم ما أنتجه له حال صدقه ومحبته فافهم اه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

إياك والإيثار يامريد بفضلة الشيخ بها مزيد
لما بها لك من الأسرار يسرى إليك النقص بالإيثار
وقيل إن ذاك موكول إلى ماأنتج الصدق بذا قد أعملا

قال رحمه الله :

(وَتَرْكُ المِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَخُلْفِهِمْ وَتَرْكُ زِحَامٍ فِى حُظُوظٍ رَدِيئَةِ)

(و) من فوائد الصحبة والأخوة فى الله (ترك المراء) بكسر الميم مصدر ماراه جادله (والجدال) عطف تفسير . وفى [عف] قال بعضهم : المجادل المماري يضع فى نفسه عند الخوض فى الجدال أن لا يقنع بشيء ومن لا يقنع إلا أن لا يقنع فما إلى قناعته سبيل ، فنفس الصوفى تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدلت باللين والرفق والسهولة والطمأنينة ، انظره . وفى [جص] « إذا آخيت رجلا فلا تماره ولا تشاره (١) ولا تسأل عنه أحدا فعسى أن توافى له عدوا فيخبرك بما ليس فيه فيفرق مابينك وبينه » وفيه « لاتمار أخاك ولاتمازحه ولاتعده موعدا فتخلفه » اه . وقال ميمون ابن مهران : لاتمار من هو أعلم منك فإنه يخزن عنك علمه ولم تضره شيئا وقال لقمان لابنه : من لا يملك لسانه يندم ، ومن يكثر المراء يشتم ، ومن يدخل مداخل السوء يتهم . يابنى لا تمار العلماء فيمقتوك : وقال مالك بن أنس رضى الله عنه : المراء يقسى القلب ويورث الضغائن ، وقال بلال بن مسعدة : إذا رأيت رجلا لجوجا مماريا معجبا بنفسه فقد تمت خسارته ، ولمسعر بن كدام يخاطب ابنه كدام :

إنى منحتك ياكدام نصيحتى فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما خلقان لا أرضاهما لصديق
إنى بلوتهما فلم أحمدهما لمجاور جارا ولا لرفيق

وفى [حى] ومن ذلك : أى ومن حقوق الأخوة السكوت عن المماراة والمدافعة فى كل ما يتكلم به أخوك . قال ابن عباس : لا تمار سفيها فيؤذيك ولاحليما فيقليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض (٢) الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة » هذا مع أن تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم ، لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل ، وإنما الأجر على قدر النصب ، وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمنافسة فإنها عن التدابر والتقاطع ، فإن التقاطع ، يقع أولا بالآراء ، ثم بالأقوال ثم بالأبدان . وقال عليه الصلاة والسلام « لا تدابروا ولاتباغضوا ولاتحاسدوا ولاتقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لايظلمه ، بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » وأشد الاحتقار المماراة فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبه إلى الجهل والحمق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ماهو

---

(١) قوله تشاره : بتشديد الراء : لاتخاصمه اه . (٢) ربض بفتحتين كسبب .

عليه ، وكل ذلك استحقار وإيغار للصدور وإيحاش . وفى حديث أبى أمامة الباهلى قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال « ذروا المراء لقلة خيره وذروا المراء فإن نفعه قليل وإنه يهيج العداوة بين الإخوان » وقال بعض السلف : من لاحى الإخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته . وقال عبد الله بن الحسن : إياك ومماراة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم . وقال بعض السلف : أعجز الناس من قصر فى طلب الإخوان وأعجز منه من ظفر بواحد منهم فتركه ، وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة . وقد قال الحسن : لاتشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل ، انظره .

(و) منها ترك (خلفهم) بالضم أى خلافهم إذ الخير كله فى الائتلاف والشر كله فى الاختلاف ، فالتألف من ائتلاف الأخلاق والأرواح لحديث « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها فى الله ائتلف وما تناكر فى الله اختلف » ورحم الله من قال :

إن القلوب لأجناد مجندة ... قول الرسول فمن ذا فيه يختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف ... وما تناكر منها فهو مختلف

ومن قال :

لعمرك ما الإخوان إخوان نطفة ... تصوّر فى الأرحام فى عالم الجسد
ولكنما الإخوان من كان وصفهم ... يطابق وصف الروح فى عالم المدد

وفى [عف] ومن أخلاق الصوفية التودد والتآلف والمرافقة مع الإخوان وترك المخالفة : قال الله تعالى فى وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتودد والتآلف من ائتلاف الأرواح على ماورد فى الخبر الذى أوردناه فما تعارف منها ائتلف قال الله تعالى - فأصبحتم بنعمته إخوانا - وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه الصلاة والسلام « المؤمن آلف مألوف لاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى ، وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا » انظره . وفيه قال الجنيد رحمه الله : ماتواخى اثنان فى الله واستوحش أحدهما من صاحبه إلا لعلة فى أحدهما ، فالمواخاة فى الله أصفى من الماء الزلال ، وما كان لله فالله مطالب بالصفاء فيه ، وكل ماصفا دام ، والأصل فى دوام صفائه عدم المخالفة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه » قال أبو سعيد الخراز : صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بينى وبينهم خلاف ، فقيل له وكيف ذلك ؟ قال لأنى كنت معهم على نفسى ، انظره وفى [عم] واعلم أن من أقبح الصفات فى الفقراء خصامهم بين الناس وتمزيقهم أعراض بعضهم بعضا ، وإن ادعوا أنهم تحت تربية شيخ كذبوا وشيخهم برىء منهم إلا أن يتوبوا ، وكذلك من أقبح كل قبيح خصام الظالم والمظلوم لشيخه إذا لم يطاوعه على غرضه الفاسد ، ومن فعل ذلك مع شيخه مقته الله وطرده عن حضرات الصالحين وربما عوقب بتركه التوبة حتى يموت على أسوأ حال ، وهذا المقت قد عم غالب الفقراء فى هذا الزمان فمقتوا وصاروا أبدانا بلا أرواح ، فالله يلهمهم التوبة من ذلك بفضله وكرمه إن شاء الله تعالى ، ويصبر شيخهم عليهم وعلى سوء أدبهم آمين آمين انتهى .

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وأقبح الصفات فى الإخوان تخاصم على الدنى والفنا
وأفظع الخلل بين الفقرا تساب والشتم من بين الورى
وإن يكن من بينهم تداع ليبث وال قل بالاسترجاع
لأن ذا من أعظم المصائب فى الفقراء إذ هم كالأقارب
ثم الدنى أهون عند الفقرا من الوقوف عند باب الأمرا
والصلح فى حقهم من القرب فاسع للإصلاح تنل خير الرب
وإن يكن خصامهم لشيخهم فهو أعظم الردى فى حقهم
وذاك من علامة الحرمان والطرد والإبعاد والخذلان
وشيخهم منهم برىء أبدا إلا إذا تابوا وكل جددا
يارب وفق سائر الإخوان إلى المسامحة والغفران
والحلم والإغضاء والإيثار والعفو والصفح عن الأوزار
بجاه سيد الورى محمد صلى عليه الله دون عدد
وبأبى الفيض التجانى أحمدا عليه وابل الرضى مجددا اه

(و) منها (ترك زحام) بكسر الزاى مصدر زاحمه ضايقه (فى حظوظ ردية) والردى الضعيف من كل شىء . وفى [مح] وفى تحفة الإخوان والخلان فى آداب أهل العرفان : وأما الآداب التى عليه أى على الأخ فى الطريقة فى حق إخوانه : أن يكون محبالهم كبيرهم وصغيرهم ، وأن لا يخصص نفسه بشىء دونهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، وأن يعودهم إذا مرضوا ، وأن يسأل عنهم إذا غابوا ، ويبدأهم بالسلام وطلاقة الوجه وأن يراهم خيرا منه وأن يطلب منهم الرضا وأن لا يزاحمهم على أمر دنيوى ، بل يبذل لهم مافتح عليه به ، يوقر الكبير ويرحم الصغير ويعضدهم على ذكر الله تعالى ويعاون معهم على حب الله تعالى ، ويرغبهم فيما يرضى الله تعالى كافا عن عيوبهم مسامحا لهم فيما وقع منهم ، وليجعل رأس ماله مسامحة إخوانه ظاهرا وباطنا ، لايعاتبهم على شىء صدر منهم ، يعادى من يعاديهم ويحب من يحبهم ، يرشدهم إلى الصواب إن كان كبيرا ، ويتعلم منهم إن كان صغيرا ، لايوسع على نفسه وهم فى ضيق يخدمهم ولو بتقديم النعال لهم وأن يكون بشوشا لهم فى مخاطبته ومجاورته اه . وفى [أنيق] أخذ علينا العهود أن لا نزاحم على شىء من الدنيا لما فى المزاحمة عليها من توغير القلوب وتكدير النفوس لاسيما مافيه رياسة كتدريس العلم وأخذ العهد على القرين . واعلم أن كل ماحصل لك بواسطة نزاع من الناس فهو دنيا فتأمل فإنها ميزان تطيش على الذر ، فإن أعمال الآخرة الصرف التى لايخالطها دنيوى كصيام النهار وقيام الليل ووزن المال عن المديونين لانزاع فيه ولامزاحمة ، ومارأينا أحدا قط فعل ذلك فاشتكاه أحد أوحط فيه عند حاكم أو غيره أبدا ولولا محبة العبد المشر صيته وحده فى بلده ماتشوش ممن أقبل عليه الناس وعظموه فيها أبدا . ولو أنه كان زاهدا فى الدنيا لفرح بكل من ظهر فى بلده واستتر هو . وقد قال الأشياخ : آخر مايخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة : أى لأن تمام انقياد الخلق للفقير لايكون إلا بعد تمام مجاهدته فهناك تحصل له الرياسة ، فيجب عليه أن يخرج عن حبها من حيث طبعه فافهم ومن كلام الشيخ أبى العباس الغمرى رحمه الله حب الرياسة يقطع الظهور ، فاعلم

ذلك والله غفور رحيم اه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

حب الظهور يقطع الظهورا ويجلب الآثام والثبورا

آخر ما يخرج من صديق حب الرياسة على التحقيق

وفى [خل] وعلامة المريد النظر إلى من هو دونه فى الرزق وإلى من هو فوقه فى عمل الآخرة ويتواضع ولاينافس أهل الكبر والفخر والرياء والتكاثر ، ولايأخذ ما أخذلنفسه إلا بنية التقوى على دينه وإقامة فرائضه والاستغناء عن غيره ، ويدع جميع ماكان للناس من ذلك اه . قال رحمه الله :

(وَلَابُدَّ مِنْ حُسْنِ ابْتِدَاءٍ وَمُنْتَهَى لِنَيْلِ جَمِيعِ مَا أَتَى فِي الأُخُوَّةِ)

(ولابد) أى لامحالة ولا مندوحة (من) شرط (حسن ابتداء) الأخوة والصحبة فى الله (و) شرط حسن (منتهى) أى انتهائها (لنيل) أى لإصابة وإدراك (جميع ما أتى) وورد من الفضائل والمزايا (فى الأخوة) والصحبة فى الله . وفى [عف] ثم إن اختيار الصحبة والأخوة عمل وكل عمل يحتاج إلى النية وإلى حسن الخاتمة . وقد قال عليه الصلاة والسلام فى الخبر الطويل « سبعة يظلهم الله تعالى » فيهم اثنان تحابا فى الله فعاشا على ذلك وماتا عليه » إشارة إلى أن الأخوة والصحبة من شرطهما حسن الخاتمة حتى يكتب لها ثواب المؤاخاة. ومتى أفسدا المؤاخاة بتضييع الحقوق فيهما فسد العمل من الأول قيل ماحسد الشيطان متعاونين على بر حسده متآخيين فى الله تعالى متحابين فيه فإنه يجهد نفسه ويحث قبيله على إفساد مابينهما. وكان الفضيل يقول : إذا وقعت الغيبة ارتفعت الأخوة انظره . وفى [حى] من حقوق الأخوة الوفاء والإخلاص ، ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فإن الحب إنما يراد للآخرة فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله « ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه » وقال بعضهم : قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره فى حال الحياة ، ولذلك روى ، أنه صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزا دخلت عليه ، فقيل له فى ذلك ، فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين » فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ، ومراعاتهم أوقع فى قلب الصديق من مراعاة الأخ فى نفسه فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر ، حتى الكلب الذى على باب داره ينبغى أن يميز فى القلب على سائر الكلاب ، ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فإنه لايحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين فى الله ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد مابينهما قال الله تعالى - وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم - وقال مخبرا عن يوسف عليه السلام - بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى - ويقال ماتواخى اثنان فى الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما ، وكان بشر يقول إذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله من يؤنسه ، وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ، ولذلك قال ابن المبارك : ألذ الأشياء مجالسة الإخوان ، والانقلاب إلى كفاية المودة الدائمة هى التى تكون فى الله ، وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ، انظره . قال رحمه الله :

(وَوَاسِ ذَوِى فَقْرٍ بِلَا مَنٍّ أَوْ أَذَى وَذَا الْوَصْفُ خَاصٌ بِالنُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ)

(وواس) من واساه : أناله من ماله وجعل فيه أسوة ، ولايكون ذلك إلا من كفاف فإن كان من فضلة

فليس بمواساة ولا سماحة ، ولله در القائل :

ليس العطاء من الفضول سماحة   حتى تجود وما لديك قليل

وفى [حى] اعلم أن الناس ثلاثة : رجل تنتفع بصحبته ، ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ، ورجل لا تقدر أيضا أن تنفعه ، وتتضرر به ، وهو الأحمق أو السيء الخلق ، فهذا الثالث ينبغى أن تجتنبه . وأما الثانى فلا تجتنبه لأنك تنتفع فى الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به ، وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، إن أطعتنى فما أكثر إخوانك إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم ، انظره . وفى [جص] ، أشد الأعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ، والإنصاف من نفسك ومواساة الأخ فى المال ، قال الحفنى : والسنة تقديم الأقارب ، ثم الأصدقاء ، ثم الجيران ثم الفقراء ، وينبغى تقديم الأحوج من كل نوع من هؤلاء اه (ذوى) أى أصحاب (فقر) بفتح الفاء وبضم ضد الغنى . وفى [جص] الفقر أزين على المؤمن من العذار [1] الحسن على خد الفرس . وفيه : الفقر أمانة فمن كتمه كان عبادة ومن باح به فقد قلد إخوانه المسلمين : وفيه : الفقر شين عند الناس زين عند الله يوم القيامة . وفيه ، الغنى : الإياس مما فى أيدى الناس ، وإياك والطمع واجتنبه فإنه الفقر الحاضر . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحب الفقر وقلة ذات اليد وكذلك نحب من كان بهذه الصفة أيضا من الفقراء والمساكين والمستضعفين ونحب مجالستهم عملا بقوله تعالى ـ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ـ وذلك لأن رحمة الله لا تفارقهم ، فنحبهم ونجالسهم لمحبة الله لهم ، وكذلك نحب الفقر لما فيه من كثرة سؤالنا للحق وتوجهنا إليه لا لعلة أخرى ، وإيضاح ذلك أن حاجة العبد تذكره بالله تعالى ، وعدم حاجته تنسيه الحق ، قال تعالى ـ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ـ وقال تعالى ـ وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ـ ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » أى لا يفضل عنهم من غدائهم ولا عشائهم شيء وذلك ليصيروا متوجهين إلى الله تعالى كل حين لا ينسونه ، فانظر ما أشد شفقته صلى الله عليه وسلم على أهل بيته ، ويقاس بأهل بيته غيرهم ، فوالله لو علم الإنسان قدر الفقر لتمناه ليلا ونهارا . انظره . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم جلساء الله تعالى يوم القيامة » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام » ومن أدعيته صلى الله عليه وسلم : « اللهم أحينى مسكينا وتوفنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » قال السهروردى : لو سأل أن يحشر المساكين فى زمرته لكان لهم الفخر العميم والفضل العظيم فكيف وقد سأل أن يحشر فى زمرتهم اه (بلا من) على المنفق عليه بنحو أحسنت إليك وجبرت حالك ولولا أنا لهلكت ونحو ذلك مما عمت به البلوى فالله يرحمنا بفضله ورضاه (أو أذى) له بأن تتطاول عليه بسبب ما أعطيته أو تخبر بإحسانك إليه من لا يحب اطلاعه عليه قال تعالى ـ الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ـ الآية . وقد قيل : إذا صنعت صنيعة فانسها . وفى الخازن قال عبد الرحمن بن زيد : كان أبى يقول : إذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه ، والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على إظهارها

(١) العذار ككتاب : السير الذى على خد الدابة من اللجام اه .

والمن بها . قال قائلهم فى المدح بترك المن :

زاد معروفك عندى عظما　　أنه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته　　وهو فى العالم مشهور كبير

وقال قائلهم بذم المنان بالعطاء :

أتيت قليلا ثم أسرعت منة　　فنيلك ممنون لذاك قليل انظره

وفى مسلم عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . قال : فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فقال أبو ذر خابوا وخسروا من هم يارسول الله؟ قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» وفى رواية عنه « المنان الذى لايعطى شيئا إلا منه والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل إزاره » أى المرخى له الجار طرفه خيلاء وكبرا. وفى [مب] ومنها أى ومن أضر الأقوال الامتنان والتحدث بما يفعله من الخير مع الشخص على طريق المن دواؤه أن يعلم أنه يبطل الأجر قال تعالى- لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى- وأن لايرى أنه أوصل إليه مما كان فى يده إلا ماهو له فى علم الله وأن ذلك كان أمانة بيده ما كان له وقد أحسن الآخذ إليه بأخذ هذه الأمانة من يده وقد كان مخاطبا بأدائها بقوله تعالى- إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها- وهو لم يعرف لمن قبل أخذه لها فيشكر الله على أدائها ، ومن أعطى هذا النظر فلا يصح منه أصلا انظره (وذا الوصف) وهو مواساة الفقراء والمساكين بلا من عليهم ولا أذى (خاص بأصحاب (النفوس الزكية) أى المطهرة من الأدناس ، ورحم الله من قال :

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة　　يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وفى [عف] ومن أخلاق الصوفية الإنفاق من غير إقتار وترك الادخار ، وذلك أن الصوفى يرى خزائن فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطىء بحر والمقيم على شاطىء البحر لايدخر الماء فى قربته وراويته . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلا له ملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » وروى أنس قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخر شيئا لغد» . ثم قال : وروى أن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم كان يأكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ شيئا لغد ، فالصوفى كل خباياه فى خزائن الله لصدق توكله وثقته ، بربه فالدنيا للصوفى كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار . قال عليه الصلاة والسلام «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » انظره ، قال تعالى - ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض - . قال رحمه الله :

(وَدَارِ بِبَذْلِ الْمَالِ لَا تَكُ مُدْهِنًا　　وَلَا تُحْوِجَنْ أَخًا لِعُذْرٍ وَكُلْفَةِ)

(ودار) من المداراة وهى بذل المال لسلامة الدين (ببذل) بذال معجمة أى بإعطاء (المال) لسلامة الدين والعرض لحديث «ذبوا[1] عن أعراضكم بأموالكم» لكن عن طيب نفس لئلا يطعم إخوانه الحرام لحديث « لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفسه » وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نأخذ من أحد مالا ولا نأكل له طعاما إلا إن علمنا طيب نفسه

---

(١) (قوله ذبوا) بضم ذال معجمة فعل أمر من ذب كرد اه .

بلا علة ولا نية فاسدة تتبعه على ذلك من حب محمدة أو شهرة تكره ونحو ذلك ، ونعرف طيب نفسه وعدم طيبها بنور الكشف أو باحتفاف القرائن فإن القرائن إحدى الأدلة الشرعية فيحتاج من يريد العمل بذلك إلى سلوك على يد شيخ ناصح حتى يخرج به من أدواء الطمع وشره النفس ويصير يقدم أمر إخوته على دنياه ويؤخر رضا نفسه إذا عارضه رضا الله ، وما رأيت أحدا قام بهذا العهد مثل ماقام به سيدى على الخواص رحمه الله كانوا يأتونه بالأموال والأطعمة وفيها العلل فيردها فإذا قالوا له والله خاطرنا بها طيب يقول لهم أنا خاطرى بها ماهو طيب رضى الله عنه ، فعلم أننا نراعى حفظ أعمال إخواننا من الآفات ، كما نراعى أعمالنا ولا نساعدهم فيما ليس فيه أجر لهم فنأخذ أموالهم ونأكل طعامهم المعلول لأجل نفع نفوسنا ولا نلتفت لنقص رأس مالهم فمن فعل ذلك فقد أساء على نفسه وعلى إخوانه والله غنى حميد اه . وفى [جص] « مداراة الناس صدقة » وفيه « رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة ، وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة » ويؤخذ منه الحث على مداراة الناس بكل ما أمكن من الإحسان إليهم وتحمل أذاهم وكف الأذى عنهم وملاطفتهم . وفى [عف] ومن أخلاق الصوفية : المداراة واحتمال الأذى من الخلق ، وبلغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة من قبله ، وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به . وكان من حسن مداراته أن لايذم طعاما ولا ينهر خادما ، ثم قال : عن أنس قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشىء صنعته لم صنعته ولا لشىء تركته لم تركته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت مسكاقط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمداراة مع كل واحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق كافة من أخلاق الصوفية ، انظره ، ورحم الله من قال :

وذرهم مادمت فى دارهم ... وأرضهم مادمت فى أرضهم

ومن قال : ما دمت حيا فدار الناس كلهم ... فإنما أنت فى دار المداراة

من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليل نديما[1] للندامات

(لا تك مدهنا) بدال مهملة قال تعالى - ودوا لو تدهن فيدهنون - وفى [س] المداهنة خلاف ما يضمر كالإدهان والغش اه وهى حرام لأنها نوع من النفاق . وفى [عف] ومن أدبهم فى الصحبة المداراة وترك المداهنة ، وتشتبه المداراة بالمداهنة ، والفرق بينهما أن المداراة ماأردت به صلاح أخيك فداريته لرجاء صلاحه واحتملت منه ما تكره ، والمداهنة ماقصدت به شيئا من الهوى من طلب حظ أو إقامة جاه اه . وقيل : المداراة بذل المال لإصلاح الدين ، والمداهنة بذل الدين لإصلاح الدنيا ، ولذا قيل : المداراة من أخلاق الأبرار ، والمداهنة من شيم الأشرار . ولابن أدهم رحمه الله :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

---

(١) أى منادما اه .

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فدار أخى ما دمت حيا فتغنما ولا تاك ممن قد يداهن للمقت
ولست ترى من قد يدارى بيومنا ولكن ترى من قد يداهن فى الوقت

(ولا تحوجن) بنون خفيفة من أحوجه إلى كذا أفقره إليه (أخا) فى الله تعالى (لعذر) أى إلى الإتيان بعذر فيما صدر منه من زلة أو هفوة بل قابل ذلك بالحلم والاحتمال والعفو والإغضاء . وفى [عف] ومن أدبهم أن لا يحوجوا صاحبهم إلى المداراة ولا يلجئوه إلى الاعتذار ولا يتكلفوا للصاحب ما يشق عليه ، بل يكونوا للصاحب من حيث هو مؤثرين مراد الصاحب على مراد أنفسهم . قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار أو تكلفت له . وقال جعفر الصادق : أثقل إخوانى من يتكلف لى وأتحفظ منه ، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى ، انظره . وفى [حى] وقد قيل : ينبغى أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرا فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك ، فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلم تقبله ، فأنت المعيب لا أخوك : قال الأحنف : حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا : ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة . وقال آخر : ماشتمت أحدا قط ، لأنه إن شتمنى كريم فأنا أحق من غفرها له ، أو لئيم فلا أجعل عرضى له غرضا ، ثم تمثل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما انظره

ورحم الله من قال :

خذ من خليلك ما صفى ودع الذى فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا تبة الخليل على الغير

ومن قال :

حسب الأحبة أن يفرق بينهم ريب الزمان فما لنا نستعجل

وفيه : ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره ، قال عليه الصلاة والسلام « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه إثم صاحب المكس » انظره . ورحم الله من قال :

إذا اعتذر الصديق إليك يوما تجاوز عن مساويه الكبيره
فإن الشافعى روى حديثا بإسناد صحيح عن المغيره
عن المختار أن الله يمحو بعذر واحد ألفى كبيره

وقال بعضهم : لاتصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل عنك مؤونة نفسك ويكفيك مؤونة نفسه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

هذا أعز من الغراب الأعصم هذا لعمرى من المحال وجوده

وفى [جص] « من أتاه أخوه فى الدين متنصلا فليقبل ذلك منه محقا أو مبطلا ، فإن لم يفعل لم يرد على الحوض » وفى [س] تنصل إليه من الجناية خرج وتبرأ اه ورحم الله من قال :

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا إن بر عندك فيما قال أو فجرا
لقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا

ومن قال :

وهبنى مسيئا كالذى قلت ظالما   فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل
فإن لم يكن للعفو عندك للذى   أتيت به أهلا فأنت له أهل

ومن قال :

إذا شئت أن تدعا حكيما مهذبا   حليما سريا ماجدا فطنا حرا
إذا مابدت من صاحب لك زلة   فكن أنت محتالا لزلته عذرا

ومن قال :

إذا اعتذر الصديق إليك يوما   من التقصير عذر أخ مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه   فإن العفو شيمة كل حر

ومن قال :

إذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه   وكل امرىء لا يقبل العذر مذنب

(وكافة) أى ولا تحوجن أخاك أيضا إلى ما فيه كلفة ومشقة لحديث « المؤمن يسير المؤنة » أى قليل الكلفة على إخوانه . وفى [عف] ومن أخلاق الصوفية : ترك التكلف وذلك لأن التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لأجل الناس وذلك يباين حال الصوفية ، وفى بعضه خفى منازعة للأقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار ، ويقال التصوف ترك التكلف ، ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأوى الصديقين . روى أنس بن مالك قال « شهدت وليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مافيها خبز ولا لحم » أنظره : وفى [حى] وقال الفضيل : إنما تقاطع الناس بالتكلف ، يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه ، وقال الجنيد ماتواخى اثنان فى الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لعلة فى أحدهما ، وقيل لبعضهم : من نصحب ؟ قال من يرفع عنك ثقل التكلف ؟ وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ ، وكان جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما يقول : أثقل إخوانى على من يتكلف لى وأتحفظ منه ، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى . وقيل : من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت مؤنته دامت مودته . وقال بعض الصحابة : إن الله لعن المتكلفين . وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا وأتقياء أمتى برءاء من التكلف » وقال بعضهم : إذا عمل الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به إذا أكل عنده ودخل الخلاء وصلى ونام ، أنظره وفيه : ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسىء الظن بنفسه ، فإذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم . وقال أبو معاوية الأسود : إخوانى كلهم خير منى ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى لى الفضل عليه ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى ، وقال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله » ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ماترى له .

تذلل لمن إن تذللت له   يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال   عن الأصدقاء يرى الفضل له   انظره

وفيه : ومن تتمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور إخوانه فى كل مايقصده ويقبل إشاراتهم ، فقد

قال تعالى: «وشاورهم فى الأمر» وينبغى أن لايخفى عنهم شيئا من أسراره ، كما روى أن يعقوب ابن أخى معروف قال : جاء أسود بن سالم إلى عمى معروف وكان مواخياله ، فقال: إن بشر بن الحارث يحب مؤاخاتك ، وهو يستحيي أن يشافهك بذلك وقد أرسلنى إليك يسألك أن تعقد له فيما بينك وبينه أخوة يحتسبها ويعتد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لايحب أن يشتهر بذلك ، ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فإنه يكره كثرة الالتقاء ، فقال أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقته ليلا ونهارا ولزرته فى كل وقت وآثرته على نفسى فى كل حال، ثم ذكر من فضل الأخوة والحب فى الله أحاديث كثيرة ، ثم قال: فيهاوقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فشاركه فى العلم وقاسمه فى البدن وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته،وأنا أشهدك أنى قد عقدت له أخوة بينى وبينه وعقدت إخاءه فى الله لرسالتك ولمسألته على أن لايزورنى إن كره ذلك ، ولكنى أزوره متى أحببت ومره أن يلقانى فى مواضع نلتقى بها ومره أن لا يخفى على شيئا من شأنه وأن يطلعنى على جميع أحواله ، فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به، أنظره . قال رحمه الله :

(وَسَاعِدْهُ فِي أَمْرٍ يُوَافِقُ سُنَّةً   وَخَالِفْهُ فِي شَيْءٍ يُؤَدِّي لِبِدْعَةٍ)

(وساعده) من ساعده وافقه (فى أمر) أى فى كل أمر من الأمور (يوافق) كتاب الله تعالى و (سنة) رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفى [حى] اعلم أن قوام الأخوة بالموافقة فى الكلام والفعل والشفقة. قال أبوعثمان الجبرى : موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم ، انظره. ورحم الله من قال :

أحب من الإخوان كل مواتى   وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أريده   ويحفظنى حيا وبعد وفاتى
فمن لى بهذا، ليت أنى أصبته   فقاسمته ما لى من الحسنات

ومن قال :

وكنت إذا علقت حبال قوم   صحبتهم وشيمتى الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم   واجتنب الإساءة إن أساؤا
أشاء سوى مشيئتهم فآتى   مشيئتهم وأترك ما أشاء

وفيه : واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق فى أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة له انظره . واعلم أن أخاك من صدقك ونصحك وإن خالف صدقه ونصحه هواك، وأن عدوك من كذبك وغشك وإن وافق ذلك هواك . وفى [ع] ومن الأخلاق التى يدوم بها التودد والتآلف أيضا : محافظة الأخ على مساعدة أخيه وترك مخالفته فى كل شىء دق أوجل إلا فيما يخالف الشريعة المطهرة اه. وكان بعضهم يقول لشيخه : أحبك وأحب الحق ما اتفقنا وإذا اختلفنا فأحب الحق وحده. والمؤمن يدور مع الحق حيثما دار ولا يبالى .وفى [خل] وينبغى للعابد أن يكون حذرا من مخالفة السنة فإن من خالف السنة خالف الحق ومن خالف الحق هلك، انظره . ولذلك لا ينبغى مساعدة الأخ فيما يخالف السنة بل يعلمه إن كان جاهلا وينبهه إن كان غافلا وينبذه إن كان معاندا مجاهرا ويطلب الله له فى الغيب بالهداية والغفران ، ولذا قال رحمه الله(وخالفه) من المخالفة ضد الموافقة (فى) كل (شىء) من الأشياء (يؤدى) ويوصل (لبدعة) بكسر موحدة الحدث فى الدين بعد إكماله أو ما استحدث

بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الأهواء المضلة والأعمال المردية . وعن الأبيانى رحمه الله ثلاث لو كتبن على الظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة : اتبع ولا تبتدع ، واتضع ولا ترتفع ، ومن ورع لايتسع . وعن ابن مسعود رضى الله عنه : «عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة» وعن حذيفة رضى الله عنه : «لايقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا ، يخرج من الدين كما تخرج الشعرة من العجين» وأخرج البيهقى «أبى الله أن يقبل عمل صاحب البدعة حتى يدع بدعته» وفى [خل] عن الغزالى اتفقت الأمة قاطبة على ذم البدعة وزجر المبتدع وتعنيب من يعرف بالبدعة ، ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم : «اتبعوا ولاتبتدعوا فإنما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا فى دينهم ، وتركوا سنن أنبيائهم وقالوا بآرائهم فضلوا وأضلوا» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مات صاحب بدعة فقد فتح على الإسلام فتح» وقال صلى الله عليه وسلم : «من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام» وقال صلى الله عليه وسلم «من أعرض عن صاحب بدعة بغضا له فى الله ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ، ومن انتهر صاحب بدعة رفع الله له مائة درجة ، ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر أو استقبله بما يسره فقد استخف بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم» انظره . وأخرج أبو نعيم : «أهل البدع شر الخلق» وقال سهل بن عبد الله : من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة الإيمان . وحكى عن أحمد بن حنبل أنه قال : كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستعملت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر» : فلم أتجرد فرأيت تلك الليلة فى المنام قائلا يقول : أبشر يا أحمد فإن الله غفر لك باستعمال السنة ، فقلت : من أنت ؟ فقال جبريل : وقد جعلك الله إماما يقتدى بك» اه . وعن النبى صلى الله عليه وسلم : «من أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أحب صاحب بدعة لم يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر» وكان الإمام مالك رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل بهذا البيت :

وخير أمور الدين ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع

وفى الحديث : «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار» وعن بعضهم لما نزل قوله تعالى - ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - صرخ إبليس صرخة عظيمة اجتمع إليه فيها جنوده من أقطار الأرض قائلين ماهذه الصرخة التى أفزعتنا بها ، قال أمر نزل بى لم ينزل قط أعظم منه قالوا : وماهو ؟ فتلى عليهم الآية الكريمة وقال لهم : هل عندكم من حيلة ؟ قالوا : لا . قال : اطلبوا فإنى سأطلب فلبثوا ماشاء الله ، ثم صرخ فاجتمعوا إليه وقالوا : ماهذه الصرخة التى لم يسمع منك مثلها إلا التى قبلها ؟ قال : فهل وجدتم شيئا ؟ قالوا : لا . قال : لكنى قد وجدت قالوا : وما وجدت ؟ قال : أزين لهم البدع التى يتخذونها دينا ثم لايستغفرون : أى لأن صاحب البدعة يراها بجهله حقا وصوابا ولايراها ذنبا حتى يستغفر الله فألحق بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وقال تعالى - وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون - الآية - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - الآية ، ورحم الله من قال :

بنى اجتنب كل ذى بدعة   ولاتصحبن من بها يوصف

فيسرق طبعك من طبعه   وأنت بذلك لا تعرف

قال رحمه الله :

(وَلَا تُضْمِرَنْ سُوءًا لِأَمْرٍ نَقَمْتَهُ مِنَ الْأَخِ بَلْ فَانْصَحْ بِأَلْطَفِ كِلْمَةِ
وَقَدْ شَرَطُوا لَهَا اخْتِفَا عِنْدَ بَثِّهَا وَإِلَّا فَقَدْ أَفْرَغْتَهَا فِي الْفَضِيحَةِ)

(ولا تضمرن) بنون خفيفة من الإضمار ضد الإظهار لأخيك فى الله تعالى (سوءا) بالضم أى قبيحا ومكروها وكزازة فى قلبك (لأمر) أى لأجل أمر يخالف الشرع (نقمته) كرهته منه ونقم كضرب قال تعالى ـ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله ـ وقال ـ وماتنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا ـ (من الأخ) فى الدين . وفى [عف] والأخوة فى الله تعالى مواجهة ، قال تعالى ـ إخوانا على سرر متقابلين ـ ومتى أضمر أحدهما للآخر سوءا أوكره منه شيئا ولم ينبه عليه حتى يزيله أو يتسبب إلى إزالته منه فما واجهه بل استدبره ، انظره . وفيه : فهم أى الفقراء المجتمعون فى الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ، ولا يوجد هذا فى غيرهم من الطوائف . قال الله تعالى ـ فى وصف المؤمنين ـ كأنهم بنيان مرصوص ـ وبعكس ذلك وصف الأعداء فقال ـ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ـ روى النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع ، وإذا اشتكى مؤمن اشتكى المؤمنون» فالصوفية من وظيفتهم اللازمة حفظ اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح اجتمعوا وبرابطة التأليف الإلهى اتفقوا وبمشاهدة القلوب تواطئوا ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب فى الرباط رابطوا ، فلابد لهم من التآلف والتودد والنصح . وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » ثم قال : فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم وتتقيد نفوسهم لأن بعضهم عين على البعض على ماورد « المؤمن مرآة المؤمن » ثم قال : وإذا ظهرت نفس الصوفى بغضب وخصومة مع بعض الإخوان فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فإن النفس إذ قوبلت بالقلب انحسمت مادة الشر ، وإذا قوبلت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى ـ ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا ـ ثم الشيخ أو الخادم إذا شكا إليه فقير من أخيه فله أن يعاتب أيهما شاء فيقول للمتعدى لم تعديت وللمتعدى عليه ما الذى أذنبت حتى تعدى عليك وسلط عليك وهلا قابلت نفسه بالقلب رفقا بأخيك وإعطاء للفتوة والصحبة حقها ، فكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية فيرد إلى الدائرة بالنفار فيعود إلى الاستغفار ولا يسلك طريق الإصرار ، ثم قال : وسمعت شيخنا يقول للفقير إذا جرى بينه وبين بعض إخوانه وحشة : قم واستغفر ، فيقول الفقير ما أرى باطنى صافيا ولا أوثر القيام للاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن ويقول : أنت قم فببركة سعيك وقيامك ترزق الصفاء فكان يجد ذلك ويرى أثره عند الفقير وترق القلوب وترتفع الوحشة ، وهذا من خاصية هذه الطائفة لايبيتون والبواطن منطوية على وحشة ، ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضمر وحشة ، ولايرون الاجتماع ظاهرا فى شىء من أمورهم إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشعث ، فإذا قام الفقير للاستغفار لايجوز رد استغفاره بحال . روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم » انظره (بل) إذا نقمت منه مانهى عنه شرعا (فانصح) أى فاذكر له ذلك على

وجه النصيحة ولو بالتعريض والتلويح إن ظننت الإفادة ولم يعلم بالحكم وإلا فعليك بخويصتك ويكون نصحك له (بألطف) وأسهل وأحسن (كلمة) كسدرة أى بكلام لطيف حسن فإنه أجدر بالقبول وأرجى فى نيل المأمول . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعلم أصحابنا طرق السياسة إذا تصدوا للنصح فى بلدهم فإن كثيرا من الناصحين ينصح من غير سياسة فيثير فتنا فى البلد أعظم مما نصح هو فيه . وقد رأيت مرة بواب مسجد يقول لواحد دخل المسجد وباطن نعله إلى أسفل من غير تطبيق طبق نعلك يايهودى يانصرانى ياكلب يازربول يامن لايخاف الله، فآل الأمر إلى أن تشاكوا فى بيت الوالى وانقسمت أهل الحارة فرقتين ، فتخاصموا وراحوا إلى بيت الوالى وغرموا مالاله جرم ولم يزالوا متعادين وعجزت فى الصلح بينهم حتى فى ليلة النصف من شعبان ، فعلم أن من نصح بغير سياسة ففساده أكثر من صلاحه ، ولو أن بواب الجامع قال له ياأخى طبق نعلك لئلا يسقط منه نجاسة فى المسجد لقال له جزاك الله خيرا وطبق نعله . وكان الشيخ محيى الدين يقول : شرط الناصح إذا أراد أن ينصح أحدا أن يمهدله بساطا قبل النصح حتى يكون ذلك المنصوح هو المبادر لفعل ما أراد نصحه لأجله اه : واعلم أنه يحصل كثيرا لمن ينصح بلاسياسة الندم على نصحه ، ويقول أنا الظالم الذى نصحته أذا أذاه المنصوح فيصير النصح الذى هو واجب ظلما وإنما حصل له الأذى من جهله بطريق السياسة فى ذلك ، فاعلم ذلك فإنه نفيس . وفيه : وكان أخى أفضل الدين إذا رأى إنسانا مرتكبا أموراً شنيعة أو عازما على فعل أمور قبيحة يقطع عليه من قدام ، ويقول لأصحابه أناما يعجبنى إلا حال فلان الذى يكره الأفعال الردية ويتجنب كذا وكذا ، ويعدد له ماهو متلطخ به أوعازم على فعله ، فيقف ذلك الشخص عن الإقدام على ذلك الفعل الردى أو يتوب عما كان يرتكبه أويترك التجاهر به بعد أن كان يتجاهر به والكذب يجوز لمصلحة . وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رحمه الله يقول : لاينبغى لأحد أن يتصدر لنصح الناس إلا إن أعطاه الله حسن السياسة بحيث يمهد للمنصوح مهادا حتى يكون هو المبادر لذلك الفعل بنفسه لما رأى لنفسه فيه من الحظ والمصلحة ، ومن لم يعطه الله هذه السياسة فما يفسده أكثر مما يصلحه ، انظره . وفى [جه] وعليكم بمناصحة إخوانكم فى الطريقة برفق ولين وسياسة من غير ضغينة ولاحقد اه . وفى [غ] ومنها أن يحفظ الأخ قلبه بقدر استطاعته من أن يضمر فيه سوأ لأخيه إذا رأى منه ما يكره ، وحفظ القلب من ذلك يكون بتنبيهه إياه على ما كرهه منه لكن بلطافة وسياسة بحيث يفارق ما كرهه منه وهو لايشعر أنه مقصود من أخيه بذلك التنبيه ، وهذا أولى متى أمكن لجريه على سنن الأخلاق المحمدية ولبعده عن مظان الضغينة وغيرها مما يؤدى إلى فساد الطوية ، فإن لم يمكن هذا أو أدى الحال إلى التنبيه بالكلام فليكن فى الخلا لا فى الملأ وبتقديم تمهيد يأنس به المنصوح بحيث يقع فى نفسه ذم ما أراد أن يأمره الناصح بالتخلية عنه قبل أن يأمره بذلك وبإخلاص القصد فى ذلك لله تعالى والعزم على أن لا يذكر ذلك لأحد كائنا من كان اه . وفى الحديث : « المؤمن أخو المؤمن لايدع نصيحته على كل حال » وفى آخر : « المؤمن مرآة المؤمن » و « المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه » اه . وفى آخر « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى به أذى فليمطه عنه » فينبغى لمن رأى فى أخيه أذى حسيا أن يزيله عنه ويسن أن يريه إياه لئلا يظن أنه يعبث به ، وكذا الأذى المعنوى كارتكاب معصية فينصحه ويسعى فى توبته ويدعو له بظهر الغيب . وثبت أن سيدنا عمر كان مع جماعة من الصحابة رضى الله عن جميعهم الرضا الأبدى وعنابهم آمين فقال لهم : كيف تصنعون إذا رأيتم منى اعوجاجا ، فسكتوا فأعادها فقال سعد بن بشير :

إذا رأينا منك اعوجاجا قومناك بسيوفنا، فقال الحمد لله الذى أبقى فى هذه الأمة من يقومنى بسيفه إذا اعوججت» أوكما قال رضى الله عنه وعنابه آمين ـ قال تعالى ـ يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ـ (وقد شرطوا) أى ساداتنا الصوفية رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين (لها) أى للنصيحة (اختفا) قصره للوزن من اختفى استتر (عند بثها) بمثلثة أى نشرها وبلها للمنصوح (وإلا) بأن بثها جهرا وعلانية بين الناس (فقد أفرغتها) من الإفراغ وهو الصب (فى) قوالب وأساليب (الفضيحة) المنهى عنها شرعا وطبعا . وفى [حي] فإن علمته : أى الأخ فى الدين ، وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك بالنصيحة ، وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه فى الدنيا والآخرة ليزجر عنه ، وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح فى عينه وتحسن الحسن ، ولكن ينبغى أن يكون ذلك فى سر لايطلع عليه أحد ، فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان فى السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم : «المؤمن مرآة المؤمن» أى يرى منه مالا يرى لنفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه، ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة . وقال الشافعى رضى الله عنه : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه . وقيل لمسعر : أتحب من يخبرك بعيوبك ؟ فقال إن نصحنى فيما بينى وبينه فنعم وإن قرعنى بين الملأ فلا . وقد صدق فإن النصح على الملأ فضيحة، والله يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه فى ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا. وقال ذو النون: لاتصحب مع الله إلا بالموافقة، ولامع الخلق إلا بالمناصحة ، ولامع النفس إلا بالمخالفة ، ولامع الشيطان إلا بالعداوة : ثم قال : وهذا فى عيب هو غافل عنه فأما ماعلمت أنه يعلمه من نفسه فإنما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغى أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه، وإن كان يظهره فلابد من التلطف فى النصح بالتعريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لايؤدى إلى الانحياش ، فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالسكوت عنه أولى ، وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك فى دينه أو دنياه ، أما ما يتعلق بتقصيره فى حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامى عنه ، والتعرض لذلك ليس من النصح فى شيء ، انظره . وفى [عف] فمن أدبهم التغافل عن زلل الإخوان والنصح فيما يجب فيه النصيحة وكتم عيب صاحبه وإطلاعه على عيب يعلم منه . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : رحم الله امرأ أهدى إلىَّ عيوبى. وهذا فيه مصلحة كلية تكون للشخص ممن ينبهه على عيوبه . قال جعفر بن برقان . قال لى ميمون بن مهران: قل لى فى وجهى ما أكره فإن الرجل لاينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه مايكرهه، فإن الصادق يحب من يصدقه والكاذب لايحب الناصح . قال الله تعالى ـ ولكن لاتحبون الناصحين ـ والنصيحة ماكانت فى السر اه . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نبادر لنصح كل من علمنا ثبات قلبه فى الدين ولو بحضرة ملأ من الناس ، ولانترقب وقتا ننصحه فيه فربما نسينا ذلك قبل مجيء ذلك الوقت ، والنصح بلاشك خير والخير لا يؤخر ، فإن علمنا منه تزلزل القلب والتكدير من نصحنا له فى الملأ نصحناه سرا أونترقب له وقتا آخر . ثم قال : اعلم يا أخى أن كل من لامك على نصحه فى الملأ فإنما ذلك لنفاق فى قلبه ، والمنافق لايراعى، بل الواجب إصداعه [1] بالحق ، ولو أنه كان سالما من النفاق لفرح بالنصح لاسيما فى هذا الزمان الذى قل فيه النصاح ، لكن يكون ذلك بلين

---

(١) إصداعه : أى إجهاره اه .

ورحمة وشفقة ما أمكن خشية من أن يزداد بغلظتك عليه نفرة [١] من الخير إما لعدم توفيقه بالخصوص أو مع عدم كمال إخلاصك ، انظره . وفى [غ] ومن آداب المنصوح هنا أن يروض [٢] نفسه لتلقى نصيحة أخيه بالقبول ويعلم أنه إنما فعل معه ذلك لكمال مودته وصفاء إخائه فيثنى عليه ويجازيه بدعاء الخير على ما أسداه إليه . وقد روى عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه كان يقول: رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى . ومعلوم أن الصادق يحب من يصدقه والكاذب بخلافه فلا يحب الناصح كما قال تعالى : ـ ولكن لاتحبون الناصحين ـ وليحذر المنصوح من ثورة النفس عند سماعه النصيحة فيحقر الناصح ويقول له مثلك ينصحنى أو ما في معنى ذلك فإن ذلك من الجفاء . ومن أعظم أسباب الانتكاس والسقوط من عين الله والعياذ بالله تعالى . قال الشيخ محيى الدين : ومن قال لناصحه على سبيل شفوف نفسه عليه مثلك ينصحنى أولمثلى يقال هذا، فاعلم أنه سقط من عين الله تعالى وقد حجبه الله تعالى عن عبوديته وعن الإيمان فإن الله تعالى يقول ـ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ـ اهـ . قال رحمه الله :

(وَلَا تَتَكَلَّفْ فِى ثِيَابٍ رَفِيعَةٍ سِوَى لِلْوُفُودِ أَوْ لِعِيدٍ وَجُمْعَةِ
وَفِى مَنْطِقٍ إِلَّا لِإِيضَاحِ مُشْكِلٍ وَلِلضَّيْفِ فِى الْقِرَى مَخَافَةَ بِغْضَةِ)

(ولا تتكلف فى) لبس (ثياب رفيعة) فاخرة تفاخرا وتكاثرا . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه ألبسه الله تعالى من حلل الجنة » وفى [جص] « من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها » وفيه: « إن الله يحب المؤمن المبتذل الذى لايبالى مالبس » وفيه « البس الخشن الضيق حتى لايجد العز والفخر منك مساغا » أى مدخلا عند الحاجة إلى قمع النفس وتطهيرها ، فمن لبس الخشن الضيق زال عنه الكبر وادعاء العظم لأن هذه اللبسة تؤذن بانكسار النفس وانخفاضها ، هذا هو الغالب من حال المؤمن ولكن لايبالغ فى ذلك فإن الله يحب أن يرى على عبده أثر نعمته إذا أنعم عليه ويكره التباؤس ، ولأن الله جميل يحب الجمال ونظيف يحب النظافة ، ولذا قال أبو الحسن الشاذلى رحمه الله لذى هيئة رثة أنكر عليه جمال هيئته : ياهذا هيئتى هذه تقول الحمد لله وهيئتك تقول للناس أعطونى من دنياكم . وقد قال تعالى ـ قل من حرم زينة الله ـ اهـ . وروى: « إياكم ولبستين لبسة مشهورة ولبسة محقورة» وفيه « احذروا الشهرتين الصوف والخز » فلبس الصوف يشهر النفس بالصلاح ولبس الخز يشهرها بالتجمل . وفيه « نهى عن الشهرتين دقة الثياب وغلظتها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سواء فيما بين ذلك واقتصاد إذ خير الأمور أوساطها » وفيه « من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه، ومن لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار » وفيه أبغض العباد من كان ثوباه خيرا من عمله أن تكون ثيابه ثياب الأنبياء وعمله عمل الجبارين » اهـ . وفى [جه] وأما لباسه رضى الله عنه فيلبس المتوسط من الثياب مما يقيه الحر والبرد كما يلبس عامة الناس ، ولا يحب الامتياز بثوب حسن ولا قبيح ، انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نترك الترفع فى اللباس تواضعا واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

---

(١) نفرة بضم النون كغرفة اهـ . (٢) قوله يروض من راض نفسه كفال ذللها وقهرها اهـ .

ولو كان معنا قناطير من الذهب فنجعل ذلك فى مرضاة الله تعالى من الإنفاق على الفقراء والمساكين والمحاويج ، وهذا العهد يخل به كثير من الفقراء فضلا عن العوام، ثم قال: وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : ينبغى التسليم لمن لبس الثياب الفاخرة من الأولياء كسيدى عبد القادر الجيلى وسيدى على بن وفا وسيدى مدين وأضرابهم. وقد كان سيدى عبد القادر الجيلى يلبس كل ذراع من الخام بدينار فاعترض عليه بعض الناس فقال: العبد إذا مات كفن مرة وأنا قدمت أكثر من مائة موتة فى مخالفة نفسى فلى أن ألبس كل بدلة ثمن مائة كفن اه . ـ ثم السر فى ترك اللباس الرفيع أن النفس تميل إليه بالخاصية وتفرح به، وكل شىء فرح به العبد من الدنيا حجبه عن دخول حضرة الله عز وجل كما تحجب المعصية فيريد الإنسان أن يجد قلبه حال لبس الرفيع الفاخر مثل حاله فى حال لبس الخلق القليل الثمن فلا يقدر ومن شك فليجرب ، وكذلك جربنا السجود على الأرض الطاهرة بلا حائل يجد الإنسان انفساحا وانشراحا ووصلة بالله عز وجل ، بخلاف الصلاة على بساط أو حصير ، ومدار كلام الشارع ونصحه لنا على عكوفنا فى حضرة الله عز وجل ليعطى الخدمة للحق حقها ويتحلى بشهوده تعالى لأنه صلى الله عليه وسلم أشفق علينا من أنفسنا فضلا عن والدينا ، فما منعنا من فعل شىء إلا وهو يبعدنا عن حضرة الحق تعالى ، ثم قال : ففتش يا أخى نفسك فيما تأكل وفيما تلبس فمن فتش لايجد شيئا فى هذا الزمان يشترى به جوخة نفيسة ولا شاشا نفيسا أبدا . وربما كان ذلك الشاش الرفيع أوالجوخة البندق التى على العالم أو الصالح من هدايا بعض الولاة أو ثمنها من وظائف لايسد فيها لابنفسه ولا بنائبه ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لاتمكن أحدا من إخواننا أن يتكلف من مآكل الدنيا وملابسها مالا يقدر على المداومة عليها ، ومن خالف ولم يقنع باليسير طوعا فعن قريب يقنع كرها وكذلك لاتمكن أحدا منهم يتوسع من مال الغير إلا من الربح الحاصل فمن توسع من مال الحبس لاسيما من صرف ذلك فى مآكل قد صارت عذرة فى الأخلية لايمكن استرجاعها ، وكذلك لاتمكنهم من كسوة أولادهم فى العيد وغيره من ذلك ولو بكوا واغتاظت أمهم فإن احتماله بكاءهم وغيظ أمهم أهون من خصام صاحب المال له ومن دخوله فى الحبس والله غنى حميد اه . وفيه : أخذ علينا العهود إذا وسع الله علينا الدنيا أن لانسرف فى التوسع بها على أنفسنا وعيالنا وإنما نجعل التوسع فى الصرف على الفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام ، ونلبس الثوب بعشرة دراهم ونحوها من غير زيادة ، وذلك كاف لنا فى إظهار النعم المأمور بها إن شاء الله تعالى، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له: «يارسول الله عندى كل المال من البقر والإبل والغنم .قال: « أفلاترى أثر نعمة الله عليك » فعبر بالأثر إشارة للقلة فى الملابس والمآكل هكذافهمنا . ومن كلام عمر بن الخطاب : اخشوشنوا : أى فى جميع أحوالكم فى هذه الدار ، فكلوا الخبز ولو بالملح ، واركبوا الحمار ولو عريانا ، والبسوا الثياب ولو غليظة ، وانكحوا النساء ولو جارية شوهاء ، لأن هذه ماهى داركم ولا محل استقراركم . ثم إنه يجب علينا الرضا بذلك عن ربنا عز وجل . وقد كان عيسى عليه السلام يقول للحواريين : بحق أقول لكم إن لبس المسوح الخشنة وأكل الشعير غير منخول والنوم على المزابل كثير على من يموت . وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لاينبغى لمن وسع الله عليه فى هذا الزمان لبس الأصواف الرفيعة ولا الجوخ البندق ولا الشاش الهنداوى ولا الظهر الإسكندرانى ، ولا أن يأكل فى أوانى الصينى ، هذا فى حق الكبير

نفسه فكيف بمن يكسو عبده من ذلك . قال : وأما الذى يكسو دابته البراذع[١] المثمنة والدبابى الحمر واللجام والركاب المطلية وركب على بساط قيمته ثلاثون دينارا فحكمه حكم البهائم ، وذلك لكثرة المحاويج من المسلمين من أهل حارته وغيرهم ، فكان الواجب عليه أن يتفقد ذلك الفقير المسكين كما تفقد دابته فى الملبس ، هذا فيما إذا وجد ثمن هذه التبسطات من كسب حلال لاتبعة فيه ، فكيف بمن يحصل ذلك من كسب كله غش وحيف وخداع ونصب[٢] وحيل ، مع قلوب مائلة ونفوس كالبة وعقول سالبة ، فى زمان لايوجد فيه القوت إلا بمعاينة أسباب الموت، كما يعرف ذلك أرباب الصنائع والحرف من السوقة[٣] ، انظره . فهذا حال زمانه فكيف بزماننا الذى هو آخر عجب الذنب ، فنهم من يركب على سرج قيمته ألف دينار فصاعدا وعليه هو مايساوى مثل ذلك ، ومع ذلك لاتسخو نفسه بفلس نحاس لمسكين لايجد مايسدبه الرمق :

رفقا بها قد بلغ السيل الزبى[٤] وانسع الخرق على المرتق

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى ديننا ودنيانا وأخرانا آمين . وفى [خل] عن أبى طالب المكى فى كتابه . ومما أحدثوا من البدع لبس الثياب الكثيرة . قال : وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم ثوب أحدهم من سبعة دراهم إلى عشرة دراهم ، وكانوا لايجاوزون هذا إلا نادرا أو كما قال . وأما الخروج به عن حد السمت والوقار فلا يخفى على ذى بصيرة حالهم به كيف هو انظره . ونقل أن محمد بن واسع سيد أهل زمانه لما دخل على أمير البصرة وكان ثوبه إلى أنصاف ساقيه قال له : ماهذه الشهرة ياابن واسع ؟ فقال له أنتم شهرتمونا ، هكذا كان لباس من مضى وإنما أنتم طولتم ذيولكم فصارت السنة بينكم بدعة وشهرة اه . وحكى أن عمر رضى الله عنه لما قدم الشام وكان على جمل خطامه ليف ورحله وزاده تحته ومرقعته عليه سأله الأجناد أن يلبس ثوبا أبيض وأن يركب برذونا ليرهب العدو بذلك ففعل ، فلما أن استوى على البرذون نادى بأعلى صوته أقيلوا عمر عثرته أقال الله عثرتكم ، فرجع إلى مرقعته وجمله وقال : بالإيمان اعتززنا ، فكان ذلك سببا لفتح البلاد ـ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ـ وفى [عف] فالصوفى يرد النفس فى اللباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية ثوبك ممزق ، قال : ولكنه من وجه حلال ، وقيل له : وهو وسخ ، قال : ولكنه طاهر . فنظر الصادق فى ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا » أى فريضة ولا نافلة ، ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا ، لأن طهارة الثوب شرط فى صحة الصلاة ، وما عدا هذين النظرين فنظره فى كونه يدفع الحر والبرد لأن ذلك مصلحة النفس ، وبعد ذلك ماتدعو إليه النفس فكله فضول وزيادة ونظر إلى الخلق . والصادق لاينبغى أن يلبس الثوب إلا لله وهو ستر العورة أو لنفسه لدفع الحر والبرد ، ثم قال : وروى أن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه لبس قميصا اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كمه من رؤوس أصابعه . وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشبع . وحكى عن الجريرى قال : كان فى جامع بغداد رجل لاتكاد تجده إلا فى ثوب واحد فى الشتاء والصيف ،

---

(١) البرذعة بمعجمة وإهمال ذالها أكثر .
(٢) قوله نصب كقفل : الشر والعذاب اه .
(٣) قوله السوقة بضم سين مهملة : الرعية .
(٤) قوله الزبى جمع زبية بضم أولهما : حفرة فى أعلى الجبل اه .

فسئل عن ذلك فقال: قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأنى دخلت الجنة، فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على مائدة، فأردت أن أجلس معهم فإذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدى وأقامونى وقالوا لى: هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قيصان فلا تجلس معهم، فانتبهت ونذرت أن لا ألبس إلا ثوبا واحدا إلى أن ألقى الله تعالى. وقيل مات أبو يزيد ولم يترك إلا قيصه الذى كان عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه، ثم قال: قال أبو حفص الحداد: إذا رأيت وضاءة الفقير فى ثوبه فلا ترجو خيره، ثم قال: وقيل كان عمر رضى الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة[1] وقال: دعوا هذه البراقات للنساء. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نوروا قلوبكم بلباس الصوف فإنه مذلة فى الدنيا ونور فى الآخرة وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم» ثم قال: وللعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها لا يرون النزول إلى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد فى الدنيا، واللباس الناعم من الدنيا. وقد قيل: من رق ثوبه رق دينه. وقد يرخص فى ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع. وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر، فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا، فقال النبى صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال» فتكون هذه الرخصة فى حق من يلبسه لا بهوى نفسه فى ذلك غير مفتخر به ومختال، فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكاثر بها فقد وردفيه وعيده: وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أزرة المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار، من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر فى ردائه إذ أعجبه رداؤه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» والأحوال تختلف ومن صح حاله بصحة علمه صحت نيته فى مأكوله وملبوسه وسائر تصاريفه، وفى كل الأحوال يستقيم ويتسدد باستقامة الباطن مع الله تعالى، وبقدر ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى اه. وعن النبى صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب: رجل أراد أن يغسل ثوبه فلم يجد له خلقة يلبسها، ورجل لم ينصب على مستوقده قدرين، ورجل طلب شرابه فلم يقل له أيهما تريد» وفى [شب] وكان الإمام على رضى الله عنه يرقع قيصه ويقول: إن لبس المرقع يخشع القلب. ومما ينسب له رضى الله عنه:

حقيق بالتواضع من يموت ... ويكفى المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم ... وحرص ليس تدركه النعوت
فيا هذا سترحل عن قريب ... إلى قوم كلامهم السكوت

ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وضع ماله ومال زوجته فاطمة بنت عبد الملك فى بيت مال المسلمين وصارا كآحاد الناس، حتى صار أنه لا يملك إلا قيصا واحدا وهى كذلك، فإذا أراد غسله مكث فى البيت حتى يجف، على حد ماقيل:

قوم إذا غسلوا الثياب رأيتهم ... لبسوا البيوت وزوّروا الأبواب

ومع ماكان عليه من الورع والزهد والعدل الذى ضرب به المثل كان له سرب ينزل فيه كل ليلة ويضع الغل فى عنقه فلا يزال يبكى ويتضرع إلى الصباح: وقيل له فى مرض الموت: تركت أولادك وهم ثلاثه عشر لبس لهم درهم ولا دينار - فقال لم أمنعهم حقالهم، ولم أعطهم حقا لغيرهم، وإنما ولدى

(١) قوله: الدرة بكسر الدال: آلة يضرب بها اه.

أحد رجلين إما مطيع لله تعالى فالله كافيه وهو يتولى الصالحين ، وإما عاص لله فما أبالى بما وقع له اه .
وفى [هب] إن الذى يتميز عن الناس فى مركبه وملبسه وداره ومأكله قبيح ، فقلت وما سبب قبحه ؟ فقال : إنه يشغل قلوب الناس بالالتفات إليه فيقطعهم عن الله تعالى فيكون تميزه عنهم سببا فى قطعهم . قلت فالمحجوبون الذين يلتفتون إليه مقطوعون فلا يضرهم التفاتهم إليه ، فقال يزيدهم قطيعة على قطيعة . قال : وأيضا فإن الروح تفر من الذات المشتغلة بهذا التميز لأن بذلك التميز يحصل للروح ذلة ومسكنة فتكره فعل الذات وتفرعنها فلا تسددها ولا ترشدها إلى مايليق بها مع خالقها فيكون ذلك سبب هلاكها فقلت : فللتميز حينئذ آفتان آفة فى نفسه وآفة فى غيره اه [تتمة] من الناس من يقصد بالتجمل السلامة من إذاية الناس والتوصل إلى حقوقه كما هو شأن الوقت ومن شك فليجرب ، ولذا نقل عن ابن زكرى رحمه الله أنه قال : إسقاط الجاه ليس مطلوبا لذاته بل لما يتبعه من غلظ النفس ، ولا بد للإنسان من جاه ما لئلا تبخس حقوقه وتنتهك حرمته لأن الناس إنما يعتبرون ظاهر الصور . وقد كان مالك رضى الله عنه يتجمل فى ملبسه ولا يتبذل ، ولذا قيل : ينبغى للعالم أن يظهر مروءته فى ثيابه إجلالا للعلم وصيانة لعرضه ودينه قال تعالى - يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين - ورحم الله من قال :

حسن ثيابك ما استطعت فإنها ... زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التواضع فى الثياب تخشنا ... فالله يعلم ما تسر وتكتم
فرثاث ثوبك لايزيدك رفعة ... عند الإله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعدما ... تخشى الإله وتتقى ما يحرم

وروى أبو داود عن أبى الأحوص عن أبيه قال : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى ثوب دون : أى خلق ، فقال ألك مال؟ قلت : نعم ، قال : من أى المال ؟ قلت : قد آتانى الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق ، فقال إذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته وإن الله يكره البؤس والتباؤس » ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا - آمين (سوى للوفود) جمع وفد . وفى [س] وفد إليه وعليه قدم وورد ، وهم وفود ووفد كصحب وأوفاد ووفد كركع ، انظره : أى سوى لملاقاة الوفود والإخوان ، فينبغى للإنسان أن يتجمل لذلك كما هو سيرته صلى الله عليه وسلم فى ملاقاتهم .
وفى [جص] أحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس» اه ولذا قيل : ينبغى للمرء أن يحسن ثوبه وبدنه لملاقاة إخوانه ، وأن يتحرز من المذمة ويطلب راحة إخوانه فلا يستقذرونه . وعن سيدتنا عائشة رضى الله عنها : إن الله يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم» . وفيه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليه الوفد لبس أحسن ثيابه وأمر علية[1] أصحابه بذلك » وفى الحفنى : « كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد الخروج لمقابلة الجماعة أخذ ماء من الركوة وغسل وجهه ويديه وسرح لحيته ولبس أحسن ثيابه وأمر الصحابة بذلك عند إرادة الاجتماع بالناس ، وقال إن الله جميل يحب الجمال » وفى [ثيق] وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول : لو قيل لى إن أمير المؤمنين يدخل عليك الآن فسويت لحيتى بيدى لأجل دخوله لخفت أن أكتب فى جريدة المنافقين .

(١) علية بكسر مين جمع على كصبية جمع صبي : أى جلة اه .

قات : وهذا كله محمول على من لم تحضره نية صالحة، أما من حضرته نية صالحة كأن أصلح عمامته أو لبس أحسن ثيابه لدخول أحد عليه ليأخذ عنه علما أو أدبا فهو محمود، وقد كان صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليه وفد يلبس أحسن ثيابه ويتعمم ويصلح طيات عمامته فى جب الماء ، والله أعلم اه . وفى الحديث : « إن الله تعالى يبغض الوسخ والشعث » أى لأنه تعالى نظيف يحب النظافة : وفى آخر : « اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فإن بنى إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » وفيه أيضا : أخذ علينا العهود أن نسرع بغسل الثوب إذا اتسخ ونلبس أحسن ما نجد إظهارا لعظمة ربنا من حيث إن ضخامة العبد تدل على عظمة الله سيده ، ومن هنا اتخذ الفقراء الصادقون الثياب النفيسة وجلسوا على السجادات النفيسة فى الصلاة وغيرها من حيث كونهم أهل حضرة الله عز وجل لا لعلة أخرى ، وأما من لبس الثوب الوسخ الخلق والعمامة المشرمطة من الفقراء فإنما هو إظهار للذل والعبودية لله عز وجل . فرجع أمرهم أيضا إلى الله ؛ فللجمال أقوام وللجلال أقوام وكل كامل فى مرتبته والله عليم حكيم اه . قال تعالى - قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى » الحديث (أولعيد) أى لأجل يومه فيستحب فيه لبس الحسن من الثياب ولو غير أبيض . وفى مختصر خليل رحمه الله : وندب إحياء ليلته وغسل وبعد الصبح وتطيب وتزين وإن لغير مصل . قال بعضهم : راجع للأمور الأربعة. قال الزرقانى : أى إلا النساء الخارجات له فلا يقربن طيبا ولا زينة وإن كن عجائز ، ولا ينبغى لأحد ترك إظهار الزينة والطيب فى الأعياد تقشفا مع القدرة عليه فمن تركه رغبة عنه فهو مبتدع قاله الحطاب . لكن ينبغى أن ينضم لذلك طهارة القلوب من الأدناس والعيوب ومراقبة علام الغيوب التى عليها المدار عند أولى الأبصار ، ورحم الله من قال :

ماعيدك الفخر إلا يوم يغفر لك ... لا أن تجر به مستكبرا حللك
كم من جديد ثياب دينه خلق ... تكاد تلعنه الأقطار حين سلك
وكم مرقع أثواب جديد تقى ... بكت عليه السماء والأرض حين هلك

ومن قال :

وما العيد باستعمال طيب وزينة ... ولا أن يرى فيه عليك جديد
ولكن رضا الرحمن هو الذى يقا ... ن فيه عليه فى الحقيقة عيد

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه مما كتب به لبعض الأحباب يوم عيد :

الحمد لله إذ شفاك من سقم ... يا أحمد بن محمد ومن ألم
عافاك ربى من الأهوال والمحن ... أبقاك ربى بقاء الدهر للأمم
عيد يعود بعفو وعافية ... وبالأمان من الأسواء والنقم

(و) سوى لحضور صلاة (جمعة) أى وجماعة ، وفى مختصر خليل : وندب تحسين هيئة وجميل ثياب الخ . قال الزرقانى : وهو البياض وإن عتيقا وهما للصلاة لا لليوم بخلاف العيد فلليوم . وندب فيه الجديد ولو أسود، فإن كان يوم الجمعة يوم عيد لبس الجديد غير الأبيض أول النهار والأبيض لصلاة الجمعة ولو عتيقا كما مر ، ويدل له خبر الموطأ « ماعلى أحدكم لو اتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبى مهنته »(١) إذ الاتخاذ يشعر بقدمه : انظره . وفى [جص] « ما على أحدكم إذا وجد سعة أن يتخذ

(١) فزن أخى مهنة بقصبه ... وصدرة وثرة ونبقه

ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته » أى ليس على أحدكم حرج فى ذلك فلا إسراف فيه بل هو محبوب فإنه تعالى جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده قاله العزيزى . وفى [جه] ويداوم رضى الله عنه على غسل الجمعة ويؤكده لتأكيد سنيته ويفعله على الوجه المسنون من كونه متصلا بالرواح ، ويلبس نقى ثيابه إن كان وإلا ذهب للمسجد الجامع بما عليه ، ولا نراه يتطيب بالمسك ونحوه يومها وإن كان الطيب لها مستحب ، ولا فى سائر الأيام وهو يحبه كثيرا ويجلب إليه ، ولعله من أجل ما كثر استعماله لأهل الرفاهية وكثير من السفهاء بقصد الترفه ، ويمشى هونا فى سعيه للصلوات كلها ، ويحب فاعل ذلك عملا بمقتضى الحديث « إذا أتيتم الصلاة فأتوها بسكينة ووقار » اه . وفى [خل] وينهى ، يعنى الإمام الناس عما أحدثه بعضهم من الإتيان للجمعة من غير غسل ولا تغيير هيئة فإن هذا من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم ، وقد كانوا رضى الله عنهم إذا أراد أحدهم أن يؤكد الأمر لصاحبه يقول له ولا تكن ممن يترك الغسل للجمعة : ومن كتاب الفوت : وكان أهل المدينة يتسابون ويقولون لأنت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة . وقد قال مالك فى موطئه : إن غسل الجمعة واجب وهو ظاهر الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » واختلف العلماء فى ذلك هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة ، انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على غسل الجمعة صيفا وشتاء ولا نتركه إلا لعذر شرعى ، وفى ذلك من الأسرار ما لا يذكر إلا مشافهة . وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول : ما تركت غسل الجمعة فى شتاء ولا صيف ولا سفر ولا حضر . وهذا العهد يخل به كثير من الناس حتى بعض الفقراء وطلبة العلم . فتراهم يتساهلون به ويستثقلونه إما كسلا أو لعدم سماحة نفوسهم بفلوس الحمام . ومن الحكمة الظاهرة فى الغسل انتعاش الأعضاء بالماء حتى يصير بدنه كله حيا فيناجى الله بكل عضو فيه ، ولذلك أمرنا الشارع بالغسل قبل الذهاب إلى الجمعة لنصلى على أثر الغسل ، ولو أمرنا بالغسل أول ليلة الجمعة بما تخلل ذلك معصية أو غفلة فيموت البدن وإذا مات ، فما بقى يناجى ربه ويتضرع إليه على الوجه المطلوب من العبد ، فتأمل ذلك والله تعالى أعلم ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نتهاون بترك السنن الشرعية ونقول الأمر سهل كما عليه طائفة من المتهورين كغسل الجمعة مثلا ، والتطيب والتزين لدخول المسجد ، والبدء بخلع النعل اليسرى إذا دخلنا المسجد أو خرجنا ، ونحو ذلك فقد أخبرنى سيدى على الخواص رحمه الله أن بكل سنة من السنن درجة فى الجنة لا ينالها إلا فاعل تلك السنة . وفى الحديث « ولا يشبع مؤمن من خبز » فاعلم ذلك واعمل عليه فإنه نفيس اه .

ومما ينبغى للإنسان أن يواظب عليه ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الجمعة فى صلاة الفجر ـ الم تنزيل ـ السجدة ، و ـ هل أتى على الإنسان ـ » وفى كفاية الطالب لأبى الحسن عند قول أبى زيد فى الرسالة ويسجدها من قرأها فى الفريضة والنافلة . وروى ابن وهب : لا تكره قراءتها فى الفريضة ابتداء : وصوبها اللخمى وابن يونس وابن بشير وغيرهم لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يداوم على قراءة السجدة فى الركعة الأولى من صلاة الصبح يوم الجمعة » ابن بشير : وعلى ذلك كان يواظب الأخيار من أشياخى وأشياخهم اه ـ فبهداهم اقتده ـ

وفى [عف] فعلى المبتدى التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك يثبت قدمه فى بدايته ويراعى يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصا لايمزجه بشيء من أحوال نفسه وما ربها ، ويبكر إلى الجامع بعد الغسل للجمعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أباهريرة اغتسل للجمعة ولو اشتريت الماء بعشائك ، وما من نبى إلا وقد أمره الله تعالى أن يغتسل للجمعة » ويشتغل بالصلاة والتضرع والدعاء والتلاوة وأنواع الأذكار من غير فتور إلى أن يصلى الجمعة ، ويجلس معتكفا فى الجامع إلى أن يصلى فرض العصر ، وبقية النهار يشغله بالتسبيح والاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه يرى بركة ذلك فى جميع الأسبوع حتى يرى ثمرة ذلك يوم الجمعة . وقد كان من الصادقين من يضبط أحواله وأقواله وأفعاله جميع الأسبوع لأنه يوم المزيد لكل صادق ، ويكون ما يجد يوم الجمعة معيارا يعتبر به سائر الأسبوع الذى مضى فإنه إذا كان الأسبوع سليما يكون يوم الجمعة فيه مزيد الأنوار والبركات ، ومايجد فى يوم الجمعة من الظلمة وسآمة النفس وقلة الانشراح فلما ضيع فى الأسبوع يعرف ذلك ويعتبره ، انظره . وفى [جص] « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم رمضان سلمت السنة » قال العزيزى : لأنه تعالى جعل لأهل كل ملة يوما يتفرغون فيه لعبادته فيوم الجمعة يوم عبادتنا كشهر رمضان فى الشهور ، وساعة الإجابة فيه كليلة القدر فى رمضان ، فمن سلم له يوم جمعته سلمت أيامه ، ومن سلم له رمضان سلمت له سنته اه .

(و) لاتتكلف أيضا (فى منطق) أى فى الكلام بالتصنع والتشدق والفصاحة والبلاغة لأجل أن تمدح بذلك لحديث : « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها » أى يتشدق بلسانه فى الكلام ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفا ، وفى آخر : « هلك المتنطعون » أى المتعمقون فى الكلام البليغ تكبرا وتصنعا وتفاخرا على الأقران لاسجية وسليقة ، فمن كانت فصاحته وبلاغته سجية فهو وصف ممدوح لحديث : « جمال الرجل فصاحة لسانه » ورحم الله من قال :

لسان فصيح معرب فى مقاله ... فياليته فى موقف الحشر يسلم
وماينفع الإعراب إن لم يكن تقى ... وما ضرذا تقوى لسان معجم

وفى [عف] والتكلف مذموم فى جميع الأشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف فى الكلام وزيادة التملق الذى صار دأب أهل الزمان ، فما كاد يسلم من ذلك إلا آحاد وأفراد وكم من متملق لايعرف أنه تملق ولا يفطن له ، وقد يتملق الشخص إلى حد يخرجه إلى صريح النفاق وهو مباين لحال الصوفى ، وأخرج عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحياء والعى ، شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان ، شعبتان من النفاق » البداء : الفحش ، وأراد بالبيان هنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثناء عليهم وإظهار التفصح ، وذلك ليس من شأن أهل الصدق : انظره (إلا لإيضاح) وتبيين كلام (مشكل) من أشكل الأمر التبس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا . وفى [جه] وكثيرا مايقول رضى الله عنه : العالم على الحقيقة من يشكل الواضح ويوضح المشكل لسعة علمه وكثرة فهمه وحسن نظره وتحقيقه ، فهذا الذى يجب حضور مجالسه والاستماع من غرائبه وفوائد علمه ، كما قال الشيخ ابن عرفة فى أبياته المنسوبة له :

إذا لم يكن فى مجلس الدرس نكتة ... بتقرير إيضاح لمشكل صورة

وعزو غريب النقل أوحل مشكل ... أو إشكال ابدته نتيجة فكرة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد ... وإياك تركا فهو أقبح خلة

انظره (و) لا تتكلف أيضا (للضيف) للواحد والجمع وقد يجمع على أضياف وضيوف وضيفان وهى ضيف وضيفة. انظر [س] (ف) كل ماتقدمه له من (القرى) وغيره، والقرى بالكسر والقصر: مايقدم للضيف أول نزوله، وهو من المسائل التى يندب فيها التعجيل المجموعة فى قول من قال رحمه الله:

بادر بتوبة قرى والدفن ... بكر صلاة مع جهاد دين

وذيلها من قال رحمه الله:

تعجيل أوبة كذارمى الجمار ... ثم الزكاة أدها قبل انكسار

ومن آدابه تقديم الموجود وترك التكلف بالمفقود، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه:

أقول لمن حل بى مرحبا ... فأحضره مالدىّ حضر
ولو كان خبز شعير وما ... فحسبى سنة من قدْ غبر
فأما الكريم فيشكره ... وأما اللئيم فقد احتقر
بخبز وخل قرى جابر ... وأقرى بكسرة خبز عمر
بهديهم يا أخى فاهتدى ... ودع من يباهى ومن افتخر
فإن زمانك لايقبل ا ... حلال به صرفا فالحذر

وفى [جص] «كفى بالمرء شرا أن يتسخط ماقرب إليه» وفيه «إذ اشتد عليك كلب[1] الجوع فعليك برغيف وجرة من ماء القراح[2] وقل على الدنيا وأهلها الدمار»[3] وفيه «أكرموا الخبز فإن الله أكرمه، ومن أكرم الخبز أكرمه الله» وروى «مااستحقر أحد الخبز إلا ابتلاه الله بالجوع» ورحم الله من قال:

أرى خبز الشعير بماء وملح ... لمن طلب النجاة له كثيرا

[لطيفة] قد أخبرنى من أثق به أنه سمع من دعا إنسانا ليأكل معه خبز شعير وزيتا فقال له ذاك غداء الشيطان نعوذ بالله من الخسران والخذلان. وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه وعنابه آمين «ومشيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبز شعير وإهالة سنخة» وإهالة بكسر الهمزة ما أذيب من الشحم والسنخة كنبقة المتغيرة الريح. وفى سنن أبى داود عن أنس رضي الله عنه «أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم: «أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة» وزاد غيره «وذكركم الله فيمن عنده» وفى [حى] وأما آداب التقديم فترك التكلف أولا وتقديم ماحضر، فإن لم يحضره شىء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه، وإن حضره ماهو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلاينبغى أن يقدم. دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال: لولا أنى أخذته بدين لأطعمتك منه.

---

(١) قوله كلب بفتحتين مصدر كلب الكلب كتعب: أصابه داء كالجنون اه.

(٢) قوله القراح كسحاب: الماء الخالص اه. (٣) قوله الدمار: كهلاك وزنا ومعنى اه.

وقال بعض السلف فى تفسير التكلف: أن تطعم أخاك مالا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة . وكان الفضيل يقول : إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه، وقال بعضهم : ماأبالى بمن أتانى من إخوانى فإنى لا أتكلف له إنما أقرب ماعندى، ولو تكلفت له لكرهت مجيئه وملته . وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لى فتكلف لى فقلت له إنك لا تأكل وحدك هذا ولا أنا وحدى فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه فإما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجىء ، فقطع التكلف ودام اجتماعهما بسببه . ومن التكلف أن يقدم جميع ماعنده فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم . وروى أن رجلا دعا عليا رضى الله عنه فقال على : أجيبك على ثلاث شرائط : لا تدخل من السوق شيئا ، ولا تدخر فى البيت ، ولا تجحف بعيالك . وكان بعضهم يقدم من كل مافى البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه . وقال بعضهم : دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال : لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم . وقال بعضهم: إذا قصدت للزيارة فقدم ماحضر، وإن استزرت فلا تبق ولا تذر . وقال سلمان : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ماليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا . وفى حديث يونس النبي [1] صلى الله عليه وسلم : أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا وجز لهم بقلا كان يزرعه ، ثم قال لهم كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه وغيره من الصحابة: أنهم كانوا يقدمون ماحضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ، ويقولون لاندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحتقر ما يقدم إليه أو الذى يحتقر ماعنده أن يقدمه اهـ. وفيه : روى الأعمش عن أبى وائل قال : مضيت مع صاحب لى نزور سلمان فقدم لنا خبز شعير وملحا جريشا ، فقال صاحبى لو كان فى هذا الملح سعتر كان أطيب، فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبى الحمدلله الذى قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة ، انظره. وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانحتقر ماتقدمه للضيف ولا نحتقر ماقدم لنا إذا كنا ضيوفا ولو كسرة يابسة أو تمرة واحدة ، لاسيما فى هذا الزمان الذى قل فيه الحلال حتى إنه لايكاد يوجد منه شىء فى يد شيخ من مشايخ الفقراء فضلا عن آحاد الناس ، ولم يكلفنا الله تعالى أن نضيف الناس بالحرام والشبهات وإنما أمرنا أن نضيفهم بالحلال ، ثم قال : وقد بلغنا أن الحسن البصرى زار عمر بن عبد العزيز أيام خلافته ، فأخرج له عمر نصف رغيف ونصف خيارة وقال : كل ياحسن فإن هذا زمان لايتحمل الحلال فيه الإسراف اهـ. وقال ميمون بن مهران : زرت الحسن البصرى فدققت الباب فخرجت لى جارية خماسية فقالت من تكون؟ فقلت لها ميمون، قالت كاتب عمر بن العزيز ؟ فقلت لها نعم ، فقالت وماحياتك ياشقى إلى هذا الزمان الخبيث ، ثم استأذنت الحسن فأذن لى فدخلت عليه ، فأخرج لى كسرة وشقة بطيخ ، وذكر لى زيارته لعمر بن عبدالعزيز وتقديمه له الكسرة والخيارة فإذا كان هذا حال الخلفاء أمراء المؤمنين فى المئة الأولى فما ظنك يا أخى بالنصف الثانى من القرن العاشر صاحب الغرائب والعجائب فى عدم تورع أحد من أهله ذلك التورع ، فأطعم ياأخى لله تعالى بشرط الحل فإنك مسئول عن كل لقمة تطعمها لضيوفك من أين اكتسبتها والله يتولى هداك ، انظره ، وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله

---

(١) هو يونس بن متى نسب إلى أمه ، وقيل هو اسم أبيه صلى الله عليه وسلم اهـ مرتضى .

صلى الله عليه وسلم أن نقرى[1] الضيف ونكرمه ونأمر جميع إخواننا بذلك ونبين لهم ماورد فى تأكيد حقه ، وهذه السنة عظيمة والعامل بها قليل لاسيما قرى الأمراء لاتكاد ترى لهم رغيفا إلا فى النادر ، وكان الأولى لهم إحياء هذه السنة التى اندرست ، ويقرون كل وارد عليهم حسب الطاقة لأن حامل العلم والقرآن من نواب النبى صلى الله عليه وسلم وصغيرته كبيرة ، فينبغى لكل عالم أن يدعو طلبته إلى طعامه كلما قرءوا عليه ولورغيفا يفرقه عليهم ، ثم قال : وسمعت أخى أفضل الدين يقول : إياك أن تضيف إنسانا وتخطر ببالك المقابلة إذا وردت أنت الآخر عليه بل أطعمه لوجه الله لاتريد منه جزاء ولاشكورا ، ومتى خطر فى بالك أنه يقابلك إذا وردت عليه فلست مخلصا بل أنت مراء والمرائى أجره حابط من أصله ، وهذا حال غالب الناس اليوم ، فإن علمت ذلك ياولدى من إنسان فلا تأكل له طعاما لاسيما الفلاحين فإن أحدهم لايتكلف لمن ورد عليه إلا على نية طلب العوض لعجزهم عن بلوغ مقام الإخلاص ، وإن شككت فجرب اه. ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إياك أن تأكل لمن استضافك لأجل اعتقاده فيك الصلاح فإنك إن كنت صالحا فى نفس الأمر فقد أكلت بدينك وإن لم تكن صالحا فقد أكلت حراما بنص الشريعة ، فقلت له ممن آكل ؟ فقال لاتأكل إلا ممن لورآك تشرب الخمر لا يقطع ضيافته عنك فإنه حينئذ يطعمك لله تعالى ، بخلاف من غلب ظنك فيه . أنك لوسلمت من الصلاح لم يطعمك لقمة اه . وهذا ورع الفقراء الذين مضوا ، وأما اليوم فلا تكاد ترى أحدا يتورع من ذلك ، ثم قال : ومن أعان ضيفا على تعدى آداب الشارع فهو إلى قلة الأجر أقرب ، فينبغى للفقير أن يكون أشفق على الناس وعلى دينهم من أنفسهم ، فقلت له ربما خاف الإنسان من نسبته إلى تقصير إذا أخرج للضيف كسرة يابسة ؟ فقال من يخاف العتب من الناس ماهو من رجال هذا المقام إنما هذا لمن يراعى الله وحده . وقد جربنا أنه ما أخلص عبد فى شىء ورد عليه أبدا فإن رد عليه بسوء فإنما ذلك لشىء يخالطه من أهوية النفوس ، ثم قال : وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه الله يقول : إذا صرت موردة للناس فإياك أن تتكلف للضيف فإنك تهرب ولو على طول ، والله عليم حكيم اه . وفى [عف] ويكره أكل طعام المباهاة وما تكلف للأعراس والتعازى ، انظره . وفى [جه] ومن عادته رضى الله عنه أنه لايخرج من داره شيئا لأضيافه أو غيرهم إلا بعد كفاية من بداره منه ، وإن أخرج يوما طعاما لم يكن فيها غيره حاضرا عوضهم آخر مثله لامحالة ، وينبه على ذلك ويربى به غيره مخافة التوصل لحق بترك حق ، ومن شأنه رضى الله عنه حفظ الطعام واحترامه متى فضل شىء منه التمس فى الحين من يأكله ، وإذا خرج الطعام من داره للأضياف وفضل عنهم يتصدق به فلا يرجع إلى الدار منه شىء أصلا لأنه خرج لله تعالى اه .

[قلت] لحديث « العائد فى صدقته كالكلب يعود فى قيئه » وأما من لم يخرجه على تلك النية فله أكل ما فضل للضيف ولا سيما إن صحت النية ، فقد عدوا فضلة الضيف من الأمور التى لاحساب فيها على الإنسان ، وجمعها من قال رحمه الله :

قد جاء لاحساب فى أكل السحور	كذا مع الإخوان أو أكل الفطور
وزد لهذا فضلة الضيف فقد	صرح بعض أن هذا قد ورد

---

(١) من قرى، كرمى: أحسن إليه اه .

وفى [خل] وقد كان بعض السلف إذا جاءه الأضياف يقدم لهم فى وقت واحد ما يقوم بنفقته شهرا ونحوه ، فيقال له فى ذلك فيقول قد ورد أن بقية الضيف لا حساب على المرء فيها ، فنكان لا يأكل إلا فضلة الضيوف لأجل ذلك اه (مخافة) أى من أجل خوف (بغضة) بكسر موحدة: شدة البغض لحديث : « لاتكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله » وفى [عف] ومن أدبهم أن لايتكلفوا للإخوان . قيل لما ورد أبو حفص العراق تكلف له الجنيد أنواعا من الأطعمة فأنكر ذلك أبوحفص وقال: صير أصحابى مثل المخانيث يقدم لهم الألوان والفتوة عندنا ترك التكلف ، وإحضار ماحضر فإن بالتكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف وبترك التكلف يستوى مقامه وذهابه اه .وفى[ثيق] أخذ علينا العهود أن لاتتكلف قط لضيف ولو كان من أعز الناس أو من الصالحين سدا لباب التكلف الذى تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: « نحن معاشر الأنبياء برءاء من التكلف » ثم قال : واعلم يا أخى أن كل من تكلف للضيوف فلا بد له من كراهته للقائهم وقفل بابه عليه والهرب منهم ولو على طول حيث أخطأ السنة ومن شك فليجرب ، ثم قال : وكان سيدى الشيخ على الخواص يسقى الضيف الماء فقط ويقول الماء أحل ماوجدناه اليوم والأكل كثير عند غيرنا ولكل مقام رجال ـ والله واسع عليم ـ اه . وفى [غ] وفى الحديث: « من مكارم الأخلاق التزاور فى الله» وحق على المزور أن يقرب إلى أخيه ما تيسر عنده وإن لم يجد إلا جرعة ماء وإن احتشم أن يقرب إلى أخيه ما تيسر له لم يزل فى مقت الله يومه وليلته اه . وفى [جص] «لاخير فيمن لايضيف» وفيه « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » وفيه « إذا دخل الضيف دخل برزقه وإذا خرج خرج بمغفرة ذنوبهم » وفيه « من ذبح لضيفه ذبيحة إكراما له لله كانت فداءه من النار » قال الحفنى : أى ذبيحة كانت ولو دجاجة ونحوها إه . وقال: وإكرام الضيف بحسب مايقتضيه الحال من إطعامه حتى يشبع ولا يجلس فوقه بل تحته ويهيء له ما يركبه إن كان منزله بعيدا إه . وفيه : سخافة بالمرء أن يستخدم ضيفه . وقد علمت أن السين والتاء للطلب أما لو تطوع بخدمة بنية صالحة فلا يضر. ونقل أن بعض الأولياء كان يضرب أضيافه فاستغرب بعضهم ذلك فقصده ليختبره فصار يصب الماء على يده بنفسه ويقدم له النعل، وكل مايفعل معه شيئا من ذلك يقول له الضيف واجب عليك ذلك، فقال له لم لم تضربنى كغيرى من الضيوف ؟ فقال لأنك لم تمنعنى من السنة فضربى لهم لأجل كفهم عن منعى من خدمتهم اه. ومما ينبغى أيضا مواكلة الضيف لقوله صلى الله عليه وسلم لأمنا عائشة رضى الله عنها وعنابها آمين « وآكلى ضيفك فإن الضيف يستحيى أن يأكل وحده» اه. وأن يلقمه لقمة لحديث: « إذا أكل أحدكم مع الضيف فليلقمه[1] بيده فإذا فعل ذلك كتب له بكل لقمة عمل سنة صيام نهارها وقيام ليلها » اه ومما ينبغى للضيف أن لا يسأل عما قدم إليه من الطعام أحلال أم لا؟ لحديث « إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم فأطعمه من طعامه فليأكل ولا يسأل عنه وإن سقاه من شرابه فليشرب ولا يسأل عنه » أى اللهم إلا أن يعلم حرمته فلا يقربه وليتستر على نفسه بالصيام ونحوه كما وقع لبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه غير ما مرة ، ومما ينبغى له أن لايصوم إلا بإذن رب المنزل لحديث « إذا نزل الرجل بقوم فلا يصم

---

(١) بضم تحتية وتشديد قاف : من التلقيم اه .

إلا بإذنهم» اهـ . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نكرم كل ضيف ورد علينا سواء كان إنسانا مؤمنا أو كافرا أو غير إنسان من سائر الحيوانات أو غيرها حتى الأيام والساعات والدرج والدقائق والثوانى والخواطر والواردات كل صنف بما يناسبه ، فيكرم الضيف المسلم بالبشاشة وإطعام الطعام والفرش والغطاء وتحلية الكلام له ونحو ذلك . قال بعضهم : وينبغى أن نزيد فى البشاشة والإكرام للضيف الكافر تأليفا له على الإسلام ، ونكرم الأيام والساعات والدرج[1] والدقائق والثوانى بالطاعات والإكثار من ذكر الله عز وجل وكثرة الاستغفار لتفارقنا ، وهى شاكرة غير ذامة إذا رجعت إلى خالقها ، والواردات والخواطر بتنظيف بواطننا من الحرام والشبهات فإن لم يقع منا إكرام لما ذكر أكثرنا من الاستغفار اهـ - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - قال رحمه الله :

(وَكُنْ مُتَوَاضِعاً حَيِيًّا وَلَيِّنًا وَكُنْ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ مَعْ كُلِّ ذَرَّةِ)

(وكن متواضعا) من تواضع : تخشع وتذلل . وفى [عف] ومن أحسن أخلاق الصوفية التواضع ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع ، ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل أحد مقدارا يعلم أنه يقيمه ويقيم كل أحد على ماعنده من نفسه ، ومن رزق هذا فقد استراح وأراح ومايعقلها إلا العالمون ، ثم أخرج بسنده عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يبغى بعضكم على بعض » وقال عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى - قال « على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس » وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها ويأكلها ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين ، ثم أخرج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالدون من المجلس وأن لا تحب المدحة والتزكية والبر » وورد أيضا عنه عليه الصلاة والسلام : «طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل فى نفسه من غير مسكنة» سئل الجنيد عن التواضع فقال : خفض الجناح ولين الجانب ، وسئل الفضيل عن التواضع فقال : تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه ، وقال أيضا : من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب ثم قال : قال أبو حفص : من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليلتزم بحرمتهم فمن شدة تواضعهم فى أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر . وقال لقمان عليه السلام : لكل شىء مطية ومطية العمل التواضع . وقال النووى : خمسة أنفس أعز الخلق فى الدنيا : عالم زاهد ، وفقيه صوفى ، وغنى متواضع ، وفقير شاكر ، وشريف سنى . وقال يوسف بن أسباط : وقد سئل ماغاية التواضع قال : أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيته خيرا منك . ثم قال بعضهم : من تكبر فقد أخبر عن نذالة نفسه ، ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذى : التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونهيه فإن النفس لطلب الراحة تتلهى عن أمره والشهوة التى فيها تهوى فى نهيه فإذا وضع نفسه لأمره ونهيه فهو تواضع ، والثانى أن يضع نفسه لعظمة الله فإن اشتهت نفسه شيئا مما أطلق له من

(١) قوله الدرج بفتحتين جمع درجة كقصب وقصبة وكغرفة وغرف : المرقاة التى يصعد بها اهـ .

كل نوع من الأنواع منعها ذلك ، وجملة ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى : واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه ، فعند ذلك تذوب النفس وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب ، فتلين وتطيع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها ، انظره .

وفى [حى] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة[1] يمسكانه بها فإن هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا : اللهم ضعه ، وإن وضع نفسه قالا اللهم ارفعه » وقال صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة ، ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ، ومن أكثر ذكر الله أحبه الله » وفيه : وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى وألزم قلبه خوفى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى . وقال صلى الله عليه وسلم « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى » وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة ، طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله يوم القيامة . وفيه قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة » وقال صلى الله عليه وسلم : « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا رحمكم الله » ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار » وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل ، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل : وقال الحسن : التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما فلم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة ، أنظره . وفى الحكم : من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا إذ ليس التواضع إلا عن رفعة ، فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت المتكبر حقا اه .

وعن أبى يزيد رحمه الله ما دام العبد يظن أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر . قيل فمتى يكون متواضعا ؟ إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا اه . وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن حقيقة التواضع ؟ فقال رضى الله عنه : حقيقته أن يرى نفسه دون كل جليس ذوقا لا علما . وذلك لأن الذوق لا يصير عند صاحبه بقية كبر ولا يتكدر قط ممن يزدريه ، بخلاف من كان تواضعه لجليسه علما فإنه يطرقه الكبر فى بعض الأوقات ويتكدر ممن ينقصه ، ثم قال : شروط التواضع الغيبة عن التواضع ، وذلك لأن من يشهد تواضعه لابد أن يكون أثبت لنفسه مقاما عاليا ، ثم تواضع وتنازل منه لأخيه وكفى بذلك كبرا ، وفى الحديث : « لا يدخل الجنة من فى قلبه ذرة من كبر » انظره وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتواضع لإخواننا المسلمين بمعنى أننا نرى نفسنا دونهم فى المقام لا أنا نرى مقاما فوقهم ونتنازل لهم منه كما هو ظاهر لفظ التواضع ، انظره .

---

(١) حكمة كقصبة : مقدم وجه الإنسان ، وما أحاط بحنك الفرس من لجام اه .

وفى [ثيق] فاشهد نفسك يا أخى دون جليسك المسلم لتصير من أهل التواضع ويرفعك الله تعالى فوق أقرانك فإن فى الحديث الصحيح: « من تواضع لله رفعه الله » فإن رأيت نفسك فوق إخوانك صرت تحتهم وإن شهدتهم فوقك صرت فوقهم ، ولم يتعبدنا الحق تعالى بأن نرى نفوسنا فوق أحد من الخلق إلا من حيث الشكر فقط ، لا من حيث الزهو والعجب والكبر ، بل نهانا عن الكبر أشد النهى ، وقال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » يعنى على أخيه المسلم : ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يبلغ العبد مقام التواضع حتى لا يرى له مقاما على شىء فى الوجود عند الله تعالى : أى على سبيل التواضع إلا بنص صريح من الشارع صلى الله عليه وسلم ، بل ينزل نفسه تحت الأرضين السفلى الذى هو مقر نفوس العارفين، وما دام يرى له مقاما عاليا يتنازل منه إلى الناس فهو من المتكبرين ، فهو وإن تواضع يرى نفسه على الناس الذين تواضع لهم لأنه أثبت له مقاما فوقهم تنازل لهم منه، وما هكذا يكون تواضع العارفين. وسمعته مرات يقول : من علامة المتخلق بمقام التواضع على الحقيقة أن يتحمل أذى الخلق أجمعين ولا يقابلهم بأذى كما يفعل العبد مع سيده ، وهذا الأمر هو الذى أعان الفقراء على تحمل الأذى من الخلق، فإنهم لو رأوا نفوسهم أعلى أو متساوية لما احتملوا أذى أحد من الخلق، بل كانوا يقابلونهم بنظير ما فعلوا معهم ، وتأمل يا أخى العبد لما ظهر له مقام سيده الذى اشتراه ووزن ثمنه كيف يشتمه سيده ويضربه وهو ساكت منكس الرأس ، ومن علامة المتحقق به أيضا : إن لا يمنع أحداً شيئا طلبه منه إلا لغرض صحيح شرعى كما يفعل العبد مع سيده ، ومن علامته أيضا أن لا يخطر فى باله أن أحدا يقوم له أبدا أو أنه يستحق القيام له كما هو شأن العبد مع سيده ومن علامته أيضا أن لا يتأثر ممن يهجوه ويذكره بالنقائص ، بل يقول إن الهجو ورميه بالنقائص وقع من أهله فى محله إلا أن يكون الأولى فى الشرع خلاف ذلك ، ومن علامة المتحقق به أيضا أن لا يتجرأ على دخوله المسجد إلا تبعا للناس وإذا جاء فوجد المسجد ليس فيه أحد يقف على الباب حتى يدخل أحد فيدخل تبعا له لأسرار يذوقها أهل الله تعالى ، ثم قال : ومن علامة المتحقق به أيضا كثرة تسليمه للخلق فى كل ما يدعونه من مراتب الكمال ويقول إن أهل الأرض لا يعرفون أخبار من هو فى السماء : أى إن الأدنى بعيد عن الإحاطة بحال الأعلى فليمتحن العبد نفسه بهذه العلامات فإن رآها متخلقة بها فليشكر الله وإلا فليتب إلى الله تعالى من التكبر ، انظره . وفى [جص] « تواضعوا لمن تعلمون منه العلم وتواضعوا لمن تعلمون ولا تكونوا جبابرة العلماء » قال المناوى : وتمامه « فيغلب جهلكم علمكم » قال الحفنى : فإن من خضع لشيخه تجلى الله عليه بالأنوار وكان سببا لإتحافه بالفهم حيث راعى حق شيخه فى السر والعلانية ، ومشايخ التسليك أولى بذلك فقد قالوا : لا ينبغى له أن يجالس شيخه إلا إذا وصل إلى حالة لا ينتقد شيخه فى فعل ما، و إلا فقديرى شيخه يخالط الناس ويمازح فينتقده فيحرم بركته مع كون شيخه يفعل ذلك ظاهرا وقلبه مع الله تعالى ، فالموفق من كان فى مرضاة شيخه وقضاء حاجته وإن لم يسأله وأن يعتقده أفضل أهل العصر ولا يشتغل بغيره عنه ، وقد وقع أن الشيخ خليلا صاحب المختصر جاء يوما فلم يجد شيخه فسأل عنه فقيل له: إنه ذهب يأتى بسرباتى ينزح الحش (١) ، فخلع ثيابه ونزح الحش فجاء الشيخ فوجده

---

(١) قوله ينزح بفتح معجمة من نزح كمنع . وقوله الحش بفتح حاء وضمها : الكنيف اه .

ينزح الحش فتوجه إلى الله تعالى ودعاله بأن يكون من أهل الفقه والتأليف والوصول فوجدت عنده أنوار المعارف فى الحال اه . وفيــه « وقروا من تعلمون منه العلم ووقروا من تعلمونه العلم » قال المناوى : فحق المعلم أن يجرى طلبته مجرى بنيه فإنه لهم فى الحقيقة أب ومن توقيرهم أن لايستعملهم فى قضاء حوائجه اه .

[قلت] فالسين والتاء للطلب والمذموم أن يطلب منهم ذلك طوعا أوكرها ، وأمامن تبرع منهم بشىء بنية صالحة فلا يمنع من ذلك إن كان حرا مكلفا وإلا فلا . وفى [حى] ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل نائبة وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض جهارا له فى حاجاته ومسخرا بين يديه فى أوطاره ، فإن قصر فى حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لايستحيى أن يقول غرضى من التدريس نشر العلم تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه ، انظره وانظر [خل] فقد أفاد وأجاد فيما عمت به البلوى معلمى الوقت من استعباد واسترقاق تلامذتهم طوعا وكرها فى أغراض فانية وحظوظ نفسانية وأهواء شيطانية ، عافانا الله وإياهم من المحن والفتن وأغرقنا وإياهم فى دائرة فضله ورضاه بمحض جوده وكرمه آمين . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فيدعون بالردى على من تلمذوا ... إذا لم يساعدهم بأهوا مضلة
فمن لم ينلهم من دراهمه المنى ... ينل منهم شرا وأسوأ غلظة
ودار بخدمة ومال جميعهم ... تنل منهم الرضى بأسرع لمحة
بلوت فلا أرى سوى من يعلم ... لأغراض نفسه وأهوا خبيثة
ومن شك فليخبر (١) أهيل زمانه ... يرى صدق ما أقول من غير مرية

(حييا) أى وكن كثير الحياء وهو لغة تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف مايعاقب به ، وشرعا خلق يبعث على ترك القبيح وفعل الحسن ، وقيل الحياء مايمنعك عما يضرك . وقال الحليمى : الحياء من الله طريق إلى كل طاعة وترك كل معصية فيفوز صاحبه بكمال الإيمان . وفى [جص] « الحياء والإيمان مقرونان لايفترقان إلا جميعا » وفيه « الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » : وفيه « الحياء زينة ، والتقى كرم ، وخير المركب الصبر ، وانتظار الفرج من الله عبادة » وفيه : « الحياء خير كله والحياء لايأتى إلا بخير » وفى [عف] قال سهل : أدنى مقام من مقامات القرب الحياء . وقال النصرباذى : باتباع السنة تنال المعرفة ، وبأداء الفرائض تنال القربة ، وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة ومنها الحياء ، والحياء عــلى الوصف العام والوصف الخاص ، فأما الوصف العام فما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحى يارسول الله ، قال ليس ذلك ولـكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى : ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء » وهذا الحياء من المقامات ، وأما الحياء الخاص فمن الأحوال وهو مانقل عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : إنى لأغتسل فى البيت المظلم فأنطوى حياء من الله ، أنظره . ولذا قال فيه صلى الله عليه وسلم « أحيى هذه الأمة عثمان » ، وقال فيه لما غطى فخذيه الشريفتين فى

---

(١) قوله فليخبر بفتح تحتية وضم موحدة من خبر كنصر اه .

قضية البئر المعلومة : ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة، وفى [شب] قيل لأبى سفيان ماأول الحياء؟ فقال أن تستحيي منه أن يراك حيث نهاك . قيل فماغايته ؟ قال أن تستحيي منه أن يعلم أنك تريد بقلبك سواه . وقالت عائشة رضى الله عنها « مكارم الأخلاق عشرة : صدق الحديث ، وصدق البأس ، وأداء الأمانة ، وإكرام الجار ، وصلة الرحم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف ، وحفظ الذمام للصاحب ، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء . وقال بعض السلف لابنه : يابنى إذا دعتك نفسك إلى معصية فارم ببصرك إلى السماء واستح ممن فيها ، فإن لم تفعل فارم ببصرك إلى الأرض واستح ممن فيها ، فإن لم تفعل فعد نفسك من البهائم وافعل ماشئت ، ورحم الله من قال :

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحى فاصنع ماتشاء
فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وروى آخر : ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » ورحم الله من قال :

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وفى الحديث القدسى : « ياعبدى إنك ما استحييت منى أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك ولا أناقشك الحساب يوم القيامة » انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستحى من الله حق الحياء سرا وجهرا حتى لاتكون لنا سريرة سيئة نخشى من ظهورها وفضيحتها لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ونأمر جميع إخواننا بذلك ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح يسلك به حضرات القرب ويدخل به حضرات الإحسان حتى لا يكاد يخرج منها إلا فى النادر ، وهناك يكون شهوده للحق مستداما فتارة يرى أن الله يراه وتارة يؤمن بأنه جليس الله وإن كان لايراه، كالأعمى يعرف أنه جليس زيد وإن كان لايراه ، ومن لم يسلك على يد شيخ فمن لازمه غالبا قلة الحياء مع الله تعالى حتى فى صلاته . وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لايبلغ أحد مقام الحياء مع الله تعالى حتى يتعطل كاتب الشمال فلايجد شيئا يكتبه فى حقه أبدا ، وحتى يصير لا يتجرأ على مدرجله إلا إن استأذن الحق ، ولايتكلم كلمة إلا إن استأذنه وهكذا ، هذا فى الأمور العادية أما الأمور المشروعة فيكتفى فيها بالإذن العام، وبالجملة فكل من وقع فى سهوة كمعصية أو مكروه فما استحيي من الله حق الحياء المشروع ، ثم قال : وسألت شيخ الإسلام زكريا رحمه الله عن الفرق بين الحياء الشرعى والحياء الطبيعى ؟ فقال : الفرق بينهما هو أن الحياء الشرعى يكون فيما أمر به الشارع أو نهى عنه فيستحيي من الله أن يترك مأمورا أو يقع فى منهى . والحياء الطبيعى يكون فيما سكت عنه الشارع من الأمور العادية كأن يستحيي أن يخرج بعمامة لا تليق به أو يخرج إلى السوق بغير رداء على كتفه ونحو ذلك ، ومن الفرق أيضا أن يكون تقبيحه للأمور تبعا للشارع لا بحكم الطبع كما يقع فيه غالب الناس فيقع فى الغيبة والنميمة ولايستقبح ذلك ، ويستقبح أكل الشىء المخدر أو شرب القهوة أو الجلوس على دكان حشاش مع أن ذلك أخف من إثم الغيبة والنميمة بيقين ، ولو أنه مشى على الحياء الشرعى لاستقبح ماقبحه الشارع أكثر مما قبحه الطبع اه . فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك ، انظره . وفى جد سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : من استحيي من الله تعالى فى هذه الدار استحيى الله منه فى الدار الآخرة ، فقلت

ماصفة استحياء الله من عبده ؟ فقال رضى الله عنه : أن يباسطه ويقول ياعبدى لا تخف منى فإن جميع ماكان وقع منك من المخالفات والتقصير فى دار الدنيا إنما كان بقضائى وقدرى وتنفيذ مشيئتى وإرادتى التى لم أكلف أحدا بمخالفتها فأنت ياعبدى كنت موضعا لجريان أحكامى وظهور سلطانى ، فيأنس العبد بذلك ألذ المؤانسة ولو أن العبد قال هو ذلك القول لربه فى دار الدنيا أو الآخرة لأساء الأدب مع الله تعالى ولم يسمع منه ، فاعرف أدب الخطاب تفتح لك الأبواب ، فقلت له فما هى الأسباب الحافظة للعبد عن الوقوع فيم لا ينبغى ؟ فقال رضى الله عنه هى أربعة : الحياء والخوف ، والرجاء ، والعصمة أو الحفظ فى علم الله تعالى لهذا الشخص اه (ولينا) بتشديد تحتية وتخفف كهين وهين وميت وميت ، لكن قال ابن الأعرابى : إن العرب تمدح بالهين واللين مخففين وتذم بهما مثقلين. وفى [جص] « المؤمن هين لين حتى تخاله من اللين أحمق » وفيه « المؤمنون هينون لينون كالجمل الآنف [1] إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ » وفيه « ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غدا : كل هين لين قريب سهل » وفيه « من كان سهلا هينا لينا حرمه الله على النار » وفى [عف] ومن أخلاق الصوفية : السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف، ثم قال أبو مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال « أتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل فكلمه فأرعد، فقال هون عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » وعن بعضهم فى معنى لين جانب الصوفية :

هينون لينون أيسار بنو يسر سواس [1] مكرمة أبناء أيسار
لاينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا بإكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى انظره

وفيه : ومن أدبهم فى الصحبة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة : قال أبو على الروذبارى : الصولة على من فوقك قحة [2] وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز اه. وعن النبى صلى الله عليه وسلم « من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » وعنه صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق فى الأمر كله » وعن الغزالى رحمه الله: فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه ، حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه ، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهى عنه . ووعظ بعضهم المأمون فأغلظ عليه فقال له : يا هذا أرفق فقد بعث من هو خير منك إلى من هو شر منى . قال تعالى - فقولا له قولا لينا - ويؤخذ منه أنه يتعين على العالم الرفق بالطالب وأن لا يوبخه ولا يعنفه ولا يشدد عليه فى شىء، قال تعالى - وقولوا للناس حسنا - وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعود نفوسنا طيب الكلام وطلاقة الوجه لكل مسلم من عدو وصديق ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يدخل به الحضرات الإلهية فيشهده محاسن الوجود ويحجبه عن مساويه ، إذ المحاسن هى الأصل والمساوى عارضة عرضت من حيث الأحكام الشرعية لاغير ، فإذا شهد تلك المشاهد صار يخاطب من الخلق السر القائم بهيا كلهم لاهم ، ومن كان يخاطب سر الله تعالى

---

(١) قوله الآنف بكسر النون ككتف اه . (٢) قوله سواس : جمع سائس .
(٣) القحة : الخالص من اللوم .

فكأنه يخاطب الله ، ومن كان هذا مشهده رزق من طيب الكلام وطلاقة الوجه مالا يقدر قدره وجنبه الله كل كلام جاف . ثم قال : فعلم أن من لم يسلك على يد شيخ كما ذكرنا فمن لازمه غالبا الكلام الجافى للناس لاسيما أصحاب الموازين على ظاهر الشرع فإنهم يزدرون ويحتقرون كل من خالف مافهموه ويغلظون عليه الكلام إلا إن كان له مال أوجاه كما هو مشاهد منهم حال خطابهم الأمراء والمباشرين مع علمهم بمظالمهم وشربهم الخمر وتضييع الصلوات وغير ذلك ، فيتلطفون بهم فى حال خطابهم أشد الملاطفة ، ومن لامال له ولا جاه من الحشاشين وأصحاب الكتب ولوفتح الله عيون بصائر هؤلاء لتلطفوا فى كلامهم لسائر المسلمين ، فإن ذلك أقرب إلى انقيادهم وسماع وعظهم . وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من شرط الداعى إلى الله تعالى أن لايكون عنده غلظة ولا فظاظة على الفسقة المارقين ، بل يجب عليه تليين الكلام والتقرب إلى خواطرهم بالإحسان إليهم حتى يميلوا إليه فإذا مالوا فلينصحهم إذ ذاك . وقد بلغنا أن داود عليه السلام كان يغلظ القول على عصاة بنى اسرائيل حتى أنه ربما يقول : اللهم لاترحم من عصاك ، فلما وقع فى الخطيئة التى ذكرها الله تعالى صار يقول اللهم اغفر للخطاءين حتى تغفر لداود معهم ، ثم أوحى الله تعالى إليه : ياداود المستقيم لايحتاج إليك والأعوج أغلظت عليه بالقول حتى تفر منك ونفرت منه ، فلماذا أرسلت ، فتنبه داود لذلك وصار يطوف على بنى إسرائيل فى بيوتهم ويكلمهم بالكلام اللين ويعظهم بالموعظة الحسنة ويجادلهم بالتى هى أحسن ، ثم قال فاعرف ياأخى طرق السياسة وعود نفسك طيب الكلام سواء كان المخاطب صالحا أوطالحا ، انظره (وكن حسن الأخلاق) جمع خلق بضمتين (مع كل ذرة) فى الوجود ناطقة أوصامتة ساكنة أو متحركة :

وفى [حى] وحسن الخلق لاتخفى فى الدين فضيلته وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه عليه الصلاة والسلام إذ قال - وإنك لعلى خلق عظيم - وقال صلى الله عليه وسلم : « أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق » وقال أسامة بن شريك « قلنا يارسول الله ماخير ماأعطى الإنسان قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق » وقال صلى الله عليه وسلم « أثقل مايوضع فى الميزان خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ماحسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق ، قال أبو هريرة رضى الله عنه وما حسن الخلق يارسول الله؟ قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك » وفيه « وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلى قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وسئل صلى الله عليه وسلم « أى الأعمال أفضل ؟ قال خلق حسن » وفيه : قال الفضيل « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها ؟ قال لاخير فيها هى من أهل النار » وقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول مايوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء ، ولما خلق الله الكفر قال اللهم قونى فقواه بالبخل وسوء الخلق » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولايصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشىء من عمله : تقوى تحجزه[1] عن معاصى الله ، أو حلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس »

---

(١) قوله تحجزه بفتح فوقية وضم جيم من حجز كنصر اه .

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم فى افتتاح الصلاة: اللهم أهدنى لأحسن الأخلاق ولايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها، لايصرف عنى سيئها إلا أنت، وقال صلى الله عليه وسلم « من سعادة المرء حسن الخلق » وقال أنس : قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف فى العبادة » وقال صلى الله عليه وسلم « سوء الخلق ذنب لايغفر وسوء الظن خطيئة تفوح » وقال عليه الصلاة والسلام : « إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم وقال أنس : إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة الجنة وهو غير عابد ، ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك جهنم وهو عابد». وقال وهب بن منبه. مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لاترقع ولا تعاد طينا، لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيء الخلق . وقال يحيى بن معاذ : سوء الخلق سيئة لاتنفع معها كثرة الحسنات ، وحسن الخلق حسنة لاتضر معها كثرة السيئات ، انظره.

وفى [جص] « الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» وفيه « الخلق الحسن لاينزع إلا من ولد حيضة أو ولد زنية » وفيه « حسن الملكة بالمعروف نماء وسوء الخلق شؤم والبر زيادة فى العمر والصدقة تمنع ميتة السوء » وفيه « حسن الملكة يمن وسوء الخلق شؤم وطاعة المرأة ندامة والصدقة تدفع القضاء السوء » وروى « من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه ومن لاحى الرجال ذهبت كرامته وسقطت مروءته » وروى « ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة وسوء الخلق شؤم وشراركم أسوأكم خلقا » اه . وروى « مكتوب فى التوراة صلة الرحم وحسن الخلق وبر القرابة يعمر الديار ويكثر الأموال ويزيد فى الآجال وإن كان القوم كفارا: اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق ولايهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها ولايصرف سيئها إلا أنت ياأرحم الراحمين آمين. وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحسن خلقنا مع الناس مااستطعنا ونرغب جميع إخواننا فى ذلك ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح حتى يلطف كثائفه ويخرجه من دركات الجفاء إلى درجات حسن الخلق ومن لم يسلك على يد شيخ فمن لازمه غالبا سوء الخلق إلا أن تحفه العناية من الأزل فمثل هذا لايحتاج إلى شيخ فى ذلك إن شاء الله ، ثم قال : وكان السلف الصالح رضى الله عنهم كلهم يقولون : الدرجات هى الخلق الحسن فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الدرجات ، وكانوا إذا آذاهم إنسان يعتذرون إليه ويقولون نحن الظالمون عليك ولو أنا أطعناك فيما طلبته منا ماآذيتنا فاللوم علينا لاعليك ، وكانوا إذا بلغهم عن امرأة أو عبد سوء خلق تزوجوا أو اشتروا العبد وصبروا على سوء خلقهما ، وكذلك كانوا يشترون الحمارة أو البغلة الحرون فيركبونها ولا يضربونها يروضون نفوسهم فى الصبر عليها ، وكان على هذا القدم سيدى أفضل الدين رحمه الله فكان لايحرك رجله على الحمارة أبدا إذا ركبها ، ثم قال : فعلم أن من أعظم حسن الخلق صبرك على من تقدر على تنفيذ غضبك فيه ثم تتركه كزوجتك وفتاك. وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : لى مع ابنة عمى سبع وخمسون سنة ما أظن أننا بتنا ليلة واحدة صلحاء إلى يومنا هذا .

وحكى عن الشيخ جلال الدين شارح المنهاج أنه كان له فتى قوى الرأس كثير اللعب فكان الشيخ يذهب إلى الفرن يخبز ويمر عليه وهو يلعب فيقف عليه وهو حامل طبق الخبز ويقول ويلك قم تعال كل من هذا الخبز السخن، فلا يقوم له فيذهب الشيخ إلى البيت ويرجع له ثانى مرة يطلبه للغداء رضى الله عنه ، وكذلك من أعظم حسن الخلق أن تغفر وتسامح من آذاك من الناس عملا بقوله تعالى - وإذا

ماغضبوا هم يغفرون. وكذا من أعظم حسن الخلق أن يكون الإنسان نفاعا للناس ومع ذلك يذمونه وينقصونه فلا يمنعه ذلك من النفع لهم وذلك كنقيب الفقراء وناظر وقفهم فإن من لازمهم غالبا ذم الفقراء لهما وحملهما على محامل سيئة، وإن جميع مايصل إليهم إنما هو فضلة النقيب والناظر . وقد كان الشيخ بدر الدين شيخ نقباء سيدى أبى السعود بن أبى العشائر يعمل الطعام الفاخر من عنده للفقراء والزوار، ويقول شخص خرج لكم عن هذا الطعام ويوهمهم أن ذلك من غيره ، ثم يسمعهم يقعون فى عرضه ويقولون هذا لا يأتينا إلا بما فضل عنه ، ومع ذلك فلا يصده ذلك عن الإحسان إليهم بل يفرح ويقول: العبد لا يعامل إلا الله وأما الخلق فمفاليس ليس معهم شىء يأخذه منهم يوم القيامة، وحكيت ذلك لسيدى على الخواص فقال : هذا من أعظم أخلاق الرجال فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك ، انظره .

وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتخلق بالفظاظة وعدم الشفقة والرحمة على أحد من المسلمين وسائر الحيوانات بل نكون رحماء بخلق الله كلهم بطريقة الشرع إدخالا لعدم الأذى عليهم كما نحب أن يفعل بنا ذلك فإن من لا يرحم لا يرحم، فنحد الشفرة [1] لذبح ماشرع لنا ذبحه وقتله من الحيوانات المؤذية ولا نمثل بشىء منها قط ولو قملة أو بعوضة فضلا عن الكلب والهر، ثم قال : وكان سيدى أحمد بن الرفاعى يأمر أصحابه بالصبر على أذى القمل، ويقول: كيف يدعى أحدكم الصبر على البلاء وهو ينفذ غضبه فى قملة أو برغوث ولا يحمل أذاها فضلا عن أذى أعدائه من الناس ؟ فإن أردت يا أخى العمل بهذا العهد فاسلك على يد شيخ ناصح يلطف [2] كثائفك ويزيل عنك الغلظة والتجبر ويلحقك بالملائكة الكرام وتصير تشفق على غيرك من سائر خلق الله كما تشفق على نفسك ولا تتجبر إلا على من أمرك الله بالتجبر عليه والله يتولى هداك ، أنظره . وفى الحديث « إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » اه. وفى [شب] قال بعض العارفين : علامة حسن الخلق عشر خصال: قلة الخلاف، وحسن الإنصاف ، وترك طلب العثرات ، وتحسين مايبدو من السيئات ، والتماس المعذرة ، واحتمال الأذى ، والرجوع بالملامة على النفس ، والتفرد بمعرفة عيوب النفس دون عيوب الغير ، وطلاقة الوجه للصغير والكبير ، ولطف الكلام مع كل أحد . وقد عرّفوا علم الأخلاق بأنه علم بأصول يعرف بها أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها ، وفائدته: تحلى الإنسان بالأخلاق المحمودة وتجنبه الأخلاق المذمومة، ورحم الله من قال :

بمكارم الأخلاق كن متخلقا ... ليفوح مسك ثنائك العطر الشذى [3]

وانفع صديقك إن أردت صداقة ... وادفع عدوك بالتى فإذا الذى

وروى أن لقمان اختار من حكمه أربعا وأوصى بها ولده فقال : له تذكر اثنتين ، وانس اثنتين ، فأما اللتان أوصاه بتذكرهما فالذنب والموت ، وأما اللتان أوصاه بنسيانهما فإحسانه للناس وإساءتهم عليه . ونظم ذلك الأجهورى رحمه الله فقال :

إذا شئت أن تحيى ودينك سالم ... وعقلك موفور يزيد ويكمل

---

(١) قوله الشفرة بفتح معجمة كتمرة: السكين اه .

(٢) قوله يلطف بضم تحتية وكسر طاء مشددة من التلطيف كالتخفيف وزنا ومعنى اه .

(٣) قوله الشذى : أى الشديد الرائحة اه .

فكن معرضا عن كل بر صنعته ... مع الناس والسوء الذى بك يعمل
وكن ذاكرا للذنب والموت تعملا ... بما اختار لقمان الحكيم المفضل

وكان الإمام على كرم الله وجهه يترنم بهذه الأبيات :

إن المكارم أخلاق مطهرة ... فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم أنى لا أصدقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها
والعين تعلم من عينى محدثها ... إن كان من حزبها أومن أعاديها

وفى الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم قال « أدبنى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق فقال : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ولله در القائل :

خذ العفو وأمر بعرف كما ... أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولن فى الكلام لجمع الأنام ... فمستحسن من ذوى الجاه لين(١)

وفى [عف] وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا بوصية جامعة لمحاسن الأخلاق فقال له : « يامعاذ أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة : وحفظ الجوار ، ورحمة اليتيم ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، وحسن العمل ، وقصر الأمل ، وقصد العمل ، ولزوم الإيمان ، والتفقه فى القرآن ، وحب الآخرة ، والجزع من الحساب ، وخفض الجناح . وإياك أن تسب حليما ، أو تكذب صادقا أو تطمع آثما أو تعصى إماما عادلا ، أو تفسد أرضا . أوصيك بتقوى الله عند كل حجر وشجر ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية ، بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب » وروى معاذ عنه صلى الله عليه وسلم : « حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب » اه . قال رحمه الله :

(تَبَسَّمْ وَلَا تَضْحَكْ وَلِلْمَزْحِ قَلِّلَا ... وَلَا تَقُلِ الْأَ الْحَقَّ فِى مَزْحِ إِخْوَةِ)

(تبسم) التبسم أقل الضحك وأحسنه . وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان كثير التبسم » وفى [جص] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا بنسائه ألين الناس : ضحاكا بساما : أى كثير التبسم ، وهو تفسير الضحاك . وفيه : كان لايضحك إلا تبسما ، قال الحفنى : أى غالبا وإلا فقد ضحك بصوت وبقية الأنبياء والرسل مثله اه . وثبت أنه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه لكن غالبه التبسم . وأنه لا ينبعث فى الضحك فكان إذا غلبه الضحك قطعه لشدة خوفه من جلال مولاه ، فكان غالب أوقاته الحزن لأنه أشد الناس خوفا من الله ، وإذا انسر تبسم وربما ضحك لبيان الجواز . وفيه : « تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر لك صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة » اه (ولا تضحك) أى لا تكثر من الضحك فإنه يميت القلب ويخل بالمروءة ويدل على الغفلة عن الآخرة ، والاسترسال فيه من فعل السفهاء وأهل البطالة

---

(١) قوله لين بكسر لام : مصدر بمعنى الليونة اه.

المسترسلين فى شهواتهم وعدم تفكرهم فى الآخرة ، وعن ذلك تنشأ جميع الشرور . وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول : أعجب ممن يملأ فاه بالضحك وهو لايعلم فى أى ديوان اسمه هل فى الجنة أو فى النار . وفى [عف] والضحك من خصائص الإنسان ويميزه عن جنس الحيوان ، ولا يكون الضحك إلا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعى الفكر ، والفكر شرف الإنسان وخاصته ، ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه فى العلم ، ولهذا قيل : إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب. وقيل : وكثرة الضحك من الرعونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : إن الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء فى غير أرب اه . وفى [حى] وقال عمر رضى الله عنه : من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شىء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه . وقال صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا » ونظر وهب بن الورد إلى قوم يضحكون فى عيد الفطر فقال : إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين ، أنظره . وفى [جص] « الضحك ضحكان ضحك يحبه الله وضحك يمقته الله ، فأما الضحك الذى يحبه الله فالرجل يكشر فى وجه أخيه حداثة عهد به وشوقا إلى رؤيته ، وأما الضحك الذى يمقته الله تعالى عليه فالرجل يتكلم بالكلمة الجفاء والباطل ليضحك أو يضحك يهوى بها فى جهنم سبعين خريفا » وفيه « كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما ، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » قال الحفنى : فإذا غلبك الضحك فامنع نفسك ، وهذا الخطاب لعامة الناس ، وهناك طائفة أنسها بالله فتضحك كثيرا لما شاهدوه من الأنوار فلم يضرهم ، ولذا وجد فى مجلس بعض أهل الله شاب يضحك مع أن الناس يبكون من الوعظ فقيل له ما هذا؟ فقال إن أنسى بربى فلم أفكر فى جنة ولا نار لأنه سيدى يفعل بى ماشاء ، بل اشتغالى بربى فلما أفاض الأنوار على قلبى صرت أضحك فرحا بذلك وأسلم له كل مافعل بى اه (وللمزح قللا) بألف مبدلة من الخفيفة للوقف ومزح كمنع دعب مزحا ومزاحا ومزاحة بضم أولهما وهما اسمان ، ويقال مازحه مزاحا بكسر الميم داعبه ولاعبه ، وقيل فى الفرق بينهما المداعبة مالا يغضب جده والمزاح مايغضب جده وفى [حى] وإياك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك ، لأن المزاح يخرق الهيبة ، ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ، ويذهب بحلاوة الود ، ويشين فقه الفقيه ، ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ، ويمقته المتقون ، وهو يميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ، ويكسب الغفلة ويورث الذلة ، وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر ، وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب . وقد قيل : لا يكون المزاح إلا من سخف أو من بطر ، ومن بلى فى مجلس بمزاح أولغط فليذكر الله عند قيامه قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لاإله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك » انظره . وفيه : إن المزاح للكلام بمنزلة الملح للطعام فالمنهى عنه الإفراط فيه والمداومة عليه فالمداومة عليه اشتغال باللعب والهزل والإفراط فيه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة وتسقط المهابة والوقار . وقال عمر بن عبد العزيز : اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه

يورث الضغينة ويجر إلى القبيح، تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال ، قال عمر رضى الله عنه : أتدرون لم سمى المزاح مزاحا؟قالوا :لا، قال: لأنه أزاح صاحبه عن الحق ، وقيل لكل شىء بذر وبذر العداوة المزاح ، ويقال المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للأصدقاء، أنظره (ولا تقل إلا الحق) ضد الباطل (فى) حال (مزح إخوة) تطيبا لقلوبهم وترويحا لنفوسهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل مع أصحابه ، وفى الحديث « إن الله تعالى لايؤاخذ المزاح الصادق» وذلك قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن شخص « الذى فى عينيه بياض » إذ كل شخص لا تخلو عيناه من بياض وكقوله لعجوز «لا تدخل الجنة عجوز » لقوله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاءاً. فجعلناهن أبكارا. عربا أترابا - وفى [حى] روى أبو هريرة « أنهم قالوا يارسول الله إنك تداعبنا فقال إنى وإن داعبتكم لا أقول إلا حقا » وقال عطاء : إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح؟ فقال نعم ، قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كسى ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدى وجرى منه ذيلا كذيل العروس . وقال أنس إن النبى صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه. وعن عائشة رضى الله عنها- أنها قالت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها له وقلت لسودة والنبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينها: كلى فأبت فقلت لها : كلى، فأبت لتأكلن أو لألطخن بها وجهك ، فأبت فوضعت يدى فى الحريرة فلطخت بها وجهها فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه وقال لسودة الطخى وجهها فلطخت بها وجهى ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم، فمر عمر رضى الله عنه على الباب فنادى ياعبدالله ياعبدالله فظن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجوهكما . وروى « أن عجوزا أتت رسول الله صلى عليه وسلم فقال لها لايدخل الجنة عجوز فبكت ، فقال إنك لست بعجوز يومئذ ، قال الله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاءا فجعلناهن أبكارا. عربا أترابا» وقال أنس : كان ابن لأبى طلحة يقال له أبو عمير ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا ويقول « يا أباعمير ما فعل النغير؟ كان يلعب به وهو فرخ العصفور » ثم قال : وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنى لأمزح ولا أقول إلا حقا » إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا ، وأما غيره إذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيف ما كان ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها فى النار أبعد من الثريا » أنظره . وفى [عف] قال سعيد بن العاص لابنه : اقتصد فى مزاحك فالإفراط فيه يذهب بالبهاء ويجرىء عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين . قال بعضهم : المزاح مسلبة للبهاء ، مقطعة للإخاء وكما يصعب معرفة الاعتدال فى ذلك يصعب معرفة الاعتدال فى الضحك ، أنظره : وصف بعضهم ابن طاوس فقال : كان مع الصبى صبيا، ومع الكهل كهلا، وكان فيه مزاحة إذا خلا، وروى معاوية بن عبد الكريم قال : كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ونمزح عنده ويمازحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك ، وكنا إذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكى . وفيه عن أنس رضى الله عنه قال « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : احملنى على جمل ؟ فقال أحملك على ابن الناقة . قال أقول لك احملنى على جمل تقول أحملك على ابن الناقة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام فالجمل ابن الناقة» وروى صهيب فقال «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر يأكل، فقال

أصب من هذا الطعام، فجعلت آكل من التمر فقال أتأكل وأنت رمد؟ فقلت إذا أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم » وروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم « ياذا الأذنين » وسئلت عائشة رضى الله عنها كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلافى البيت قالت : كان ألين الناس بساما ضحاكا. وروت أيضا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك » ثم قال: وروى بكر بن عبد الله قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمازحون حتى يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانواهم الرجال، يقال بدح يبدح إذا رمى : أى يترامون بالبطيخ ، انظره قال رحمه الله :

(وَأَحْسِنْ لِمُحْسِنٍ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَةٍ   وَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَكَافِهِ خَيْرَ دَعْوَةِ)

(وأحسن) من الإحسان ضد الإساءة (لمحسن) إليك ومنعم عليك حسا ومعنى ، كما روى أن الحسن رحمه الله قيل له إن فلانا اغتابك فبعث إليه رطبا على طبق [1] وقال قد بلغنى أنك أهديت إلى من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى فإنى لا أقدر أن أكافئك على التمام .وفى [خل] وإذا نظرت إلى المسيء بعين التحقيق فهو محسن أكثر ممن أحسن إليك بالفانى لأنه أحسن إليك بالباقى إذ أنك تأخذ من حسناته إن كانت موجودة وإلا أخذ من سيئاتك ، وشأن أهل التوفيق اغتنام الباقى ، فينبغى لك أن تكافئه على إحسانه قال الله تعالى - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - وحكى عن إبراهيم ابن أدهم أنه لقيه إنسان فصفعه، فقيل له إنه إبراهيم بن أدهم فرجع إليه فطأطأ على قدمه فقبلها ، فقال ياسيدى والله ما عرفتك ، وطلب منه أن يسامحه ؟ فقال والله ما ارتفعت يدك عنى حتى سألت الله تعالى لك المغفرة ، فقال له وما حملك على ذلك ؟ فقال لأنك لما صفعتنى علمت أن الله يثيبنى على ذلك ، وماكنت باللذى توصل إلى خيرا فأوصل إليك شرا . وعن بعضهم : لو كنت مغتابا لأحد لاغتبت والدىّ، لأنهما أحق بحسناتى ، فهم رضى الله عنهم أبدا ينظرون إلى بواطن الأمور وعواقبها وغيرهم إلى ضدها ، نسأل الله السلامة والعافية (بقدر استطاعة) أى بحسب الطاقة والإمكان . وفى [عف] ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الإحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار ، ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد: « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما من الناس أحد أمن علينا فى صحبته وذات يده من ابن أبى قحافة ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » وقال « ما نفعنى مال كمال أبى بكر » فالخلق حجبوا عن الله بالخلق فى المنع والعطاء فالصوفى فى الإبتداء يفنى عن الخلق ويرى الأشياء من الله حيث طالع ناصية التوحيد، وخرق الحجاب الذى منع الخلق عن صرف التوحيد فلايثبت للخلق منعا ولاعطاء ويحجبه الحق عن الخلق، فإذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجودا فى المنع والعطاء بعد أن يرى المسبب أولا وذلك لصحة علمه وقوة معرفته ، يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الإرادة والمبتدئين ، فيكون شكره للحق لأنه المنعم والمعطى والمسبب ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب ، انظره . وفى [جص] « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » إذ لا يتم

---

(١) قوله طبق بفتحتين اه .

إلا بشكر الوسائط فأشكر الناس لله أشكرهم للناس، وفى الحديث القدسى: «عبدى لم تشكرنى إذا لم تشكر من أجريت النعمة على يديه» وفيه: «دعاء المحسن إليه للمحسن لا يرد» أى ولا سيما بظهر الغيب لحديث: «دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك مثل ذلك» وفيه: «من أعطى شيئا فوجد فليجز (١) به ومن لم يجد فليثن به فإن أثنى به فقد شكره وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور» يظهر أنه عالم أو زاهد أو متواضع وليس كذلك ورحم الله من قال:

من تحلى بغير ما هو فيه   فضحته شواهد الامتحان

وفى [حى] ومن ذلك أن تشكره على صنيعه فى حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك. قال على رضى الله عنه: من لم يحمد أخاه على حسن نيته لم يحمده على حسن الصنيعة، انظره. ورحم الله من قال:

لأشكرنك معروفا هممت به   إن اهتمامك بالمعروف معروف

وينبغى لمن لا يشكر الناس أن لا يقبل عطاياهم، ورحم الله من قال:

لا أقبل الدهر نيلا لا يقوم به   شكرى ولو كان مهديه إلىّ أبى

وفى [جه] وكان سيدنا رضى الله عنه وعنابه آمين لا يغفل عن مجازاة من أحسن إليه ويقبل منهم فى الظاهر ويجازيهم بالدعاء وغيره لأجل أن لا تكون لأحد منة عليه، لأنه رضى الله عنه تأبى همته أن تكون للخلق يد عليه لفساد الزمان وأهله وفساد أغراضهم: وقد شاهدت يوما وأنا حاضر عنده أتاه رجل فقال له يا سيدى جعلت لك من مالى كذا وكذا محبة فيك وهدية لك، فقبل منه ذلك وطرحه بين يديه، ثم أسرّ له فى أذنه قال له سيدى أطلب منك أن تفعل لى ما هو كيت وكيت (٢)، فقال له سيدنا رضى الله عنه: ارفع متاعك ولم يقبله منه. وكنت جالسا أيضا بين يديه فأتاه إنسان فسلم عليه وقبل يديه ودفع لى دراهم بقصد الزيارة لسيدنا رضى الله عنه فقال له يا سيدى خذ هذه الصدقة التى أتيتك بها فقال لى اردد عليه متاعه وقال له لا تحل لى الصدقة إنما أنا غنى عن الصدقة. ويتحرز من مقاصد العامة غاية ويدفع بالتى هى أحسن، انظره. وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نحذر ممن يحسن إلينا فى هذا الزمان أكثر ممن يسيىء علينا لأن غالب الإحسان اليوم لا يسلم من العلل والمنن لا سيما إن وقع بيننا وبينه نفس ومن شك سوف يجرب، أقل العلل أنه يخصنا بالبر لاعتقاده فينا الصلاح والدين ولولا ذلك ما أعطانا شيئا، فقد أكلنا حينئذ بديننا وتساهلنا فى ديننا حتى صرنا أسوأ حالا ممن يحترف معيشته بمحرمات الآلات. وكان سفيان الثورى يقول: لو علمت أنهم يكتمون مايعطونه لى لقبلته ولكنهم يقولون أعطينا سفيان اليوم كذا وكذا، وقد عمل لى مرة شخص من الإخوان دجاجة سمينة وحشاها بالحرارات وأرسلها إلى فأعطيتها لشخص ضرير فأكلها فهان عليه مع أنها حينئذ فى ميزانه يوم القيامة أثقل مما لو أكلتها أنا لأن ذلك الضرير ماينظر مثل ذلك إلا فى النوم، ولو أنه كان مخلصا فى الدجاجة لشكرنى على ذلك والله عليم حكيم اهـ (وإن لم تجد) ماتحسن به إليه (فكافه) وجازه (خير دعوة) بصلاح حاله ومآله وغفران زلاته وستر عوراته وإقالة عثراته لحديث «جزاء الغنى من الفقير النصيحة له والدعاء» أى لأنها مقدوره فإذا نصح ودعاله فقد كفاه. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) قوله فليجز بفتح تحتية من جزى كرمى اهـ. (٢) قوله كيت وكيت بفتح فوقية وكسرها وضمها فيهما اهـ.

« من قال لأخيه جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء » وفى [جص] « من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء » قال العزيزى : وهذا عند العجز عن مكافأته بالإحسان فإن قدر على مكافأته فالجمع بينهما أفضل من الاقتصار على الدعاء وفيه « من استعاذ كم بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ماتكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » وروى « من أسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب له » وروى أبو داود عن جابر رضى الله عنه أنه قال « صنع أبو الهيثم طعاما ودعا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلما فرغ من الأكل قال أثيبوا أخاكم وادعوا له بالبركة فإن الرجل إذا أُكل [1] طعامه وشرب شرابه ثم دعى له بالبركة فذلك ثوابه منهم » اه . وثبت « أنه صلى الله عليه وسلم وعده أيضا بخادم فلما أتاه أبو الهيثم وجد عنده رأسين من الرقيق فقال له خذ أيهما تختار فقال له اختر لى يارسول الله فقال خذ هذا فإنى رأيته يصلى » الحديث . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشكر كل من أسدى إلينا معروفا ونكافئه على ذلك ولو بالدعاء أدبا مع الشارع صلى الله عليه وسلم فى أمره لنا بذلك ، وقد كثرت الخيانة لهذا العهد من غالب الناس حتى صرت تربى اليتيم إلى أن يصير له أولاد ولا يتذكر لك نعمة ولا يحفظ معك أدبا ، وصار من وقع له ذلك يحذر من يريد يفعل مثله مع الناس فبتقدير أن المنعم من أولياء الله تعالى لايلتفت إلى شكره فالمنعم عليه لايستحق ذلك كما سيأتى والكمل على الأخلاق الإلهية والله عز وجل يحول النعم حين تكفر . فاشكر ياأخى من أسدى إليك معروفا لكن من غير وقوف معه فتراه كالقناة الجارى لنا منها الماء أو كالأجير الذى يغرف لنا من طعام رجل غيره بأجرة جعلها له ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ مرشد حتى يصل به إلى حضرة الإحسان ، ويرى الأمور كلها لله تعالى كشفا وشهودا ، ويصير يرى النعم من الله تعالى ببادى الرأى ولا يضيفها إلى الخلق إلا بعد تأمل وتفكر ، عكس من لم يسلك الطريق فإنه لايكاد يشهد النعمة من الله تعالى إلا بعد تأمل وتفكر . فاسلك ياأخى الطريق لتفوز بالأدب مع الله تعالى ومع خلقه كما أمرك فقال تعالى ـ أن اشكرلى ولوالديك إلىّ المصير ـ وقد قرن الله تعالى السعادة بشهود الأمور كلها من الله وقرن الشر بشهودها من الخلق ومقام الكمال فى السعادة شهود الأمور كلها ببادى الرأى من الله خلقا وإيجادا ومن العبد نسبة وإسنادا لأجل إقامة الحدود ، انظره . ثم قال : واعلم أن كفران النعم للوسائط مما يحولها وإذا حولت فلا يقدر من كفرت نعمته أن تجرى لك نعمة على يديه ـ سنة الله التى قد خلت فى عباده ـ لأن كفران النعمة يقطع طريقها ، فبتقدير أن من كفرت نعمته لايؤاخذك فأنت لاتستحق تلك النعمة ، فلابد من وجود صفة الاستحقاق فى المنعم عليه وعدم كفرانه نعمة من كان واسطة فيها من زوج ووالد وسيد ونحوهم ، وقد كثر كفران النعم فى هذا الزمان من الزوجة والأولاد والأرقاء والمريدين وبذلك تعسرت عليهم الأرزاق ، وكلما تأخر الزمان زاد على الناس الأمر فى تعسير الأرزاق وفى تحويلها عنهم بالكلية لقلة الشكر بالعمل من قيام الليل وغيره حتى تتورم منهم الأقدام ، فإن الشكر بالقول مابقى يكفى لغالب النعم فى هذا الزمان لكون الموازين قد أقيمت فيه على الناس لقرب الساعة وماقارب الشىء أعطى حكمه ولقلة الإخلاص فى القول ، وقد قال تعالى فى حق آل داود ـ اعملوا آل داود شكراًـ

---

(١) قوله أُكل بضم همزة وكسر كاف مبنى للمفعول اه .

ولم يقل قولوا آل داود شكراً ، وهذه الأمة المحمدية أولى بأن يشكروا بالعمل لأنهم أعظم نعمة بنبيهم وشريعتهم ، فليتنبه من كان غافلا عن ذلك ليدوم الماء فى مجاريه ، انظره . قال رحمه الله :

(وَخُصَّ ذَوِى فَضْلٍ بِأَسْنَى الْمَجَالِسِ وَحَافِظْ مِنَ الْإِخْوَانِ عَنْ سَتْرِ عَوْرَةِ)

(وخص) من خصه بكذا فضله به (ذوى) أصحاب (فضل) وشرف كأهل العلم والصلاح والنسبة : وفى [جص] : «ذو السلطان وذو العلم أحق بشرف المجلس» أى ولو كان السلطان جائرا تسكينا لشره لأن تقديم غيره عليه يورث الضرر منه ، وكذا العالم وإن لم يكن عاملا بعلمه تعظيما للعلم لحديث « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » وفيه : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وعنه صلى الله عليه وسلم : « من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم » وعنه صلى الله عليه وسلم : « ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله من يكرمه عند كبر سنه » وقال النووى فى قوله صلى الله عليه وسلم « ليلنى منكم أولو الإحلام والنهى » الخ ولا يختص هذا التقديم بالصلاة بل السنة أن يقدم أهل الفضل فى كل مجمع إلى الأمام وكبير المجلس كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها ، ويكون الناس فيها على مراتبهم فى العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة فى ذلك الباب اه (بأسنى) وأشرف (المجالس) لحديث «أفضل الحسنات تكرمة الجلساء» وفى آخر : « إن للمسلم حقا إذا رآه أخوه أن يتزحزح له » أى ويجلسه بجنبه إكراما له فيندب ذلك لاسيما للعلماء والصلحاء تعظيما لهم وكذا ولاة الأمر تأليفالهم واتقاء لشرهم ، وفى آخر « ثلاث تصفين لك ود أخيك : تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه » وفى [جص] : « خير المجالس أوسعها » وفيه : « شر المجالس الأسواق والطرق وخير المجالس المساجد فإن لم تجلس فى المسجد فالزم بيتك » أى لتسلم من الناس ويسلموا منك . وفيه « أدوا حق المجالس اذكروا الله كثيرا وأرشدوا السبيل وغضوا الأبصار » وفيه « إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وللعلامة ابن حجر رحمه الله فى آداب الجلوس على الطريق :

جمعت آداب من رام الجلوس على الطـريق من قول خير الخلق إنسـانا
أفش السلام وأحسن فى الـكلام وشمـت عاطسا وسلاما زاد إحسانا
فى الحمل عاون ومظلوما أغث واعف عن لهفان واهد سـبيلا واهد حيرانا
بالعرف مر وانه عن نكر وكف أذى وغض طـرفا وأكثر ذكر مولانا اه

وفيه « كفارة المجلس أن يقول العبد سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أستغفرك وأتوب إليك » وفيه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فأراد أن يقوم استغفر عشراً إلى خمس عشرة » وفيه : « كان إذا قام من المجلس استغفر الله عشرين مرة » أى يقول أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه اه . وفى [عف] ومن أدبهم : تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له فى المجلس والإيثار بالموضع . روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى صفة ضيقة فجاء قوم من البدريين فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله تعالى - وإذا قيل انشزوا فانشزوا - الآية » وحكى أن على بن بندار الصوفى ورد على أبى عبد الله بن خفيف زائرا فتماشيا فقال له أبو عبد الله

تقدم، فقال بأى عذر؟ فقال بأنك لقيت الجنيد وما لقيته اه. وفى [غ] ومعلوم قيام الصديق الأكبر رضى الله عنه لمولانا على كرم الله وجهه وإيثاره بالمجلس بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله له عليه الصلاة والسلام: «إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه» اه. ونقل أن الأصمعى دخل على الخليل وهو جالس على حصير ضيق، فقال له اجلس، فقال له: أجلس أضيق عليك؟ فقال له: مه، الدنيا تضيق بمتباغضين وماضاق مجلس بمتحابين، وللشافعى رضى الله عنه:

من لم يكن بين إخوان يسر بهم ... فإن أوقاته نقص وخسران[1]
وأطيب الأرض ما للنفس فيه هوى ... سم[2] الخياط مع الأحباب ميدان
وأخبث الأرض ما للنفس فيه أذى ... خضر الجنان[3] مع الأعداء نيران

ورحم الله من قال:

صل من هويت وإن أبدى مباغضة ... فأطيب العيش وصل بين إلفين[4]
واقطع حبائل خدن لا تلائمه ... فقلما تسع الدنيا بغيضين

ومن قال:

ألا ادن[5] وإن ضاق الندى[6] فإنه ... رحيب بود ضمته الأضالع
يضيق الفضا عن صاحبين تباغضا ... وسم خياط بالحبيبين واسع

ومن قال:

رحب الفلاة مع الأعداء ضيقة ... سم الخياط مع الأحباب[7] ميدان

ومن آداب المجلس إذا كان فيه سعة أن يكون بين كل اثنين ثلثا ذراع وأن لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه أو قريبه أو صديقه إلا بإذنهما لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه فى المجلس» وقوله أيضا: «لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما» وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نجلس بين اثنين إلا إن علمنا ولو بالقرائن رضاهما بذلك لا سيما إن رأيناهما يتحادثان ويتساران فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى حذق وفراسة والله أعلم اه. (وحافظ) من حافظه راعاه (من) جميع (الإخوان) فى الله (عن ستر) بفتح السين ضد الكشف وبالكسر ما يستر به أى على ستر كل (عورة) بدت منهم حسية أو معنوية. وفى [عف] ومن أدبهم ستر عورات الإخوان قال عيسى عليه السلام لأصحابه: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما فكشف الريح عنه ثوبه، قالوا نستره ونغطيه، فقال بل تكشفون عورته، قالوا سبحان الله! من يفعل هذا؟ قال: أحدكم يسمع فى أخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها اه. وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستر جميع عورات المسلمين مع تبيينها لهم سترا على نقائصهم، وأول ما ترجع فائدة ذلك علينا فى الدنيا والآخرة فإن من ستر الناس ستر ومن هتك الناس هتك جزاء

---

(١) وفى رواية بدل البيت الأول:

لو ضمنى بيت نحل والحبيب به ... لكان ذلك لى ظل وبستان ... وأطيب الخ مصححه.

(٢) قوله سم بتثليث السين اه. (٣) قوله الجنان بكسر جيم جمع جنة بفتحها اه.

(٤) قوله إلفين تثنية إلف بكسر همزة كضرس: الصاحب اه. (٥) قوله أدن فعل أمر من دنا كدعا قرب اه.

(٦) قوله الندى كغنى المجلس اه. (٧) ميدان بفتح ميم اه.

وفاقا . واعلم أن كل من كمل عقله لايستبعد وقوعه فى شىء من الذنوب فإن لم يكن وقع فيها فهو معرّض للوقوع فيها ، فلينظر فى جميع ماوقع فيه الناس فسحبوا إلى بيت الوالى يجد نفسه قابلة له لأن طينة البشر واحدة إلا من عصمه الله كالأنبياء، ثم قال وهذا العهد قد صار العمل به أعز من الكبريت الأحمر ، فلا تكاد تجد أحدا من إخوانك الأصدقاء فضلا عن غيرهم يستر لك عورة إذا اطلع عليها بل ينشرها فى الناس وكلما وصيته على الكتمان تحركت عنده الداعية للإفشاء . وقد قال الإمام الغزالى : لاتركن إلى صديق حتى تمتحنه غاية الامتحان ، وربما أحصى عليك الزلات حال رضاه عنك ليهجوك بها حال سخطه عليك كما هو مشاهد كثيرا فيمن يصحب الناس لغير الله ، ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا نازعتك نفسك فى إظهار عورة مسلم فقل لها انظرى ثمرة ذلك فإنك إذا أظهرتها للناس لابد من إظهار جميع زلاتك على رؤوس الأشهاد يوم القيامة حتى تفتضحى بحضرة من كان يعتقد فيك الصلاح فى دار الدنيا فربما أن النفس تكتم مارأت ، وليتأمل الذى يظهر عورات الناس بعينه يجد نفسه أغضب الله وتعرض للهتيكة ولايعطيه الناس لأجل ذلك شيئا إنما ذلك رفث ومقت وفسوق لاغير نسأل الله تعالى العافية . وبالجملة فلا يتجسس على عورات الناس إلا فاسق ، فإن القلب المطهر من السوء لايظن فى الناس إلا خيرا ، انظره . ورحم الله من قال :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق ما يعتاده من توهم

وروى الطبرانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة » وروى ابن ماجه: « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها فى بيته » وفى [جص]: « من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا ميتا» وفيه: « من رأى عورة وسترها كان كمن أحيا موؤدة فى قبرها » وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نتتبع عورة إخواننا بل ولا عورة أحد من خلق الله تعالى ، بل وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : كان قد بقى فى الناس بعض سترة لبعضهم بعضا فرفع الله حكمها فى سنة سبع وأربعين وتسعمائة، وما بقى أحد يقدر على كشف عورة أخيه ويسترها إلا قليل من الناس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وسمعته رضى الله عنه يقول : لا يكمل المؤمن حتى لا يصير يرى لأحد فى الوجود عورة لا ظاهرة ولا باطنة ، فلا ينظر إلا محاسن الوجود ، ومادام يرى للناس العورات فالواجب عليه المجاهدة على يد شيخ عارف يصفيه من كدورات البشرية حتى يلحقه بالملائكة أو المحفوظين من الأولياء اه . وفى [حى] ولا يتم إيمان الرجل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك أنه يحب منه أن يستر عورته ويسكت عن عيوبه ومساويه ، وقال عليه الصلاة والسلام: «من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة» وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة» وقال: « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره » قيل لبعض الأدباء كيف حفظك للسر ؟ قال أنا قبره . وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار . وقيل إن قلب الأحمق فى فيه ، ولسان العاقل فى قلبه: أى لايستطيع الأحمق إخفاء ما فى نفسه فيبديه من حيث لايدرى به ، فمن هذا تجب مقاطعة الحمقى والتوقى عن صحبتهم ، بل عن مشاهدتهم ، انظره . ورحم الله من قال :

وما السر فى صدرى كثا و بقبره   لأنى أرى المقبور ينتظر النشرا

ولكننى أنساه حتى كأننى ... فما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بينى وبينه ... عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

ومن قال: السر عندى فى بيت له غلق ... ضاعت مفاتحه والبيت مقفول
وليس يكتم سرا غير ذى كرم ... والسر عند لئام الناس مبذول

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نفشى سرنا لصاحب ولا لزوجة ولا لأحد من المسلمين إلا لعذر شرعى ، ثم قال . وهذا العهد قد كثرت خيانته من غالب الناس حتى صار لا يسلم من خيانته إلا القليل ، وذلك لكثرة انحلال القلوب وعدم ارتباطها بعضها ببعض ، فمن أفشى سره وطلب من الناس كتمانه فهو أحمق . وقد أنشد الإمام الشافعى رضى الله عنه :

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن حمل سره ... فصدر الذى يستودع السر أضيق

ثم قال : ومن كلام الشافعى : من كتم سره كانت الخيرة فى يده ، وقال : من نم لك نم عليك ومن نقل إليك نقل عنك . فانظر يا أخى من تودعه سرك فإن رأيته ينقل عن الناس ما يسمعه منهم فاعلم أنه لا يكتم لك سرا ، ثم قال : فعلم أن من كتم الأسرار مايتعلق بعزل الولاة وأضرابهم . فإياك أن يطلعك الله على شىء من أحوالهم وأحوال السلطان الأعظم فتخبر به الناس واصبروا اكتم ذلك حتى يقع فى الوجود ويشهده الخاص والعام والله عليم حكيم . وكان سيدى إبراهيم المتبولى يقول : إياكم واطلاعكم الناس على ما كشف من أحوال الخلق ، فإن المفشى لها حكمه حكم الجالس فى بيت الخلاء مكشوف العورة مفتوح الباب ، ومن مر عليه من العقلاء يلعنه لكشفه عورته وهتكه سريرته وتعريضه نفسه للقتل بذلك . وقد قال رجل من أهل الكشف مرة لرجل من الناس : رأيت فلانا مع امرأتك فجاء ذلك المتهم وقتل ذلك الشيخ الذى أخبر بالزنى ، ثم قال فاكتم السر المتعلق بك وبالمسلمين والله يتولى هداك ، انظره[1] . قال رحمه الله :

(فَكُنْ مُحْسِنًا لِأَهْلِ عِلْمٍ وَسُنَّةٍ ... وَلَا تَكُ مُبْغِضًا لِحُمَّالِ شِرْعَةٍ
فَهُمْ سُرُجُ الدُّنْيَا وَأُخْرَى فَلُذْ بِهِمْ ... تَنَلْ مِنْهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ حَسْرَةٍ)

(فكن) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (محسنا) ومعينا بحسب طاقتك وقدرتك فإن الله يحب المحسنين (لأهل علم) شرعى من تفسير وحديث وفقه وما يتوصل به إلى ذلك من نحو ومنطق وغير ذلك . وفى [جص] «أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله» : أى فينبغى للإنسان أن يعاملهم بالإجلال والإعظام والتوقير والاحترام والإحسان إليهم بالقول والفعل ، وفى [هب] ومنها : أى ومن الأمور التى تزيد فى الإيمان تعظيم العلماء الذين هم حملة الشريعة رضى الله عنهم فتعظيمهم يزيد فى الإيمان جعلنا الله من الذين يعرفون قدرهم : قال رضى الله عنه : ولو علم العامة قدر العلماء عند الله عز وجل ما تركوهم يمشون على الأرض ولتناوب أهل كل حومة العالم الذى فيهم وحملوه على أعناقهم والله تعالى أعلم اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نبجل العلماء والصالحين والأكابر ولولم يعملوا بعلمهم ، ونقوم بواجب علمهم

(١) سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين .

وحقوقهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى ، فمن أخل بواجب حقوقهم من الإكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله ، فإن العلماء نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملة شرعه وخدامه ، فمن استهان بهم تعدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر . وقد مال إلى ذلك من كفَّر من قال عن عمامة عالم هذه عميمة عالم بالتصغير ، انظره . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكرم العلماء ونجلهم ونوقرهم ، ولا نرى لنا قدرة على مكافأتهم ولو أعطيناهم جميع ما نملك أو خدمناهم العمر كله ، وهذا العهد قد أخل به غالب طلبة العلم والمريدين فى طريق الصوفية الآن حتى لا تكاد ترى أحدا منهم يقوم بواجب حق معلمه ، وهذا داء عظيم فى الدين مؤذن باستهانة العلم وبأمر من أمرنا بإجلال العلماء صلى الله عليه وسلم ، فصار أحدهم يفخر على شيخه حتى صار شيخه يداهنه ويمالقه حتى يسكت عنه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وقد بلغنا عن الإمام النووى أنه دعاه يوما شيخه الكمال الأربلى[1] ليأكل معه فقال ياسيدى أعفنى من ذلك فإن لى عذرا شرعيا فتركه فسأله بعض إخوانه ما ذلك العذر ؟ فقال أخاف أن تسبق عين شيخى إلى لقمة فآكلها وأنا لا أشعر . وكان رضى الله عنه إذا خرج للدرس ليقرأ على شيخه يتصدق عنه فى الطريق بما تيسر ويقول اللهم استر عنى عيب معلمى حتى لاتقع عينى له على نقيصة ، ولا يبلغنى ذلك عنه عن أحد رضى الله عنه . ثم من أقل آفات سوء أدبك يا أخى مع الشيخ أنك تحرم فوائده فإما بكتمها عنك بغضا فيك وإما أن لسانه ينعقد عن إيضاح المعانى لك فلا تتحصل من كلامه على شىء تعتمد عليه عقوبة لك ، فإذا جاءه شخص من المتأدبين معه انطلق لسانه له لموضع صدقه وأدبه معه ، فعلم أنه ينبغى للطالب أن يخاطب شيخه بالإجلال والإطراق وغض البصر كما يخاطب الملوك ، ثم قال : وكذلك ينبغى له أن لا يتزوج امرأة شيخه سواء كانت مطلقة فى حياته أو بعد مماته ، وكذلك لا ينبغى له أن يسعى على وظيفته أو خلوته أو بيته بعد موته فضلا عن حياته إلا لضرورة شرعية ترجح على الأدب مع الشيخ ، وكذلك لا ينبغى أن يسعى على أحد من أصحاب شيخه أو جيرانه فضلا عن أولاده ، فإن الواجب على كل طالب أن يحفظ نفسه عن كل مايغير خاطر شيخه فى غيبته وحضوره . انظره . وروى صاحب البستان : « إن لله مدينة تحت العرش من مسك أذفر على بابها ملك ينادى كل يوم ألا من زار عالما فقد زار أنبيائى ، ألا من زار أنبيائى فقد زارنى ألا من زارنى فله الجنة » وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أكرم عالما فقد أكرم سبعين نبيا ، ومن أكرم متعلما فقد أكرم سبعين شهيدا ، ومن أحب العلم والعلماء لم تكتب عليه خطيئة » وروى : « أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمنى ومن أكرمنى فقد أكرم الله » وفى [غص] وسألته رضى الله عنه متى يكمل العالم فى درجة العلم ؟ فقال إذا صار الشارع مشهودا له فى كل عمل مشروع وصار يستأذنه فى جميع مايأمر به الناس وينهاهم عنه من الأمور المستنبطة ويفعل بما يأذن له فيه منها فإن المجتهد قد يخطئ ، فقلت له هذا فيما يأمر به الغير فكيف حاله فيما يفعله هو ؟ فقال لا يكمل فى مقام العلم حتى يستأذنه فى كل أكل وشرب ولبس ودخول وخروج وجماع وغير ذلك من سائر الحركات والسكنات ، فإذا فعل ذلك كان كاملا فى العلم والأدب وشارك الصحابة فى معنى الصحبة والله تعالى أعلم اه (و) كن محسنا لأهل (سنة) محمدية ولا تجدهم إلا العلماء العاملين ، وقد قيل : إن لم تكن العلماء أولياء الله

---

(١) الأربلى نسبة إلى أربل كأثمد : اسم بلد بقرب الموصل ، والموصل بين الفرات والدجلة .

فليس لله ولى ، وروى « العلماء قادة والمتقون سادة ومجالستهم زيادة » وروى أيضا « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما يكرم الله » وعن سيدى على الخواص رحمه الله : من إكرام الله وإكرام رسوله صلى الله عليه وسلم إكرام جميع المسلمين اه . وروى الطبرانى : « مامن مسلم يدخل عليه أخوه فيكرمه إلا غفر الله له » اه .

وفى [جص] « العلم أفضل من العبادة ، وملاك الدين الورع » وفيه: « العلم حياة الإسلام، وعماد الدين ، ومن علم علما أتم الله له أجره ، ومن تعلم فعمل علمه الله مالم يعلم » ولذا قال بعضهم لسيدى على بن وفا لمابث عليه علوما كثيرة بم نلت هذا العلم ؟ قال بكونى عملت بما علمت. ونقل أنه مكتوب فى الإنجيل : لاتطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم . قالوا يارسول الله كيف يسوفنا بالعلم ؟ قال يقول اطلب العلم ولاتعمل حتى تعلم ، فلا يزال العبد فى العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل ، نسأل الله السلامة والعافية . وفيه: « العلم خزائن ومفاتيحها السؤال فاسألوا يرحمكم الله فإنه يؤجر فيه أربعة : السائل والمعلم ، والمستمع والمحب لهم » وفيه : العلم خليل المؤمن والعقل دليله والعمل قيمه والحلم وزيره والصبر أمير جنوده والرفق والده واللين أخوه » وفيه العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذلك حجة على ابن آدم » وفيه « العلم والمال يستران كل عيب ، والجهل والفقر يكشفان كل عيب وفيه ساعة من عالم متكىء على فراشه ينظر فى علمه خير من عبادة العابد سبعين عاماً» وفيه طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة والصيام ، والحج والجهاد » وفيه « طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة ، وطلب العلم يوما خير من صيام ثلاثة أشهر » انظره . وقال بعضهم : إن سماع مسألة واحدة من العالم أفضل من سبعين حجة مبرورة اه . وفى [حى] عن أبى الدرداء أنه قال: لأن أتعلم مسألة من العلم أحب إلى من قيام ليلة ، وقال صلى الله عليه وسلم: « لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة » وقال صلى الله عليه وسلم : « باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها » . وقال صلى الله عليه وسلم : « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعيادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة ، فقيل يارسول الله : ومن قراءة القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : وهل ينفع القرآن إلا بالعلم » وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس السوء ، انظره. وفيه قال الشافعى رضى الله عنه : طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلى فقال : ياهذا ما الذى قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله . وفيه : عن معاذ بن جبل رضى الله عنه تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوت الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد

منازل الأبرار والدرجات العلى ، والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء اه . وروى : « من علم علما شرعيا فله أجر من عمل به لاينقص من أجر العامل شيئا ، ومن علم آية من كتاب الله تعالى أو بابا من العلم أنمى الله أجره إلى يوم القيامة ،ومن طلب العلم لله تكفل الله برزقه من حيث لا يحتسب » وورد « لطالب العلم رزقان رزق بسبب ورزق بلا سبب» وروى: « تناصحوا فى العلم ولايكتم بعضكم بعضا فإن خيانة فى العلم أشد من خيانة فى المال » اه (ولاتك مبغضا لحمال) جمع حامل كعذال جمع عاذل (شرعة) بكسر معجمة الشريعة المحمدية المطهرة ، فإن مبغضهم والعياذ بالله من ـ الأخسرين أعمالا ـ الآية . قال تعالى ـ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين ـ .

وفى [جص] « العالم سلطان الله فى الأرض فمن وقع فيه فقد هلك » وفيه : « أغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولاتكن الخامسة فتهلك » اه . قال الحفنى : قال بن عبد البر : الخامسة معاداة العلماء ويغضهم فمن لم يحبهم فقد أبغضهم أوقارب وفيه الهلاك ، انظره : أى ولهذا كانت الغيبة فى العلماء وحملة القرآن كبيرة . وعن ابن عساكر : اعلم ياأخى وفقنى الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله فى هتك أستار متنقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالسب [١] ابتلاه الله قبل موته بموت القلب ـ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ـ أنظر العزيزى ، ورحم الله من قال :

لحوم أهل العلم مسمومة ومن يعاديهم سريع العطب

ومن قال : والعلمـاء أنجم للوقت مؤذيهم استحق كل المقت

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه: «اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم» وفى [جص] « ثلاثة لايستخف بحقهم إلا منافق بيِّنُ النفاق: ذو الشيبة فى الإسلام وذو العلم وإمام مقسط » وعن الشافعى رضى الله عنه: من لايحب العلم لاخير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة فإنه حياة القلوب ومفتاح البصائر اه. ولسيدنا على رضى الله عنه وعنابه آمين :

الناس من جهة التمثيل أكفاء [٢] أبوهم آدم [٣] والأم حواء
فإن يكن لهم من أصلهم نسب يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ماكان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

ورحم الله من قال :

أخو العلم حى خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت [٤] وهو ماش على الثرى يعد من الأحياء وهو عديم

---

(١) قوله بالسب وفى نسخة بالثلب بمثلثة : الجهر بالعيب اه . (٢) بسيط مقطوع اه .
(٣) قوله آدم بتنوين . (٤) قوله ميت بسكون تحتية تخفيفا اه .

ومن قال :

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحيى[٢] بالعلم ميت ... فليس له حتى النشور نشور

ومن قال :

تعلم فإن العلم زين لأهله ... وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة ... من العلم واسبح[٣] فى بحور الفوائد
تفقه فإن الفقه أفضل قائد ... إلى البر والتقوى وأعدل قاصد
هو العلم الهادى إلى سنن الهدى ... هو الحصن ينجى من جميع الشدائد
فإن فقيها واحدا متورعا ... أشد على الشيطان من ألف عابد

وللشافعى رضى الله عنه :

رأيت العلم صاحبه كريم ... ولو ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه إلى ... أن تعظم أمره القوم الكرام
ويتبعونه فى كل حال ... كراعى الضأن تتبعه السوام[٤]
فلولا العلم ما سعدت رجال ... ولا عرف الحلال ولا الحرام

وللقلشانى رضى الله عنه :

إذا ما اعتز ذو علم بعلم ... فعلم الفقه أشرف فى اعتزاز
فكم طيب يفوح ولا كمسك ... وكم طير يطير ولا كباز

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « كن عالما أو متعلما أو محبا أو مستمعا ولا تكن خامسا فتهلك » يعنى المبغض. وعنه صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله وما والاه أو معلما أو متعلما» وقال أبو الدرداء : العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج[٥] لا خير فيهم (فهم) رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم (سرج) بضمتين جمع سراج أى مصابيح (الدنيا) يستضاء بهم فيها من ظلمات الجهل (و) سرج (أخرى) أى الآخرة كذلك قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقال - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وفى [جص] «العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثتى وورثة الأنبياء» وفيه: «اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة» وفيه : « عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة » قال الحفنى : أى يشرق لهم كإشراق السراج أو المراد ينتفعون بهديه بأن يسألوه كبعض العلماء حين يقول الله تعالى لهم تمنوا على فيتحيرون ويذهبون للعلماء فيأمرونهم بطلب رؤية الله تعالى اهـ . وفى [حى] قال بعضهم : العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم: أى أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة : إن لهذا العلم ثمنا، قيل وماهو ؟ قال أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ : العلماء أرحم بأمة محمد

---

(١) قوله يحيى بفتح تحتيتين من حيى كفرح اهـ .
(٢) قوله واسبح من سبح كمنع: عام فى الماء اهـ .
(٣) قوله السوام جمع سائمة كراعية وزنا ومعنى اهـ .
(٥) قوله همج بفتحتين : السفلة من الناس اهـ .

صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم . قيل وكيف ذلك ؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة» اه . وفى [عف] أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الشر فقال: «لاتسألونى عن الشر وسلونى عن الخير، يقولها ثلاثا ثم قال: إن شر الشر شرار العلماء ، وإن خير الخير خيار العلماء» فالعلماء أدلة الأمة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية ونقباء ديوان الإسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله فى خلقه وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفية وحملة عظيم الأمانة فهم أحق الخلق بحقائق التقوى وأحوج العباد إلى الزهد فى الدنيا لأنهم يحتاجون إليها لنفسهم ولغيرهم ففسادهم فساد متعد وصلاحهم صلاح متعد قال سفيان بن عيينة : «أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم ، وأعلم الناس من عمل بما يعلم ، وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى» وهذا قول صحيح يحكم بأن العالم إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم فلا يغرك تشدقه واستطالته وحذاقته وقوته فى المناظرة والمحادثة فإنه جاهل وليس بعالم إلا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فإن العلم فى الإسلام لايضيع أهله ويرجى عود العالم ببركة العلم ، انظره . وفى الحديث: «اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته» وفى [جص]: «العلماء أمناء الرسل مالم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا فإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسول فاحذروهم» اه . قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون - وقال - إن الله لا يحب الخائنين - والعلم أمانة عند العلماء جبر الله حالنا وحالهم وأعاننا وإياهم على حفظ ورعاية ما أودعنا من شرائعه آمين . وفيه : «إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص» وفيه: «إن أبغض الخلق إلى الله العالم يزور العمال» وفيه: «سيكون قوم بعدى من أمتى يقرءون القرآن ويتفقهون فى الدين يأتيهم الشيطان فيقول لو أتيتم السلطان فأصلح دنياكم واعتزلتموهم بدينكم ولايكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك كذلك لايجتنى من قربهم إلا الخطايا» قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار - قال الحفنى : ومثل السلطان نوابه مالم يكن المخالط لهم محفوظا مطهرا يحفظ نفسه من المداهنة ونحو مدحهم بغير حق ومما يدسه الشيطان على بعض أهل العلم أن يقول لهم لازموا الأمراء لأجل قضاء حوائج المسلمين فإن ذلك خير مع أن ملازمتهم تؤدى إلى الخيانة فى الدين لبذل جهدهم فى طلب مايرضيهم اه . وفى [حى] ومنها أى ومن علامات علماء الآخرة أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم ألبتة مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا، بل ينبغى أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدى السلاطين ، والمخالط لهم لايخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم ، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنا لهم ، أو يتكلف فى كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت (١) الصريح أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت ، ثم قال : وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم «من بدا جفا - يعنى من سكن البادية جفا : أى كان من طبعه الغلظة - ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن» وقال صلى الله عليه وسلم : «سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون ، فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ، ومن رضى وتابع أبعده الله تعالى ، قيل أفلا

---

(١) البهت بفتح موحدة كفلس الكذب الصريح اه .

تقاتلهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم: لا، ماصلوا » وقال سفيان: فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك . وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قيل وماهى ؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ماليس فيه. وقال صلى الله عليه وسلم : « العلماء أمناء الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلاطين ، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسول فاحذروهم واعتزلوهم » رواه أنس ، وقيل للأعمش : لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذ عنك ، فقال لا تعجلوا : ثلث يموتون قبل الإدراك : وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق ، والثلث الباقى لا يفلح منه إلا القليل ، ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى[1] الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص. وقال الأوزاعى: مامن شىء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا أى حاكما ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء » وقال مكحول الدمشقى رحمه الله : من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا إليه وطمعا فيما لديه خاض فى بحر من نار جهنم بعدد خطاه . وقال سحنون: ما أسمج[2] بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال هو عند الأمير . قال : وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك ، ثم قال: وعلماء زماننا شر من علماء بنى إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه، ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاة لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم ، ثم قال : قال أبو ذر لسلمة ياسلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه ، وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة[3] مقبولة وكلام حلو لايزال الشيطان يلقى إليه أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن ويأخذ فى الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين، وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن رحمهما الله : أما بعد فأشر على بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى ، فكتب إليه الحسن: أما أهل الدين فلا يريدونك، وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ،ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة ، انظره . ورحم الله من قال :

إنما السلطان نار كلما ... زدت فى القرب إليه تحترق
وإذا لم تحترق بالنار منه ... أنت فى الدنيا إليه تحت رق

ومن قال :

قل للأمير مقالة ... من عالم فطن نبيه
إن الفقيه إذا أتى ... أبوابكم لاخير فيه

وفى [جص] «ما ازداد رجل من السلطان قربا إلا ازداد عن الله بعدا ، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه، ولا كثر ماله إلا اشتد حسابه» قال الحفنى: ومثل السلطان نوابه فهو تحذير عن الاجتماع بهم إلا بقدر الحاجة لأن غالب مجالسهم لهو وشغل عن الله تعالى، وأكثر أموالهم حرام، وكثرة الاجتماع

---

(١) قوله يغشى من غشى كفرح: أتاه اه. (٢) قوله أسمج أى: أقبح اه.
(٣) قوله لهجة كتمرة وقصبة: لسان فصيح اه.

بهم توقع فى تعاطى أموالهم ، وهو حسرة وندامة اه . قال تعالى - سماعون للكذب أكالون للسحت - وروى « إن أخوف ما أخاف عليكم كل منافق عليم باللسان »يقعدون فى أبواب الملوك ويقعون فى أعراض المسلمين ويتطلبون لهم الرخص فى نهب أموالهم وسفك دمائهم ، ويفتونهم بالأباطيل التى تناسب أغراضهم وشهواتهم فى المسلمين ، فيبلغون المبلغ الرفيع عندهم ليفسدوهم أخراهم بدنيا غيرهم - إنا لله وإنا إليه راجعون - وفى [خل] وينبغى للعالم أو يتعين عليه أن لايتردد لأحد من أبناء الدنيا لأن العالم ينبغى أن يكون الناس على بابه لاعكس الحال أن يكون هو على أبوابهم ، فإن التردد إلى أبواب من لاينبغى كالذى يفعله بعض الناس سم قاتل لأنه لاخفاء فى أحوالهم وزادوا على ذلك ماهو أشنع وأقبح وهو أنهم يقولون إن ترددهم إلى أبوابهم من باب التواضع ، أومن باب إرشادهم إلى الخير إلى غير ذلك من التسويلات النفسانية والتحسينات الشيطانية وحيث اعتقدوا ذلك فلا ترجى توبتهم ولا رجوعهم عن ذلك إذ لايتوب أحد من فعل الخير - إنا لله وإنا إليه راجعون - على أن بعضهم قد نقل أن العدل إذا تردد إلى باب القاضى فإن ذلك جرحة فى حقه وترد شهادته فإذ كان هذا فى التردد إلى باب القاضى وهو عالم من علماء المسلمين فماذا يقال فيمن تردد إلى أبواب الظلمة الجهلة الفسقة نعوذ بالله من المسخ والخذلان ، وفيه : وينبغى للعالم أن يصون هذا المنصب الشريف من التردد إذا انقطع عنه المعلوم لمن يرجى أن يعين على إطلاق المعلوم أو التحدث فيه أو إنشاء معلوم عوضه . وحدثنى من أثق به أنه رأى بعض العلماء كان يدرس فى مدرسة فانقطع المعلوم عنه وعن طلبته أو نقص عنه ، فقالوا للمدرس لعلك تمشى إلى فلان وكان من أبناء الدنيا لتجتمع به عسى أن يأمر بإطلاق ذلك المعلوم ، فقال نعم مرارا إلى أن عزموا عليه فقال والله إنى لأستحى من ربى أن يكذب هذه الشيبة عنده فقالوا: وكيف؟ فقال إنى أصبح كل يوم أقول: اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ، فأقول هذا وأقف بين يدى مخلوق أسأله ذلك والله لافعلته فلم يمش إليه - لمثل هذا فليعمل العاملون - ونقل أن الخليفة المنصور لقى سفيان الثورى فقال له ماعنعك أن تأتينا يا أبا عبد الله ، فقال إن الله سبحانه نهانا عنكم حيث يقول - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار - ودخل عليه يوما وقد أرسل إليه فقال له: سل حاجتك ؟ فقال أو تقضيها ؟ قال: نعم ، قال حاجتى أن لاترسل إلى حتى آتيك ولا تعطينى حتى أسألك ، ثم خرج فقال المنصور ألقينا الحب للعلماء فلقطوه إلا ما كان من سفيان ، وقيل له : ألا تدخل على الولاة فتتحفظ وتعظهم وتنهاهم ؟ فقال : أتأمرونى أن أسبح فى بحر ولا تبتل قدماى إنى أخاف أن يرحبونى فأميل إليهم فيحبط عملى . وكان يقول : إذا أرضيت ربك أسخطت الناس ، وإذا أسخطتهم فتهيأ للسهم والتهيؤ للسهام أحب إلى من أن يذهب دين الرجل ، ورحم الله من قال :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا	محياه بالأطماع حتى تجهما [1]

وكتب رحمه الله إلى بعض العباد : اعلم ياأخى أنك فى زمان كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون أن يدركوه ومعهم من العلم ماليس معنا ولهم من القدم ماليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على قلة العلم وقلة الصبر وقلة الأعوان على الخير وفساد من الزمان ، فعليك بالخمول فإن هذا زمان

(١) أى تغير اه .

خمول وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس فقد كان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض . وأما اليوم فقد ذهب ذلك فالنجاة الآن فى تركهم فيما نرى ، وإياك يا أخى والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم فى شىء من الأشياء ، ويقال لك تشفع أو تدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فإن ذلك من خديعة إبليس ، وإنما اتخذ ذلك القراء سلما للقرب منهم واصطياداً للدنيا بذلك. وكان يقول للمهدى : احذر من هؤلاء الأعوان والمترددين عليك من الفقراء والفقهاء فإن هلاكك على أيديهم يأكلون طعامك ويأخذون دراهمك ويغشونك ويمدحونك بما ليس فيك. ونصح يوما إنسانا رآه فى خدمة الولاة فقال فما أصنع بعيالى ؟ فقال ألا تسمعون لهذا يقول إنه إذا عصى الله رزق عياله وإذا أطاعه ضيعهم . وكان يقول إذا رأيتم العالم يلوذ بباب السلطان فاعلموا أنه لص وإذا رأيتموه يلوذ بباب الأغنياء فاعلموا إنه مراء انظر [شب] وفيه : وكان بشر الحافى يقول : ياطالب العلم إنما أنت متلذذ متفكه بالعلم تسمع وتحكى لاغير ، ولو عملت بما علمت لتجرعت مرارة العلم ، ويحك إنما يراد بالعلم العمل فاسمع يا أخى وتعلم ثم اعمل واهرب ، ألا ترى إلى سفيان الثورى رضى الله عنه كيف طلب العلم وتعلم وهرب ، فإن طلب العلم إنما يدل على الهرب من الدنيا لاعلى حبها، وكان يقول : كان العلماء رضى الله عنهم موصوفين بثلاثة أشياء : صدق اللسان، وطيب المطعم ، وكثرة الزهد فى الدنيا. وأنا اليوم لا أعرف فى هؤلاء واحدا فيه واحدة من هذه الخصال ثم قال : ويحكم يا علماء السوء أنتم ورثة الأنبياء وإنما ورثوكم العلم فحملتموه وزغتم عن العمل به وجعلتم علمكم حرفة تكسبون به معاشكم . وكان إبراهيم البلخى يقول : إذا كان العالم طامعا وللمال جامعا فبمن يقتدى الجاهل . وكان إبراهيم بن أدهم يقول : قد غلب على العبّاد والنساك والعلماء فى هذا الزمان التهاون بالذنوب حتى غرقوا فى شهوة بطونهم وفروجهم وحجبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون أقبلوا على أكل الحرام وتركوا طلب الحلال ورضوا من العمل بالعلم ، يستحى أحدهم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم ، هم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة إذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح ، إن سألوا ألحوا وإن سئلوا شحوا لبسوا الثياب على قلوب الذئاب ، اتخذوا مساجد الله التى يذكر فيه اسمه لرفع أصواتهم باللغو والجدال والقيل والقال، واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا ، فإياكم ومجالستهم اه .

فتخلص يا أخى من هذه الأوحال وتأمل قول من قال :

العلم نور فلا تهمل مجالسه ... واعمل جميلا يرى فالفضل فى العمل

وقول بعض أهل الإشارات :

تعلم ما استطعت لقصد وجهى ... فإن العلم من سفن النجاة
وليس العلم فى الدنيا بفخر ... إذا ما حل فى غير الثقاة
ومن طلب العلوم لغير وجهى ... بعيد أن تراه من الهداة انظره

ورحم الله من قال :

لو كان للعلم من دون التقى شرف ... لكان أفضل خلق الله إبليس

وفى [خل] وعن ذى النون المصرى رحمه الله أنه قال : كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها ، فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا، وكان الرجل ينفق ماله على العلم، واليوم يكتسب الرجل بعلمه مالا، وكان يرى على طالب العلم زهادة وإصلاح فى باطنه وظاهره، فاليوم ترى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر ، وفيه قال مالك رحمه الله : إذا علمت علما فلير عليك أثره

وسمته وسكينته ووقاره وحلمه لقوله عليه الصلاة والسلام : «العلماء ورثة الأنبياء» انظر : وفيه قال ابن مسعود رضى الله عنه : العالم يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، بخشوعه إذا الناس يختالون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : لا ينبغى للعالم أن يخوض مع من يخوض ولا يجهل مع من يجهل ولكن يعفو ويصفح اه . ثم قال : قال الفضيل بن عياض رحمه الله : لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله تعالى لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الإسلام وأهله ، ولكنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما فى أيديهم فذلوا وهانوا على الناس ، وفى الحديث إن الصفا الزلال [1] الذى لا تثبت عليه أقدام العلماء الطمع » قال الحفنى : ألا ترى أن طمع العالم يؤديه إلى مدح الأمراء الظلمة ليعطوه شيئا فيغويهم فى الظلم ويوقع كلام الناس فى عرضه ، ولربما اقتدى به غيره فى الطمع وجلب الدنيا ولو من حرام . قال المناوى فى كبيره : قال أبو جعفر البغدادى : ست خصال لا تحسن بست رجال : لا يحسن الطمع فى العلماء ، ولا العجلة فى الأمراء ، ولا الشح فى الأغنياء ، ولا الكبر فى الفقراء ، ولا السفه فى المشايخ ، ولا اللؤم فى ذوى الأحساب اه . وعليك بمطالعته ففيه درر الفوائد - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - (فلذ) من لاذ بالشىء استتر وتحصن به (بهم) دنيا وأخرى (تنل) تصب وتدرك (منهم) فى الدارين (شفاعة) عظيمة (يوم حسرة) وندامة هو يوم القيامة . وفى [جص] : «يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» وفيه : « وإذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد ادخل الجنة وتنعم بعبادتك ، وقيل للعالم قف هنا فاشفع لمن أحببت فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت فقام مقام الأنبياء» وفى [خل] وقد روى أن يحيى ابن يحيى راوى الموطأ لما أن جاء إلى مالك ليقرأ عليه فقال له مالك اجتهد يا بنى فإنه قد جاء شاب فى سنك فقرأ على ربيعة ، فما كان إلا أيام وتوفى الشاب فحضر جنازته علماء المدينة ولحده ربيعة بيده ، ثم رآه بعد ذلك بعض علماء المدينة فى النوم وهو فى حالة حسنة فسأله عن حاله؟ فقال غفر الله لى وقال للملائكة هذا عبدى فلان كانت نيته أن يبلغ درجة العلماء فبلغوه درجتهم فأنا معهم أنتظر ما ينتظرون . قال : فقلت وما ينتظرون ؟ قال الشفاعة يوم القيامة فى العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، انظره وروى : « إن الله تعالى يقول للمجاهدين والعابدين ادخلا الجنة فيقول العلماء يا ربنا بفضل علمنا جاهدوا وعبدوا فما لنا عندك؟ فيقول أنتم عندى كبعض ملائكتى ، اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » وروى « إنه يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء » ولا شك أن أعلى ما للشهيد دمه وأن أدنى ما للعالم مداده . قال بعضهم : والمراد بالعلماء العاملون بعلمهم - الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب - والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار - الآية ، وإلا فليسوا من أهل الشفاعة بل ليتهم يشفعون فى أنفسهم ، وأنى لهم ذلك قال تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون -

---

(١) قوله الصفا مفرده صفاة: صخرة ملساء والزلال كشداد كثير الزلل اه .

وروى « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وإن العالم ليعذب عذابا يطيف [١] به أهل النار استعظاما لشدة عذابه ، وإنه يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه [٢] فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك؟ فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه » وقال الشعبى : يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله . وقال حاتم الأصم رحمه الله : ليس فى القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو . وقال مالك بن دينار « إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا . ورحم الله من قال :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ... إذا عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا ... فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

ومن قال :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوى المريض وهو عليل

ومن قال :

فأصبحت تنهى ولا تنتهى ... متى تلحق الناس يا أكوع
ويا حجر السن لا تنقضى ... تسن [٣] الحديد ولا تقطع

وفى البخارى عن إبراهيم التيمى « ماعرضت قولى على عملى إلا خشيت أن أكون مكذبا » اه قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - وقال - ولكم الويل مما تصفون - وقال - أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون - وقال صلى الله عليه وسلم : « أبعد الناس من الله تعالى يوم القيامة القاص الذى يخالف إلى غير ما أمر به » وفى [حى] وقال كعب رحمه الله : يكون فى آخر الزمان علماء يزهّدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ، ويخوفون الناس ولا يخافون ؛ وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة ، يأكلون بألسنتهم ، يقرّبون الأغنياء دون الفقراء ، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال ، يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن » وقال تعالى لعيسى عليه السلام : « يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم ؟ فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه » وقال صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتى عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشر شرار العلماء وخير الخير خيار العلماء » وقال الأوزاعى رحمه الله : شكت النواويس ما يجدون من نتن جيف الكفار فأوحى الله إليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه . وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك [٤] الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياى يخادعون وبى

---

(١) قوله يطيف بضم تحتية من أطاف : أحدق اه . (٢) قوله أقتابه جمع قتب كفرس : الأمعاء اه.
(٣) بفتح فوقية وضم سين من سن السكين كرد : أحده اه .
(٤) قوله مسوك جمع مسك ، كفلس وفلوس : الجلد اه .

يستهزؤن لأتيحن[١] لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيران » وقال ابن مسعود رضى الله عنه : سيأتى على الناس زمان تملح[٢] فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة ، وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة ، فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفىء مصابيح العلم من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى علمه ، فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب ، فو الله الذى لا إله إلا هو ماذاك إلا أن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من طلب علما مما يبتغى[٣] به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » وعرفها : ريحها . وقال صلى الله عليه وسلم : « لاتتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار » وقال صلى الله عليه وسلم : « تعلموا ماشئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا » وقال عيسى عليه السلام : مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت ، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة على رءوس الأشهاد . وفى أخبار[٤] داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى « إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى ، ياداود لاتسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى ، أولئك قطاع الطريق على عبادى ، ياداود إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما ياداود من رد لى هاربا كتبته جهبذا[٥] ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا ، ولذلك قال الحسن رحمه الله : عقوبة العلماء موت القلب وموت القلوب طلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولذلك قال يحيى بن معاذ : إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا ، وقال سعيد بن المسيب رحمه : إذا رأيتم العالم يغشى[٦] الأمراء فهو لص . وقال عمر رضى الله عنه : إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب . وكتب رجل إلى أخ له : إنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب ، فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم . وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول لعلماء الدنيا : يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية ، وأثوابكم ظاهرية ، وأخفافكم جالوتية ، ومراكبكم قارونية ، وأوانيكم فرعونية ، ومآتمكم[٧] جاهلية ، ومذاهبكم شيطانية ، فأين الشريعة المحمدية . ورحم الله من قال :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها … فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

ومما ينبغى فى حق العالم أن لا يكون مائلا إلى الترفه فى المطعم والمشرب والتنعم فى الملبس والتجمل فى الأثاث والمسكن ، بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله ويميل إلى الاكتفاء بالأقل فى جميع ذلك وكلما زاد إلى طرق القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع فى علماء الآخرة حزبه ، أنظره . وانظر فيه ماوقع لحاتم الأصم مع ابن المقاتل والطنافسى وأهل المدينة المنورة بأنواره صلى الله

---

(١) لأقدرن وأسهلن اه . (٢) قوله تملح بفتح اللام وكسرها من ملح كنتم وضرب اه .
(٣) قوله يبتغى بضم تحتية وفتح غين مبنى للمفعول اه .
(٤) جمع خبر اه . (٥) جهبذ بمعجمة كزبرج : النقاد الخبير اه .
(٦) قوله يغشى من غشى كرضى اه . (٧) مآتم جمع مأتم كمقعد : كل مجتمع لحزن أو فرح أو خاص بالنساء .

عليه وسلم ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا علم العالم فلم يعمل كان كالمصباح يضيء على الناس ويحرق نفسه » ورحم الله من قال :

ما هو إلا ذبالة[1] وقدت   تضيء للناس وهي تحترق

ورحم الله من قال :

منعتك الذنوب عن كل علم   نافع للقلوب يجلو صداها

فاغتنم توبة لعلك تنجو   وازجر النفس يا أخي عن هواها

وعنه صلى الله عليه وسلم : « من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً » وقد قيل : كثرة العلم في غير طاعة مادة الذنوب ، وفي ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

كثرة العلم في سوى طاعة الله   من أصل الذنوب خف من رداها

وفي [عم] وكان سفيان الثوري رضي الله عنه إذا لاموه على عدم جلوسه لتعليم الناس العلم يقول : والله لو علمنا منهم أنهم يطلبون بالعلم وجه الله العظيم لأتيناهم في بيوتهم وعلمناهم ، ولكنهم يطلبون العلم ليجادلوا به الناس ويحترفوا به أمر معايشهم . وكان الفضيل بن عياض يقول : والله لو صحت النية في العلم لم يكن عمل مقدم عليه إلا العمل بما يحتاج منه ولكنهم يتعلمون لغير العمل . وحكى أن سفيان الثوري دخل على الفضيل يوما فقال : يا أبا علي عظنا بموعظة ؟ فقال الفضيل وماذا أعظكم ، كنتم معاشر العلماء سرجا يستضاء بكم في البلاد فصرتم ظلمة ، وكنتم نجوما يهتدى بكم في ظلمات الجهل فصرتم حيرة ، يأتي أحدكم إلى هؤلاء الأمراء فيجلس على فرشهم ويأكل طعامهم ثم بعد ذلك يدخل المسجد ويدرس العلم والحديث ويعظ الناس ويقول حدثني فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والله ما هكذا كان يحمل العلم ، فبكى سفيان وانصرف . ثم قال : وكان كعب الأحبار يقول : سيأتي على الناس زمان يتعلم جهالهم العلم ويتغايرون على القرب من الأمراء كما يتغايرون على النساء وكما يتغاير النساء على الرجال وذلك حظهم من علمهم . ثم قال : وكان عبد الله بن المبارك يقول : قد غلب على القراء في هذا الزمان أكل الحرام والشبهات حتى إنهم غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم واتخذوا علمهم شبكة يصطادون بها الدنيا فإياكم ومجالستهم ، وكان يقول : لولا نقص دخل على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضل الناس ، ولكنهم صاروا يحترفون بعلمهم ويصطادون به الدنيا فهانوا في ملكوت السموات والأرض ، وكان يقول : من عقل الرجل أن لا يطلب الزيادة من العلم إلا إذا عمل بما علم ، فيتعلم العلم كي يعمل به إذ العلم إنما يطلب للعمل ، وكان الشعبي يقول : اطلبوا العلم وأنتم تبكون فإن أحدكم إنما يريد به زيادة إقامة الحجة على نفسه يوم القيامة . ثم قال : وكان الثوري يقول : عليكم بالإخلاص في العلم لينفع الله به العباد . قال : ولم يبلغنا عن أحد من العلماء غير العاملين أنه رؤى بعد موته فقال : غفر لي بعلمي أبداً قال : ومن الدلائل الصريحة على رياء العالم أن يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره ، وكان الشافعي رحمه الله يقول : ينبغي للعالم أن تكون له خبيئة من العمل الصالح فيما بينه وبين الله ولا يعتمد على العلم قط ، فإنه قليل الجدوى في الآخرة . ثم قال : وروى النسائي والترمذي مرفوعا : « أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها ، فقال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت

---

[1] (١) بذال معجمة كثمامة وكرمانة : الفتيلة اه

فيك حتى استشهدت، فقال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها فقال: فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل، ثم سحب على وجهه حتى ألقى فى النار، ورجل وسع عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها فقال: فاعملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار» أنظره. ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه:

أول من يسحب للنيران	ثلاثة فى خبر العدنانى
من قاتل الكفار ثم قتلا	وعلم العلوم ثم بذلا
ماله للسمعة والرياء	يارب نجنا من البلاء
واغفر ذنوبنا بمحض الفضل	وشفعن نبينا فى الكل
عليه دائما صلاة الله	والآل والصحب بلا تناه

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله أعلم وأحكم.

[فصل فى النهى من إضاعة المال]

(وَمَالَكَ صُنْ عَنِ الضَّيَاعِ كَصَرْفِهِ	بِهَرْجٍ رِبًى زِنًى وَخَمْرٍ وَخُطَّةٍ
فَمُرْتَكِبٌ لِذَاكَ يُبْلَى بِنَكْبَةٍ	وَمُسْتَوْجِبٌ بِذَنْبِهِ سَلْبَ نِعْمَةٍ
فَمَنْ لَمْ يُصَبْ فِى نَفْسِهِ أَوْ بِمَالِهِ	فَمُسْتَدْرَجٌ وَبَا بِأَبْخَسِ صَفْقَةٍ)

(ومالك) هو ماملكته من كل شىء (صن) من الصيانة وهى الحفظ (عن الضياع) بفتح الضاد مصدر ضاع هلك وتلف. واعلم أن النهى عن إضاعة المال ولزوم حفظه أمر اجتمعت عليه الأمة قال تعالى - وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - وقال - وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين - وفى [جص]: «إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» قال العزيزى: هو صرفه فى غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف، وسبب النهى أنه إفساد، والله لا يحب الفساد، ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما فى أيدى الناس اه. وفى [خل] واعلم أن إبليس يأتيك من وجوه كثيرة لا يغفل ولا يألوك خبالا إن كنت مقلا عندك من الدنيا شىء يسير تريد أن تقوته نفسك أمرك بالصدقة ورغبك فيها لتخرج مافى يديك وتحتاج رجاء أن يظفر بك فى حالة الغفلة، وإن كنت غنيا أمرك بالإمساك ورغبك فيه وخوفك الفقر والحاجة، وقال لك ابدأ بمن تعول ولعلك تكبر وتضعف ويطول عمرك، يريد بذلك أن تصير إلى حال البخل فيظفر بك. انتهى. وفى [د]: «والله من لم يحاول على نفسه حتى تخلى دار أبيه» وذا قاله لمن بين يديه: فى الإسراف فى الإنفاق، ذكر ذلك تحذيرا وتخويفا

وتفظيعا لما يترتب على ذلك من الفتنة فى الدين واختلال العقل وذهاب المروءة، ولفظ يحاول يحتمل الاقتصاد فى المعيشة ويحتمل الخدمة والكد والعمل اه . وفى [جه] ومما أملاه علينا رضى الله عنه قال : لله تصريف فى بعض خلقه فجعل الدنيا فى أيديهم فمن حفظها منهم مع المحافظة على أمر الله تعالى فيه من غير تضييع حفظها الله فى يده وصانه بها وجعلها له بركة ، ومن ضيعها من يده تهاونا بها ضيعه الله وأحوجه إليها ولم يجدها اه . وفيـه : واعتن بتحصين مالك من التلف فإن مالك به يصان إيمانك بالله تعالى فإن أتلفته أتلفت إيمانك بالله فإنه وقع فى الخبر : «إن من الناس من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو افتقر لكفر» اه وفيه : وقد كان بعض الأصحاب من خاصته دخل بيده مال فأعطاه منه ثم أراد إعطاء ما بيده جملة وتفصيلا ، فعلم به سيدنا رضى الله عنه فقال له لا تفعل ودع مالك عندك، لأنك إن فعلت ذلك وجدت فقدان ذلك من قلبك وأثر ذلك فيك، فيحصل لك بذلك ضرر عظيم وتنقطع المحبة من أصلها، فلا تقتد بى فى هذه العطايا ، فأنا إن رأيتنى فعلت شيئا منها ففى ذلك أقامنى الله عز وجل . اه .وفى [عف] قال جعفر الخلدى : جاء رجل إلى الجنيد وأراد أن يخرج عن ماله كله ويجلس معهم على الفقر، فقال له الجنيد، لا تخرج عن مالك كله: احبس منه مقدار ما يكفيك وأخرج الفضل وتقوّت بما حبست ، واجتهد فى طلب الحلال ، لا تخرج كل ما عندك فلست آمن عليك أن تطالبك نفسك ، ثم قال : وقد يكون الشيخ يعلم من حال المريد أنه إذا خرج من الشىء يكسبه من الحال مالا يتطلع به إلى المآل ، فحينئذ يجوز له أن يفسح للمريد فى الخروج من المال، كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وقبل منه جميع ماله . اه: أى ولم يقبل ذلك من سيدنا عمر لحكمة بالغة قال تعالى - حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم - وصح أن عمر أتى بنصف ماله فدفعه للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : «ماخلفت وراءك لأهلك يا عمر ؟ قال خلفت لهم نصف مالى » وأن أبا بكر جاء بماله كله فدفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : «ماخلفت وراءك يا أبا بكر؟ فقال عدة الله وعدة رسوله صلى الله عليه وسـلم ، فبكى عمر فقال بأبى أنت يا أبا بكر والله ماسبقنا إلى باب خير إلا كنت سابقنا» اه. وفى البخارى عن كعب بن مالك قال: قلت يارسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم . قال : أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك . قلت فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر » اه. وروى: « يأتى أحدكم بماله لا يملك غيره فيتصدق به ثم يقعد بعد ذلك يتكفف الناس، إنما الصدقة عن ظهر غنى » ورحم الله من قال :

وحفظ المـال خير من فناه ... وضرب فى البلاد بغير زاد

وإصلاح القليـل يزيد فيـه ... ولا يبـقى الـكثير مع الفساد

(كصرفه) وإنفاقه (بهرج) من هرج الناس وقعوا فى فتنة واختلاط وقتل: أى فى قتال بين المسلمين عدوانا وظلما. وفى [جص] «إن بين يدى الساعة لأياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج» والهرج: القتل، وفيه: « إذا كانت الفتنة بين المسلمين فاتخذ سيفا من خشب » وذلك كناية عن عزل أهل الفتن والكف عن القتال معهم. ونقل أن بعض الصحابة اتخذ سيفا من خشب أيام الفتنة لهذا الحديث . وفيه: «لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتى » وفيه: « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» وفيه: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقى الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله » وفيه: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول فى النار: قيل يارسول الله

الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه » وفيه : « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذبه » وفيه : « سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته » وفي [هب] إن ذات بني آدم عليها ثلاث مئة وستة وستون ملكا ، وهذا العدد على كل ذات ذات ، فمن قتل ذاتا بغير حق فإن هذا العدد من الملائكة الذين في الذات المقتولة إذا خرجوا منها بعد القتل لا يكون لهم شغل إلا الدعاء باللعنة على من قتل الذات وأخرجهم منها بغير حق . ودعاء الملائكة مستجاب ، وأيضا فإن الذات عليها سبعة من الكرام الحفظة الكاتبين فإذا قتلت الذات بغير حق فإنهم لا شغل لهم إلا نقل كل ما في صحيفة المقتول من سيئات ، فينقلونه من صحيفته ويجعلونه في صحيفة القاتل ، وكل ما فعل القاتل من حسنة ، فإنهم ينقلونه منها ويجعلونه في صحيفة المقتول وهذا شغلهم إلى أن يموت القاتل ، ثم يصير هذا ذكرا لهم فيذكرون ما فعل القاتل من السيئات ، وذكر الملائكة كالمطر ، وكل ذكر ينزل معه فإن ذكروا أحدا بسوء نزل عليه السوء ، وإن ذكروه بخير نزل عليه الخير ، فلا يزالون يذكرون المقتول بخير والخير ينزل عليه ، ولا يزالون يذكرون القاتل بشر والشر ينزل عليه ، انظره .
وكصرفه في (ربى) بالكسر والقصر وسواء ربى الفضل وربى النساء ، وقد قيل كل عقدة فاسدة فهي ربى ، وروى : « درهم ربى يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية في الإسلام وهو في الحطيم » وفي [جص] « الربى سبعون حوبا [1] أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه » وفيه : « لعن الله الربى وآكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون ، والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة [2] والمتنمصة » وفيه : « الربى وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل » والقل بالضم القلة قال تعالى - يمحق الله الربى ويربي الصدقات - وفيه : « أربى ربى شتم الأعراض وأشد الشتم الهجاء والراوية [3] أحد الشاتمين » وفيه : « أربى الربى تفضيل المرء على أخيه بالشتم » أي زيادته واستطالته بلسانه في عرض أخيه بأكثر مما يستحقه . وفي [د] الله يغرقك في بحر الكرم وذا قاله لرجل ارتكب شيئا من الربى فغضب عليه غضبا شديدا فتاب إلى الله وسأله أن يسامحه ويدعو له فسامحه وذكره ، اه . قال تعالى : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله - الآية . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نأكل طعام من يعامل بالربى والحيلة إلا لضرورة شرعية كأن لم نجد شيئا نسد به الرمق أو ترتبت على ذلك مصلحة دينية ترجح على تركه . ثم قال : فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ صادق يسلك به الطريق حتى يدخله حضرات القناعة وحضرة الزهد في الدنيا وتصير نفسه تقنع بالخبز الجاف اليابس من غير إدام وتلبس الحصير بدل الثياب . ومن لم يسلك فمن لازمه محبة الدنيا غالبا وعدم صبره عن شهواتها ، فكلما طلبت نفسه شهوة تحمل الدين لأجلها ورضي بالربى له وعليه . وكان سفيان الثوري يقول : والله لو أجبت نفسي إلى ما طلبت لخفت أن أكون شرطيا أو مكاسا اه . فاسلك يا أخي كما ذكرنا لتخلص من ورطة [4] الربى والوقوع فيه ، والله يتولى هداك ، أنظره . وقد ثبت أن من حكمة الله تعالى وعادته أن من أكل الربى يحول الله صورته عند الموت كصورة حمار ، إما في الدنيا وإما في الآخرة ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة آمين (زنى) بالكسر والقصر : وفي [جص] : « الزنى يورث الفقر » وفيه : « عفوا تعف

---

(١) قوله حوبا بضم حاء وفتحها : الذنب .
(٢) قوله النامصة : أي الناتفة للشعر بقصد التزيين اه .
(٣) قوله الراوية : أي الناقل لها اه .
(٤) قوله ورطة كتمرة : الهلاك اه .

نساؤكم ، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، ومن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيء بلغه عنه » زاد فى رواية: « محقا كان أو مبطلا فلم يقبل عذره لم يرد علىّ الحوض » وفيه: « إذا ظهر الزنى والربى فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله » وفيه: « إن السموات السبع والأرضين السبع والجبال ليلعن الشيخ الزانى، وإن فروج الزناة ليؤذى أهل النار ريحها » وفيه : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لامحالة، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدّق ذلك الفرج ويكذّبه » وفيه: « من زنى زنى به ولو بحيطان داره » أى فمن عقوبة الزانى أن يقع الزنى ممن حوته حيطان داره كزوجته وبنته .

ونقل أن امرأة وجدت زوجها يغتسل فقالت : ماهذا؟ فقال: زنيت بزوجة فلان ، ثم جاء ذات يوم فوجد زوجته تغتسل، فقال لها ماهذا؟ قالت: زنى بى فلان الذى زنيت بزوجته، جزاء وفاقا والجزاء من جنس العمل . وحكى أن بعض الملوك لما سمع بهذا الحديث أراد تجربته فى بنت له وكانت فى غاية من الحسن والجمال فمكنها لعجوز وأمرها أن تطوف بها فى الأسواق والأزقة مكشوفة الأطراف وأن لا تمنع أحدا تعرض لها بأى شيء شاء ، فما مرت بها على أحد إلا وأطرق رأسه منها حياء وخجلا، ولم يمد أحد نظره إليها ، فلما رجعت بها وأرادت أن تدخل لدار الملك أمسكها إنسان وقبلها ثم ذهب عنها، فأدخلتها على أبيها فسألها عما وقع فذكرت له القصة، فسجد شكرا لله تعالى وقال : الحمد لله ما وقع منى فى عمرى قط إلا قبلة واحدة لامرأة وقد قوصصت بها جزاء وفاقا . وفى [د]: « أولاد الزنى ليس لهم إلا النار، لأن الله حكم على نطفة الحرام بالنار إلا إذا حصل لهم التطهير بخدمة أحد من الأكابر أو أكل معهم أو قضى لهم حاجة وهم: الفرد الجامع والخليفة والوزيران ومفاتيح الكنوز اه (و) كصرفه فى (خمر) وهى كل ما يخامر العقل ويستره ويذهب ثمراته من كل مشروب . وفى [جص] « ستشرب أمتى من بعدى الخمر يسمونها بغير اسمها يكون عونهم على شربها أمراؤهم » وفيه: « الخمر أم الخبائث فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوما، فإن مات وهى فى بطنه مات ميتة جاهلية » وفيه: « الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته » وفيه: « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها » وفيه: « لن يزال العبد فى فسحة من دينه ما لم يشرب الخمر فإذا شربها خرق الله ستره وكان الشيطان وليه وسمعه وبصره ورجله يسوقه إلى كل شر ويصرفه عن كل خير » وروى الترمذى رحمه الله: « إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل عليها البلاء ، قيل وماهن يارسول الله ؟ قال: إذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق الولد أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك حمرا وخسفا ومسخا » وروى البيهقى رحمه الله: « إذا استحلت أمتى خمسا فعليهم الدمار (١) إذا ظهر التلاعن، وشربت الخمر ولبس الحرير ، واتخذت المعازف واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء » وروى الترمذى رحمه الله: « ثلاثة لايقبل الله لهم شهادة أن لا إله إلا الله: الراكب والمركوب، والراكبة والمركوبة، والإمام الجائر » اه

---

(١) قوله الدمار كهلاك وزنا ومعنى اه .

(و) كصرفه فى (خطة) بالضم الأمر كالقضاء والإفتاء والحسبة والعدالة والعيالة وغير ذلك، وفى الحديث: «إنا لانستعمل على أمرنا هذا من طلبه» وفى آخر: «اتقوا الله فإن أخونكم[1] عندنا من طلب العمل» وفى آخر: «لاتطلب الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها» وفى [جع] وأحذركم لمن خوله الله نعمة أن يمديده بها فيما لايرضى الله مثل شرب الخمر والوقوع فى الزنى ومد اليد بها فى المعاملة فى الربى، وصرفها فى وجوه طلب الرياسة والسلطنة، وفى طلب إذاية المسلمين من سفك دمائهم ونهب أموالهم أوهتك حريمهم، أو بإذاية ولو بأقل قليل، فإن الفاعل هذه الأمور بما أنعم الله عليه مستحق لسلب النعمة من الله مع ما يعرض له من مقت الله وسخطه فى الدنيا والآخرة، والسعيد إذا وقع فى شىء من هذه الأمور يرى عن قريب تعجيل العقوبة ويرى التنبيه فى قلبه من الله أن هذه المصيبة وقعت على تلك الفعلة اهـ (فرتكب) من ارتكب الشىء اكتسبه وفعله (لذاك) أى لشىء مما ذكر (يبلى) أى يبتليه الله فى الحين إن سبقت له العناية من الله تعالى (بنكبة) بفتح النون: المصيبة يقال نكبه الدهر أصابه بنكبة.

وفى [جص]: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبده شرا أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة» قال الحفنى: ولذا كان أهل الله يتلذذون بالأمراض كما تتلذذ بالمآكل لعلمهم بأنها منه تعالى لسلامة البدن فى المآل وإن حصل بها مشاق، كالأبوين يأتيان بطبيب لولدهما يكويه ليسلم بدنه وإن حصل له مشقة بذلك، والله تعالى أرحم بعبده من والديه، وكل ما يغم الإنسان من أمور الدنيا فيه ثواب حتى الشوكة وسقوط القلم من يد الكاتب إذا اغتم بسببه. وفيه: إذا أراد الله بعبد خيراً عاتبه فى منامه: أى لامه على تقصيره أو أراه فى منامه ماينبهه كأن يرى كبشا ينطحه أو يسقط فى مهواة فيتنبه أن ذلك مما صدر منه من المعصية فيتوب. ونام بعضهم عن ورده فرأى بقرة تنطحه فأفاق وتنبه أن ذلك من ترك ورده اهـ. وأخبرنى من أثق به أنه تبرع بشىء من الأذكار ثم تركها يوما فرأى فى منامه جملا أراد أن يبتلعه فاستيقظ فزعا فاستدرك مافاته، قال تعالى - وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (ومستوجب) أى مستحق (بذنبه) الذى ارتكبه (سلب نعمة) لأن نعم الله إذا شكرت قرت، وإذا كفرت فرت. قال تعالى - إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وفى [جص]: «الدعاء يرد القضاء وإن البر يزيد فى الرزق وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» ثم قرأ - إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة - الآية، ولا يعارضه حديث: «إن الرزق لا تنقصه المعصية ولا تزيده الحسنة» لأن ذلك بالنسبة لما فى علم الله تعالى، وأما الرزق المعلوم للملائكة الموكلين فهو الذى يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، انظر العزيزى. وفى [جه] وأوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى وارتقاب المؤاخذة منه فى الذنوب فإن لكل ذنب مصيبتين لايخلو العبد عنهما، والمصيبة واحدة فى الدنيا وواحدة فى الآخرة فمصيبة الآخرة واقعة قطعا إلا أن تقابل بالعفو منه سبحانه وتعالى، ومصيبة الدنيا واقعة بكل من اقترف ذنبا إلا أن يدفعها وارد إلهى بصدقة لمسكين أو صلة رحم بمال أو تنفيس عن مديان بقضاء الدين عنه أو بعفوه عنه إن كان له، وإلا فهى واقعة، فالحذر الحذر من مخالفة أمر الله وإن وقعت مخالفة والعبد غير معصوم

---

(١) قوله أخونكم: أى أكثركم خيانة اهـ.

فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله وإن لم يكن ذلك عاجلا فليعلم العبد أنه ساقط من عين الحق متعرض لغضبه إلا أن يمن عليه بعفوه ويستديم فى قلبه أنه مستوجب لهذا من الله فيستديم بذلك انكسار قلبه وانحطاط رتبته فى نفسه دون تعزز فما دام العبد على هذا فهو على سبيل خير اﻫ (فمن لم يصب) بمصيبة عاجلة (فى نفسه) أى جسده كمرض أو إذاية الناس (أو) لم يصب (بماله) بفقد أو تلف وضياع وفى الحديث: « لاخير فى مال لايرزأ منه وجسد لاينال منه » وفى آخر: « إن أبغض عباد الله إلى الله العفريت النفريت الذى لم يرزأ فى مال ولا ولد » (فمستدرج) من استدرجه خدعه قال تعالى - سنستدرجهم من حيث لايعلمون - واستدراج الله تعالى العبد أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه الاستغفار أو أن يأخذه قليلا قليلا ولا يباغته، وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا رأيت الله تعالى يعطى العباد مايشاءون وهم مصرون على المعاصى فاعلم أن ذلك استدراج منه لهم » ثم تلا - فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون - الآية وفى [جص] « إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا مايحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك استدراج » والمراد بالاستدراج تقريبه من العقوبة شيئا فشيئا، انظر العزيزى. وفى [خل] الاستدراج اسم لمعنين أحدهما استدراج عقوبة للسيئة تنبيها على الإنابة، والثانى استدراج لا إنابة فيه ولا رجوع فنعوذ بالله من الاستدراج، وإنما يستدرج العبد على قدر بغيته فمنهم من يستدرج بالملك وطاعة الناس له، ومنهم من يستدرج بالدنو من الملوك وولاة الأمر والحظوة عندهم، ومنهم من يستدرج بالتوسعة فى المال والأولاد ومنهم من يستدرج بالعلم بأن يكرم بسببه ويحمد ويعظم ويسمع قوله، ومنهم من يستدرج بكثرة العبادة فجميع من ذكر من المستدرجين لايخلو من الرياء والعجب وكل مزين له ماهو فيه لايرى إلا أنه على الطريق مقبول منه إحسانه، وقد عمى عن فتنة ماهو فيه من الاستدراج، ومنهم من ينبه فيتنبه فيرجع إلى الإنابة ويفزع إلى الاستكانة، ومنهم من يهمل فيهمل نفسه إلى حضور أجله. واعلم أن الاستدراج عقوبة للمضيعين شكر النعم اﻫ (بخ) انظره. وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانغتر بإمهال الحق تعالى وحلمه علينا إذا وقعنا فى شىء من معاصيه سرا أو جهرا تعظيما لأمر الله عز وجل، ومحك[1] الصدق فى تعظيم الله عز وجل أن نتأثر إذا وقعنا فى المعصية سرا مثل مانتأثر ونندم إذا وقعنا فيها جهرا وشاعت عنا بين الخاص والعام، ومتى زاد قبح المعصية الواقعة جهرا على وقوعنا فيها سرا فنحن لم نبلغ فى تعظيم حرمات الله حدها المشروع لنأمن أنه تعالى أحق أن يستحيى منه، انظره. وفى الحديث: « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها » وفى الحكم من جهل المريد أن يسىء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد، فقد يقطع المدد عنه من حيث لايشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد، وقد يقام مقام البعد وهو لايدرى ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد انظره (وبا) قصره للوزن يقال باء بذنبه احتمله واعترف به (بأبخس) أنقص وأخسر (صفقة) من صفق على يده إذا وجب البيع والحق - بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الآية، ورحم الله من قال:

---

(١) قوله محك: أى معيار اﻫ.

مضى أمسك الأدنى شهيدا معدلا ‏ ‏ ويومك هذا بالفعال شهيد
فإن تك بالأمس اقترفت إساءة ‏ ‏ فثن بإحسان وأنت حميد
ولا ترج[1] جعل الخير منك إلى غد ‏ ‏ لعل غدا يأتى وأنت فقيد

ومن قال :

العمر ينقص والذنوب تزيد ‏ ‏ وتقال عثرات الفتى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد ‏ ‏ رجل جوارحه عليه شهود

[تنبيه] من إضاعة المال المنهى عنها شرعا وطبعا صرفه فى البنيان الغير المحتاج إليه شرعا، وروى الطبرانى « من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة »وفى [جص] « كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا مسجدا» وفيه «كل بنيان وبال على صاحبه يوم القيامة إلا من عمل به » وفيه « كل نفقة ينفقها المسلم يؤجر على نفسه وعلى عياله وعلى صديقه وعلى بهيمته إلا فى بناء إلا بناء مسجد يبتغى بها وجه الله » وفيه « إذا أراد الله بعبد هوانا أنفق ماله فى البنيان والماء والطين » وفيه « من جمع مالا من غير حقه سلطه الله على المال والطين » أى حبب له صرفه فى البنيان الغير المحتاج إليه ، وفيه « اتقوا الحجر الحرام فإنه أساس الخراب » ومن شك فليجرب، ولذلك ترى أبنية الظلمة لايستمتعون بها إلا قليلا جدا فتبقى للبوم تفرخ فيها قال تعالى ـ فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ـ نسأل الله السلامة والعفو والعافية آمين . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانبنى فى هذه الدار فوق الحاجة ولا نزخرف لنادارا خوفا من حب الإقامة فى هذه الدار ونسيان الدار الآخرة كما جرب ذلك فلا يكاد فاعل ذلك يقدر على تحرير نيته فى ذلك أبدا، وماوضع صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنة حتى إن درجة من درج الغرفة التى ينام فيها تزلزلت فلم يأذن لأحد فى إصلاحها مع أنها زهقت من تحت رجاه فانفكت رجله ومكث سبعا وعشرين يوما لايقدر على الخروج للناس » فاتبع ياأخى نبيك فى ذلك ثم إنك لو اتبعت الحل فى كسبك لما وجدت ثمن الطوب الذى تبنى به فضلا عن الحجر والرخام[2] فوالله ثم والله لقد خسر من اتخذ هذه الدار وطنا ، وقد رأيت فى المنام شيخ الإسلام زكريا وهو يقول لى: قل لولد ولدى زكرياء كن فى الدنيا بجسمك وفى الآخرة بقلبك فإنى والله ماهكذا كنت . فاعلم ذلك واعمل به والله يتولى هداك ، انظره . وروى « إذا رفع الرجل بناء فوق سبع أذرع نودى يا أفسق الفاسقين إلى أين» وعن الحسن البصرى أنه مر على بيت مبنى فقال : إن هـذا لاينبغى : فإنه عمر دنياه وخرب آخرته ، وغرته أهل الدنيا ومقتته أهل السماء اه . وقد بنى لسيدنا نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام خوص فنظر إليه وقال هذا كثير على من يموت . ورحم الله من قال :

أتبنى بناء الخالدين وإنما ‏ ‏ مقامك فيه لوعقلت قليل
لقد كان فى ظل الأراك[3] كفاية ‏ ‏ لمن كل يوم يقتضيه رحيل
ألا إن قطاع الطريق إلى الحمى ‏ ‏ كثير وأما الواصلون قليل

---

(١) قوله ترج بضم فوقية وكسر جيم من أرجاه :أخره اه .
(٢) قوله الرخام كسحاب اه .
(٣) قوله الأراك كسحاب: شجر يستاك بعيدانه اه .

- ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - آمين ، والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل : فى محبة الحق وأهله وكراهة الظلم وأهله]

وفى [جص] « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » وفيه « أحب الأعمال إلى الله الحب فى الله والبغض فى الله » وفيه « أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك فى ذكر الله عز وجل وأن تحب للناس ماتحب لنفسك وتكره لهم ماتكره لنفسك وأن تقول خيرا أو تصمت » وفيه « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » وفى [عف] وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو أن رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب فى الله ولم يبغض فيه مانفعه ذلك اهـ . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحب لله ونبغض لله حتى زوجاتنا وأولادنا وأعمالنا فلا يكون لنا فى شىء من ذلك علة نفسانية أبدا ، وهذا العهد من أعز ما يوجد فإن غالب الناس يدعى المحبة لله وهو كاذب . ثم قال : فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به الطريق حتى يوقفه فى حضرة يشهد فيها وجه نسبة الأمور للحق دون وجه نسبتها للخلق ، فإذا شهد ذلك المشهد يجد وجه الحق أجمل من كل جميل وأطيب رائحة من كل مسك ، فحجبه عن شهود وجه نسبة الأمور للخلق وشهد وجه قبيح : وجه الخلق بالنسبة لوجه الحق كوجه الطاعة إذا تصورت صورة جميلة ووجه المعصية إذا تصورت صورة قبيحة ، فهل يصير أحد يقدم القبيح للصورة والرائحة مثلا ويؤخر الصورة الحسنة الطيبة الرائحة ، فهذا هو المراد بوجه الحق فى كلام القوم . وإيضاح ذلك أن كل فعل مخلوق له وجهان : وجه إلى الحق يعنى موافقا للشريعة ، ووجه إلى الخلق يعنى مخالفا لها ، فكل ماوافق الشريعة فهو وجه الحق وهو باق أبد الآبدين ، وكل ماخالف الشريعة فهو وجه الخلق وهو هالك من وقت ظهوره إلى أبد الآبدين إلا من حيث المؤاخذة عليه فى الآخرة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى - كل شىء هالك إلا وجهه - أى وجه الشىء الموافق لما يحبه الله ويرضاه ، انظره . وفى [هب] الذى يجب أن يتوجه البغض إليه فى المعاصى هو أفعاله لاذاته المؤمنة وقلبه الطاهر وإيمانه الدائم . قال : فالأمور التى توجب محبته لازمة والذنوب التى توجب بغضه عارضة طارئة فتكون محبته هى الساكنة فى قلوبنا وبغضه يتوجه نحو الأمور العارضة حتى إنا نمثل ذنوبه بين أعيننا وفى أفكارنا بمنزلة أحجار مربوطة بثيابه خارجة عن ذاته فنحب ذاته ونبغض الأحجار المربوطة بثيابه ، وهذا القدر الذى أمرنا به الشارع فى بغض العاصى من غير زيادة عليه ، وأكثر الناس لايفرقون بين بغض الأفعال الخارجة عن الذات وبين بغض الذات فيريدون أن يبغضوا الأفعال فلا يعلمون كيف يبغضونها فيقعون فى بغض الذات ، وبغض الذات إنما أمرنا به فى حق الكافر فنبغض ذواتهم وكل مايصدر منها ، وأما المؤمن العاصى فإنا لم نؤمر ببغضه بغضا يطفىء محبة ذاته ومحبة إيمانه بالله ، ومحبة إيمانه برسوله صلى الله عليه وسلم ، ومحبة إيمانه بجميع الرسل ، ومحبة إيمانه بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومحبة إيمانه بسائر الكتب السماوية ، ومحبة إيمانه باليوم الآخر

وكل مافيه من حشر ونشر وجنة ونار وصراط وميزان ، ومحبة إيمانه بجميع الملائكة عليهم الصلاة والسلام ، ومحبة إيمانه بالقدر خيره وشره ، وهكذا نحبه على كل وصف ممدوح فيه ، فإذا تقدمت محبتنا فيه على هذه الخصال الحميدة لم يمكن أن يدخل بغضه فى قلوبنا أبدا وإنما نبغض أفعاله وندعو له بخير ولا سيما إن نظرنا إليه بعين الحقيقة ، وأكثر الناس إذا أرادوا أن يبغضوا العاصى توجهوا إليه أولا قبل كل شىء بالبغض وغفلوا عن الخصال التى توجب محبته فلا يستحضرونها فى عقولهم فيسكن بغضه فى قلوبهم ويسرى ذلك البغض إلى ذاته فتكون هى المبغوضة فى نظرهم وذلك لايحل ولا يجوز اه.

قال رحمه الله :

(صُنِ القَلبَ عَنْ مَحَبَّةِ الظُلْمِ وَالخَنا ... وَآلِ وَبُغْضِ الحَقِّ أَوْ أَهْلِ سُنَّةِ

فَمُؤْمِننا يُحِبُّ حَقًّا وَأَهْلَهُ ... وَيكرَهُ باطِلاً وَآلَ جَرِيمَةِ

وَأَضْمِرْ قِلًى مِنْ بِالمَعاصِي مُجاهِرٌ ... فَبِالمُصْطَفَى تَأَسَّ فِي ابْنِ العَشِيرَةِ)

(صن) من صانه حفظه (القلب) الفؤاد أو أخص منه والعقل (عن محبة الظلم) بالضم وضع الشىء فى غير محله. وفى [جص]: «الظلم ثلاثة: فظلم لايغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لايتركه. فأما الظلم الذى لايغفره الله فالشرك قال الله تعالى - إن الشرك لظلم عظيم - وأما الظلم الذى يغفره الله فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذى لايتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين لبعضهم من بعض » وفيه: « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » وفيه « أيما رجل ظلم شبرا من الأرض كلفه الله أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس » وروى الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «قلت يارسول الله أى الظلم أظلم ؟ فقال ذراع من الأرض ينتقصها المرء المسلم من حق أخيه، فليس حصاة من الأرض يأخذها إلا طوقها يوم القيامة إلى قعر الأرض ولا يعلم قعرها إلا الله الذى خلقها» اه.

[لطيفة] مر بعضهم برجل صلبه الحجاج فقال : يارب حلمك بالظالمين قد أضر بالمظلومين، فرأى فى ليلته كأن القيامة قد قامت وأنه دخل الجنة فرأى المصلوب فى أعلى عليين فإذا مناد ينادى حلمى على الظالمين صير المظلومين فى أعلى عليين اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانغصب من أحد شيئا ولو دواة أو قلما أو سواكا أو خلالا[1] أو شيئا من سائر الحقوق خوفا من وقوعنا فى العقوبة، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ يسلك به إلى حضرات الإيمان بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصير ما توعده به كأنه رأى عين على حد سواء ، ثم قال: وقد حكى لى شخص من الفقراء أنه مر على مارس قمح فى سنبله فرأى سنبلة أعجبته فأخذها وفركها فلما أراد أن يأكلها تذكر الحساب عنها يوم القيامة فرماها فى المارس ، فنام تلك الليلة فرأى القيامة قد قامت وجاء صاحب السنبلة فادعى عليه بسنبلته، فقال يارب إنى خفت من الحساب فى هذا اليوم فرميتها فى مارسه ، فقال صدق يارب، ولكن لم يصل إلى تبن البر، لأنه طار فى الريح . قال : فأعجزنى فى تحصيله ، ثم استيقظت فزعا مرعوبا ، انظره . وروى: «من كانت عنده

---

(١) قوله خلالا ككتاب : عود يخلل به بين الأسنان اه .

مظلمة لأخيه فليستحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه وطرحت عليه » وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : «يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رءوس الخلائق هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه . قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ، ثم قرأ - فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون - قال فيغفر الله تعالى من حقه يومئذ ماشاء الله ولا يغفر من حقوق الخلق شيئا ، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق ائتوا إلى حقوقكم . قال : فيقول العبد يارب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم حقوقهم ؟ فيقول الله للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر مظلمته ، فإن كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفه الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها ، وإن كان عبدا شقيا ولم يفضل له شىء فتقول الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه فيقول الله تعالى خذوا من سيئاتهم فأضيفوا إلى سيئاته ثم صكوا له صكا[1] إلى النار» . ونقل أن طاوسا دخل على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله يوم الأذان . قال هشام وما يوم الأذان؟ قال قوله تعالى - فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين - فصعق هشام ، فقال طاوس هذا ذل الصفة ، فكيف بالمعاينة . وعن بعضهم : لاتظلم الضعفاء فتكون من شرار الأشقياء . وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ، ولأنتقمن ممن رأى مظلوما يقدر على أن ينصره فلم يفعل » ورحم الله من قال :

لاتظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وفى الحديث : «لايبغى على الناس إلا ولد بغى وإلا من فيه عرق منه » وفى آخر : « احذروا البغى فإنه ليس من عقوبة هى أحضر - أى أعجل - من عقوبة البغى » وفى آخر : « ليس شىء أعجل عقابا من البغى وقطيعة الرحم ، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع » أى قفراء خالية ، قال تعالى - ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون - الآية ، وقال - إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين .

(و) صن القلب عن محبة (الخنى) كالفتى : الفحش . وفى [جص] « ما كان الفحش فى شىء قط إلا شانه ، ولا كان الحياء فى شىء إلا زانه » وفيه : « كفى بالمرء أن يكون بذيئا فاحشا بخيلا » أى كفاه ذلك من الشر ، وفيه : « لو كان الفحش خلقا لكان شر خلق الله » قال الحفنى : وقد كتب شخص ورقة للحكيم نصر الدين الطوسى : فيها يا كلب يا ابن الكلب : فكان جوابه أما قولك كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار ، وأنا منتصب القامة بادى البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك ، وأطال فى نقض ماقاله بذكر الفصول والخواص الفارقة برطوبة وحشمة من غير انزعاج يحمله على التكلم بالفحش فلم يكتب له فى الجواب كلمة فاحشة اهـ . وقد نحا هذا المنحى أبو عبد الله سيدى محمد الكنسوسى رضى الله عنه وعنابه آمين ، فيما أجاب به النجم الأزهر والعلامة الأشهر سيدى أحمد البكاى رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه ونقل أن بعضهم سمع رجلا يسفه على بعض أهل العلم فقال لأصحابه : نزهوا أسماعكم عن استماع الخنى كما تنزهون

(١) قوله صكا . كفلس : أى كتبوا له كتاباً . اهـ .

ألسنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القائل ، فإن السفيه ينظر إلى أخبث شىء فى وعائه فيحرص على أن يفرغه فى أوعيتكم اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نخاصم أحدا ولا نخاطبه بلفظ فيه فحش ولا بأذى تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن فاحشا ولا متفحشا صلى الله عليه وسلم (و آل) أى وصن قلبك أيضا عن محبة أهل الظلم وأهل الخنى فإن من أحب قوما حشر فى زمرتهم ، فمن أحب أهل الله كان معهم فى الجنان ومن أحب أهل الظلم كان معهم فى النيران ، قال تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الآية . وفى [جص] : « كل نفس تحشر على هواها فمن هوى الكفرة فهو مع الكفرة ولا ينفعه عمله شيئا » اه . قال تعالى - لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله - الآية ، وفيه : « من مشى مع ظالم وهو يعلم أنه ظالم خرج من الإسلام » وفى الحديث : « ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباع الظلمة حتى من لاق لهم دواة[1] أو برى لهم قلما فيجمعون فى تابوت من حديد فيرمى بهم فى جهنم » وفى آخر : « من مشى مع مظلوم يعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام ، ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزل الله قدميه على الصراط يوم تدحض فيه الأقدام » ونقل أن بعض الأمراء بعث إلى الضحاك بعطاء أهل بخارى ليقسمه بينهم فأبى ، فقيل له ما عليك أن تعطيهم ولا ترزأ منهم شيئا . فقال إنى لا أحب أن أعين الظلمة على شىء من أمرهم اه وحكى أن الزهرى لما خالط السلاطين كتب إليه أخ له فى الدين : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك ، أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فاعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يرد حقا ويترك باطلا حتى أدناك ، اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم ، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم ، يدخلون الشك بك على العلماء ويصطادون بك قلوب الجهلاء ، فما أيسر ما عمروا منك فى جنب ما خربوا عليك ، وما أكثر ما أخذوا منك فى جنب ما أفسدوا عليك من دينك ، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم - فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات - الآية - فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - الآية ، وإنك تعامل من لا يهمل ويحفظ عليك من لا يغفل ، فداو دينك فقد دخله سقم ، وهيىء زادك فقد حضر السفر البعيد ، وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء ، والسلام اه .

لعمرك نبهت من كان نائما وأسمعت من كانت له أذنان

(و) صن القلب أيضا عن (بغض الحق) وأهله (أو) بغض أهل (سنة) إذ لا يبغضهم إلا الفسقة المردة الفجرة قال تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين - وفى [جص] : « الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل على الصفاء فى الليلة الظلماء » وأدناه أن تحب على شىء من الجور وأن تبغض على شىء من العدل ، وهل الدين إلا الحب فى الله والبغض فى الله قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى - الآية . وفى [جع] وصونوا قلوبكم إذا رأيتم أحدا فعل حقا يخالف هواكم أو هدم باطلا يخالف هواكم أيضا أن تبغضوه أو تؤذوه فإن ذلك معدود من الشرك عند الله تعالى ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل على الصفاء » وأقل ذلك أن تحب على باطل أو تبغض على حق أو كما قال صلى الله عليه وسلم ما معناه هذا ، وكذا

---

(١) قوله : لاق كباع : أصلح مدادها اه .

صونوا قلوبكم عمن فعل باطلا أو هدم حقا يطابق هواكم أن تحبوه أو تثنوا عليه فإنه أيضا معدود من الشرك عند الله تعالى فإن المؤمن يحب الحق وأهله ويحب أن يقام الحق ويعمل به، ويبغض الباطل وأهله ويبغض أن يقام الباطل ويعمل به اه . ولذا قال رحمه الله (فمؤمننا) أى معشر الأمة المحمدية (يحب حقا) ولو خالف هواه (وأهله) أى ويحب أهل الحق وإن لم يعمل بعملهم فعسى محبته تلحقه بهم لحديث: «من أحب قوما حشر معهم» وروى: «الحق أصل فى الجنة والباطل أصل فى النار» أى فكل منهما يتبعه فرعه وهو من يعمل به . وعن ابن مسعود رضى الله عنه : تكلموا بالحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله . وفى [جص] «اعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وزل مع القرآن أينما زال ، واقبل الحق ممن جاء به من صغير أو كبير وإن كان بغيضا بعيدا، واردد الباطل على من جاء به من كبير أو صغير وإن كان حبيبا قريبا» وفيه : «طلب الحق غربة»: أى أن من يطلب الحق بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصير كالغريب لقلة من يعينه وينصره، لأن غالب الناس مع هوى نفسه «ماترك الحق لعمر من صديق» (ويكره باطلا) وإن وافق هواه ويكره أهل الباطل وإن كان يعمل بعملهم (و) يكره أيضا (آل جريمة) وهى الذنب وإن كان من أعظمهم ذنبا ، ورحم الله من قال :

أحب الصالحين ولست منهم ... وأرجو أن أنال بهم شفاعه
وأكره من بضاعته المعاصى ... وإن كنا سواء فى البضاعه

وروى : «إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها» وعن النبى صلى الله عليه وسلم: «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن» وكتب أبو الدرداء إلى بعضهم : أما بعد، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله فإذا أحبه الله حببه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله فإذا أبغضه الله بغضه إلى خلقه . وعنه رضى الله عنه : أدركت الناس ورقا لاشوك فيه، فأصبحوا شوكا لاورق فيه، إن فقدتهم فقدوك وإن تركتهم لايتركونك. قالوا فكيف نصنع ؟ قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك اه . وفى [حى] قال ابن عمر رضى الله عنهما : «والله لو صمت النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه، وأنفقت مالى علقا علقا [1] فى سبيل الله أموت يوم أموت وليس فى قلبى حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله، مانفعنى ذلك شيئا» . وقال ابن السماك عند موته : اللهم إنك تعلم أنى إذ كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى إليك . وفيه : وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : هل عملت لى عملا قط ؟ قال إلهى : إنى صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت ، فقال : إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور ، فأى عمل عملت لى ؟ قال موسى عليه السلام دلنى على عمل هو لك ؟ قال: ياموسى هل واليت لى وليا قط ، وهل عاديت فى عدوا قط ؟ فعلم موسى عليه السلام أن أفضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله تعالى يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن : مصارمة الفاسق قربان إلى الله . وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله» فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم فى الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم فى الله ، وروى أن الله

---

(١) قوله علقا كقفرس : النفيس من كل شىء .

تعالى أوحى إلى نبى من الأنبياء: أما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إلىّ فقدتعززت بى ، ولكن هل عاديت فىّ عدوا أو هل واليت فى وليا ؟ وقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تجعل لفاجر علىّ منة فترزقه منى محبة » ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام : لو أنك عبدتنى بعبادة أهل السموات والأرض وحب فى الله ليس وبغض فى الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا. وقال عيسى عليه السلام : تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصى ، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم ، والتمسوا رضى الله بسخطهم . قالوا ياروح الله فمن نجالس ؟ قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ، ومن يزيد فى علمكم كلامه ، ومن يرغبكم فى الآخرة عمله ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نبغض العصاة لله لا بحكم الطبع كما نحب أهل الطاعة لله لا بحكم الطبع . قال صلى الله عليه وسلم : « الحب فى الله والبغض فى الله من أوثق عرى الإيمان » والمراد بالبغض بغض الصفات لا الذوات لأن الصفات هى التى يكره العبد لأجلها أو يحب ، ومحك الصدق فى ذلك أن تكره ذلك العبد العاصى وهو محسن إليك ولا تجد فى قلبك له محبة لأجل إحسانه إيثارا لجانب الله عز وجل ، فتأمل فإنها ميزان تطيش على الذر . وأما عند عدم إحسانه إليك فقد تكرهه لحظ نفس ، أنظره . وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نبادر لهجر إنسان إلا بعد المبالغة فى التفتيش على دسائس النفوس فربما يهجر الواحد منا إنسانا لحظ نفسه ، وتسول له نفسه أن ذلك الهجر لله عز وجل ، وربما يقيم على ذلك الأدلة لا سيما إن كان الهاجر من أصحاب الجدال ، ولو تأمل الهاجر فى أنه لا يرفع له إلى السماء عمل لعلم حرمة المؤمن ولم يهجر إنسانا قط ، إلا إن كان مصراً على صغيرة أو مرتكبا كبيرة ، والهجر من هذا الوجه قليل وقوعه وأكثر ما يقع الهجر من الإنسان لمن خالفه فى هواه لا غير ، والله يحفظ من يشاء كيف يشاء . واعلم يا أخى أن من أقبح ما يكون مشاحنة العلماء والمتشبهين بالصالحين على أمر الوظائف والأنظار وغيرها فإن فى ذلك فساد العامة والله غفور رحيم اهـ (وأضمر) من الإضمار ضد الإظهار (قلى) بالكسر والقصر مصدر قلاه كرماه كرهه أشد الكراهة (من) هو (بالمعاصى) والمساوى والمخالفات (مجاهر) لأن التجاهر بها من أعظم الفسق ولأن إظهارها يؤدى لمفسدة أعظم . وفى [جص] : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه » وفيه : « ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم : المجاهر بالفسق ، والإمام الجائر ، والمبتدع » وفيه : « من لا حياء له لا غيبة له » أى فمن تجاهر بالمعاصى فلا يحرم ذكره بما تجاهر به ليعرف ويحذر . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود إذا رأينا من يتجاهر بالمعاصى من جيراننا ولا يستتر منا أن نستره نحن فيما يمكننا ستره فيه بعدم إشاعة ذلك عنه ونكون أولى به من نفسه فنكتب إن شاء الله من المحسنين ، وليقيض الله لنا من يستر عوراتنا إذا ظهرت ، ويكفى المجاهر مقت القلوب له ، نسأل الله العافية ، ولا ينافى ذلك تشديدنا فى النكير عليه فيما تجاهر به لناس آخرين لأن كلامنا إنما هو فيما لم يعلم به الناس إلا من طريقنا لأنه فيه من المستترين ، والحمد لله رب العالمين اهـ. وروى « إذا مررتم بأهل الشرة[1] فسلموا عليهم تطفأ عنكم شرتهم ونائرتهم » : أى فإن فى السلام عليهم إشارة إلى عدم احتقارهم ، وذلك سبب لسكون شرتهم .

---

(١) قوله الشرة بكسر معجمة كشدة اهـ .

ورحم الله من قال: إنى أحيي عدوى عند رؤيته لأدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنه قد ملا قلبي مسرات

وفى [حى] وطرق السلف قد اختلفت فى إظهار البغض مع أهل المعاصى ، وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره ؛ فأما من عصى الله فى نفسه فنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة ، انظره . وفى [جه] وأما ما ذكرنا من بغض أهل المعاصى فليكن محله القلب فقط ، وإن خرج إلى جارحة من الجوارح أدى إلى منكر أعظم منه فترك إخراجه من القلب إلى الجوارح أولى اه (فبا المصطفى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (تأس) من التأسى وهو الاقتداء قال تعالى - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة - الآية (فى) الذى فعله من السهولة واللين والرفق وإظهار البشاشة وطلاقة الوجه (مع ابن) أو أخ (العشيرة) وعن عائشة رضى الله عنها قالت: « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بئس ابن العشيرة أو أخ العشيرة ، ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت يارسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول ؟ قال ياعائشة إن من شر الناس من يتركه الناس أو يدعه الناس اتقاء فحشه » وروى: « إنا لنكشر فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم » أى لأن المداراة مطلوبة مع كل واحد ، وما فعله صلى الله عليه وسلم مع ابن العشيرة من المداراة المأمور بها لحديث « أمرت بالمداراة » قال رحمه الله :

(فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ أَغْرَاضُ أَسْهُمِ الْـمَصَائِبِ فِي الدُّنْيَا بِحُكْمِ الْمَشِيئَةِ
تَصَبَّرْ أُخَيَّ إِذْ رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا بِصَبْرٍ جَمِيلٍ فَانْتَظِرْ خَيْرَ فَرْجَةِ
وَإِنْ ضِقْتَ ذَرْعاً فَاقْرَعِ الْبَابَ بِالدُّعَا إِلَى اللهِ وَالْتَجِئْ بِقَلْبٍ مَذَلَّةِ)

(فإن عباد الله) سبحانه وتعالى (أغراض) جمع غرض بفتحتين هدف[1] يرمى (أسهم) جمع سهم واحد النبل (المصائب) وأل فيه من المصراع الأول. وفى [جص] «كل ماساء المؤمن فهو مصيبة» ومن أصيب وصبر واحتسب جوزى أحسن الجزاء فى الدنيا والآخرة قال تعالى - وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون - الآية . وفيه: من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته فأحدث استرجاعا وإن تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب . وعنه صلى الله عليه وسلم: « إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها من أعظم المصائب » أى فإن المؤمن إذا تذكر ما أصيب به من فقد النبى صلى الله عليه وسلم هانت عليه جميع المصائب واضمحلت ولم يبق لها خطر[2] ولابال اه . وفى [حى] قال بعض الحكماء : الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالى فى بدنك ، لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعة بك ، ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحليم ، وقد علم الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وماتأتى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ . اللهم ارشدنا إلى الصواب ، انظره . وفى [جه] وليكن

---

(١) قوله هدف بفتحتين وبدال مهملة اه . (٢) قوله خطر بفتحتين: القدر والمنزلة اه .

فى علمكم أن جميع العباد فى هذه الدار أغراض لسهم مصائب الزمان إما بمصيبة تنزل أو بنعمة تزول أو بحبيب يفجع بموته أو هلاك أو غير ذلك مما لا حد لجمله وتفصيله، فمن نزل به منكم مثل ذلك فالصبر الصبر لتجرع مرارتها فإنه لذلك نزل العباد فى هذه الدار انظره (فى الدنيا) نقيض الآخرة فإنها دار المحن والفتن والأكدار والأغيار ، ورحم الله من قال :

هى الدار دار الأذى والقذى ... ودار الغيـار ودار العبر
فلو نلتها بحذافيرها ... لمتّ ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول البقا ... وطول الخلود عليه ضرر
إذا ما كبرت وبان الشباب ... فلا خير فى العيش بعد الكبر

ومن قال : طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفوا من الأقذاء والأقذار
ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب فى الماء جذوة [1] نار

ومن قال : ومن رام فى الدنيا حياة سليمة ... من الهم والأكدار رام محالا

ومن قال : محن الزمان كثيرة لاتنقضى ... وسروره يأتيك كالأعياد
ملك الأكابر فاسترق رقابهم ... وتراه رقا فى يد الأوغاد

وعن جعفر الصادق رضى الله عنه : من طلب مالم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق . قيل له وماذاك ؟ قال الراحة فى الدنيا . وفى الحكم : لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت فى هذه الدار ، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها . وفيه أيضا : إنما جعلها محلا للأغيار ومعدنا للأكدار تزهيدا لك فيها . علم أنك لاتقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها اهـ ؛ ورحم الله من قال :

يامولعا بالأمانى غير معتبر ... كيف الإقامة والدنيا على سفر
لاتركنن إلى دار الغرور ولا ... تسكنن إلى وطن فيها ولا وطر
وسالم الناس تسلم من مكايدهم ... مسلما لقضاء الله والقدر
كم منحة بدرت ماكنت تأملها ... ومحنة لم تكن منها على حذر اهـ

(بحكم المشيئة) الإلهية إذ هى وما فيها مظاهر أحكام الألوهية اقتضتها الحكمة الربانية وأبرزتها القدرة الفردانية على وفق المشيئة الصمدانية ، ورحم الله من قال :

تبارك من أجرى الأمور بحكمة ... كما شاء لا ظلما أراد ولا هضما
فما كل شىء غير ما الله شاءه ... فإن شئت طب نفسا وإن شئت مت غما

ومن قال :

نفذت مقادير الإله وحكمه ... فأرح فؤادك من لعل ومن لو

وللشافعى رضى الله عنه :

ماشئت كان وإن لم أشأ ... وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت ... فنى العلم يجرى الفتى والمسن

(١) الجذوة بتثليث الجيم : الجمرة والقبسة من النار .

على ذا مننت وهذا خذلت   وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد   ومنهم قبيح ومنهم حسن

(تصبر) أى تكلف الصبر الذى هو جماع كل خير وفضل ، وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف جميلة ، وذكره فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا وأضاف إليه أكثر الدرجات والخيرات ، ومامن قربة وطاعة إلا وأجرها منحصر إلا الصبر قال تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - - وليجزى الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - أولئك - يجزون الغرفة بما صبروا - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا - وبشر الصابرين - والله يحب الصابرين - إلى غير ذلك من الآيات ، وفى الحديث « الصبر نصف الإيمان » انظر [حى] وفيه « الصبر كنز من كنوز الجنة » وقال على رضى الله عنه : الصبر بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة ، وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة ، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة . وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ماقبلها وهى من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم ، فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك شديد على النفس ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أسألك من اليقين ماتهون على به مصائب الدنيا » انظره . وفى [جص] « ثلاث يدرك بهن العبد رغائب الدنيا والآخرة : الصبر على البلاء ، والرضى بالقضاء ، والدعاء فى الرخاء » . وفى الحديث « تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » وفيه « الصبر والاحتساب أفضل من عتق الرقاب ويدخل الله صاحبهن الجنة بغير حساب » ونقل أن موسى عليه السلام قال : إلهى أىّ منازل الجنة أحب إليك ؟ قال حظيرة القدس . قال من يسكنها ؟ قال أصحاب المصائب . قال يارب من هم ؟ قال الذين إذا ابتليتهم صبروا وإذا أنعمت عليهم شكروا وإذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون اه . وفى [جه] ومن عظم رضى الله عنه صبره على الأمراض فى خاصة نفسه وفى داره وعياله فلا أصبر منه فلا يخلو عن الأمراض فى داره على الدوام ولا فى نفسه على ممر الليالى والأيام ، فصبره رضى الله عنه للمشقات وتحمله للمعضلات لاتقدر عليه الجبال الراسيات ، وكل من شكى إليه سلاه بالصبر ، وإن هذه الدار إنما خلقت للبلايا والرزيات ، انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصبر على مصائب الزمان وإن لم نصبر صبرنا على عدم الصبر فإنه ابتلاء أيضا لما فيه من إظهار المروق (١) من تحت الأقدار ، ويحتاج صاحب هذا المقام إلى عينين عين ينظر بها إلى تقدير الضجر عليه فيضجر تحت الأقدار ، وعين ينظر بها إلى الأمر بالصبر فيتصبر ، هذه صورة الصبر على عدم الصبر ، وكذلك نأمر بالصبر والتصبر جميع إخواننا إذا ابتلوا بشىء فى أنفسهم وأموالهم ونخبرهم بما جاء فى الأحاديث فى فضل البلاء والمرض والحمى ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ ضرورة ليعلمه أدب المرض ويخبره بأنه مامرض عضو من أعضاء البدن الظاهرة والباطنة إلا باستعماله فى غير ما أمر به إلا أن يكون معصوما ، فمن عرف

---

(١) قوله المروق كالمروج وزنا ومعنى اه

ماقلناه ووجعه عضو فليفتش نفسه فإنه لابد أن يكون فعل به غير ما أمر فليعزم على التوبة النصوح فهي أقرب إلى شفاء ذلك العضو . وقد أغفل هذا خلق كثير فلم يتنبهوا لما قلناه فدامت أمراضهم أوطالت ، فكل عضو عليه زكاة فإن أخرجها صاحبها منه فقد أخرج مافيه من الخبث والمرض وإن لم يخرجهافلا بد له قبل دخول الجنة من التطهير إما بالعفوعنه من رحمة الامتنان وإما بالتوبة والاستغفار وإما بعذاب النار، انظره .وقد ذكر رضي الله عنه أن امرأة استكتبت منه لبعض الولاة فأبى فأصابه رمد نحو ستة أشهر عقوبة له إذلم يكتب لها.إذا أحب الله عبدا عجل له العقوبة فاعلم ذلك واعمل عليه والله رءوف بالعباد(أخي) بضم الهمزة تصغير أخ (إذرمتك) أي حين أصابتك ورشقتك (بسهمها) أي بنبلها الذي لايخطئ غالبا . وفي [جه] وعليكم بالصبر في أمر الله فيما وقع من البلايا والمحن فإن الدنيا دار الفتن وبلاياها كأمواج البحر ، وما أنزل الله بني آدم في الدنيا إلا لمصادمة فتنها وبلاياها فلا مطمع لأحد من بني آدم في الخروج عن هذا مادام في الدنيا ، والصبر بحسب أحواله كل على قدر طاقته ووسعه ، واعملوا في نفوسكم سلوة . إذا نزلت البلايا والمحن بأحدكم فليعلم أن لهذا خلقت الدنيا ولهذا بنيت ومانزلها الآدمي إلا لهذا الأمر وكل الناس راكضون في هذا الميدان فليعلم أنه كأحدهم مساو لهم ، انظره . ورحم الله من قال :

فاصبر لها غير محتال ولاضجر ... في حادث الدهر مايغني عن الحيل

ومن قال : فما تجرع كأس الصبر معتصم ... بالله إلا أتاه الله بالفرج

ومن قال : إذا عضك الدهر الخؤون بنابه ... فلا تقرعن السن واستعمل الصبرا

فهلا فحال الدهر ماقد علمته ... فيوما ترى عسرا ويوما ترى يسرا

(بصبر جميل) وهو الذي لاجزع فيه (فانتظر) من المولى الكريم الرءوف الرحيم (خير فرجة) بتثليث الفاء وهو التفصي والتخلص من الهم لحديث « أفضل العبادة انتظار الفرج من الله بالصبر » وفي آخر « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسئل فإن انتظار الفرج بالصبر عبادة » اه . ورحم الله من قال :

إذا ضاق الجنان فكن صبورا ... كريما فالشدائد لاتدوم

فبالصبر الجميل تنال خيرا ... وتقضى بعد ذلك ماتروم

فكم من محنة عظمت ودامت ... وخان مواصل وجفا حميم

أتى فرج الإله لها صباحا ... فما أمست ،وأقلعت الهموم

فصمم فالذي أبلى يعافى ... وثق بالله فهو بنا عليم اه

ومن قال : أنفق من الصبر الجميل فإنه ... لم يخش فقرا منفق من صبر

وفي [جص] « كلمات الفرج : لاإله إلاالله الحليم الكريم .لا إله إلا الله العلي العظيم . لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم» . قال المناوي : هذا الدعاء كان مشهورا عند أهل البيت يسمونه دعاء الفرج فيتكلمون به في النوائب والشدائد فتعارف عندهم الفرج به اه . وفي [حي] وقد قيل الصبر الجميل أن لايعرف صاحب المصيبة من غيره ، ولايخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولافيضان العين بالدمع إذ قد يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء ، ولأن البكاء

توجع القلب على الميت فإن ذلك مقتضى البشرية ، ولا يفارق الإنسان إلى الموت : وفيه قال صلى الله عليه وسلم: « قال الله تعالى : إذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا» وقال صلى الله عليه وسلم : « مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها إلا فعل الله به ذلك » وقال أنس : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل قال ياجبريل ماجزاء من سلبت كريمتيه ؟ قال سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا : قال تعالى : جزاؤه الخلود فى دارى والنظر إلى وجهى » وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى إذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى إلى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ، فإذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له ، وإن توفيته فإلى رحمتى » وقال صلى الله عليه وسلم : « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لاتشكو وجعك ولاتذكر مصيبتك » وقد قيل : من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة . وعن عمر رضى الله عنه : اعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر : الصبر فى المصيبات حسن ، وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى ، انظره . وفى [جص] : « الصبر ثلاثة : فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر على المعصية . فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة مابين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى الأرضين السبع ، ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة مابين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين » قال العزيزى : فالصبر على المحرمات أعلى المراتب لصعوبة مخالفة النفس وحملها على غير طبعها ، ودونه الصبر على الأوامر لأن أكثرها محبوب للنفس ، ودونه الصبر على المكروه لأنه يأتى البر والفاجر اختيارا أو اضطرارا اه . ولاتنافى بين ماهنا وما مر عن ابن عباس لأن الشىء يختلف بحسب الحيثيات . وفى [عف] قيل : وقف رجل على الشبلى فقال له أى صبر أشد على الصابرين؟ فقال الصبر فى الله فقال : لا ، فقال الصبر لله ، فقال : لا ، فقال الصبر مع الله ، فقال : لا ، فغضب الشبلى وقال ويحك أى شىء هو ؟ فقال الرجل الصبر عن الله ، فصرخ الشبلى صرخة كاد أن تتلف روحه . ثم قال : وقال أبو الحسن بن سالم هم ثلاثة : متصبر ، وصابر وصبار . فالمتصبر من صبر فى الله فمرة يصبر ومرة يجزع ، والصابر من يصبر فى الله ولله ولا يجزع ولكن تتوقع منه الشكوى ، وقد يمكن منه الجزع ، وأما الصبار فذلك الذى صبره لله وفى الله وبالله فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لايجزع ولا يتغير من جهة الوجود والحقيقة لا من جهة الرسم والخلقة وإشارته فى هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة . وكان الشبلى يتمثل بهذين البيتين :

إن صوت المحب من ألم الشو ... ق وخوف الفراق يورث ضرا

صابر الصبر فاستغاث به الصبـــر ... فصاح المحب للصبر صبرا

قال جعفر الصادق رضى الله عنه : أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الأعلى للرسول صلى الله عليه وسلم حيث جعل صبره بالله لابنفسه فقال ـ وما صبرك إلا بالله ـ وسئل السرى عن الصبر فتكلم فيه فدب على رجله عقرب فجعل يضربه بإبرته ، فقيل له لام لم تدفعه ؟ قال أستحى من الله تعالى أن أتكلم فى حال ثم أخالف ما أتكلم فيه ، انظره . وفى [جه] : ومن ابتلى منكم بمصيبة أو نزلت به من الشرور نائبة فليصبر بانتظار الفرج من الله تعالى فإن كل شدة لابد لها من غاية وكل كرب لابد له

من فرج، وإن ضاق به الحال فعليه بالتضرع والابتهال حتى يبلغ بالفرج من الله غاية الآمال. ولا تجزعوا من المصائب والبليات ، فإن الله سبحانه وتعالى ما أنزل العباد فى دار الدنيا إلا لتصاريف الأحكام الإلهية والأقدار الربانية مما تضيق به النفوس من أجل البلاء والبؤس ولم يجد العباد مصرفا عن هذا ، انظره . وفيه : ومن أدبه الباطن الذى دلت عليه أقواله وأفعاله أنه رضى الله عنه لا يختار مع الله ولا يدبر مع تدبيره شيئا كما تقدم، حتى إنه إذا دعا لنفسه أو لأحد بشىء مما كان مجهولا عاقبته أو فيه حظ كان دعاؤه طلب الخيرة من الله، ويقول لنا المرة بعد المرة لا أدعو إلا بلسانى وقلبى مستسلم لله تعالى، ويقول لا أريد شيئا ولا أطلب شيئا، تفعل ماتشاء وتحكم ما تريد، ويقول: إنما أجارى الخلق بلسانى لا غير لعدم كسر قلوبهم وغير ذلك ، انظره (وإن ضقت ذرعا) بفتح ذال معجمة يقال ضاق به ذرعا: ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا، قال تعالى ـ ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا ـ ورحم الله من قال :

لا تجزعن إذا ما الأمر ضقت به ... ذرعا ونم وتوسد خالى البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

(فاقرع) من قرع الباب كمنع دقه (الباب) أى باب مولاك الغنى الكريم البر الرءوف الرحيم . وفى المثل : من قرع بابا وألح ولج . ورحم الله من قال :

إن الأمور إذا انسدت مسالكها ... فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق[1] بذى الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ومن قال:

ما ضاق حال بعبد فاستعد له ... عبادة الله إلا جاءه الفرج
ولا أناخ بباب الله راحلة ... إلا تزحزح عنه الهم والحرج

ونقل أن فى بعض الكتب المنزلة « لأقطعن أمل[2] من أمل سواى وألبسه ثوب المذلة بين الناس ، أتقرع بالفقر باب غيرى وبابى خير لك » اه. وكتب بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه لبعض الخلان إذ عمت الفتنة الأوطان بموت الحسن السلطان عليه سحائب الرحمة والرضوان مانصه :

إذا اشتدت عليك أمور اقرع ... بلطف باب مولاك العلى
فكم من شدة نزلت فزالت ... بلطف الله ذى البطش القوى
فكم من فئة غلبت كثيرة ... بإذن الله فانصرنى ولى
بجاه المصطفى والختم فارأف ... بنا والطف بلطفك الخفى

وللإمام الشافعى رضى الله عنه دعاء مشهور بالإجابة وهو : اللهم يالطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير . فمن واظب عليه مائة وإحدى وأربعين مرة كان محفوظا من الفتن مصونا من المحن ، ومن شعره رضى الله عنه :

ولرب حادثة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

---

(١) قوله أخلق فعل ماض تعجبى على صيغة الأمر اه . (٢) قوله أمل كنصر اه .

ورحم الله من قال :

وإنى لأدعو الله والأمر ضيق ... علىّ فما ينفك أن يتفرجا

ورب فتى سدت عليه وجوهه ... أضاء لها فى دعوة الله مخرجا

ومن قال : إذا تضايق أمر فانتظر فرجا ... فأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « اشتدى أزمة تنفرجى » والعرب تقول : إذا تناهت الشدة انفرجت. قال تعالى - فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا - وقال - وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا - وفى [جه] والذى أوصيك به ويكون عليه سيرك وعملك هو أن تعلق قلبك بالله ما استطعت ، ووطن قلبك على الثبوت لمجارى الأقدار الإلهية ولا تعود نفسك بالجزع من أمر الله فإن ذلك مهلك للعبد دنيا وأخرى ، وإن اشتد بك الكرب وضاق بك الأمر فالجأ إلى الله تعالى وقف موقفك فى باب لطفه واسأله من كمال لطفه تفريج ما ضاق وزوال ما اشتد كربه ، وأكثر الضراعة والابتهال إلى الله تعالى فى ذلك ، وليكن ذلك منك على حالة منفرد القلب بالله متفرغا عن الشواغل مثل حالة المرأة الكبيرة السن التى ليس لها إلا ولد واحد أخذ من بين يديها ليقطع رأسه فهى تتوسل بالله وبالناس فى كشف ما نزل بها فإنها فى هذا الحال ليس لها هم غير ولدها ولا يلتفت قلبها لأمر من أمور الدنيا والآخرة ، فإن من كان على هذه الحالة وفزع إلى الله تعالى فى زوال الكرب والشدائد على هذا الحد وناداه باسمه اللطيف ما استطاع أسرع إليه الفرج فى أقرب وقت ، وإن لم يكن على هذه الحالة أبطأ به الأمر اه . ورحم الله من قال :

حمدت الله ربى إذ هدانى ... إلى الإسلام والدين الحنيف

فيذكره لسانى كل وقت ... ويعرفه فؤادى باللطيف

(بالدعا) قصره للوزن أى الرغبة والضراعة (إلى الله) الغنى الكريم البر الرؤف الرحيم سبحانه وتعالى قدره وتبارك خيره قال - ادعونى استجب لكم - وقال - وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - وفى [جص] : « الدعاء مفتاح الرحمة ، والوضوء مفتاح الصلاة ، والصلاة مفتاح الجنة » وفيه : «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين» وفيه : « الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء » وفيه : «أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام» وفيه «ما أذن الله لعبد فى الدعاء حتى أذن له فى الإجابة » وفى الحكم : متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك اه . وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة » ورحم الله من قال :

لو لم ترد نيل ما أرجوه من طلب ... من فيض جودك ما ألهمتنى الطلبا

وورد أن ترك الدعاء معصية ، وإن من لم يسأل الله يغضب عليه . ورحم الله من قال :

لا تسألن بنى آدم حاجة ... وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبنى آدم حين يسئل يغضب

وفى [جد] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : إياك أن تترك الدعاء اتكالا على ماسبق به القدر فتفوتك السنة ، فإن الدعاء نفسه عبادة وسنة ، سواء أجيب الدعاء أم لم يجب اه. وروى الحاكم : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : ما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها . قالوا إذ نكثر ؟ قال الله أكثر

فإذا عجل للعبد دعاؤه فى الدنيا ورأى ماادخر لغيره فى الجنة ممن لم يستجب دعاؤهم قال ياليتنى لم يعجل لى شىء من دعائى فى الدنيا : اه . ورحم الله من قال :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدرى بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء
سيمسكها إلى أجل مسمى ... ويرسلها إذا نفذ القضاء
سيبقى الله قوما بعد كفر ... وإن ظلموا فليس لهم بقاء

وفى [شب] ومما جرب لدفع كل شدة هذان البيتان فاتخذهما لك عدة :

إليك رسول الله أشكو نوائبا ... من الدهر لا يقوى لها المتحمل
وإنى لأرجو أنها بك تنجلى ... فإنك لى جاه وحصن ومعقل

ومما جرب لدفع الكروب قراءة هذه الأبيات المختومة بالتوسل بسيد السادات. وقد قال السيوطى نقلا عن النووى : ما قرأها أحد ثم دعا الله عقبها بشىء إلا استجيب له :

يامن يرى مافى الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن ... أمنن فإن الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة ... فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا ... الفضل أجزل والمواهب أوسع
بالذل قد وافيت بابك عالما ... أن التذلل عند بابك ينفع
وجعلت معتمدى عليك توكلى ... وبسطت كفى سائلا أتضرع
فبحق من أحببته وبعثته ... وأجبت دعوة من به يتشفع
اجعل لنا من كل ضيق مخرجا ... والطف بنا يامن إليك المرجع اه

[فائدة] ومن الأدعية المستجابة إذا نزل بالشخص أمر ضيق فليطبق أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، اللهم لك الحمد ومناك الفرج وإليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اه . ومنها : «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله بلا إله إلا أنت » (والتجىء) إلى الله تعالى وفر إليه إذ لاملجأ ولا منجا إلا هو سبحانه وتعالى (بقلب مذلة) وخضوع وانكسار فإن الله عند المنكسرة القلوب وإنه يجيب كل قلب حزين . وقد كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكر . وقيل : أوحى الله إلى بعض أنبيائه « هب لى من قلبك الخشوع ، ومن عينك الدموع ، وسلنى أستجب لك فإنى قريب مجيب » (وعن) أبى يزيد رحمه الله قيل لى : خزائننا مملوءة فإن أردتنا فعليك بالذل والافتقار . وعن سيدى عبد القادر الجيلانى رحمه الله : أتيت جميع أبواب الحق فوجدت عليها الازدحام حتى أتيت باب الذلة والافتقار فوجدته خاليا ، فدخلت منه فالتفت فإذا أنا قد سبقت القوم وتركت الناس على الأبواب . ورحم الله من قال من أهل الإشارات :

لايبعدنك عتبنا عن بابنا ... فالعهد باق والوداد مصان
فبحبنا وبلطفنا وبفضلنا ... شاع الحديث وسارت الركبان
فإذا ذللت لعزنا ياذا النهى ... ذلت لعزتك الملوك وهانوا اه

وعن سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين فى قوله تعالى - ففروا إلى الله - اعلم أن معناه فروا إلى الله بعبادته دون غيره عبادة واستنادا والتجاء واختيارا له من جميع خلقه ، وفى التعويل عليه والبراءة من غيره مساكنة وملاحظة واعتبار هذا هو الفرار إلى الله تعالى . انظر [جع] وفى [جه] : وعليكم بكثرة التضرع والابتهال لمن له كمال العز والجلال فإن الله رحيم بعباده ودود فإنه أكرم وأعظم فضلا من أن يتضرع إليه متضرع أحاطت به المصائب والأحزان ومد إليه يديه مستعطفا نواله راجيا كرمه وأفضاله أن يرده خائبا أو يعرض عنه برحمته ، والعاجز من عجز حتى عن التضرع والابتهال ، ومن ضيع نفسه من الله فلاجابر له ، وليكن لكم لباب الله لمات على مرور الساعات وكرور[1] الأوقات فإن من اعتاد ذلك فى كرور أوقاته غشيه من رحمة الله ونفحاته ما يكون ما حقا لمصائبه وكدوراته ومسهلا لثقل أعباء ما ثقل عليه من ملماته ، فإنه سبحانه وتعالى غنى كريم يستحيي لكرمه إذا رأى عبدا قد تعود الوقوف ببابه ولو فى أقل الأوقات أن يسلمه للمصائب التى لامخرج له منها أو يكدحه[2] بهلكة يعز عليه الخلاص منها . احفظوا هذا العهد واركضوا فى هذا الميدان ولو فى أقل قليل من مرور اليوم والليلة تجدوا التيسير فى جميع الأمور والخلاص من كثير من الشرور اه . وفيه : ثم الحذر الحذر من تكرر الفزع إلى الله تعالى فى كل كرب فإنك بذلك يصير لك الجزع من أمر الله عادة ولا تنتفع بحياتك ، بل يكون الأمر مرة ومرة ، تثبت لأمر الله ولا تجزع ولا تطلب التفريج ومرة تسأل الله التفريج ، فمن صار إلى الله على هذا المنوال فتحت له أبواب السعادة الأخروية وتمكن فى حياته من الحياة الطيبة الواقعة فى قوله تعالى - من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة - اه.

وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نلح بالاستغاثة عند حلول البلاء ونسأل الله تعالى الإقالة ، ولا نتجلد ولا نتصبر إلا بعد أن سألناه الإقالة ولم يقلنا سبحانه وتعالى فنرجع إليه تعالى وإلى مراده فإنه أعلم بمصالحنا منا ، ومن تأمل المرض وجده أرجح من جميع طاعاته لأنه أجر محض لايدخله رياء ولا عجب ولا حظ للنفس فيه ، وإنما قلنا نلح بالاستغاثة برفع البلاء ميلا إلى الضعف لأن مثلنا ليس من رجال البلاء . وقد سأل الإمام الشافعى رضى الله عنه دوام البلاء حين كانت به بواسير وقال : اللهم إن كان فى هذا رضاك فزدنى ؟ فقال له شيخه : سل الله يامحمد العفو والعافية ، فلست أنا ولا أنت من رجال البلاء ، إنما ذلك للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وكان سفيان الثورى يقول : والله ما أدرى إذا ابتليت ماذا يقع منى لعلى أكفر رضى الله عنه . قلت : فما خافوا من المرض إلا لما فيه ، لا لذاته فافهم . وقد رأينا كثيرا من أصحاب الأنفس القوية يبتلى فيظهر التجلد والقوة ، فيشدد الله عليه حتى يسأل الإقالة كرها عليه ، والحق تعالى يحب من عباده إظهار الضعف ويكره منهم التجبر فاعلم ذلك اه : وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نميل إلى الضعف ونبادر عند نزول البلاء علينا إلى سؤال العفو والعافية ولا نتجلد إلا بما نعلم من أنفسنا بالغرائز القدرة على الصبر عليه ،

---

(١) قوله كرور : بمعنى مرور اه . (٢) قوله يكدحه : أى يخدشه اه .

وهذا العهد يخل به كثير من الناس ممن يدعى الصلاح من غير سلوك على يد شيخ فيظهر القوة لتحمل ما فوق طاقته فربما تخلفت عنه العناية فيصيح ويقع منه ألفاظ ربما يكفر بها. ثم قال: فاسلك يا أخى على يد شيخ يشهدك ضعفك حتى تجد نفسك أضعف من ناموسة كما هو شأن العارفين رضى الله عنهم . ثم قال : فمل يا أخى إلى الضعف الذى هو أساسك وسداك ولحمتك وإن جاءتك قوة من الله تعالى فى تحمل البلاء فهى عارضة والله يتولى هداك ، انظره . قال رحمه الله :

(فما هِىَ إلاَّ مِثْلُ أَحْلاَمِ نَائِمٍ ... وَضَيْفٍ وَظِلٌّ زَالَ عَنْكَ بِسُرْعَةٍ
وَبَحْرِ مَرَارَةٍ تَمُرُّ عَلَى الْوَرَى ... بِمَا بَيْنَ نِعْمَةٍ وَحُزْنٍ وَنِقْمَةٍ)

(فما هى) أى فليست الدنيا فى التمثيل (إلا مثل أحلام نائم) جمع حلم كقفل وعنق ما يرى فى النوم. وفى [حى] مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون » وقال يونس بن عبيد : ماشبهت نفسى فى الدنيا إلا كرجل نام فرأى فى منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك إذ انتبه . فكذلك « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » فإذا ليس بأيديهم شىء مما ركنوا إليه وفرحوا به . وقيل لبعض الحكماء أى شىء أشبه بالدنيا ؟ قال أحلام النائم اه . ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصرى رحمه الله أنشد :

أحلام نوم أو كظل زائل ... إن اللبيب بمثلها لا يخدع

ورحم الله من قال :

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم ... وما خير عيش لايكون بدائم
تأمل إذا مانلت بالأمس لذة ... وأفنيتها هل أنت إلا كحالم

(و) مثل (ضيف) وفى [جص] « كونوا فى الدنيا أضيافا ، واتخذوا المساجد بيوتا ، وعودوا قلوبكم الرقة ، وأكثروا التفكر والبكاء . ولا تختلفن بكم الأهواء. تبنون مالاتسكنون، وتجمعون مالاتأكلون وتؤملون مالاتدركون » اه . وقال بعضهم : ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة . ورحم الله من قال :

وما المال والأهلون إلا وديعة ... ولا بد من يوم ترد الودائع

ومن قال :

إنما الدنيا كظل زائل ... أو كضيف بات ليلا وارتحل

(و) مثل (ظل زال) ذهب وانقطع (عنك بسرعة) فإن الدنيا سويعة ولميحة قليلة ومتاعها قليل - والآخرة خير لمن اتقى - وللآخرة خير لك من الأولى - وكان سيدنا الحسن بن على رضى الله عنهما وعنا بهما آمين كثيرا ما ينشد :

يا أهل لذات دنيا لابقاء لها ... إن اغترارا بظل زائل حمق

ورحم الله من قال :

هب الدنيا تساق إليك عفوا ... أليس مصير ذاك إلى الزوال
وما دنياك إلا مثل ظل ... أظلك ثم آذن بانتقال

ومن شعر أمية الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم «آمن شعر أمية وكفر قلبه» :

كل عيش وإن تطاول دهرا ⁂ صائر أمره إلى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى ⁂ فى قلال الجبال أرعى الوعولا
إن يوم الحساب يوم عظيم ⁂ شاب فيه الوليد يوما ثقيلا

والمؤمن يأخذ ضالته حيثما وجدها ولا يبالى ، وكان الوالد رحمه الله ورضى عنه كثيرا ما يقول لى: خذالفائدة ممن لافائدة فيه . وروى أن أعرابيا نزل بقوم فقدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام فاقتلعوا الخيمة وأصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظل ثنية ⁂ ولابد يوما أن ظلك زائل

وقال صلى الله عليه وسلم: «مالى وللدنيا وإنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار فى يوم صيف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها» ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ولم يبال كيف انقضت أيامه فى ضر وضيق أوفى سعة ورفاهية، بل لايبنى لبنة على لبنة، توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ، رأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص [1] فقال: «أرى الأمر أعجل من هذا» وأنكر ذلك عليه ، ورحم الله من قال :

أرى أشقياء الناس لايسأمونها ⁂ على أنهم فيها عراة[2] وجوّع[3]
أراها وإن كانت تحب فإنها ⁂ سحابة صيف عن قريب تقشع

(و) مثل (بحر مرارة) أى من جهة المرارة : أى فمن أى ناحية جئتها وجدتها مرا . وفى [د]: أنا ما رأيت الدنيا إلا كماء البحر من أين جئته تلقاه مرا ، سببه كانوا يتكلمون بين يديه رضى الله عنه فى أحوال البلدان ويفضلون أهل هذه على أهل هذه، فذكره اه . وفى [حى] قال عيسى عليه السلام: مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء اليم كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله اه . ومن حكمه على نبينا وعليه الصلاة والسلام :الدنيا ثلاثة أيام :يوم مضى ليس بيدك منه شىء ،ويوم يأتى لاتدرى أتدركه أم لا ، ويوم أنت فيه فاغتنمه اه . وقال بعضهم رحمه الله : الدنيا ساعة فاجعلها طاعة . وفى [حى] وقال صلى الله عليه وسلم: «ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت» وقال صلى الله عليه وسلم: «الدنيا دار من لادار له، ومال من لامال له، ولها يجمع من لاعقل له ،وعليها يعادى من لاعلم له ، وعليها يحسد من لافقه له، ولها يسعى من لايقين له» وقال صلى الله عليه وسلم: «من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء، وألزم الله قلبه أربع خصال :هما لاينقطع عنه أبدا ، وشغلا لايتفرغ منه أبدا ، وفقرا لايبلغ غناه أبدا ، وأملا لايبلغ منتهاه أبدا» ، وقال أبوهريرة: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ياأبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها؟ فقلت: بلى يارسول الله، فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رءوس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال: ياأبا هريرة هذه الرءوس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هى اليوم عظام بلاجلد ثم هى صائرة رمادا، وهذه العذرات هى ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث

(١) قوله جص بكسر جيم ويفتح اه .
(٢) قوله عراة جمع عار كقاض اه . (٣) قوله جوع: جمع جائع كركع وراكع اه.

اكتسبوها ثم قذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها ، وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها ، وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد ، فمن كان باكيا على الدنيا فليبك» : قال : فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ، انظره . ورحم الله من قال :

ولقد سألت الدار عن أخبارهم ... فتبسمت عجبا ولم تبدى

حتى مررت على الكنيف فقال لى ... أموالهم ونوالهم عندى

وفيه: وقال لقمان لابنه يابنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا . وقال مطرف ابن الشخير : لاتنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم. وقال ابن عباس : إن الله جعل الدنيا ثلاثة أجزاء : جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر . فالمؤمن يتزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع . وقال بعضهم : الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب. ثم قال : وقال أبو أسامة الباهلى رضى الله عنه : لما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أتت إبليس جنوده فقالوا : قد بعث نبى وأخرجت أمة قال : ويحبون الدنيا؟ قالوا نعم ، قال : لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى أن لا يعبدوا الأوثان وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث : أخذ المال من غير حقه وإنفاقه فى غير حقه وإمساكه عن حقه ، والشر كله من هذا تبع . وقال رجل لعلى كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا ؟ قال : وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ، و من أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها افتتن ؛ فى حلالها الحساب ، وفى حرامها العقاب ، وفى متشابهها العتاب .وقال أبو حازم : اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فإنك لاتجد عليها أعوانا ، وأما مؤنة الدنيا فإنك لاتضرب بيدك إلى شىء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه . وقال عيسى عليه السلام : ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ومافيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله ، ويل للمغترين كيف أرتهم مايكرهون وفارقهم مايحبون وجاءهم مايوعدون ، وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله ، كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام « ياموسى مالك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هى إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هى ، ياموسى إنى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم » انظره . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - من كان يريد حرث الآخرة - الآية ثم قال : يقول الله عز وجل : يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك » وعنه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ماطلعت شمس إلا وبعث بجنبها ملكان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : ياأيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » وروى الحاكم «من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم وأحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أودية» هلك . وفى بعض الكتب الإلهية : « إن الله تعالى قال : يا دنياى من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه » وفى [جص] : «اتقوا الدنيا فو الذى نفسى بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت»وفيه: « إن الله جعل مايخرج من ابن آدم مثلا للدنيا » قال الحفنى : ولذا كان بعض الصوفية يأخذ تلامذته ويذهب بهم إلى المزابل ويقول لهم : انظروا إلى سكركم ودجاجكم ، انظره . وفيه : « إن روح القدس نفث فى روعى إن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه

بمعصية الله فإن الله تعالى لاينال ما عنده إلا بطاعته» . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن ننظر إلى الدنيا وشهواتها بعين الزهد لا بعين الرغبة فإن الدنيا كرمة عليها كلاب تتجاذبها كما قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : فمن رغب فيها تلطخ بالنجاسات وعضته الكلاب وهبهبت عليه وكشرت بأسنانها عليه وقاسى ما لا خير فيه . وفى الأثر : إن الله عز وجل من منذ خلق الدنيا لم ينظر إليها : يعنى نظر رضا عليها وعمن يحبها لانظر إرادة وتدبير فإنه تعالى هو المدبر لها والخالق ، فافهم . وفى الحديث : « إن الدنيا لاتزن عند الله جناح بعوضة » فالعارف لا ينظر إليها نظر محبة تخلقا بأخلاق الله عز وجل وأخلاق أنبيائه وأصفيائه مع أنه يدبرها وينفقها وقلبه فارغ منها ، انظره (تمر على الورى) الخلق (بما) أى بحالة (بين نعمة) وفرح وسرور (وحزن) وهم (ونقمة) بكسر النون وفتحها المكافأة بالعقوبة قال تعالى - كل يوم هو فى شأن - قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير - الآية ، ورحم الله من قال :

فيوم سرور ويوم كروب ... ويوم علينا ويوم لنا

ومن قال :

وما كل وقت ترى مسعفا ... فكن حافظا لطريق الأدب

ترى الله يكشف ماقد خبا ... فتحظى بأجر ونيل الرتب

ومن قال :

سألت عن الدنيا الدنية قال لى ... هى الدار فيها الدائرات تدور

إذا أضحكت أبكت وإن أحسنت أست ... وإن عدلت يوما فسوف تجور

وفى [جه] ولا إمكان للعبد من التمكن من دوام الراحة من كل بلاء فى الدنيا ، بل على العاقل أن يعلم أن أحوال الدنيا أبدا متعاقبة بين ساعات انقباض وانبساط وخيرات وسرور وأفراح وأحزان لايخرج أحد ممن سكن الدنيا عن هذا المقدار ، فإن نزلت مصيبة أو ضاقت نائبة فليعلم أن لها وقتا تنتهى إليه ، ثم يعقبها الفرح والسرور ، فإن من عقل هذا عن الله فى تصاريف دنياه تلقى كل مصيبة بالصبر والرضا بالقضاء والشكر التام على النعماء اه . ورحم الله من قال :

ثمانية تجرى على المرء دائما ... وكل امرىء لابد يلقى الثمانيه

سرور وحزن واجتماع وفرقة ... وعسر ويسر ثم سقم وعافيه

وفيه : ويبين الشيخ رضى الله عنه كيف تعرف الله سبحانه بهذه الأمور التى تتوارد عليهم من شدة ورخاء وعافية وفتنة وخوف وأمان ومرض وصحة ، وتحول حال القلب من قبض وبسط وعزم ونقضه ويتلو قوله تعالى - سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - ويقول : إن الناس إذا كانوا فى شدة أحسن منهم إذا كانوا فى عافية لو كانوا يعلمون ، لأنهم إذا وسعتهم النعم كانوا غافلين لاهين ساهين فإذا مستهم الضراء اضطرهم ذلك إلى دعاء مولاهم جبرا ، ولا تمكنهم الغفلة حينئذ كما أمكنتهم مع النعمة فحالهم حينئذ أحسن لوقوفهم بباب مولاهم وسؤالهم منه دفع بلواهم ، ويذكر قوله تعالى : - وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض - انظره قال رحمه الله :

(فَنِقْمَتُهَا تَدْعُوكَ لِلشُّكْرِ مِثْلَ مَا ... تُنَادِيكَ نِقْمَةٌ إِلَى حُسْنِ تَوْبَةِ

فَمَا نِقْمَةٌ إِلَّا بِهَا خَيْرُ نِعْمَةٍ ... فَكِلْتَاهُمَا خَيْرٌ لِصَاحِبِ نُهْيَةِ)

(فنعمتها) أى فنعمة الدنيا وهى كل مفروح ومسرور به . وفى [حى] اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ، ولكن النعمة بالحقيقة هى السعادة الأخروية وتسمية ماسواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التى لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض : وقد يكون اسم النعمة للشىء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق . فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيحة ، وصدق لأنه يفضى إلى النعمة الحقيقية . ثم تنقسم إلى ما هو نافع فى الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق ، وإلى ما هو ضارّ فيهما كالجهل وسوء الخلق ، وإلى ما ينفع فى الحال ويضر فى المآل كالتلذذ باتباع الشهوات ، وإلى ما يضر فى الحال ويؤلم ولكن ينفع فى المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس . فالنافع فى الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما ، والنافع فى الحال المضر فى المآل بلاء محض عند ذوى البصائر وتظنه الجهال نعمة ، مثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه يعده نعمة إن كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه : والضار فى الحال النافع فى المآل نعمة عند ذوى الألباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع فى الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة ، فالصبى الجاهل إذا كان شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه إليه ويقربه منه ، انظره (تدعوك) بلسان الحال والمقال (للشكر) أى لشكر من أنعم بها عليك وهو الله الغنى الكريم البر الرءوف الرحيم وشكر من أجراها على يده لقوله صلى الله عليه وسلم : « من لايشكر على القليل لايشكر على الكثير ومن لايشكر الناس لا يشكر الله » وفى [حى] والشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح . أما بالقلب فقصد الخير وإظهاره لكافة الخلق ، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فباستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى إن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم ، وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا فى جملة شكر نعم الله بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لإظهار الرضى عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة : « كيف أصبحت ؟ قال بخير ، فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله وأشكره ، فقال صلى الله عليه وسلم : هذا الذى أردت منك » وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء ، وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت ، فالشكر طاعة والشكوى مصيبة قبيحة من أهل الدين ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينادى يوم القيامة ليقم الحمادون فتقوم زمرة ، فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة . قيل ومن الحمادون ؟ قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » . وفى لفظ آخر : « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال ابن مسعود : الشكر نصف الإيمان ، انظره . وفى [جص] : « الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لا يحمده » وفيه : « الحمد على النعمة أمان لزوالها » وفيه : « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا : من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر فى دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على مافضله به عليه كتبه الله شاكرا صابرا ، ومن نظر فى دينه إلى من هو دونه ونظر فى دنياه إلى من هو فوقه فأسف على مافاته لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا » اهـ : وعنه صلى الله عليه وسلم : « من أعطى فشكر وابتلى فصبر

وظلم فغفر وظلم فاستغفر أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ونقل أن سفيان الثورى دخل على جعفر الصادق وقال له: علمنى يا ابن رسول الله مما علمك الله ؟ قال له إذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار، وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر، وإذا تظاهرت الغموم فقل: لاحول ولاقوة الا بالله، فخرج سفيان يقول ثلاث وأى ثلاث . وفى الحديث: « من أنعم عليه نعمة فليحمد الله، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزبه[1] أمر فليقل لاحول ولاقوة إلا بالله » وفى آخر: « من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها فليكثر من قول لاحول ولاقوة إلا بالله، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله » وروى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: « يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك » وفى لفظ آخر « وشكرى لك نعمة أخرى منك توجب علىّ الشكر لك، فأوحى الله تعالى إليه: إذا عرفت هذا فقد شكرتنى . وفى خبر آخر: « إذا عرفت أن النعمة منى رضيت منك بذلك شكرا » ووقع مثل ذلك لداود عليه الصلاة والسلام، ورحم الله من قال:

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... علىّ له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس بالضراء يعقبها الأجر
فما منها إلا له فيه نعمة ... تضيق بها الأوهام والسر والجهر

وفى [جه] وكان سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين يذكر الناس بنعمة مولاهم وما خولهم وأولاهم، يرشد بذلك إلى محبة الله سبحانه والحياء منه أن يعصى بسبب ما أسداه لعبيده ومايجريه عليهم دائما وأبدا من أفضاله وإحسانه ويتلو - وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة - ويكثر الكلام فى ذلك جل أوقاته وغالب أحيانه ويبين ما هو مستمر على العبد دائما وأبدا من نعمة النفع والدفع والمحسوسة والمعنوية والظاهرة والباطنة بفصل كل ذلك تفصيلا ويأتى عليه بيانا وتحصيلا، فيبين أن الإيمان بالله ورسله من النعم الباطنة الدائمة المستمرة على العبد وأن الله يمده به فى كل لحظة ويمسكه سبحانه عليه كل خطرة خطرة، ولم يسلط عليه فيه شيطانا مريدا يفسده عليه ولا جبارا عنيدا يسلب عنه مامنه لديه، عناية منه سبحانه ورحمة وفضلا ونعمة، ولو سلط الشيطان على إفساده كما سلطه على إفساد الأعمال لكفر كثير من الناس بعد إيمانهم، وانقلبوا بعد ربحهم إلى خسرانهم، ولكن الله امتن على الإنسان بحفظه كما امتن بتخصيصه بسابق الفضل والإحسان، وبأى سبب استحق العبد هذه النعمة حيث أعطيها يوم قدرت المقادير وقسمت القسم حيث لاوجود لذاتك هناك ولا عمل يتقرب به إلى معطيها ولا شىء يدلى به ويستند إليه، بل هى محض الجود والامتنان والفضل والإحسان، ولو شعر الإنسان بهذه النعمة العظمى وعرفها لاستغرقه الفرح بالله واستولى عليه سلطان المحبة والشغف بهذا المعطى الكريم والمولى العظيم الذى خلق فهدى، وتفضل وأعطى وخصص أزلا واجتبى، انظره ورحم الله من قال:

أوليتنى نعما أبوح بشكرها ... وكفيتنى كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ماحييت وإن أمت ... فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

---

(١) قوله حزبه كنصر: أصابه.

[فائدة] من شكر نعم الله وتعظيمها التقاط مايوجد من كسرة خبز وتمرة وحبة وغير ذلك مماله حرمة مما يؤكل فى المزابل والطرق والأزقة ، وإزالتها من مواضع المهنة إلى موضع طاهر تصان فيه : وفى [خل] وكان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله إذا جاءه القمح لم يترك أحدا من الفقراء فى الزاوية فى ذلك اليوم يعمل عملا حتى يلتقطوا ماوقع من الحب على الباب أو على الطريق فإذا فعلوا ذلك حينئذ يرجعون إلى ما كانوا يعملون . هذا الباب مجرب كل من عظم نعمة الله لطف الله تعالى به وأكرمه ، وإن وقعت الشدة بالناس جعل الله لمن هذه صفته فرجا ومخرجا ، فعلى منوالهم فانسج إن كنت ذا حزم اه . وثبت أن ذلك هو سبب الغلاء . وفيه : من هذا المعنى ينبغى لمن رأى قرطاسا فى الطريق أو مزبلة أن يرفعه ويزيله عن موضع المهنة ويضعه فى موضع طاهر يصان فيه وسواء كان مكتوبا أم لا ، لأن المكتوب لا يخلو من اسم من أسماء الله تعالى أو اسم من أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو اسم من أسماء الصحابة أو الأولياء والصالحين رضى الله عنهم ، وفى ذلك ثواب عظيم وأجر جسيم ، وغير المكتوب يؤخذ توقيرا وتعظيما لنعم الله تعالى إذ أن الورقة لابد فيها من النشا ولو قل ، انظره (مثل ما تناديك) بلسان الحال والمقال (نقمة) رزئت وأصبت بها تطهيرا من الأدران والأدناس (إلى حسن توبة) وهى التوبة النصوح قال تعالى - ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا - وعنه صلى الله عليه وسلم : « التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لاتعود إليه أبدا » وفى [هب] اعلم أن سبب رسوخ التوبة فى ذات العبد ومد أغصانها فيها وتمكن عروقها منها وبلوغها الغاية فيها هو محبة المؤمنين جميعا من غير فرق كما يبغض الكافرين جميعا من غير فرق . قال : فإذا كانت هذه المحبة فى العبد نزلت عليه التوبة من الله ولو كرهها وأراد دفعها فإنها تنزل لا محالة ، وسبب ذلك أن العبد لايفرق فى محبته للمؤمنين حتى يحب بعضا دون بعض إلا لدسيسة بغض فى قلبه نشأت عن حسد أو كبر ونحو ذلك فتكون طويته خبيثة والتوبة النصوح لا تنزل إلا بأرض طيبة وطوية طاهرة ، فإذا أحب جميع المؤمنين فقد ارتفعت الدسائس كلها عن قلبه فتنزل التوبة عليه حينئذ ، انظره (فما نقمة) من النقم فى الظاهر (إلا بها خير نعمة) أى إلا وفيها أفضل نعمة فى الباطن ، والمؤمن بخير على كل حال إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر ، قال تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وفى [عف] قال بعضهم فى قوله تعالى - وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة - قال : الظاهرة العوافى والغنى ، والباطنة البلاوى والفقر فإن هذه نعم أخروية لما يستوجب بها من الجزاء ، وحقيقة الشكر أن يرى جميع المقضى له به نعما غير مايضره فى دينه ، لأن الله تعالى لا يقضى للعبد المؤمن شيئا إلا وهو نعمة فى حقه ، فإما عاجلة يعرفها ويفهمها وإما آجلة بما يقضى له من المكاره فإما أن تكون درجة له أو تمحيصا أو تكفيرا ، فإذا علم أن مولاه أنصح له من نفسه وأعلم بمصالحه وأن كل مامنه نعم فقد شكر اه : وفيه : قال سفيان عند رابعة : اللهم ارض عنا ، فقالت له أما تستحى أن تطلب رضى من لست عنه براض ، فسألها بعض الحاضرين متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى ؟ فقالت إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة ، انظره . ورحم الله من قال :

إذا اشتدت البلوى تخفف بالرضى ... عن الله ، بالرضوان فاز المراقب

وكم لعمة مقرونة ببلية ... على الناس تخفى والبلايا مواهب

ومن قال :

ولترض ولتبصرن مهما ابتليت تنل رضى الإله وإلا خبت لم تنل

وفى [جه] فإذا ذكرت له حادثة ألمت ومصيبة نزلت قال من أسمائه سبحانه : والحكيم هو الذى لا يفعل الشىء إلا لحكمة ولا تخلو أفعاله عنها ، ولو كشف للعبد عن أسرار القدر لرأى تلك الأفعال التى هى فى الظاهر نقمة على غاية مايكون من الإحكام والإتقان ، وأنها لا ينبغى أن تكون إلا كذلك ولايختار لنفسه غيرها وتنزل النازلة بالعبد هى فى ظاهرها مصيبة وفى باطنها رحمة ينقذه الله بها مما هو أشد مثلا أو يدفع عنه بها فتنة فى دينه ، والله ماقضى الله لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيرا له ، انظره.

وفيه : ويأتيه من أصيب فى ماله وبدنه وعياله فى غاية ما يكون من المشقة والضيقة ، فإذا سمع كلامه انزاحت عنه الأتراح واعتراه السرور والانشراح كأنما سقى عنده الراح بالراح . وقد أتاه رجل من الإخوان قد امتحن بأخذ ماله من قبل السلطان فساءت أخلاقه وأحواله وسره وعلانيته وأفعاله ، فجلس بين يدى سيدنا رضى الله عنه فى ملأ من أصحابه فجعل ينتصت لكلامه ، ويتكلم الشيخ رضى الله عنه على عادته فى الدلالة على الله ويذكر الناس بأنعم الله الظاهرة والباطنة ، ويريهم أن ما نزل بالعبد من المحن التى هى فى الظاهر نقمة كلها رحمة من الله وفضل منه ونعمة وأنه لايفعل ذلك سبحانه إلا لحكمة ، وجعل يوضح ذلك فتحول حال الرجل لحينه وظهر عليه أثر السرور والفرح ويقول الحمد لله يكررها فرحا منه بنعمة الإسلام التى لم يقدر قدرها قبل ذلك واستخفافا بالدنيا التى رزئها ويقول ماسمعت هذا قط ولا رأيته ، انظره . فكلامه رضى الله عنه وعنابه آمين ترياق للقلوب ودواء للعيوب وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (فكلتاها) أى فكل واحدة من النعمة والنقمة (خير) أى فيها خير كثير وثواب كبير (لصاحب نهية) بضم النون العقل وعن النبى صلى الله عليه وسلم : «عجبت للمسلم إذا أصابته مصيبة احتسب وصبر وإذا أصابه خير حمد الله وشكره ، وإن المسلم يؤجر فى كل شىء حتى فى اللقمة يرفعها إلى فيه » وفى [جه] : وفى كل من الطاعة والمعصية دلالة على الله ، فالطاعة تدعو إلى شكر الله والمعصية تلجىء إلى التوبة إلى الله ، والنعمة والنقمة كذلك هذه تعرفك بمولاك والأخرى ترفع بها إليه شكواك ، ويذكر قولهم رضى الله عنهم : من لم يقبل على الله بسوابغ الامتنان سيق إليه بسلاسل الامتحان ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن ننظر لكل نعمة أو محنة بوجهتين ولا نقف قط مع ظاهر نعمة ولا ظاهر نقمة فربما أتت النعم فى المحن ، وربما أتت المحن فى النعم ، فإننا إذا نظرنا إلى باطن النعم وجدناها مشتملة على أنواع من البلايا ؛ أقل ماهنالك أن الحق تعالى يطالب صاحب النعمة بعدم إضافتها إلى أحد من الخلق نفسا واحدا ويطالبه بصرفها فى المواطن التى تدب الحق تعالى إلى صرف النعم فيها ، ويطالبه أيضا بالقيام بحقها ودوام الشكر عليها بالأعمال دون اللسان كما قال تعالى : - اعملوا آل داود شكرا - لم يقل تعالى قولوا آل داود شكرا ، ونحن أولى من أمة داود بذلك فافهم. ومن كان مشهوده فى النعمة هكذا فمتى يتفرغ للالتذاذ بها ، وأما المحن والرزايا فإذا نظرنا إلى باطنها وجدناها من أعظم النعم علينا ، ومرادنا المحن والرزايا فى الدنيا لا فى الدين ، وذلك لأن المحن تورث الذل وخفض الجناح وعدم الطغيان كما قال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وتورث عدم الإعجاب بالطاعات والعلوم والمعارف ، وفى المثل السائر : من لايجىء بشراب الليمون جاء بحطبه ، فلا يمتحن عبد قط بنقمة إلا إذا لم ترده نعم الله عليه إلى حضرة ربه ، فإذا لم ترده النعم ابتلاه بالمحن ليرجع

قال الله تعالى ـ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ـ وذكر سيدى تاج الدين بن عطاء الله ماهو أعجب من ذلك فقال: رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا فاعلم ذلك اه . قال رحمه الله :

(فَدَعْ مَاعَلَيْهِ النَّاسُ لَا تَعْتَرِضْ لَهُمْ ... وَلَا سِيَّمَا مَنْ كَانَ صَاحِبَ إِمْرَةِ
فَسُبْحَانَ مَنْ أَقَامَ كُلاًّ بِمَا يَشَا ... فَذَاكَ مُرَادُهُ بِكُلِّ الْخَلِيقَةِ)

(فدع) اترك عنك (ماعليه الناس) كافة من الأحوال ولاتزن عليهم مايصدر منهم بميزانك لحديث «دعوا الناس فقد كفيتموهم» ولأنه لايأمر بمعروف وينهى عن منكر إلا أمير أومأمور أومراء (لاتعترض لهم) أى لاتعترض عليهم فى شىء من الأشياء ، فإن الاعتراض عليهم اعتراض على بارئهم سبحانه وتعالى ، بل سلم أمرهم لمن خلقهم وعملهم ولمن تجلى فيهم بما شاء كيف شاءفكل مهيأ وميسر لماخلق له وهو أعلم بمصالح عبيده ـ إنه حكيم عليم ـ وللنابلسى رحمه الله :

وتمسك بربك الحق واقنع ... بالتجلى فى سائر الأسماء

وعن الحاتمى رضى الله عنه : من شهد الخلق لافعل لهم فقد فاز ، ومن شهدهم لاحياة لهم فقد حاز ، ومن شهدهم عين العدم فقد وصل . ورحم الله من قال :

(١) من أبصر الخلق كالسراب ... فقد ترقى عن الحجاب
إلى وجود يراه رتقا ... بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه ... هناك يهدى إلى الصواب

[لطيفة] حكى أن بعض الكفرة دمرهم الله لما دخلوا بعض مدائن المسلمين قصد مسجدها فتغوط فيه فقطع ورقة من مصحف واستجمر بها ورماها ، فخرج وبعض المسلمين فى المسجد ينظر إليه ولم يستطع أن يتكلم ، فلما خرج أخذ تلك الورقة ليغسلها من النجاسة ونظر فإذا فى أولها ـ ولو شاء ربك مافعلوه ـ الآية ، فاستسلم لأمر الله تعالى إنه حكيم عليم . وفى [جه] وعليكم بعدم الاعتراض على الناس فيما أقامهم الله فيه مما ليس بمحمود شرعا ولاطبعا فإن أمورهم تجرى على المشيئة الإلهية فهم مقبوضون فى قبضة الله لامحيد لهم عن حكمه، وجميع أمورهم تصدر عن قضائه وقدره إلا ما أوجب الشرع القيام به عليهم أمراً وزجراً بحسب العوارض والنائبات فى بعض الأزمان لاكل الأزمان ، وقفوا عند قوله صلى الله عليه وسلم : «مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله، قيل يارسول الله أجر خمسين رجلامنا أومنهم؟ قال بل أجر خمسين منهم لامنكم» اه: أى لأنكم تجدون على الخير أعواناوهم لايجدون عليه أعوانا. وفى [د] أرى الله تعالى ساغ الوجود مساغ الهلاك . سببه أنه كان يتحدث فى فساد الوقت وماللناس فيه من الانهماك فى المعاصى وقلة مبالاتهم لامنكم بمخالفة أمر الله تعالى فذكره اه : وفى [جص] «إذا رأيت الناس قد مرجت (٢) عهودهم وخفت

---

(١) قوله من أبصر الخ : بسيط مجزوم مقطوع . (٢) كفرح : اختلطت اه .

أماناتهم وكانوا هكذا - وشبك بين أنامله - فالزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ماتعرف ودع ماتنكر ، وعليك بخاصة أمر نفسك ودع عنك أمر العامة» . وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لانزن على الناس أحوالهم بميزان يوم مضى لشهود النقص فى نفوسنا كل يوم فى معاملتنا الله تعالى فضلا عن معاملة عباده ، فكيف ينبغى أن نزنهم فى هذا الزمان بميزان السلف من الصحابة والتابعين . وقد كان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول : والله لقد أدركنا أقواما كنا فى جنبهم لصوصا فما بقى إلا الأخذ فى الهضم والمسامحة مناومنهم وإلا وقعنا نحن وهم فى العناء والتعب ، فإننا فى هذا الزمان عكارة[1] جميع من تقدمنا من الخلق ، والغالب علينا عنصر الماء والطين ، ومعلوم أن الماء والطين إذا حرك وروق نحو ثلاثين مرة وأخذ صافيه فى كل مرة كيف يكون حاله ، فما بقى دواء فى هذا الزمان أنفع من كثرة الاستغفار ، بل لو جلس الواحد منا بقية عمره يستغفره عما مضى له من الذنوب ماجبر خلل المعاصى السابقة فضلا عن اللاحقة ، فلاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، أستغفر الله اه (ولاسيما) وفى [س] «ولا سيمازيد» لامثل زيد و«ما» لغو ويرفع زيد انظره (من كان صاحب إمرة) بكسر الهمزة وسكون الميم لغة فى الإمارة . وفى [جه] وسلموا للعامة وولاة الأمر ما أقامهم الله فيه من غير تعرض لمنافرة أوتبغيض أوتنكير فإن الله هو الذى أقام خلقه فيما أراد ولاقدرة لأحد أن يخرج الخلق عما أقامهم الله فيه اه وفى الحديث: « إذا رأيتم الأمر لاتستطيعون تغييره فاصبروا حتى يكون الله هو الذى يغيره » وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لانتصدر لإزالة منكرات الولاة إلا إن كان معنا تصريف فيهم وإلا آذونا ونفونا من بلادنا أو أحوجونا إلى الاستخفاء زمانا طويلا . وكان سيدى إبراهيم المتبولى يقول : تغيير المنكر باليد للولاة ومن والاهم ، وتغييره باللسان للعلماء العاملين ، وتغييره بالقلب للفقراء الصادقين ، فيتوجه الفقير بقلبه إلى الله تعالى الله فتنكسر جرة الخمر ، وتخرج المرأة الزانية مثلا هاربة ، وتخرس الغوانى عند الظلمة فلا تقدر تنطق بكلمة ، ويرجع الظالم عن ظلمه فى الحال ، انظره . وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن قوله صلى الله عليه وسلم: « لاتنازعوا الأمر أهله » هل يدخل فى ذلك السلطان الجائر لكونه أهلا للأمر الذى أقيم فيه والخلق يستحقونه لماهم عليه من الخروج عن طاعة الله عز وجل ؟ فقال رضى الله عنه : نعم يدخل الجائر فى ذلك ولولا استحقاق الخلق ماولاه الحق عليهم ، فإياك والاعتراض[2] فى تولية من ولاه الحق تعالى على الناس من قاض أو أمير أو وزير فإن المولى له هو الله عز وجل ، وإن كان ولابدلك من منازعته فاعرف من ولاه ثم نازع بشرطه . وكان حذيفة رضى الله عنه يقول : إن عدل السلطان فلنا وله ، وإن جار فلنا وعليه ، فنحن فى الحالين سعداء إن شاء الله تعالى . وأما إذا تكلمنا فى ولاتنا بماهم عليه من الجور فليس لنا هذا المقام لأنه يسقط ماكان لنا فى جورهم من الأجر لعدم صبرنا عليهم ، فتأمل والله أعلم اه . وفى [جص]: « السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه فى الأرض يرفع له عمل سبعين صديقا » وفيه: « السلطان ظل الله فى الأرض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله » وفيه: «من أجل سلطان الله أجله الله يوم القيامة» ومفهومه أن من أهانه أو حاربه أهانه الله وأذله يوم القيامة ، وفيه: « السلطان ظل الله فى الأرض يأوى إليه كل مظلوم من عباده ، فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر ، وإن جار أو أخاف أو ظلم كان

---

(١) أى أكثر فسادا وخبثا وقلة عمل . (٢) الاعتراض على أهل الإمارات سيما السلطان اه .

عليه الوزر وكان على الرعية الصبر ، وإذا جارت الولاة قحطت السماء وإذا منعت الزكاة هلكت المواشى ، وإذا ظهر الزنى ظهر الفقر والمسكنة، وإذا أخفرت الذمة أديل الكفار » وفيه : «إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها، إنما السلطان ظل الله ورمحه فى الأرض » وفيه : «طاعة الإمام حق على المرء المسلم مالم يأمر بمعصية الله، فإذا أمر بمعصية الله فلا طاعة له » اه . ومثل السلطان فى ذلك كله نوابه وعماله . وفى [حى] اعلم أن السلطان به قوام الدين فلاينبغى أن يستحقر وإن كان ظالما فاسقا . قال عمرو ابن العاص رحمه الله: إمام غشوم خير من فتنة تدوم. وقال النبى صلى الله عليه وسلم: « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر» وقال سهل: من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهومبتدع، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل. وسئل أى الناس خير؟ فقال السلطان فقيل: كنا نرى أن شر الناس السلطان ، فقال مهلا إن لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال الناس ونظرة إلى سلامة أبدانهم ، فيطلع فى صحيفته فيغفر له جميع ذنبه . وكان يقول: الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصا يقصون اه . وفى [جص] : « لاتسبوا الأئمة وادعوا الله لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكم صلاح» وفيه: «لاتسبوا السلطان فإنه فئ الله فى أرضه» اه. بل تدعوا له بالنصر والتأييد والتوفيق والتسديد . اللهم انصر السلطان وانصر عساكره ، وانصر ولاة الأمور على ممر الدهور ، وألهمهم العدل والسداد والرشد والإرشاد ، وأيدهم بتأييدك وسددهم بتسديدك ، واهدهم واهدبهم، وارحمهم وارحم بهم ، واحم بهم بيضة الإسلام على ممر الليالى والأيام بجاه سيد الأنام عليه وعلى آله الصلاة والسلام آمين. ومما كتبه سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين لبعض الوزراء: اعلم أنك فى مرتبة قد حوت ما لايحاط به من الخيرات والسرور وجمعت مالا ينتهى إلى غايته من البلاء والشرور وأنت واقف بينهما فى هذه المرتبة ، فراقب الله فى قلبك وانظر إلى خلق الله بعين الشفقة ولضعيفهم ومسكينهم بعين الرأفة وقضاء حوائجهم ، وإياك والاستهزاء والتوانى فى تبليغ أمورهم إلى مولانا السلطان فإن الله سبحانه وتعالى نظرا فى العبد عند كل نظرة ينظرها فمن رآه من ذوى العلو والارتفاع نظر فى خلقه بعين الرأفة والرحمة وخفض لهم جناحه ونظر إليهم بعين إضافتهم لله تعالى عظمهم لملك النظر وسارع فى قضاء حوائجهم بما يقدر عليه، وكان منه ذلك لله تعالى نظر فيه ربنا سبحانه وتعالى بعين الرحمة وعين التكريم والتعظيم وسارع له فى قضاء حوائجه وكلأه كلاءة الوليد من أبيه فياسعادة من ظفر بهذه النظرة من ربه ، ومن كان على الأخرى والعياذ بالله من عدم المبالاة بخلق الله والتباعد عن قضاء حوائجهم والتنائى عن رحمتهم والشفقة عليهم فجزاؤه ماهو معلوم فى النار يقول الله سبحانه وتعالى فيمن اتصف بهذه الصفة ـ خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلوه ـ إلى قوله ـ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم. ولايحض على طعام المسكين ـ انظر [جه] .

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود إذا حصل لنا جاه عند حاكم من محتسب أو قاض أو شيخ عرب أن لانغفل عن نصحه قط ولاعن قضاء حوائج الناس عنده فإذا أجاب لقضاء الحوائج والكرب اتخذناه صاحبا ، ولا نترك صحبته لقول الناس ماصحبه إلا ليستمطر منه دنيا ونحو ذلك فإن المعاملة مع الله عز وجل، ونعلمه أن الله تعالى ماولى عبداً وأقام له الجاه فى قلوب العباد بالأصالة إلا ليتزود بتلك الولاية إلى الدار الآخرة خيراً لاغير ، وأما التبسط فى الدنيا أيام الولاية فإنما هو فعل السفهاء ، ثم إن ذلك من

أكبر أسباب العزل له وفتح أبواب كثرة الرشوة عليه خوف العزل كلما هددوه به كما هو مشاهد : ومثل التبسط المذكور تنفيذ غضبه فى الرعية وميله إلى الباص الكثير فى التهم والجرائم وعدم رحمته الصعاليك ونسيان يوم يشيب فيه الوليد وتسير فيه الجبال وتصيح فيه الحجارة ويقطر فيه الحصى دما فإن هذا يتلفه بالكلية ويهدم أساسه ولواستند لكل ولى على وجه الأرض أخلى به ولم يساعده، وهذا يقع فيه الآن أكثر الحكام فيظلم وينهب ويجور ويباص ويهلك الحرث والنسل ويقول مادام سيدى الشيخ طيبا علىّ ماأخاف، ولعمرى سيدى الشيخ فى نفسه كالثور الذى وحل فى ربوة لايستطيع الخروج منها فكيف يقدر على إنقاذ ثور آخر وحل تجاهه فى تلك الربوة فاعلم ذلك انظره . وفيه : أخذ علينا العهود أن نكرم ولاة أمورنا من أمير ووزير وقاضى عسكر ووال، ويجوز لنا أن نقبل أيديهم ونقوم لهم إذا وردوا علينا إعطاء للمراتب حقها أو دفعا لشرهم كما نقوم لعلمائنا ولو لم يعملوا بعلمهم. وكان سيدى على الخواص رضى الله عنه يقول : قم لأهل العلم مطلقا فإنه لايوجد لنا عالم إلا وهو عامل بعلمه، وذلك لأنه إذازل يعرف أنه عصى الله فيستغفر الله ويندم ويتوب فقد عمل بعلمه، ولو أنه كان جاهلا ما اهتدى للتوبة فلولا علمه ما تاب فقد نفعه علمه اه . ولذا قيل : العلم لايضيع أهله . ثم قال : وسمعته يقول مرارا: مذهبي القيام للأمراء لنكتة أطلعنى الله عليها وهى أن الأمير ماطلع للفقير إلا بعد أن خلع كبرياءه وعظمته قبل أن يدخل على الفقير ، ولو أنه بقى على كبره ورؤية نفسه على الفقير ماطلع له قط ولا قبل يده ولا رجله فما لقى الأمير الفقير إلا وهو فقير فاستحق التعظيم اه ، وذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين فى الفتوحات. واعلم أن الإقبال على الأمراء مع التحرز عن ميل النفس والركون إليهم محمود شرعا لما ينبنى على ذلك من مصالح العباد ، وإذا رأيت عالما أو صالحا يدخل عليهم زاهد فيما بأيديهم من حطام الدنيا لايجوز لنا الإنكار عليه ولا حمله على المحامل السيئة فربما دخل عليهم وأقبل عليهم ليميلوا إليه ويقبلوا شفاعته فى المظلومين ، وما عند الأمراء أحد أحب إليهم ممن يزهد فيما فى أيديهم ويرد عليهم مايعطونه له من الدنيا. وكان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله يقول: أعطوا أهل المراتب حقوقهم من الإكرام فى هذه الدار ، هذا هو الأدب منا مادمنا فى هذه الدار، وسوف يعلمنا الله تعالى الآداب اللائقة بهم فى الدار الآخرة إذا انتقلنا إليها إن شاء الله تعالى اه . ثم قال : وكان سيدى على الخواص إذا بلغه أن أحدا من الأمراء عازم على زيارته يذهب إليه ويزوره فى بيته قبل أن يأتى إليه ، ويقول المتموم إنما هو قبول هداياهم وسؤالهم فى الدنيا لاغير ، انظره . وفى [هب] إن فى أرباب المخزن وأهل الظلم من هو مؤمن متعلق القلب بربه سبحانه ، وفيهم من هو منقطع عن الله عز وجل، وعلامة ذلك الانقباض والانبساط ، فمن كان منهم منقبضا متغيرا يعلم أنه مخالف لأمر ربه مطيع لغيره متكدر البال متغير الحال فذلك هو الأول فهو من الناجين فى الآخرة بعد الحساب والعقاب والملام والعتاب إلا أن يعفو الله سبحانه وتعالى ، ومن كان منهم حالة ظلمه متبسطا فرحا مسرورا لاحزن عليه ولا خوف فذلك هو الثانى فهو يستحلى المعصية وظلم العباد كما يستحلى الجعل (١) النجاسات وأكل القاذورات . قلت : وقد سبق أنه من أشد الناس عذابا يوم القيامة ذكر هذا الكلام لرجل استشاره فى خلطة المخزن، وأنه إن لم يخالطهم خاف على نفسه فدله على الخير وأوصاه بالمساكين، وذكر له الكلام

---

(١) قوله الجعل بضم جيم وفتح عين كصرد : الحرباء اه .

المتقدم : وزاده زيادة فقال: إن المؤمن كطير نزل على أرض نجسة فينقبض ويضم جناحيه وعلى أرض طاهرة فينبسط ويفتح جناحيه ويسعى فى الطلب . وقال له : إن أهل الانقطاع والعياذ بالله إذا غصبوا دراهم وجعلوها فى جيوبهم وكان على تلك الدراهم اسم من أسماء الله تعالى فإذا جاء من هو متعلق بربه تعالى واحتال على تلك الدراهم بالطلب أومن غيره حتى أخذ من ذلك المنقطع فقد أنقذ ملائكة كراما على الله عز وجل انظره (فسبحان) أى أسبح تسبيحا وأنزه تنزيها (من) أى الله تعالى الذى (أقام كلا) أى أقام كل واحد من خلقه (عايشا) قصره للوزن أى فيما يشاؤه ويريده فهو الحكيم الخبير بمصالح خلقه. وفى [جه] وكان يعنى سيدنا رضى الله عنه وعنابه آمين يرشد إلى ترك التدبير والاختيار مع الله تعالى ويكثر الكلام فيه دائما ويتلو شاهدا على ذلك - فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم - الآية - وماكان لمؤمن ولا مؤمنة - الآية ، وقوله - إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله - الآية ، وقوله - ماكان لهم الخيرة - ويقول : إنما يدبر من يعلم عواقب الأمور ومن لايعلمها كيف يدبر وأى شىء يتدبر كما فى بعض الآثار القدسية : « ابن آدم تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لى فيما أريد أعطيتك ماتريد ، وإن نازعتنى فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد » ويعد التدبير مع الله من الشرك لأنه تعالى منفرد بالإيجاد والتدبير - ألا له الخلق والأمر - فمن دبر فى ملكه شيئا فقد تعدى ونازع أحكام الربوبية فمن دبر لنفسه عاد تدبيره عليه وبالا. ويدل على الرضى والتسليم لأحكام الله لأنه سبحانه الحكيم ولأنه الرحيم ، انظره . وفيه : ومن أدبه رضى الله عنه أنه لايريد الخوض فى شىء من تصاريف أقدار الله سبحانه وتعالى ولا التعرض للكلام فيما وقع ولا تمنى زوال ماهو واقع منها ، ويعد الخوض فى ذلك كله اعتراضا على الله تعالى وسوء أدب معه ، وينسب القصور للنفس ويرى النقص منها فيما يبتلى به العبد من القضاء بعد اعتراف أنه من الله تخلقا بأخلاق الشريعة وتحققا بأن الكمال لاينسب إلا لله ولا ينسب لغيره وإن كان أثرا من آثار قدرته لالغيره ، مراعاة لمقام الأدب مع الله ، انظره . ورحم الله من قال من أهل الإشارات :

تذكر جميلى فيك إذ كنت نطفة	ولاتنس تصويرى لشخصك فى الحشا
وسلم لى التدبير واعلم بأننى	أنفذ أحكامى وأفعل ما أشا

(فذاك) أى فما أقامهم الله فيه هو (مراده) ومحبوبه ومختاره كيفما كان - وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة - إن ربك فعال لما يريد - (بكل الخليقة) صامتها وناطقها علويها وسفليها ، لكن ينبغى لمن أقامه الله فى حالة مرضية شرعا وطبعا أن يحمده ويشكره ، ولمن أقامه فى حالة منهى عنها كذلك أن يتضرع إلى الله ظاهرا وباطنا أن ينقذه من حالة مذمومة ويستعمله فى حالة محمودة ورحم الله من قال :

فإن أقامك عظيم المنه	فى عمل موافق للسنه
فهو مقامك الذى يليق بك	فلا ترم خلافه بشهوتك
لو شاء ربنا العظيم المالك	ومن له التصريف فى الممالك
لكنت فى المطلوب من غير نصب	وارض بحكم الله والزم الأدب
وإن أقامك الهوى بالطبع	فى عمل مخالف للشرع
فبادر الخروج لا تماطل	واقطع بسيف العزم كل حائل

وفى [جد] أوصانى شيخى رضى الله عنه وقال لى: إياك والفرار من حال أقامك الله فيه فإنك لو أمعنت النظر لوجدت الخيرة فيما اختاره الله لك ، وتأمل السيد عيسى عليه السلام لما فر من بنى إسرائيل حين عظموه وبجلوه كيف ابتلاه الله بأن عبد من دون الله فوقع فى حال أشد مما فر منه، فقلت له فما سبب اختيار العبد مع سيده ، فقال لظنه أنه مخلوق لنفسه والحق تعالى ما خلق العبد إلا ليسبح بحمده، ومن علم أنه مخلوق لله ترك التدبير والاختيار مع الله تعالى لأنه لا يعطى عبده إلا ما يصلح أن يكون له تعالى، فلهذا الظن يقول العبد أريد كذا وأطلب كذا ولو اتسع علمه لعلم أن الله أعطى كل شيء خلقه بحيث لا يقبل الزيادة ، والتسليم أصل الأدب الإلهى كله والسلام اه .وفى الحكم : ماترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه : وعن بعض العارفين : منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى إلى غيره فسخطته اه . وفى [جه] والمراد من الإنسان فى كل وقت هو ما أجاب به الجنيد رضى الله عنه حين سئل ما مراد الله من العالم ؟ قال ما هم فيه ، أراد أنه لذلك خلقهم وليس المراد بالجواب أنه ليس إلا صورة التقلبات والحركات، بل المراد من كلام الجنيد أن جميع تحركات العالم وتقلباته وقصوده وخواطره كلها مظاهر الألوهية لأنها آثار الأسماء والصفات ولهذا المعنى يقول من قال من العارفين مافى الكون كله إلا الكمال ما فيه صورة نقص أصلا لأن تلك كمال ألوهيته إنما النقص فيها أمر نسبى : وفى الحقيقة ما ثم إلا الكمال لأنها كمالات ألوهيته ، ثم قال رضى الله عنه : فكل من بلغ المعرفة عثر على هذه الحقيقة لا محالة وبالله التوفيق ، انظره . قال رحمه الله :

(وَلَا تَعْبأَنْ بِمَا تَرَى مِنْ شُرُورِهِمْ ... وَأَعْرِضْ عَنِ الْوَرَى وَقَابِلْ بِغَفْلَةِ

وَإِيَّاكَ أَنْ تُقَابِلَ الشَّرَّ بِالجزَا ... فَتَظْفَرَ حَتْماً بِالشُّرُورِ الْمَدِيدَةِ

وَقَابِلْ شُرُوراً بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... وَعَفْوٍ وَصَفْحٍ عَنْ خَبِيثِ السَّلِيقَةِ)

(ولا تعبأن) يقال لا أعبأ بكذا لا أبالى به (بما ترى) تبصر وتشاهد (من شرورهم) فإن الله تعالى هو المتجلى فيهم بما شاء من خير وشر- ألا له الخلق والأمر- وربك يخلق ما يشاء ويختار - والله خلقكم وماتعملون - (وأعرض) من أعرض عن الشيء صد عنه (عن) جميع ما يصدر من (الورى) الخليقة لحديث « أعرضوا عن الناس » ألم تر أنك إن ابتغيت الريبة فى الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم (وقابل) ذلك (بغفلة) وتغافل. وفى [جص] « إياكم ومشارة[1] الناس فإنها تدفن[2] الغرة وتظهر العرة » والغرة بضم معجمة: الصفات الجميلة والأعمال الحسنة تشبيها بالبياض الذى فى وجه الفرس ، والعرة بضم مهملة : الصفات الرديئة والأعمال السيئة تشبيها بالقذر والخبث : قال تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - ورحم الله من قال :

خذ العفو وأمر بعرف كما ... أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن فى الكلام لجمع الأنام ... تستحسن من ذوى الجاه لين[3]

---

(١) أى مقابلتهم بالشر . (٢) قوله تدفن بكسر فاء من دفن كضرب اه .

(٣) قوله « لين » بكسر لام : الليونة اه .

وفى [جه] وعليكم بالغفلة عن شر الناس وعدم المبالاة بما يجرى منهم من الشرور ، وعليكم بالصفح والتجاوز عنهم فإن مناقشة الناس عما يبدو منهم وعدم العفو عنهم يوجب للعبد عند الله البوار [1] فى الدنيا والآخرة ، وكلما دنوت بمقابلة شر بمثله تزايدت الشرور وتنكسر بالعبد قوائمه فى جميع الأمور فلا مقابلة للشر إلا الغفلة والعفو والمسامحة ، انظره . ولذا قال رحمه الله (وإياك أن تقابل الشر) إذا صدر من الناس (بالجزا) قصره للوزن أى بمثله مستدلا بقوله تعالى ـ وجزاء سيئة سيئة مثلها ـ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ـ ذاهلا عن قوله ـ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ـ وقوله ـ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ـ وقوله ـ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ـ (فتظفر حتما) وتجزى دائما (بالشرور المديدة) بدالين مهملتين الطويلة التى لاتتناهى أو بزاى مع مهملة من الزيادة . وفى [جص] : كل شىء ينقص إلا الشر فإنه يزاد فيه . قال الحفنى : أى من أصحاب النفوس الخبيثة . وفى [جه] والحذر الحذر لمن تحرك عليه شر الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشر لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وعزة نفسه ، فإن المبادر للشر بهذا وإن كان مظلوما فاضت عليه بحور الشر من الخلق يستحق الهلاك به فى الدنيا والآخرة ، وتلك عقوبة لإعراضه عن جناب الله أولا فإنه لو فزع إلى الله بالتضرع والشكاية واعترف بعجزه وضعفه لرفع الله عنه ضرر الخلق بلاسبب أو بسبب لا تعب عليه فيه أو يشغلهم الله بشاغل يعجزون عنه ، فإما أن يفعل الله له هذا ، وإما أن ينزل عليه اللطف العظيم أو الصبر الجميل فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر حتى يرد عليه الفرج من الله تعالى فيكون مثابا دنيا وأخرى ، أما ثواب الدنيا فبحمد العاقبة وظهور نصره فى الخلق على قدر مرتبته ، وأما ثواب الآخرة فبالفوز بمالاغاية له من ثواب الصابرين الذى وعده الله تعالى قال سبحانه وتعالى ـ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ـ وقال سبحانه وتعالى ـ واعلموا أن الله مع الصابرين ـ وقال تعالى حاكيا عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام ـ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ـ وقال تعالى : وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ـ إلى غير ذلك من الآيات ، وبعدم اعتبار الناس لما ذكرنا ترى الناس أبدا فى عذاب عظيم من مكابدة شرور بعضهم بعضا ووقعوا بذلك فى المهالك العظام فى الدنيا والآخرة إلا من حفته عناية عظيمة إلهية ، فإن العامة لايرون فى تحريك الشر عليهم إلا صورة الشخص الذى حركه عليهم لغيبتهم عن الله سبحانه وتعالى ، وعن غالب حكمه فنهضوا فى مقابلة الشرور بحولهم واحتيالهم وصولة سلطان نفوسهم ، فطالت عليهم مكابدة الشرور وحبسوا فى سجن العذاب على تعاقب الدهور ، فإن الكيس العاقل إذا انصب عليه الشر من الناس أو تحركوا له به رآه تجليا إلهيا لاقدرة لأحد على مقاومته إلا بتأييد إلهى ، فكان مقتضى مادل عليه علمه وعقله الرجوع إلى الله بالهرب والالتجاء إليه وتتابع التضرع والابتهال لديه والاعتراف بعجزه وضعفه فنهض معتصما بالله فى مقابلة خلقه فلاشك أن هذا يدفع عنه الشرور بلاتعب منه ولو التهبت عليه نيران الشر من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه لاعتصامه بالله تعالى فإن من تعلق بالله تعالى لا يقوى له شىء قال سبحانه وتعالى ـ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ـ إلى قوله ـ فهو حسبه ـ وهذا الباب الذى ذكرناه كل الخلق محتاجون إليه فى هذا الوقت فمن أدام السير على هذا المنهاج سعد فى الدنيا والآخرة ومن فارقه وكله [2] الله إلى نفسه فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله فهلك كل الهلاك فى عاجله وآجله

---

(١) قوله البوار كسحاب : الهلاك اه . (٢) من وكل يكل كوعد يعد اه .

وفيما ذكرناه كفاية ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعامل الله وجميع مافى هذا الوجود بالأدب معه من ناطق وصامت كل بما يناسبه وذلك من أعظم أخلاق الرجال ، فنعامل الحق تعالى بالاعتراف له بالنعم وكثرة الذكر له وعدم الغفلة عن ملاحظة نظره تعالى إلينا وكثرة المراقبة لأبوابه تعالى ، وذلك لأن حاجتنا فى الدنيا والآخرة لا تخرج إلا من بابه ، ونعامل الآيات بالتفكر فى معانيها والاعتبار بها ، ونعامل الرسل وكمّل ورثتهم من العلماء والصالحين بالاقتداء بهم فى مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها ، ونعامل الملائكة بدوام الطهارة الظاهر والباطنة وإزالة الروائح الكريهة الحادثة من الأكل والشرب والحادثة من الأفعال والأقوال أو العقائد الرديئة كما ورد وكما أن الملائكة لايؤذوننا فكذلك ينبغى لنا أن لانؤذيهم ولا نملى عليهم إلا خيرا فإن لم يتيسر لنا ذلك أكثرنا من الاستغفار وذكر الله عز وجل ، ونعامل السفهاء بالحلم لابالمقابلة بالسفه فإن ذلك مما يقوى دخيرة الأذى لنا ولهم ، ثم إن ذلك يجر إلى أننا نصير سفهاء مثلهم من حيث المقابلة بالسفه ، ونعامل الجهلاء بالسياسة ولين القول والعفو والإعراض عن جهلهم علينا ، ونعامل شرار الناس ببشاشة الوجه ولو كان قلبنا يلعنهم ونكثر من البر والإحسان إليهم ما استطعنا فلعلنا نكفى شرهم إن شاء الله تعالى ثم يحصل لنا مع ذلك إن شاء الله ثواب منعهم من الإثم الحاصل من وقوعهم فى أعراضنا ومنع السامعين لهم من سماع غيبتنا وتنقيص حالنا وكشف عورتنا ، ولا يخفى أن أحب عباد الله إلى الله أشفقهم على عباده ومن ذلك شفقته عليهم أن يقعوا فى شىء ينقص دينهم ، ونعامل الأولياء بالتسليم والتصديق لهم فى كل مايخبرونا به فى حق الوجود ، لأن الله تعالى ما أعطاهم مقام الكشف حتى أحكموا مقام الصدق ولذلك سموا صادقين . ونعامل إخواننا من المريدين بالتفتيش عن أحوالهم الناقصة والأخذ عليهم فى جميع حركاتهم المذمومة نصحا لهم لكوننا مسئولين عنهم ، ونعامل أكابر الدولة بالكف عن ذكر مساويهم فى مجلسنا واحتمال جفاهم فإنهم ماظلمونا حتى ظلمنا ولا ينبغى لأحد أحد أن يرى نفسه عليهم فإن الذى يراهم يرانا لأننا رعيتهم ، ونعامل أولادنا بالإحسان إليهم وعدم الغفلة عن تأديبهم وتعليمهم الأخلاق الحسنة وتبغيضهم فى الأخلاق السيئة ، ونعامل زوجاتنا بحسن الخلق والتغزل لعقولهن جهدنا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، ونعامل المال بالإنفاق فى سبيل الله ووجوه الخير حتى يفارقنا وهو شاهد لنا لاعلينا ، ولا يتم لنا ذلك إلا بأن ننفقه بانشراح صدر ، فإن المتكره للإنفاق لايكاد يكون له ثواب بل هو إلى الإثم أقرب ، انظره تردد :

(وقابل) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (شرورا) صدرت من الناس (بالتى) أى بالكلمة الطيبة التى (هى أحسن) قال تعالى - ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم - الآية ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك وقل الحق ولو على نفسك » وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعلم إخواننا طريق الخلاص إذا قام عليهم قائم يؤذيهم من جار أو شيخ بلد أو غفير لاسيما إن تصدى للمرافعة فيهم عند الحكام والقضاة والمساكين وغيرهم ، ومن أقرب الطرق إلى الخلاص من أذى هؤلاء أن تأمرهم بأن يحسنوا إليهم بالدنيا والملق والخدمة وليس هذا من الأمور المحرمة فى شىء ، وقول الناس عمن أذاهم : إنه لايزداد بالخضوع له إلا تمردا عليهم من تسويلات النفوس ، لأن الله تعالى يقول - ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم - والله أصدق القائلين فمن عقل

العاقل أن يذل ويخضع ويحسن إلى من يوشى عليه ولو لم يكن بيده إلا لقمة واحدة دفعها له وذلك لأن جوع الإنسان مع عدم الشر أحسن من شبعه مع النكد والذى حرك النكد هو الذى بيده تسكينه فهو أولى بالإعطاء من الحاكم الذى يريد ذلك المظلوم أن يحتمى به ، ويقع لكثير من ضعفاء العقول أنهم يحرمون الخصم ويعطون الحكام ولو أنهم كانوا أعطوا الخصم بعض ما أعطوه الحكام لربما سد باب الأذى كما كان فتحه ، فاعلم ذلك واعذر من آذاك فإنه ما آذاك إلا لضيق حضيرته لكثرة ماحصل له من الأذى منك فيتنفس بأذاك ليستريح فى نفسه ولو أنك فتحت عليه باب الراحة ولم تدخل عليه كربا لما آذاك قط ، والله عليم خبير اهـ . وفيه : أخذ علينا العهود أن نداوى كل من بلغنا عنه أنه يكرهنا وينقصنا بين الناس والمحبين بالكلام الحلو والتردد إليه بالبشاشة رحمة بأخينا أن لا ينقص رأس ماله بكراهة مسلم ، لانفرة من وقوعه فى حقنا بالخصوص ، ويجب علينا التغافل عما بلغنا عنه ما أمكن حيث تعين ذلك طريقا علينا لسلامة الدين من النقص ، ولا نلتفت قط لصدق من نقل ذلك الكلام إلينا على وجه الإفساد فإن الله تعالى سماه فاسقاثم قال : وينبغى لنا أن نصرح بتكذيب الناقل ونقول له حاشا لله أن فلانا يغتاب الناس ويقع فى أعراضهم وإن كان القلب يشهد بخلافه لأن موافقة الشرع والعمل به أولى مما يقضى به القلب إذ القلب لا يستفتى إلا فى أمور لم يبين الشارع أحكامها فافهم . ثم اعلم يا أخى أنه لاينبغى لعاقل فى هذا الزمان أن يعاتب أحدا على مابلغه عنه حقه ، فإنه ربما أعقب ذلك العتب ماهو أشد مما كان وقع بل العقل الصفح فإن علم من دينه أنه إذا عاتبه ندم واعترف واستغفر عاتبه فعلم أنه لاينبغى له أن يقابل من بلغه أنه يحط عليه بالكراهة له والحط عليه كذلك فإن بذلك يزداد الأمر وتعظم الذخيرة ، عكس ما إذا قابلناه بالحلم والصفح ، وربما يقع لمن يحط فينا الندم على حطه فينا إذا بلغه عنا أننا برأناه مما نقل وقلنا فى حقه حاشا لله أن مثل فلان يقع فى أعراض الناس ، وهذا من أعظم السياسات فاعمل عليه والله يتولى هداك اهـ (وعفو) فإن الله عفو يحب العفو قال تعالى ـ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ـ وروى : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم من كان أجره على الله فلايقوم إلا العافون عن الناس » وفى [جص] : «من عفا عند القدرة عفا الله عنه عند العسرة» وفيه : « من عفا عن دم لم يكن له ثواب إلا الجنة » ورحم الله من قال :

لما عفوت ولم أحقد على أحد	أرحت نفسى من هم العداوات
إنى أحيى عدوى عند رؤيته	لأدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه	كأنه قد ملا قلبى مسرات
ولست أسلم ممن لست أعرفه	فكيف أسلم من أهل المودات
الناس داء ، دواء الناس تركهم	وفى الجفاء لهم قطع الأخوات
فسالم الناس تسلم من غوائلهم	وكن حريصا على كسب التقيات
وخالق الناس ما كنت بليت بهم	أصم أبكم أعمى ذا تقيات

وفى [جص] : «إذا مررتم بأهل الشرة فسلموا عليهم تطفأ عنكم شرتهم ونائرتهم » وفى الحديث : « إنا لنكشر فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم » (وصفح) من صفح كمنع أعرض عنه وترك وعفا عن ذنبه قال تعالى ـ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ـ ورحم الله من قال :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه علىّ الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوق فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فإن قال صنت عن إجابته عرضى وإن لام لائم
وأما الذى مثلى فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

ومن قال :

إذا كان دونى من بليت بجهله أبيت لنفسى أن أقابل بالجهل
وإن كان مثلى فى محل من العلا هديت إذاً حلماً وصفحاً عن المثل
وإن كنت أدنى منه فى الفضل والحجا رأيت له حق التقدم فى الفضل

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعفو ونصفح عن جميع هذه الأمة المحمدية ولا نطالب أحداً منهم بحق فى الدارين من مال وعرض إكراما لمن هم عبيده سبحانه وتعالى، ولمن هم من أمته صلى الله عليه وسلم وفى المثل السائر: لعين تجازى ألف عين وتكرم ، فمن آخذ أحدا من هذه الأمة فما عرف قدر عظمة من هم عبيده ولا عظمة من هم من أمته صلى الله عليه وسلم . واعلم ياأخى أنه لايتيسر لك العمل بهذا العهد إلا بعد انكشاف عيوبك لك يقينا لاظنا وتخمينا فهناك ينشرح صدرك ضرورة للمطهرات والمكفرات، وأنت إذا رأيت فى ثوبك نجاسة محسوسة فجاء شخص وغسلها عنك ملت إليه ضرورة فيحتاج العامل به إلى مجاهدة شديدة حتى يظهر له مساوى نفسه كهذه النجاسة المحسوسة سواء وإلا فمن لازمه المؤاخذة وعدم الصفح ؛ وقد جاهدت نفسى نحو الثلاثين سنة حتى أجابت إلى بعض رائحة من ذلك، ثم قال: قال سيدى على الخواص : وإياك أن تؤذى من آذاك ولو بسوء الظن وتقول - وجزاء سيئة سيئة مثلها - واقرأ مابعدها تجد الحق تعالى يقول - فمن عفا وأصلح فأجره على الله - ثم انظر فى تسميته تعالى سيئة لينبه العبد على العفو والمسامحة فلا يجازى أحدا بسيئة ولو فى الصورة. واعلم ياأخى أن كل من تحقق بهذا العهد رجونا له من الله أن يرضى عنه خصماءه كلهم يوم القيامة فلا يطالبه أحد منهم بحق مجازاة له على مافعله مع عباده سبحانه وتعالى، انظره .وأخبرنى بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أنه كان يستعمل هذا العهد إلهاما من الله تعالى وابتغاء لرضى الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم ورضا سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين ، وحياء أن يعذب بسببه أحد من عباده تعالى ومن أمته صلى الله عليه وسلم ومن أصحاب سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين - رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين - ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير - فقل كلما أصبحت أو أمسيت : اللهم إنى أتصدق بعرضى وبجميع مالى من الحقوق على عبادك وعلى أمة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحاب سيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجانى فلاأظلم من ظلمنى ولاأشتم من شتمنى ولا أضرب من ضربنى، أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين - ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم - آمين (عن خبيث) من خبث ككرم وزنا وضداً معنى (السليقة) كالطبيعة وزنا ومعنى . وفى [جه] وأما حلمه وعفوه فشأنه رضى الله عنه الصفح عمن اشتغل بإذايته وعدم المؤاخذة له والنظر فيه بعين الحقيقة والتماس المعذرة له ويقول

إذا نظرت إلى الناس وما يجرى عليهم من قدر الله عذرتهم وإنما يجىء الملام من عدم شهود أمر الله النافذ، ويحن مع ذلك عليهم ويشفق من حالهم مخافة أن يدركهم الهلاك بسبب تماديهم على فعلهم ذلك ، وكثيرا مايعاملهم حرصا على إزالة ضغنهم ومحوما فى قلوبهم ، وإذا شكى له أحد من أصحابه إذاية سلاه عن ذلك وحمله على الحلم والعفو وحضه على الاشتغال بما يعنيه ولا يحب المعتنين بنصرة أنفسهم ولا المشتغلين بملاحاة الرجال ، ولا يحب الغلظة ولا الفظاظة ولا أهلها ويقول : إن الحليم يحلم الله عليه ويستشهد بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم فى المستدرك عن ابن عمر قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » اه ويترحم على الكبير والصغير وكل ضعيف مستضعف ويوصى من أتاه من الولاة بالعفو عن المساكين ويقول لهم بضعفائكم ترحمون ولا عمل أحسن من ذلك لكم ومن عفا عفى عنه ، ويعرض عن الجاهلين ويصبر لجفوة الجافين ويعفو عن إذاية المؤذين بل يحسن إلى من أساء إليه ويحن عليه بعد التجاوز عنه ويتعطف عليه ولا يزال يلاطفه قولا وفعلا ويعامله بالجميل وبالتى هى أحسن ويبر به ويحرص على إيصال الخير له رحمة له وشفقة عليه حتى يستحى ذلك المسىء غاية الحياء ويخجل (1) غاية الخجل ويتعجب من عفوه عنه ثم تفضله عليه ومن سابق سيئاته التى عادت عليه كالحسنات لديه ، كما شاهدنا ذلك وقع له مع بعض الإخوان فما زال يحلم عليه ويحسن إليه حتى كان أحب الأحباء إليه ؛ انظره : وفيه : فالذى أوصيكم به وإياى المحافظة على قوله صلى الله عليه وسلم : « لاتتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا » الحديث ، وهذا وإن ورد فى ميادين الجهاد فى قتال الكفار فهو منقلب فى هذه الأزمنة فى الصفح عن شر الناس فمن تمنى بقلبه أو أراد تحريك الشر منه على الناس سلطهم الله عليه من وجه لايقدر على دفعهم ، وعلى العبد أن يسأل الله العافية من تحريك شر الناس وفتنتهم فإن تحركوا عليه من غير سبب منه فالوجه الأعلى الذى تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان فى إساءتهم ، فإن لم يقدر فبالصفح والعفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر فبالصبر لثبوت مجارى الأقدار لايتحرك فى شىء من إذايتهم لإساءتهم ، فإن اشتعلت عليه نيران شرهم فليدافع بالتى أحسن بلين ورفق ، فإن لم يفد ذلك فعليه بالهرب إن قدر والخروج عن مكانه ، فإن عوقت العوائق عن الارتحال ولم يجد قدرة فليدافع بالأقل فالأقل من الإذاية فليفعل ذلك ظاهراً ويكثر التضرع إلى الله والابتهال سراً فى رفع شرهم عنه مداوما ذلك حتى يفرج الله عليه ، وهذه الوجوه التى ذكرناها هى التى تقتضيها رسوم العلم ، انظره ـ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ـ رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ـ والله تعالى أعلم وأحكم .

---

(1) قوله يخجل بفتح تحتية وجيم من خجل كحيى اه .

﴿ فهرست الجزء الثانى من شرح الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

انتهى الجزء الثانى وبه كمل النصف الأول من شرح «الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة» بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(ويتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث ، أوله : فصل فى التحذير من الرياسة)
